



أساس السعادة

رحلة سعادة آية الله المعظم
الشيخ الميرزا حسن الإصفهاني المائري الأسكوتي
من كربلاء إلى طهران
١٢٤١ هـ.ق / ١٢٠٢ هـ.ش

بقلم
الإمام المصلح
الميرزا حسن المائري الإصفهاني الأسكوتي

ترجمة
السيد حسن مطر الهاشمي



دار الحجّة البيضاء

أساس السعادة

أَسَاسُ السَّعَادَةِ

رحلة سامية آية الله المعظم
الهاج الميرزا حسن الإحقاقي الهائري الأسكوثي
من كربلاء إلى طهران
١٣٤١هـ.ق / ١٣٠٢هـ.ش

بقلم
الإمام المصلح
الميرزا حسن الهائري الإحقاقي الأسكوثي

ترجمة
السيد حسن مطر الهائمي



موقع الأوحاد
Awhad.com

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ

مقدمة الناشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

وبعد، إنه لمن دواعي سرورنا أن نتشرف بطباعة هذا الكتاب المهم والقيم، وهو رحلة (أساس السعادة) الذي يمثل مذكرات الإمام المصلح آية الله الميرزا حسن الإحقاقي في رحلة سفره من كربلاء المقدسة إلى طهران، برفقة أخيه الحكيم الإلهي آية الله الميرزا علي الحائري أعلى الله مقامهما.

حيث ضم هذا الكتاب العديد من الحوارات والنقاشات التي كانت تدور في ذلك الوقت، والتي لا زال بعضها يعيده الزمن، كما قدم لها المولى المصلح أعلى الله مقامه الكثير من الحلول بأسلوب رائع وبديع، ويحكي هذا الكتاب مشاعر الناس الصادقة وأحاسيسهم، وهمومهم.

طبع هذا الكتاب باللغة الفارسية مرتين، الأولى سنة ١٣٠٣هـ.ش الموافق سنة ١٣٤٢هـ.ق تقريباً، والثانية سنة ١٤٤٢هـ.ق، بتقديم الشيخ رسول جعفریان مدير مكتبة جامعة طهران، ولم يطبع باللغة العربية قبل هذا، وتعتبر هذه الطبعة هي أول طبعاته باللغة العربية، وقد تم بذل الجهد في ترجمتها وتحقيقها، بما يفوق الطبعات الفارسية.

وفي الختام يجدر بنا تقديم الشكر لكل من ساهم في إخراج الكتاب وبالخصوص:

- ١ - السيد يحيى غفار زاده دستجردي على تزويدنا بصورة الكتاب بطبعته الأولى.
 - ٢ - الشيخ رسول جعفریان على تزويدنا بنسخة من الطبعة الجديدة من أجل الترجمة.
 - ٣ - السيد حسن مطر الهاشمي على ترجمة الكتاب والتعليق عليه تعليقاً يوضح للقارئ مناسبات الأحداث والأماكن والأشعار وغيرها.
 - ٤ - الشيخ حيدر الأحسائي على ما قام به من مراجعة الكتاب، والتعليق على بعض المواد العلمية المنقولة في الرحلة.
- ونسأل الله بحق ساداتنا محمد وآله الطاهرين أن يتقبل منا هذا القليل،
 ويجعل ثوابه هدية لروح مولانا الإمام المصلح الميرزا حسن الإحقاقي،
 وجميع شيعة أمير المؤمنين عليه السلام لا سيما علمائنا الأعلام طيب الله
 أرواحهم.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة التعريب

ينتمي كاتب هذه الرحلة سماحة آية الله المعظم الحاج الميرزا حسن الإحقاقي الحائري الأسكوئي (١٣١٨ - ١٤٢١هـ)، إلى إحدى الأسر العلمية في أذربيجان الغربية، حيث حافظت هذه الأسرة على مكانتها العلمية لما ينيف على القرنين من الزمن، ويعود التأسيس العلمي لهذه الأسرة إلى الجد الأكبر لصاحب هذه الرحلة، وهو (الآخوند الملا محمد سليم) - من أهالي قرية (أوشتبين) من توابع (قرّه داغ) من أعمال (أرسباران) - إذ دعاه سكان مدينة (أسكو) وهو في طريقه إلى زيارة العتبات المقدسة؛ ليقم عندهم، وربما كان ذلك حوالي عام ١٢٠٠ للهجرة؛ ومن حينها اكتسبت الأسرة لقب (الأسكوئي). وقد ولد نجله (الميرزا محمد باقر) في هذه سنة ١٣٢٠ ١٢٣٠ للهجرة، ودرس هناك، ثم انتقل إلى النجف الأشرف سنة ١٢٦١ للهجرة؛ ليفتح بذلك منعطفاً جديداً في التاريخ العلمي لهذه الأسرة؛ حيث حضر درس الشيخ مرتضى الأنصاري، والميرزا حسن گوهر وغيرهما من كبار علماء الطائفة؛ وبقي هناك حتى أصبح عالماً يشار إليه بالبنان، وألف العديد من الكتب بالإضافة إلى رسالته العملية ورسالة في مناسك الحج، وكانت وفاته (سنة ١٣٠١ للهجرة)؛ ليخلفه نجله - والد صاحب هذه الرحلة - المولود في كربلاء سماحة (الشيخ موسى الأسكوئي) (١٢٧٩ - ١٣٦٤

للهجرة) في الزعامة العلمية لهذه الأسرة، والذي أكسبها لقب (الإحقاقي) بتأليفه لكتاب (إحقاق الحق) بعد اكتساب لقب (الحائري) نسبة إلى الحائر الحسيني الشريف بحكم المولد. وقد واصل دراسته في النجف الأشرف عند كبار العلماء هناك، من أمثال: (الميرزا حبيب الله الرشتي)، و(الفاضل الشرباني)، و(الشيخ هادي الطهراني) وآخرين. وقد لعب الميرزا موسى دوراً كبيراً في توسيع رقعة الريادة العلمية لهذه الأسرة؛ لتصل شهرتها من هناك إلى البحرين والأحساء والكويت بعد أذربيجان، وأصبح له هناك مقلدون يرجعون إليه في فروع دينهم، وكان الميرزا موسى في الوقت نفسه على علاقة وطيدة بعلماء تلك الأصقاع، وحصل على إجازة من الشيخ عبدالله آل معتوق القطيفي سنة ١٣٣٣ للهجرة. ويأتي كتابه (إحقاق الحق) في الدفاع عن (الشيخ أحمد الأحسائي رحمه الله)، والرد على كتاب (ترياق الفاروق) لمؤلفه المير محمد حسين الشهرستاني (م: ١٣١٥هـ). وقد سعى الميرزا موسى في هذا الكتاب إلى تبرئة ساحة الشيخ أحمد الأحسائي مما نسب إليه من أمور لا تنسجم مع ثوابت سائر الشيعة الإثني عشرية، وألقى باللائمة في هذا الشأن على الحاج محمد كريم خان من المنتسبين إلى شيخة كرمان، متهماً إياه بعدم فهم حقيقة آراء السيد كاظم الرشتي والشيخ أحمد الأحسائي رحمهما الله.

هذا وإن للميرزا موسى الحائري مؤلفات أخرى على ما جاء في خاتمة رحلة (أساس السعادة)، مثل: (البوارق في إبطال وحدة الناطق)، و(تنزيه الحق) بالفارسية، و(الفصول الغريبة في رد الصوفية) وغير ذلك. وكانت وفاة الميرزا موسى في الخامس من شهر رمضان سنة ١٣٦٤ للهجرة، عن ثلاثة أولاد، وهم كل من:

١ - الميرزا علي الحائري الإحقاقي (١٣٠٥ - ١٣٨٦هـ). وهو عالم الأسرة المقيم في الكويت إلى آخر حياته، وقد أفرد له الميرزا عبد الرسول

الإحقاقي نجل صاحب هذه الرحلة، الفصل الرابع من كتابه (قرنان من الاجتهاد والمرجعية في أسرة الإحقاقي). ومن مؤلفاته: (شرح الزيارة السابعة)، و(تقارير الآخوند الملا محمد كاظم الخراساني في الأصول والفقه)، و(شرح دعاء رجب)، و(شرح الزيارة الرجبية)، و(تقارير سماحة آية الله شيخ الشريعة الإصفهاني في الأصول والفقه)، و(شرح دعاء الصباح). وكان على رأس هذه الرحلة التي كتبها الشيخ الميرزا حسن الإحقاقي.

٢ - الميرزا محمد باقر الأسكوئي الإحقاقي، المعروف بـ(الميرزا آغا) (؟ - ١٣٥٣هـ). وكان بالإضافة إلى العلوم الدينية، قد برع في الطب من دون تعلّم؛ فجمع بذلك بين (علم الأديان، وعلم الأبدان). وقد تنبأ لأخيه الأصغر - صاحب هذه الرحلة - بحياة مديدة^(١) وهو طريح على فراش الموت، في قصة معبرة يرويها الميرزا عبد الرسول الإحقاقي في معرض الحديث عنه في الفصل الخامس من كتابه (قرنان من الاجتهاد والمرجعية). بالإضافة إلى الكثير من الوقائع في هذا الشأن، وكان يعالج المرضى والزمنى لوجه الله. وكانت وفاته في مدينة (تبريز)، وحُمل جسده الطاهر إلى (كربلاء المقدسة)؛ ليُدفن في مقبرة الأسرة في جوار مرقد والده الشيخ موسى، وجدّه الشيخ محمد باقر رحمهما الله.

٣ - الميرزا حسن الأسكوئي الإحقاقي - صاحب هذه الرحلة - (١٣١٨ - ١٤٢١هـ). وحيث عقدنا هذه المقدمة لهذه الرحلة من أجل التعريف بشخصه والظروف التي أحاطت بكتابة هذه الرحلة، سوف نتحدّث عنه بتفصيل أكبر. ولد الشيخ الميرزا حسن الإحقاقي الأسكوئي في كربلاء المقدسة،

(١) وهو ما تحقق بالفعل، إذ توفي الشيخ الميرزا حسن الأسكوئي الإحقاقي سنة ١٤٢١ للهجرة، عن عمر ناهز المئة وثلاثة أعوام. (المعرب).

ودرس على يد أخيه الأكبر الميرزا علي الأسكوئي، الذي رافقه في هذه الرحلة - وقد أشار إليه في جميع مواضع الحديث عنه فيها بلفظ (خدايگاني) وآثرنا ترجمتها إلى العربية بـ (أخي المقدّس) - كما درس عند غيره، حتى انتقل بعد ذلك إلى النجف الأشرف، وحضر هناك دروس الآيات العظام: (شيخ الشريعة)، و(الشيخ الميرزا النائيني)، و(السيد مصطفى الكاشاني)، ثم انتقل بعد ذلك إلى مشهد المقدسة، ليقیم هناك ما بين عامي (١٣٦٠ - ١٣٦٥هـ) وحضر خلالها دروس جملة من العلماء، وعلى رأسهم: (السيد الفقيه السبزواري)، و(العلامة الكبير الميرزا أحمد الكفائي نجل المولى الشيخ محمد كاظم الخراساني (صاحب الكفاية)).

وفي الفترة التي كان الشيخ موسى - والد الميرزا حسن الأسكوئي - قد تصدّى فيها للمرجعية في الكثير من الأصقاع، كتب إليه أهالي (أسكو) يشكون من انتشار الشيوعية والإلحاد في أذربيجان؛ فأوعز الميرزا موسى إلى نجله الميرزا حسن الإحقاقي بالذهاب إلى تلك المنطقة، فانتقل إليها لإصلاح الأمور وتقويم ما اعوجّ فيها من معالم الدين، وكان مما نقله الميرزا حسن الإحقاقي إلى نجله الميرزا عبد الرسول في هذا الشأن، أنه كان يعاني على أكثر من صعيد؛ فمن جهة كانت تعلو بين الناس (نبرة التجديد)، ومن جهة أخرى كان هناك بعض أنصاف العلماء الذين يضرون بالدين أكثر ممّا ينفعون، والذين لم يكن لهم من همّ سوى الظفر بأموال الناس، وفوق كل ذلك كان هناك العملاء للأجنبي من الذين يقدمون خدمات مجانية ومدفوعة الثمن للأعداء المقيمين فيما وراء البحار، تحت مسميات (الشيوعية) و(البابية) و(البهائية).. وقد أشار الشيخ الميرزا حسن إلى سياسته المعقولة في التعاطي مع المنحرفين، حتى تمكن في نهاية المطاف من انتشار مدينة أسكو من براثن الإلحاد والانحراف، وأعاد إليها حياتها الدينية بشكل كامل.

يؤثر عن الشيخ الميرزا عبد الرسول الإحقاقي قوله: إن والده الشيخ حسن الأسكوئي قد حصل على درجة الاجتهاد وهو في سن الثانية والعشرين؛ (ممّا يعني أنه كان مجتهداً عندما كتب هذه الرحلة).

ومع اندلاع الحرب العالمية الثانية والاحتلال الروسي للشمال الإيراني، وبسط سيطرته على أذربيجان، كان الميرزا حسن الإحقاقي في مشهد، وفي الفترة ذاتها توجه إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج، وتوجه من هناك إلى الهفوف وهي منطقة في الأحساء شرق الجزيرة العربية. ثم عاد بعدها إلى إيران، ودعاه أهالي تبريز، فاستجاب إلى دعوتهم، وأعاد بناء مسجد (چهل ستون)، وأعاد بناء مدرسة (صاحب الأمر عجل الله فرجه الشريف) وشرع في ممارسة مهامه الدينية والعلمية والاجتماعية هناك واستمر في ذلك لسته أعوام.. ثم انتقل بعد ذلك إلى طهران وأقام في بيت كبير، أفرد صالة واسعة منه باسم (بيت الزهراء عليها السلام)؛ لإقامة الشعائر الدينية. وبعد وفاة شقيقه الأكبر الشيخ الميرزا علي الإحقاقي في الكويت، أخذ مقلدوه ومقلدو والده يرجعون إليه في التقليد، وبذلك آلت إليه المرجعية الدينية والفقهية، فانتقل إلى الكويت؛ ليتولى شؤون مقلديه على المستوى العلمي والديني والاجتماعي.

وقد ولد له من الأبناء ثلاثة، وهم: الشيخ الميرزا عبد الرسول الإحقاقي صاحب كتاب (قرنان من الاجتهاد والمرجعية في أسرة الإحقاقي)، وقد اعتمدنا عليه في كتابة هذه المقدمة بشكل رئيس، وأحمد الإحقاقي، ومحمد الإحقاقي، ولم يبق منهم على قيد الحياة حالياً سوى الأخير.

وكان مركز نشاطه في الكويت في جامع الإمام الصادق عليه السلام الذي بناه شقيقه الأكبر سنة ١٣٤٥ للهجرة، وقام الشيخ الميرزا حسن الإحقاقي بعد انتقاله إلى الكويت بإعادة بنائه وتوسيعه سنة ١٣٩٩ للهجرة،

وهو ذات الجامع الذي شهد لاحقاً تفجيراً إرهابياً على يد خفافيش الظلام لما يعرف بـ(داعش) بتاريخ السادس عشر من يونيو / حزيران سنة ٢٠١٥ م، وراح ضحية هذا التفجير الغاشم ٢٧ شهيداً مظلوماً، وأكثر من ٢٢٠ جريحاً.

وفي الكويت بدأ الشيخ الميرزا حسن الإحقاقي ممارسة مهامه بنشر رسالته العملية إلى مقلديه، بعنوان (أحكام الشيعة). وبالإضافة إلى هذه الرسالة العملية، فإن للشيخ حسن الإحقاقي، الكثير من المؤلفات الأخرى، ومنها ما أشار إليه في خاتمة هذه الرحلة (أساس السعادة)، وهي: (الدرر الغاليات في توضيح المشكلات)، و(الجغرافيا الطبيعية)، و(معراج رفرف الشريعة)، و(الجغرافيا السياسية)، و(الحياة الخالدة) (حياة جاويد) وهو الجزء الثاني من هذه الرحلة (من طهران إلى مشهد المقدسة)، وغيرها من الكتب الأخرى التي لم نعر لها على أثر، حتى أن نجله الشيخ عبد الرسول الإحقاقي لم يأت على ذكر شيء منها، وذكر بدلاً من ذلك عناوين كتب سماحته الأخرى، وهي بالإضافة إلى (أحكام الشيعة): (رسالة الإيمان)، و(رسالة الإنسانية)، و(مناسك الحج)، و(سرمایه سعادت) أو (رحلة أساس السعادة)، و(منهج الرشد)، و(منظرة الدقائق)، و(تفسير الآيات المشكلة في القرآن - بالفارسية، غير مطبوع)، و(أصول الشيعة)، و(الحاكم العدل في الرد على شيخية كرمان)، و(رسالة في تحديد القبلة - غير مطبوع)، و(ترجمة الرسالة التطهيرية) لوالده الشيخ ميرزا محمد باقر الحائري، و(قصائد وأشعار)؛ إذ له أشعار وقصائد باللغتين الفارسية والعربية، وله أيضاً كتاب بعنوان: (الدين بين السائل والمجيب)، وما إلى ذلك من الكتب الأخرى. وقد توفي الميرزا حسن الإحقاقي في اليوم الخامس عشر من شهر رمضان سنة ١٤٢١ للهجرة في طهران عن عمر ناهز المئة وثلاث سنوات، ودفن في مقابر الأسرة في (بهشت زهراء) (جنة الزهراء)، تغمّده الله بواسع رحمته، وأسكنه فسيح جنّته.

وفيما يلي سوف نركز الكلام على رحلته (سرمایه سعادت)، وهي الرحلة التي نضع نسختها العربية بين يديك تحت عنوان (أساس السعادة)؛ حيث اشتق اسمها من عبارة له تكررت في أكثر من موضع في هذه الرحلة، ومن بينها ما كان منه في معرض الحديث عن الاتحاد بين المسلمين في حوار مع أحد قضاة أهل السنة عندما كان ذات يوم في مدينة الكاظمية، قائلاً: (إن مصدر الشرف وأساس العظمة وأساس السعادة والازدهار والرقى في كل أمة يكمن في الاتحاد الذي يقوم على أساس محكم، ويكون مركز ثقله وجامعيته مستحكماً، ولا شك في أن الوجدان يقضي بعدم وجود أساس جامع أقوى من الدين، ولكن هيهات!)، أو في معرض حديثه عن حب الوطن، حيث قال في بعض محطات هذه الرحلة: (إن حب الوطن الذي هو من سجايا الصالحين والأبرار، والذي كان بمنزلة أساس السعادة لنا قد تركناه جانباً للأسف الشديد)، أو من كلامه الذي قاله في ختام هذه الرحلة أثناء تفقده لمعرض البضائع الوطنية؛ إذ يقول: (لقد فرحت غاية الفرح، وانشرح صدري جداً عند مشاهدة هذا المعرض وأساس السعادة الذي أرجو أن يكون مصدر رخاء وازدهار للشعب الأصيل).

وهذه الرحلة عبارة عن مدونات كتبها الشيخ حسن الأسكوثي الإحراقي عندما كان له من العمر اثنين وعشرين عاماً في رحلته برفقة شقيقه الأكبر الميرزا علي الإحراقي، من كربلاء المقدسة إلى مشهد الإمام الرضا عليه السلام، وقد نشر منها ما رصده من أحداث الطريق والرحلة إلى حين وصوله إلى طهران ونشره تحت عنوان (سرمایه سعادت) في مطبعة خراسان في مشهد المقدسة سنة ١٣٤٣هـ، وأما الجزء الثاني من الرحلة - والذي كان من المقرر نشره تحت عنوان (حياة جاوید) (الحياة الخالدة) - فلم يُبصر النور أبداً.

والذي يميّز هذه الرحلة من أدب سائر الرحلات الأخرى أن كاتبها كان يحمل في صدره وكيانه - وهو في مقتبل العمر - هموم الأمة على المستوى

الديني والاجتماعي والسياسي، ولذلك لم يقتصر على بيان مشاهداته في هذه الرحلة - كما هو الشأن في أدب سائر الرحلات - من شرح مسهب لمعالم الطرقات والمُدن والقُرى، وتقاليد الناس وطباعهم وأخلاقهم، بل إن هذه الرحلة بالإضافة إلى ذلك تمتاز منها بشيء آخر؛ فإذا أمكن القول بأن سائر الرحالة من أمثال: (ابن بطوطة) و(ابن جبير)، وغيرهم من الذين كتبوا في أدب الرحلات عموماً، كانوا - كما أشرت في مقالتي عن رحلة (تذكرة الطريق) لرئيس الأمراء الحافظ محمد عبد الحسين الكربلائي الكرناكي الهندي، والمنشورة في العدد المزدوج (١١٣ - ١١٤) من مجلة (تراثنا) - بمنزلة الصحفيين الذين ينقلون الصُور عن مشاهداتهم إلى المتلقي، غاية ما هنالك أنهم صحفيون يصوّرون الأحداث والمشاهد والوقائع بأقلامهم، فإن سماحة الشيخ حسن الإحقاقي لم يكن في رحلته صحفياً يكتفي بتصوير ما يراه من أحداث ومشاهد، وإنما كان عالماً يحمل هموم أمته، وما يعانيه المسلمون من التخلف والانحطاط على المستوى الاجتماعي والسياسي والثقافي. وهذه هموم تجعل من كتابة رحلة - كسائر الرحلات - ترفاً زائداً لا يتناسب مع شأن العلماء من أمثاله، ولذلك فقد تردّد في بادئ الأمر كثيراً في نشر ما كتبه عن هذه الرحلة، وظلّ بين إحجام وإقدام لفترة غير قصيرة، وظلّ محجماً رغم إصرار بعض المؤمنين من الذين اطلعوا على مضامينها وحثّهم إياه على نشرها؛ ولم يدفعه في نهاية المطاف إلى المضيّ في نشرها سوى ذلك الهاتف الغيبي؛ لما تحمل في طياتها من مضامين تنكأ الجراح وتعمل على تطيبها، لا سيّما وأن هذا النوع من الأدب يجتذب القراء المعاصرين أكثر من الكتب التقليدية البحتة، وبذلك فقد صدرت هذه الرحلة، وهي لا تشبه مثيلاتها من الرحلات الأخرى، وكانت بذلك نسيج وحدها.

لقد عاصر الشيخ الميرزا حسن الإحقاقي في تلك المرحلة الزمنية أحداثاً ومنعطفات سياسية، ولا يمكن معرفة أفكاره المطروحة في هذه الرحلة دون التعرف على أحداث وإرهاصات تلك المرحلة، فقد كتبت هذه الرحلة بعد عقدين من أحداث ثورة المشروطة والحركة الدستورية، وتجذّر مفهوم التجديد في إيران بفعل تلك الثورة التي شكّلت منعطفاً هاماً في تاريخ إيران، وما صاحب ذلك من إثارات وانتقادات للدين والمؤسسات الدينية وعلماء الإسلام، حيث كان يتمّ توجيه سهام النقد إليهم من كل حدب وصوب، وكانت هذه الانتقادات تستهدف أصل الدين والمذهب والشعائر الدينية، وصولاً إلى توجيه الانتقاد إلى شخوص علماء الدين، وقد ساعد ظهور الصحافة المدعومة استعمارياً على مفاجمة الوضع، فكانت تشهد انتشاراً واسعاً للصحف والمجلات في أكثر المدن الإيرانية ناهيك عن العاصمة طهران - وما رافق ذلك من الحرية المنفلتة لكل من هبّ ودبّ - وصار الأعداء في الخارج والداخل يعملون على إطلاق يد المخالفين؛ للمساس بقداسة الدين تحت غطاء ما يُسمى بالعلمانية، وحرية التعبير، وفصل الدين عن السياسة، وما ترتّب على ذلك من جدلية يمكن اختزالها بشائبة العلم والدين والتعارض بينهما. وفي المقابل كان هناك نشاط مماثل في أوساط المتدينين الذين يبدون استعداداً في صدّ تلك الانتقادات والدفاع عن حياض الإسلام بلغة عصرية، ولم يكتفوا بذلك حتى قاموا بتأسيس صحافة لهم في النجف الأشرف وكربلاء المقدسة والكاظمية، وبذلك كان هناك اصطفاف حاد بين المتدينين التقليديين والمتجدّدين الذين يعبر عنهم الشيخ حسن الإحقاقي بـ (المتفرنجين)، وكان الذين يتلقون أقسى الضربات هم الذين يقفون في الوسط؛ إذ تعيّن عليهم نقد المتطرفين من الموالين، والردّ في الوقت نفسه على انتقادات المناوئين أيضاً، وقد تمثّل هذا النموذج الوسطي في كاتب هذه الرحلة؛ إذ كان يدرك محاسن ما توصل إليه الغرب

من جهة، وفي الوقت نفسه يخشى من تداعيات الحضارة الغربية السلبية على ثقافتنا الدينية وحضارتنا الوطنية، على ما سنشاهد ذلك منه في جميع مواطن هذه الرحلة؛ إذ تعيّن عليه أن يحارب على جبهتين هما طرفي نقيض؛ جبهة الداخل، متمثلة بإصلاح الانحراف والتخلف والانحطاط، وجبهة الخارج متمثلة بدفع الكفر والإلحاد والفساد والتفسيخ الأخلاقي. ومن هنا فإننا نطالع في هذه الرحلة قائمة طويلة من الانتقادات للواقع الكالحي، تتوزع على ضروب العقائد والآراء التاريخية والسلوكيات الاجتماعية حول الدين والعلماء؛ حيث يسعى المؤلف إلى الإجابة عنها من خلال شتى الحوارات مع مختلف الأشخاص، وفي الوقت نفسه لا يغفل عن انتقاد الغرب وعلى رأس ذلك النزعة الاستعمارية لديه، وسعيه إلى القضاء على الدين، وحقده على تطلع إيران والبلدان الإسلامية الأخرى إلى الاستقلال والتحرر من الهيمنة والتبعية. ومن هنا فقد كان سماحة الشيخ حسن الإحقاقي في هذه الرحلة ينتقد الاستعمار، ويعيش هاجس سيطرة الغرب على الأصقاع الإسلامية، وتقويض دعائم الدين عموماً والنزعة الوطنية خصوصاً وهو ما عبّر عنه في هذه الرحلة بـ (لعبة الساسان). فهو يدرك أن الحضارة الغربية تحتوي على الكثير من الإيجابيات والحسنات التي لا يمكنه تجاهلها، ولذلك تجده وهو في ذروة الهجوم على سيئات الغرب لا يتجاهل هذه الحسنات، وهو في أوج انتقاده للمتفرنجين، يستدرك في الوقت نفسه ويوجّه الأنظار إلى ضرورة الأخذ بإيجابيات الغرب، وعدم الاقتصار على شجب السلبيات فقط.

تبقى هنا كلمة أخيرة لا بد من قولها بشأن ترجمة هذه الرحلة إلى اللغة العربية، فقد توفر لدينا من أصلها الفارسي في بادئ الأمر نسختان كلتاهما من سطر واحد؛ ليس فيه من علامات الترقيم شيء يذكر، وكانت النسخة الأولى عبارة عن صور متفرقة للرحلة في طبعتها الأولى التي تعود إلى ما

يقرب من مئة سنة خلت، وكانت هذه الصور في الكثير من الأحيان مشوشة أو مبتورة الأطراف؛ مما يتعذر معه فهم المراد من العبارات بشكل دقيق، والنسخة الأخرى مطبوعة طباعة حديثة عن هذه النسخة، ولكنها لم تكن هي الأخرى أحسن حالاً منها؛ إذ كانت زاخرة بالأخطاء وإسقاط الكلمات والسطور، وبذلك فإنها كانت تزيد الغموض غموضاً؛ فكنت كلما أشكل عليّ فهم عبارة في الصفحات المصوّرة، أعود إلى تلك المطبوعة الحديثة، أتمس منها مشعلاً يضيء الظلام؛ فأجد ما حسبه قسباً، باهتاً يلقي ظلاماً على بصيص النور الموجود في النسخة الأصل، وكان الأمر مثيراً للإحباط في الكثير من الأحيان، حتى رأيت أن التخلي تماماً عن ذلك القبس أجدى، والاقتصار على صور الطبعة القديمة أجدى وأنفع، وواصلت العمل في الكثير من الأحيان كمن يتلمس طريقه في الظلام بشغف، يشجّعني على مواصلة التقدّم رغبتني في اكتشاف المجاهيل من جهة، واستحواذ أحداث الرحلة عليّ في الكثير من المنازل والمواطن من جهة أخرى، وكنت في الوقت نفسه أجتهد في العثور على نسخة الكتاب الأصل، وهي النسخة المحفوظة في مكتبة المسجد الأعظم في مدينة قم المقدسة حيث أقيم، ولكن انتشار ما عُرف بـ(جائحة كورونا) وغلق الكثير من المؤسسات والأندية العلمية وحتى الأماكن المقدسة، حال دون الوصول إلى هذه النسخة اليتيمة إلى الآن؛ الأمر الذي اضطرني مكرهاً إلى الاقتناع بما توفر لدي من هذه النسخة، وقد كابدت الكثير من العناء في ترجمتها حتى بلغت ثلاثة أرباعها تقريباً.

وحيث يكون مع الصبر الظفر؛ فقد حصلت في نهاية المطاف على نسخة الرحلة بطبعتها القديمة مصوّرة بشكل واضح، وبالإضافة إليها نسخة أخرى طبعت مؤخراً بمجهود من الشيخ رسول جعفریان، وبذلك صار بحوزتي طبعتان من هذه الرحلة، وبين الطبعتين ما يقرب من قرن من الزمن؛ فعدت أدراجي القهقري لتطبيق ما سبق أن ترجمته على هاتين النسختين. وحيث كانت الطبعة المتأخرة مستنسخة عن الطبعة المتقدمة، فقد تعيّن علينا في

عملية الترجمة و(التحقيق) أن نعتمد بالدرجة الأولى على الطبعة القديمة ونرمز لها بالحرف (أ)، ونعتمد بالدرجة الثانية على الطبعة الجديدة التي أعدها الشيخ رسول جعفریان ونرمز لها بالحرف (ب). وقد استعنت في كتابة هذه المقدمة، بمقدمة الشيخ رسول جعفریان على هذه الطبعة، وبما ورد في كتاب (قرنان من الاجتهاد والمرجعية) لسماحة الشيخ الميرزا عبد الرسول الإحقاقي رحمه الله، كما استعنت بالنسخة (ب) في إضافة العناوين الفرعية، وقسمت كذلك الرحلة إلى محطات، اقتبستها من خارطة الطريق الموجودة على غلاف النسخة (ب) أيضاً.

ولما كان الشيخ الميرزا حسن الإحقاقي رحمه الله يتمتع بقريحة أدبية وشعرية، فقد تميّزت رحلته بأسلوب أدبي خاص، حيث تزخر فيها الاستعارات والكنيات والتضمينات والاقتباسات الشعرية الكثيرة، بالإضافة إلى استشهاده بأشعاره وأشعار الكثير من الأدباء والشعراء، مع استحضاره في الكثير من المواطن لأدب الملاحم والأساطير الفارسية القديمة؛ الأمر الذي جعل من ترجمة هذا الكتاب مهمة بالغة التعقيد؛ وكنت أبذل جهدي في فتح مغاليق العبارات وغموض بعض المفاهيم، في حدود الممكن من خلال التهميش على الأصل بهوامش في أسفل الصفحات؛ كي أسهل على القارئ العربي الكريم فهم ما قد يتعذر عليه فهمه لولا هذه التهميشات.

وقد كنت فعلاً منشغلاً بالاستماع لبعض محاضرات الإمام المصلح، والاستمتاع بسماعها.. كنت أشعر طوال الترجمة ولا زلت بتأثير أنفاسه.. مضى على ممارستي للترجمة من اللغة الفارسية إلى العربية أكثر من ثلاثة عقود، وترجمت من الكتب والمقالات ما لم أعد أحصيه، ولكن قليلة هي الكتب التي ترجمتها واستحوذت على اهتمامي وشغفي طوال كل هذه الفترة، وكانت هذه الرحلة رغم صعوبتها والعقبات التي واجهتها في ترجمتها، تشدني إليها شداً، ولا أخفي القارئ أنني وصلت في بعض

الأحيان إلى مرحلة من الإحباط والقنوط في فهم بعض المواطن، ولكن كانت هناك في كل مرة قوة تشبه الجاذبية تفرض نفسها علي وتجرني إلى التأمل والبحث عما يشكل مفتاحاً لفتح المغاليق، وكانت الأمور تتدلل أمامي بفضل تلك القوة التي لم أجد من نفسي قبلاً على قهرها.

أسأل الله أن يتغمد روح سماحة الشيخ الراحل الميرزا حسن الإحقاقي الحائري بوسع رحمته.

ويجب عليّ هنا أن أتقدم بوافر الشكر لأخي وصديقي سماحة الشيخ حيدر الإحسائي على جميل ما بذله في توفير هاتين النسختين، بالإضافة إلى كتاب (قرنان من الاجتهاد والمرجعية في أسرة الإحقاقي)، وأرجو له من الله مثل الثواب الذي أرجوه لنفسه يوم المثلوث بين يديه؛ إنه واسع العطاء والمغفرة.

حسن علي مطر الهاشمي



مقدمة الطبعة الثانية

بقلم/ الشيخ رسول جعفریان^(١)

الكتاب الذي بين يديك هو عبارة عن مذكرات سفر بعنوان (أساس السعادة)، كتبها الميرزا حسن الإحقاقي حول رحلته من كربلاء إلى طهران، وكان من المفترض أن يكون لها جزء ثاني بعنوان (الحياة الأبدية)، وموضوعه بشأن استمرار الرحلة من طهران إلى مشهد، لكن هذا الجزء إما أنه غير مكتوب، أو كتب ولم ينشر.

بدأت الرحلة في عام ١٣٠٢هـ.ش، ونشر تقريرها عام ١٣٠٣هـ.ش في مشهد.

(أساس السعادة) مثلها مثل العديد من رحلات السفر، من حيث وصف السفر والإقامة في مختلف المدن والقرى، والأحداث على طوال الطريق، وما شابه ذلك، ولكن هذا السفر يمتاز بالحديث عن العديد من هموم العالم الإسلامي عموماً، وإيران خصوصاً، كما أنه ينتقد الوضع التغريبي الذي دخل بلاد المسلمين، وأدى إلى ضعف المسلمين، والكثير من الأحداث

(١) الشيخ رسول جعفریان طالب علم، ودكتور باحث في التاريخ، وأحد أعضاء الهيئة العلمية في جامعة طهران، ورئيس المكتبة المركزية بها.

التي يمكن أن تعكس جزءاً من تصور المجتمع الإيراني في السنوات التي سبقت صعود سلالة بهلوي في إيران بشعار الحداثة.

يتحدث الميرزا حسن الإحقاقي بعيون طالب شاب متحمس للوطن، وهو بالإضافة إلى سعيه لبعض العلوم الجديدة، ناقد للحضارة الغربية، ويدرك في الوقت نفسه جوانبها الإيجابية، وتعتبر كتاباته نصاً مميزاً من حيث عمره، سواء في أسلوبه النثري، أو الأشعار التي سردها، أو الأحداث والأماكن التي كتب تقريراً حولها، بالإضافة إلى أحاديثه ومناقشاته مع مختلف الناس والآراء التي كانت سائدة آنذاك.

والشيء الآخر الذي يميز الرحلة أن مؤلفها أصبح فيما بعد أحد شيوخ وعلماء عائلة الإحقاقي والتي كان لها مكانة خاصة في المجتمع، وكان له وجهة نظر نقدية تجلت في هذا الكتاب وفي كتابه الآخر الذي كتبه في الرد على كسروي والمطبوع باسم (رسالة الإيمان).

هنا، أحاول صياغة موضوعاتي في قسمين كمقدمة لكتاب أساس السعادة.

أولاً: تقديم موجز حول عائلة الإحقاقي.

وثانياً: تقرير مختصر حول كتاب أساس السعادة، مؤكداً ما قاله عن حالة العالم الإسلامي وجوانبه العلمية والحضارية، كما سيكون لدينا تقديم لبعض كتبه الأخرى، بما في ذلك رسالة الإيمان التي تنتقد كسروي ورسالة الإنسانية.

الجزء الأول: مختصر حول شيوخ عائلة الإحقاقي :

عائلة الإحقاقي الأسكوي، إحدى العائلات العلمية في أذربيجان، وبعد وفاة السيد كاظم الرشتي عام ١٢٥٩هـ، والذي كان من تلامذة الشيخ أحمد الإحسائي (ت ١٢٤١هـ) المخلصين، برزت كخط مستقل.

استمرت حركة الشيخية في عدة أفرع بعد وفاة السيد كاظم الرشتي،

وأشهرهم حركة كرمان بقيادة الحاج محمد كريم خان الكرمانى، بالإضافة إلى ذلك تم تشكيل تيارين آخرين في همدان وأذربيجان، كانا أكثر اعتدالاً من تيار كرمان.

تأسس هذا الفرع في أذربيجان في ثلاث عوائل: عائلة ثقة الإسلام (ميرزا محمد شفيح، ميرزا موسى، وثقة الإسلام الشهيد)، وعائلة حجة الإسلام الممقاني، وعائلة الإحقاقي.

كان هذا التيار نشطاً لسنوات عديدة، لكن تم حله لاحقاً بسبب انقطاع أفراد هذه الأسر عن التعليم الحوزوي، لكن لازال هناك جماعات تابعة لهم في بعض مدن أذربيجان، والكويت والاحساء.

كتب الشيخ الميرزا عبد الرسول الإحقاقي (مواليد ١٣٠٧هـ.ش)، الابن الأكبر لمؤلفنا ميرزا حسن الإحقاقي، كتاباً بعنوان (قرنان من الاجتهاد والمرجعية في أسرة الإحقاقي) في ٦٤٠ صفحة [عربي]. وحاول أن يجمع جميع المعلومات عن الأسرة من البداية، وقد أعطى في الفصول الأولى من الكتاب السير الذاتية لعدد من آل الإحقاقي، وبعض أفراد عائلتي حجة الإسلام وثقة الإسلام، وكان الفصل الثالث مخصصاً للميرزا موسى، والد الميرزا حسن، وخصص الفصل الرابع لسيرة الميرزا علي ابن الميرزا موسى والأخ الأكبر للميرزا حسن، أما الفصل الخامس فقد خصص لسيرة ميرزا آغا الابن الآخر للميرزا موسى.

خصص الفصل السادس من كتاب قرنان من الاجتهاد والمرجعية لسيرة الميرزا حسن الإحقاقي، وكتبت هذه السيرة عندما كان والده الميرزا حسن على قيد الحياة، حيث توفي والده عام ١٤٢٠هـ.ق، وتوفي هو نفسه عام ١٤٢٤هـ.ق، وقد بدأ هذا الفصل بما كتبه نور الشاهرودي حول الميرزا حسن في كتابه (المرجعية الدينية ومراجع الامامية)، ثم تلاها ما كتبه المرحوم الميرزا عبد الرسول.

عن عائلة الحائري الإحقاقي :

يبدأ تاريخ هذه العائلة بالملا محمد سليم من أهالي قراجة داغ، ودخل أسكو في طريق سفره إلى العتبات، وبدعوة من أهالي أسكو استقر بها، ويبدو أن هذا قد كان في حوالي عام ١٢٠٠هـ.

ابنه ميرزا محمد باقر الأسكوئي من مواليد عام ١٢٣٠هـ.ق، ودرس في أسكو وتبريز، وفي عام ١٢٦١ ذهب إلى النجف لمواصلة تعليمه الديني الحوزوي ودرس عند الشيخ مرتضى الأنصاري، وله عدة كتب قدم سرداً لها الميرزا عبد الرسول (قرنان، ص ٥٨ - ٦٣). توفي عام ١٣٠١هـ.ق وهو عالم مشهور، وله رسالة عملية ومناسك الحج. (انظر أيضاً مقدمة رسالة الحجية «محمد تقي ممقاني» تبريز، ١٣٣٣هـ.ش، ص ١٤، حاشية سفلية).

قدم في كتاب قرنان من الاجتهاد والمرجعية سيرة مختصرة للميرزا حسن كوهر بصفته أستاذاً للميرزا محمد باقر، كما أن أصوله ترجع إلى نفس أصول العائلة الإحقاقية من مدينة (أرسباران)، وقد توفي الميرزا كوهر عام ١٢٦٦ بمكة المكرمة، وكان عالماً وفقياً وأحد تلاميذ الشيخ أحمد الإحسائي والسيد كاظم الرشتي (قرنان، ص ٨١)، وله العديد من المؤلفات والكتب (قرنان، ص ٨٦).

تعد العائلات الثلاث في أذربيجان، والتي كانت مختلفة مع شيخية كرمان وهمدان، تبدأ واحدة منها من نفس الميرزا محمد باقر، والذي عرفت فيما بعد باسم (الإحقاقي)، والثانية منهم هي عائلة ثقة الإسلام (ميرزا شفيع وابنه ميرزا موسى ثم الشهيد ميرزا علي ثقة الإسلام وأفراد الأسرة الآخرين). [نشر صاحب هذا القلم رحلة سفر لأحد التبريزيين الذين ذهبوا إلى الحج مع ميرزا شفيع، وقدم الكثير من المعلومات عنه]. الأسرة الثالثة في هذه المجموعة هي عائلة حجة الإسلام (ميرزا محمد الممقاني وأبنائه الثلاثة: محمد حسين الممقاني صاحب علم المحجة، ميرزا محمد

تقي الشهير بـ(نير)، ميرزا إسماعيل)، وقد حضر ميرزا محمد الكبير دروس الشيخ أحمد الاحسائي. (قرنان، ص ١٠٨)، كما كتب الميرزا عبد الرسول الإحقاقي مقدمة حول تاريخ عائلة حجة الإسلام، نُشرت ضمن كتاب علم المحجة عام (١٣٣٣هـ. ش) وكان ميرزا أبو القاسم ابن محمد حسين الممقاني آخر رجال الدين في الأسرة التي استمرت لمائة وخمسين عاماً، توفي عام ١٣٦٢هـ. ق (حجتيه، مقدمة، ص ١٥) وهكذا، تشكل هذه العائلات الثلاث مجتمعة شيخة أذربيجان.

لم يكن لشيخة أذربيجان في هذه العائلات الثلاث، أرضية مشتركة منذ البداية مع شيخة كرمان، حيث كتب ميرزا حسن كوهر كتاباً في الرد على الحاج محمد كريم خان (قرنان، ص ٨٧)، كما كان للميرزا محمد باقر عدة كتب تنتقد أفكار الحاج محمد كريم خان، وبطبيعة الحال كان شيخة أذربيجان أكثر اعتدالاً من شيخة كرمان، وكان لهم مقلدون في البحرين والقطيف والإحساء منذ ذلك الحين (طبقات أعلام الشيعة: ٨٧/١٢)، وهي مستمرة حتى يومنا هذا، وكان للميرزا محمد باقر العديد من الكتب، وقد سرد الإحقاقي قائمة طويلة من كتب جده ميرزا محمد باقر في نهاية كتابه (أساس السعادة)، والتي تضمنت مؤلفاته في الكلام والفقه، ومن كتبه المصباح المنير وحق اليقين في الرد على كتاب الفصول للحاج محمد كريم خان ونقده، كما له كتاب آخر بعنوان (كشف المراد)، وهو أيضاً في الرد على الحاج محمد كريم خان.

الشيخ الميرزا موسى الاسكوثي الإحقاقي - نسبة إلى تأليفه كتاباً اسمه «إحقاق الحق» - (١٢٧٩ - ١٣٦٤هـ. ق) ابن الميرزا محمد باقر، هو من علماء هذه الأسرة البارزين، وكان في النجف تلميذاً للميرزا حبيب الله الرشتي والفاضل الشرباني، والشيخ هادي الطهراني وعدد من العلماء الآخرين (قرنان، ص ١٢٧)، وقد طبعت رسالته العملية سنة ١٣١٦هـ. ق

(قرنان، ص ١٣٧). وقد قدم الميرزا موسى دوراً مهماً في تشكيل وتطوير مرجعية الإحقاقي في ذلك الوقت، حيث امتد نفوذ الأسرة من العراق إلى البحرين والإحساء والكويت بالإضافة إلى أذربيجان، وهي المناطق التي تشكل فيها مجتمع متماسك يرجع في التقليد لعائلة الإحقاقي، كما ارتبط الميرزا موسى بعدد من علماء القطيف والبحرين وأهالي تلك المناطق، وكتب له الشيخ عبدالله [آل معتوق] القطيفي إجازة عام ١٣٣٣ هـ.ق (طبقة أعلام الشيعة: ١٥/١٢١٨). وكان في البداية يصلي في الحائر الحسيني خلفاً لوالده، لكن الضغوط منعه من مواصلة نشاطه، فانتقل إلى حسينية الحائري التي بنيت بجوار الحرم المقدس. (قرنان، ص ١٣٦).

أصل اسم الإحقاقي في هذه العائلة من كتاب للميرزا موسى بعنوان «إحقاق الحق»، يتحدث في هذا الكتاب عن الخلاف الذي وقع حول الشيخ أحمد الأحسائي، ويقول إن الجهل كان عاملاً رئيسياً في انتشار الفتنة بين الناس، حيث لم تراعى في هذا الخلاف الضوابط الدينية، فنسبوا للشيخ أحمد الأحسائي الكثير من المعتقدات الباطلة كإنكار المعاد الجسماني وغيره، ويقول الميرزا موسى أنه مطلع اطلاعاً كاملاً عن دراسة وتحقيق على كتب ومؤلفات الشيخ الأحسائي، وقد قام بقراءتها ورقة ورقة، وعليه فقد قرر أن يكتب كتاباً يبين فيه معتقدات الشيخ الأحسائي، وقام فيه بنقد الكتاب الذي كتبه أحد المؤلفين المعاصرين في الرد على أفكار الشيخ الأحسائي، وقصده من الكتاب هو ترياق الفاروق للميرزا محمد حسين الشهرستاني (م ١٣١٥ هـ.ق) الذي كتبه عام ١٣٠١ هـ في نقد آراء الشيخ أحمد الإحسائي. (انظر: مقدمة إحقاق الحق، ترجمة عيدي خسرو شاهي، سيرة ميرزا موسى لميرزا علي، ص ٤٠ - ٤١).

كتبت عدة كتب في الرد على ترياق الفاروق، ومنها كتاب «الاجتناب» للميرزا محمد باقر الهمداني الذي فرغ منه عام ١٣٠٧، وذكر الميرزا موسى

أن تاريخ تأليف كتابه «إحقاق الحق» عام ١٣٢٧هـ. (إحقاق الحق، الكويت، ٢٠٠٠، ص ٣٠ - ٣٤).

وتجدر الإشارة إلى تعدد نشر كتاب «إحقاق الحق» الطبعة الأولى ١٣٤٣هـ في النجف الأشرف، ونشر طبعته الرابعة جامع الإمام الصادق عليه السلام في الكويت عام ١٤٢١ - الذي يصادف عام وفاة الميرزا حسن الإحقاقي.

مقالات الكتاب كالتالي :

- ١ - المقالة الأولى : المعاد الجسماني.
- ٢ - المقالة الثانية : حول المعراج.
- ٣ - المقالة الثالثة : عن انشقاق القمر.
- ٤ - المقالة الرابعة : عن وحدة الناطق.
- ٥ - المقالة الخامسة : عن العلل الأربع في الخلق.
- ٦ - المقالة السادسة : عن أن الرسول محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله نبي بوجوده الشخصي.
- ٧ - المقالة السابعة : عن علم الله القديم والحادث.
- ٨ - المقالة الثامنة : في عبودية الخلق للمعصومين.
- ٩ - المقالة التاسعة : حول اسم النبي أحمد ومحمد.
- ١٠ - المقالة العاشرة : عن التفويض.
- ١١ - المقالة الحادية عشر : عن علم الإمام.
- ١٢ - المقالة الثانية عشر في تحقيق مسألة الإمكان.

وقد انتقد الكتاب بعض آراء ومعتقدات مشايخ كرمان، حيث بين أن هناك فرقاً بين ما كتبوه وما كتبه الشيخ أحمد الأحسائي والسيد كاظم، ومن ضمن الانتقادات على سبيل المثال، ما ورد في القسم الخاص بالمعاد الجسماني، حيث نقل الميرزا موسى بعض عبائر الحاج محمد كريم خان

حول إنكاره للمعاد، وقد طبع الكتاب مرفقاً بصورة الميرزا موسى، ثم أعيد طبعه محققاً في مجلدين عام ٢٠١٥ م من قبل مؤسسة الإحقاقي وتقديم توفيق ناصر البوعلي في بيروت.

ترجم كتاب «إحقاق الحق» بواسطة الأستاذ الشيخ محمد عيدي خسروشاهي إلى مجلدين، ونشر باللغة الفارسية. (المجلد الأول، طهران، روشن ضمير، ١٣٩٢ هـ.ش، المجلد الثاني، قم، دار العلم، بي.تا).

بشكل عام، حاول الميرزا موسى تقديم صورة للشيخ أحمد الإحسائي بأن عقيدته لا تختلف عن عقيدة الشيعة الاثني عشر (انظر: إحقاق الحق، المجلد ٢، ص ٣٣٥ - ٣٣٨ ترجمة خسروشاهي، المجلد ١، ص ١٤ - ١٥)، وهذه نقطة بالطبع لم يقبلها شيخة كرمان واعتبروا أنفسهم دائماً على طرف موازي مع الشيعة الآخرين، وهذا هو الفرق بين هاتين السلسلتين من الشيخة (تبريز وكرمان) ومصدر نزاعهما.

بعض الكتب الأخرى للميرزا موسى - التي نقلها ميرزا حسن الإحقاقي في نهاية أساس السعادة - هي: كتاب البوارق في إبطال وحدة الناطق، تنزيه الحق باللغة الفارسية، الفصول الغريبة في رد الصوفية، والعديد من الرسائل الأخرى التي كانت بالأساس رداً على أسئلة وجهت إليه من المدن والمناطق المختلفة.

الجدير بالذكر أن الملا محمد باقر الأسكوئي، له ابنة وابن غير الميرزا موسى من زوجة أسكوئية اسمها جوهر النساء، وهو جد آل صالح پور، وولد اسمه [صادق] وهو الجد لعائلة السليمي في أسكو، ثم تزوج من امرأة من خوي من مواليد كربلاء هي أم الميرزا موسى. (هذه الفقرة من الأستاذ صالح پور، صهر المرحوم ميرزا حسن الإحقاقي).

وللميرزا موسى ثلاثة أبناء:

أحدهم هو ميرزا علي آغا (١٣٠٥ - ١٣٨٦ هـ.ق - ١٣٤٥ هـ.ش) الذي

كون عائلة كبيرة في الكويت حتى وفاته (انظر أعماله: قرنان، ص ١٦٨ - ١٧٣ في واحد وثلاثين عنواناً)، وقد كتب الميرزا عبد الرسول سيرته الذاتية في الفصل الرابع من كتاب قرنان من الاجتهاد والمرجعية (المصدر السابق، ص ١٥٩ وما بعدها). وكان للميرزا علي كتباً ذكرها الميرزا حسن في نهاية كتابه أساس السعادة ومنها شرح الزيارة السابعة، وشرح دعاء الصباح باللغة العربية، وكذلك شرح دعاء رجب، وتقريرات دروس آية الله الآخوند الملا محمد كاظم الخراساني قدس سره، وكذلك تقريرات لدروس آية الله شيخ الشريعة الأصفهاني في الأصول والفقه، وبعض الرسائل المتنوعة الأخرى.

الثاني: هو ميرزا محمد باقر الشهير بميرزا آغا (المصدر السابق، ص ١٨٩ - ٢٠٠).

والثالث: ميرزا حسن الإحقاقي مؤلف كتاب أساس السعادة.

توفي الميرزا موسى في الخامس من رمضان ١٣٦٤ ق / ١٣٢٤ ش.

الميرزا حسن الإحقاقي وكتابه أساس السعادة:

ولد الميرزا حسن في الثاني من محرم عام ١٣١٨ هـ. ق (١٢ مايو ١٢٧٩ هـ. ش) في كربلاء، ودرس في النجف عند أخيه الأكبر الميرزا علي وعدد من الأساتذة الآخرين، وبعد فترة رجع إلى كربلاء ودرس الفقه والأصول والحكمة عند والده، وعاد إلى النجف مرة أخرى، وهناك كان يحضر دروساً عند آية الله شيخ الشريعة والنائني والسيد مصطفى الكاشاني، وفي ذلك الوقت افتتحت مدرسة الحسيني للطلاب الإيرانيين في كربلاء، حيث التحق بها وقام بدراسة بعض مواد العلوم الجديدة، وعندما كان في مشهد بين ١٣٢٠ - ١٣٢٢ ش، و ١٣٢٤ - ١٣٢٥، شارك أيضاً في دروس علماء مشهد في ذلك الوقت، ومنهم الفقيه السبزواري والشيخ أحمد كفاي.

وقد قلدت مجموعة كبيرة والده الميرزا موسى، وبعد وفاته تسلم زمام المرجعية شقيقه الميرزا علي الموجود في الكويت، أما في إيران فقد ترأس

الميرزا حسن المصلين في أذربيجان، وافتتح حوزة حجة الإسلام مجدداً، وبعد وفاة أخيه انتقلت إليه المرجعية الدينية والفقهية، وأقام في الكويت، وكان الناس الذين ينتمون إلى هذه الطائفة يؤمنون به بشدة، ويحترمونه احتراماً بالغاً؛ وكانت له رسالة عملية طبعت باللغة العربية والفارسية والأوردية، ولديه ثلاثة أبناء هم: الميرزا عبد الرسول وأحمد ومحمد الإحقاقي [اثنان منهم توفيا هما الميرزا عبد الرسول ثم الميرزا أحمد] وكان له ثلاث بنات، وقبل أن يتزوج بوالدتهن، كان لديه زوجة كويتية، له منها ابنة اسمها صديقة، تزوجت أولاً من ابن عمه جعفر رائد [ابن ميرزا علي] ثم تزوجها عقيد كويتي، ولها حفيد باسم ميرزا حسن (هذه الفقرة هي ملاحظة من السيد صالح پور).

جاء الميرزا حسن مع أخيه الميرزا علي إلى إيران عام ١٣٠٢هـ. ش لزيارة مشهد، ووصف هذه الرحلة في كتابه (سرمایه سعادت - أساس السعادة)، وفي عام ١٣١٢هـ. ش أرسله والده الميرزا موسى إلى تلك المنطقة بناءً على طلب أهالي أسكو الذين كانوا يشكون من انتشار الشيوعية والإلحاد في أذربيجان، حيث كان في ذلك الوقت شقيقه الميرزا علي في الكويت وكان شقيقه الآخر يخدم والده في كربلاء، فجاء الميرزا حسن إلى إيران واستقر في أسكو، وروى ذكرياته لابنه الميرزا عبد الرسول قائلاً: إن هناك بعض المشاكل في إيران في ذلك الوقت، وتركز في ثلاث مشاكل:

الأولى: دعوات الحداثة والتجديد والتشبه بالغرب.

الثانية: وجود بعض المتلبسين بلبس علماء الدين والذين يجهلون أحكام الله حيث كانوا يصدرن فتاوى الهدف منها التعدي على ممتلكات الناس.

الثالثة: انتشار بعض الوكلاء الأجانب بهدف نشر الشيوعية، والبابية والبهاية، حيث كان البايون والبهايون في نشاط متزايد.

وأشار الميرزا حسن إلى سلوكه الحكيم في التعامل مع المنحرفين، وأنه

أثر عليهم تدريجياً، ويحكي حادثة له في قرية ميلان حينما كان يخطب ويرد على مدعي المهدوية، حيث حاول أحد الشباب البهائية الدخول إلى مجلس الوعظ فحصلت مشادة معه ومع القائمين على المجلس، فوجه الميرزا حسن خطابه وهو على المنبر: لماذا تمنعون هذا الشاب من الدخول؟ إن هذه المجالس أقيمت لمثل هذا الشاب، وبعد أن استمع هذا الشاب للحجج البينة في رد البهائية لم يكن منه إلا أن أتى بعد عدة أيام تائباً آخذاً يده مقبلاً لها معلناً تشرفه باتباع محمد وآل محمد، (قرنان، ص ٢٥٨ - ٢٦١)، ويقول إنه نتيجة لهذه الأنشطة، أصبح جو أسكو دينياً تماماً.

الجدير بالذكر أن الميرزا حسن شارك في برنامج مؤسسة الوعظ والخطابة في مدرسة سبهسالار ودرس لمدة ثلاث سنوات من عام ١٣١٥ إلى ١٣١٧ وحصل على رخصة في الإرشاد والوعظ (قرنان، ص ٤٨٢؛ انظر قائمة الدروس المرجع السابق، ص ٤٨٢ - ٤٨٤).

يقول الميرزا عبد الرسول إن والده حصل على درجة الاجتهاد وهو في الثانية والعشرين من عمره، وأن الدراسة في المعهد لم تكن مهمة جداً^(١) بالنسبة له من الناحية العلمية، وروى عن والده ذكرى وصول أعضاء مؤسسة (أصل تومن الرابع) - وهي مؤسسة تابعة للحكومة الأمريكية - إلى أسكو للمساعدة في بناء حمام أسكو العام، إلا أن الميرزا حسن رفض قبول مساعدتهم (ص ٣٢٢).

وهناك خبر آخر عنه أنه ذهب إلى مشهد عام ١٣١٣ وقد التقى بمقلدي والده هناك، وتم الترحيب به بحفاوة بالغة (ص ٣٠٤)، ويبدو أن الميرزا حسن عاد إلى كربلاء بين عامي ١٣١٧ و ١٣٢٠ ثم عاد إلى إيران مرة أخرى مع بداية الحرب العالمية الثانية ووصول الروس إلى إيران وسيطرتهم على

(١) أصدر قانون في تلك الفترة يلزم من يريد أن يستمر في اللباس الديني بدخول هذا المعهد.

أذربيجان (ص ٤٦٩)، وكان في مشهد في ١٣٢٠ - ١٣٢٢، ثم خلال الأعوام ١٣٢٢ - ١٣٢٣، كما ذهب إلى الحج ومن مكة المكرمة زار مدينة الهفوف (رسالة الإنسانية: ٤٤٩/٢) وهي منطقة في الأحساء، بعد ذلك جاء إلى إيران (تبريز ومشهد) عام ١٣٢٤ - ١٣٢٥. وفي عام ١٣٢٤ دعاه بعض سكان تبريز للمجيء إلى تبريز، ومن المحتمل أن إقامته في مشهد كانت بسبب الظروف الصعبة في أذربيجان.

قام الميرزا حسن في تبريز بإصلاح مسجد حجة الإسلام، الذي كان مهجوراً خلال الخمسة عشر عاماً من العهد البهلوي، وبدأ نشاطه التبليغي، كما قام بتجديد مدرسة صاحب الأمر التي دُمّرت هي الأخرى (قرنان: ٢٤٨ - ٢٤٩، ٤٨٧ - ٤٨٢). ومن الطبيعي أن يكون تركيز عمله على مقلدي الأسرة الإحقاقية، حيث أن الارتباط بينهم كان ثابتاً ووثيقاً.

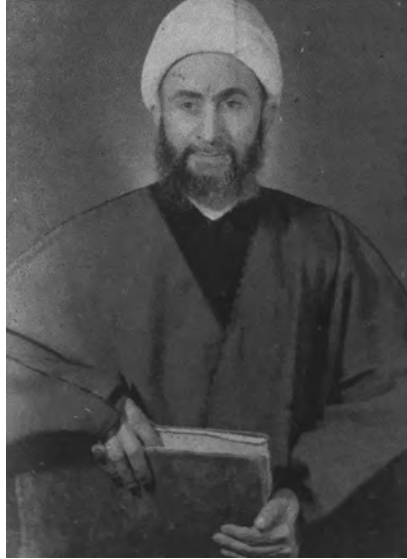
استمرت إقامة الميرزا حسن في أذربيجان حتى عام ١٣٤٠ هـ.ش، عندها تم تسليم الشؤون الدينية في تبريز للميرزا عبد الرسول (ص ٢٧٥) وانتقل الميرزا حسن إلى طهران، وفي طهران أقام في منزل كبير اشتراه له أتباعه من الكويت، فقام بتحويله إلى حسينية كبيرة تسمى بيت الزهراء، [شارع فرهنك. صورة في قرنان: ٣٨٤ - ٣٨٥] وحيث استقر الميرزا حسن هناك فقد أخذ بإقامة الأنشطة الدينية لمقلديه، ثم أعيد بناؤه لاحقاً في عام ١٣٧٤، ويذكر الميرزا عبد الرسول نشاطه في طهران في مركزين بعد والده هما بيت الزهراء وحسينية الإمام السجاد (ع)، ولا يزالان مكان نشاط هذه المجموعة في طهران ويديرهما الشيخ عيدي خسرو شاهي أحد طلاب الميرزا عبد الرسول في تبريز.

ومن أعمال الميرزا عبد الرسول تأسيس مكتب شيعة تبريز والتي نشر فيها عدداً من الكتب الفقهية والدينية التي تختص بجماعتهم، منها رسالة منهاج الشيعة للميرزا علي الإحقاقي، وأحكام الشيعة من كتب والده الميرزا

حسن، وكتاب منظومة القدوسي، [في الرد على منكري فضائل أهل البيت في أذربيجان]، وحقائق الشيعة للميرزا عبد الرسول الإحقاقي وهو في بيان بعض الحقائق عن الشيخ أحمد الاحسائي، ونداء الشيعة حول استحباب الشهادة الثالثة، وعلم المحجة، وبرهان الشيعة، وشرح الزيارة الجامعة الكبيرة للشيخ الأحسائي، وغيرها ما يقرب من ٤٨ كتاباً ذكرها الميرزا عبد الرسول في كتابه قرنان من الاجتهاد والمرجعية، (ص ٥٧٠ - ٥٧٧).

مع وفاة الميرزا علي الأخ الأكبر للميرزا حسن في الكويت عام ١٣٤٥هـ.ش، غادر الميرزا حسن طهران واستقر في الكويت كمرجع للجماعة، وأصبح مركز نشاطهم جامع الإمام الصادق في الكويت، الذي أسسه أخوه عام ١٣٤٥هـ.ق / ١٣٠٥هـ.ش، وفي عام ١٣٩٩هـ.ق / ١٣٥٨ أعاد الميرزا حسن بناءه وتحول إلى مسجد كبير، وهو نفس المسجد الذي تعرض لتفجير داعش في ٢٦ حزيران / يونيو ٢٠١٥، ما أدى إلى مقتل ٢٧ شخصاً وإصابة ٢٢٧.

فيما كانت مسؤولية استمرار الأنشطة في إيران على عاتق ابنه الميرزا عبد الرسول واستمر في هذه الأنشطة حتى آب / أغسطس ١٣٥٩، وبعد الثورة في إيران صدر قرار بتهجيرهم من تبريز إلى طهران لأسباب سياسية، بينما كان والده ميرزا حسن لا يزال في الكويت.



كما ذكرنا، بعد وفاة الميرزا علي الإحقاقي عام ١٣٢٨هـ.ش / رمضان ١٣٦٨هـ.ق في الكويت، رغبت الجماعة في تقليد الميرزا حسن وتسليمه زمام المرجعية، فغادر إيران بعد ذلك إلى الكويت لحضور مراسيم تشييع جنازة أخيه، ثم تولى إدارة شؤون الجماعة، واستقر بشكل طبيعي في الكويت (ص ٣١٥ - ٣١٧). وطبعت رسالته العملية بعنوان أحكام الشيعة، وبعد وفاة الميرزا حسن أضاف إليها الميرزا عبد الرسول بعض العناوين والكتب مع تغيير بعض الفتاوى وطبعت باسم (أحكام الشريعة).

كتب الميرزا حسن العديد من المؤلفات، منها كتابه أساس السعادة الذي كتب عام ١٣٠٢هـ.ش ونُشرت في مشهد في العام التالي، ويذكر في نهاية الكتاب جملة من مؤلفاته وهي: (الدرر الغاليات في توضيح المشكلات)، و(الجغرافيا الطبيعية)، و(المعراج رفر الشريعة)، و(الجغرافيا السياسية)، و(الحياة الخالدة) أو (حياة جاويد) وهو الجزء الثاني من هذه الرحلة (من طهران إلى مشهد المقدسة)، وغيرها من الكتب الأخرى التي لم نعر لها

على أثر، حتى أن نجله الشيخ عبد الرسول الإحقاقي لم يأت على ذكر شيء منها، وذكر بدلاً من ذلك عناوين كتب سماحته الأخرى، وهي بالإضافة إلى (أحكام الشيعة): (رسالة الإيمان)، و(رسالة الإنسانية)، و(مناسك الحج)، و(سرمایه سعادت) أو (رحلة أساس السعادة)، و(منهج الرشد)، و(منظرة الدقائق)، و(تفسير الآيات المشككة في القرآن - بالفارسية، غير مطبوع)، و(أصول الشيعة)، و(الحاكم العدل في الرد على شيخة كرمان)، و(رسالة في تحديد القبلة - غير مطبوع)، و(ترجمة الرسالة التطهيرية) لجدّه الشيخ ميرزا محمد باقر الحائري، و(قصائد وأشعار)؛ إذ له أشعار وقصائد باللغتين الفارسية والعربية، وله أيضاً كتاب بعنوان: (الدين بين السائل والمجيب)، والمسائل المستحدثة، و(حل مشكلات شرح الزيارة الجامعة الكبيرة) للشيخ الأوحّد الأحسائي، وما إلى ذلك من الكتب الأخرى. وقد توفي الميرزا حسن الإحقاقي في اليوم الخامس عشر من شهر رمضان سنة ١٤٢١ للهجرة في طهران عن عمر ناهز المئة وثلاث سنوات، ودفن في مقابر الأسرة في (بهشت زهراء) (جنة الزهراء)، تغمّده الله بواسع رحمته، وأسكنه فسيح جنّته.

انتهى ما كتبه الميرزا عبد الرسول عن والده في كتاب قرنان من الاجتهاد والمرجعية بتاريخ ٢٧ رجب ١٤١٥ هـ / ١٣٧٣ هـ.ش.

في نهاية سيرة الميرزا حسن الإحقاقي، من المناسب ذكر الصراع بين الشيخة الإحقاقية والشيخة الكرمانية، والتي كان لها أيضاً أنشطة فكرية في أذربيجان.

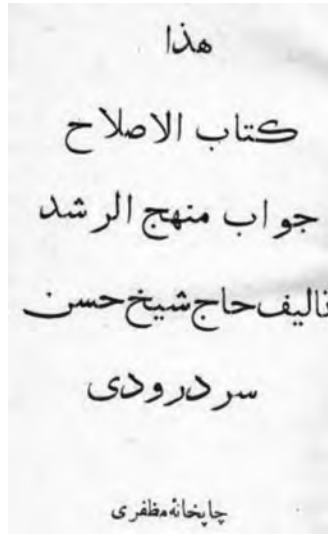
في الواقع، واجه شيخة تبريز مشكلتين، إحداهما مع متسرعة تبريز، حيث كان بينهما اختلافات فكرية منذ منتصف القرن الثالث عشر الهجري، والأخرى مع شيخة كرمان وكلا الاتجاهين كان لديه مشكلة مع البايية، فقد رفضهم كلا الطرفين من الشيخة حتى لا يتهموا بانتمائهم إلى نفس التوجه.



إشارة ببلوغرافية إلى الصراع الفكري بين الإحقاقيين وشيخية كرمان: في تبريز، كانت هناك سجالات بين الشيخية والتمشركة حول فضائل أهل البيت، وقد شرحت بعض هذه القضايا في مقدمة كتاب «علم المحجة» لمحمد حسين الممقاني، حيث ورد في هذا الكتاب عدة مواضيع مرتبطة بهذه الخلافات، وقد دامت هذه الخلافات ما لا يقل عن نصف قرن.

في وقت من الأوقات واجهت مجموعة من الشيخية المنتسبين إلى كرمان في أذربيجان ميرزا حسن ونجله الميرزا عبد الرسول، حيث قامت مجموعة تطلق على نفسها (جمعية شيخية أذربيجان)، بكتابة ونشر العديد من الرسائل في الإنكار على ما كتبه الميرزا موسى الإحقاقي في كتابه إحقاق الحق، وكذلك ما كتبه الميرزا حسن في كتاب «منهج الرشد» في نقد الكريمنخانية، وعبر عن عدة خلافات بينهم وبين الشيخ أحمد الإحسائي.

نشر حسن سردرودي كتاب «الإصلاح في جواب منهج الرشيد» الذي نشرته دار مظفر للطباعة [في تبريز؟]. ويتأسف مؤلف كتاب الإصلاح، في مقدمة كتابه على الوحدة ويأمل في ذلك اليوم الذي يتم فيه تحقيق الوحدة الكاملة، ثم اشتكى من تصرفات «الإحقاقيين» الذين نسبوا «الأكاذيب والافتراءات» إلى الشيخ الأوحّد وكذلك إلى ممثله الوحيد وحامل العلم والحكمة «الحاج محمد كريم خان ونجله الحاج محمد خان» وبحسب كلامه فإن أشياء كثيرة نسبت إليهم بسبب الكذب والافتراء، ومع ذلك، فإن هذا الكتاب المؤلف من ١٣٨ صفحة هو نقد للإحقاقي، كما أن لحسن سردرودي كتب أخرى ضدهم وقد قدم قائمة بكتبه في نهاية كتابه هذا.



ورداً على كتاب ميرزا موسى «إحقاق الحق» قامت مجموعة شيخية كرمان المقيمة في أذربيجان بنشر كتاب (محرقة الصواعق في تكذيب مفتریات إحقاق الحق ومنظرة الدقائق) كما نشروا كتاباً بعنوان «بوار النواصب في رد مفتریات إحقاق الحق».

شهاب ثاقب
 در
 ۲۳۳۳۸
 رجم نواصب ۱۸۰۹
 نشریه شماره ۱۰
 از نشرات جمعیت شیخیه آذربایجان
 طبع محفوظ و مخصوص بخود جمعیت است
 چاپخانه مطابری
 خیابان اکباتان
 تلفن ۸۹۵۶ - ۳

نشر الميرزا عبد الرسول الإحقاقي أحد كتب الميرزا محمد حسين الممقاني بعنوان (الرسالة الحجتية) عام ۱۳۳۳ هـ.ش، وقد كتب مقدمة حول أسرة حجة الإسلام، كما كتب كلمة في نقد بعض الأقلام التي زورت التاريخ ونسبت بعض العقائد الفاسدة للشيخ الأوحـد الأحسائي، في المقابل قامت شيخية كرمان في تبريز بإصدار كتاب (الشهاب الثاقب في رجم النواصب) (٤٢ صفحة مطبوعة مظاهري - تبريز - التسلسل العاشر لاصدارات جمعية الشيخية في آذربيجان).

كان الهدف من كتاب الشهاب الثاقب هو إثبات الركن الرابع، حيث تذهب شيخية كرمان إلى أن الأركان أربعة هي: معرفة الله ومعرفة الرسول ومعرفة الإمام ومعرفة الركن وهم الشيعة، وتعني التولي والتبري، ويصر

مؤلف الشهاب الثاقب على أن هذا الاعتقاد كان اعتقاد الشيخ أحمد الإحسائي نفسه. (الشهاب الثاقب، ص ٢٧ - ٢٨). يدعي الكاتب أن هذه الطائفة - أي الطائفة الإحقاقية - لم تعرف في أي مكان آخر باستثناء مدينة تبريز، حتى في مدينة مراغة المجاورة لمدينة تبريز، ولا أحد يعرفها. (شهاب ثاقب ص ٤٠)

صدر كتاب آخر بعنوان (إسكات النواعق) رداً على مقدمة الرسالة الحجتية التي كتبها الميرزا عبد الرسول، وهذا الكتاب أيضاً من تأليف الشيخ حسن سردودي وهو الإصدار الثامن لمجموعة الشيخية الكرمانيين في أذربيجان، والنقطة الأساس هي أن الميرزا عبد الرسول ناقش في إنكار الركن الرابع عند الشيخ الأحسائي والسيد الرشتي^(١)، وحاول مؤلف (إسكات النواعق) جعلها عقيدة قرآنية مبنية على عقائد أئمة الشيعة وعلماءهم. (انظر مقدمة الميرزا عبد الرسول الإحقاقي الذي كتب في مقدمة الرسالة «الحجتية» لمحمد حسين ممقاني بنفي الإيمان بالركن الرابع ويقول: إن المرحوم الشيخ الإحسائي لا يعتبر نفسه الركن الرابع ولا يؤمن به، كما يقول أن الشيخ يؤمن بطريقة الأصوليين وكذلك بالمعاد الجسماني (انظر: الحجتية، المقدمة، ص ٢٣ - ٢٥).

(١) يراد بالركن الرابع هنا ما يرادف وحدة الناطق، حيث سيكون الناطق هو أعلى مصادق الركن الرابع.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى وبعد چون يك شخص
 اسكونه الاصل ناکن در بلاد متفرقه خواسته خودش در عدا دمايخ
 نويسند کان بشمار آورده باشد وقایع مافرت خودش بطهران در
 اورا في درج کرده وهم خواسته مقصود خودش در حديث ديگران ذکر
 نماید صورت مباحثه عنوان نموده که در میان ملا عبد الله و سيفعلی
 زنجانی در مدرسه زنجانی خیال واقع شده است و مردمان هتیار
 میدانند که دو قرین اخیر اینطور مباحثه خیالی را بر می نثر کردن
 بعضی اغراض شخص میآزند و چون دلائل مباحثه بهتان بسیار
 دروغ زیاده بواله کرام می گفته بود و پاره آریانات حقه آن بزرگواران
 بر می گول دادن عوام و بوحث انداختن ایشان کج و منحرف نقل کرده
 بود بنا بر این هضم مؤسین خواستم دروغ و مردمان بودن آنها را در
 این اوراق واضح کنم که ما قلوب ضعفاء و دستان ال محمد علیهم السلام
 از شر و سواس خناس محفوظ ماند و استقامت میکنم از اولیاء الله که قلم
 این ماجرا محفوظ دارند تا مطالب بطور صحیح ادا شود و لا حول ولا
 قوة الا بالله و صلوات الله علی محمد و آله اول آنکه ثبت داده بواله
 ما که فرموده اند اگر وقیه ها از خون در حال غلبان در دیک افتد

النقطة التي تتعلق برحلة الميرزا حسن الإحقاقي هي ما رواه في رحلته
 أساس السعادة، حيث يروي أنه عندما وصل إلى زنجان، ذهب إلى أحد
 المدارس الدينية ووجد خلافاً قد نشب بين طالبين أحدهما شيعي والآخر
 من المتشركة، وفي خضم هذا الحديث وُجّهت انتقادات لشيخية كرمان،
 وقد رد على هذه الجزئية شيخية كرمان بعد مرور بعض السنوات حيث نشروا
 كتيباً في ٤٠ صفحة بعنوان (إزالة الغي) رداً على هذا الجزء من رحلة
 السعادة، وصرحوا في كتابهم أن هذه القصة من نسج الخيال وأن
 الأشخاص الواعين يدركون ذلك، وأن هذه المناقشات الخيالية كانت تقوم
 على دوافع شخصية، ثم يقول: إن السبب من كتابة إزالة الغي هو أن

الإحقاقي «قد كذب كثيراً، واقتبس بعض الأقوال المخادعة لخداع الناس وتخويفهم فلذا جاءت هذه الرسالة للإجابة على تلك الأسئلة». (إزالة الغي، ص ١، مكتوب عام ١٣٥١هـ.ق / ١٣١١هـ.ش).

إلا أن الميرزا حسن قد رد عليهم في كتاب (منهج الرشد)، وأثبت صحة جميع ما نقله عنهم.



سعت عائلة الإحقاقي، وعلى الأخص ميرزا حسن، وتلاه ابنه، إلى التقليل من الاختلافات بينهم وبين المجتمع الشيعي، بل وحتى إنكارها، وكان الميرزا حسن أكثر نشاطاً في هذا الصدد، ولكن على أي حال، فإن وجود أتباع على نطاق واسع في أذربيجان والكويت والإحساء، وربما وجود مجموعة لقيادة الجماعة، جعلها مستقلة إلى حد ما، في نهاية الرسالة الحجية يكتب الميرزا عبد الرسول صفحات عن الحاجة إلى وحدة المجتمع الشيعي، كما يؤكد على دور المفتنين في إذكاء الصراع بين الشيعة والمتشعبة، ويقدم تحليلاً مشابهاً لما قدمه جده الميرزا موسى في إحقاق

الحق، ويعتبر عقائد الشيخ أحمد الأحسائي هي عقائد الشيعة الاثني عشرية، وأن الشيخ لم يستخدم لقب الشيخية لنفسه، ويقول أن الاختلاف بين الشيخية والمتشعبة قد تضاعف في الأيام الأخيرة إلا أنه مع الأسف وقع بيده كتاب بعنوان (الدر المنظوم في التاريخ الموجز عن الأربعة عشر معصوم)، قد ملئ بالكثير من الأكاذيب حول الشيخ الأحسائي، ولم يقبل الميرزا عبد الرسول الإحقاقي بهذه الاعتقادات التي نسبت للشيخ الأوحده، ويعتبر الشيخ الأحسائي لم يقل كلمة واحدة تخالف معتقدات الشيعة الاثني عشرية (الحجتيه، ص ٨٤ - ٨٦).



كما كتب الميرزا عبد الرسول كتاباً آخر بعنوان (حقائق الشيعة) نُشر في تبريز عام ١٣٤٤ ومضمونه الدفاع عن الشيخ أحمد الإحسائي أو كما هو مكتوب على الغلاف «في ذكر بعض الحقائق عن الشيخ الكبير الشيخ أحمد بن زين الدين الإحسائي». جزء كبير منه مرتبط بأحداث «ما بعد الشيخ أحمد الإحسائي»، وهو يشير أيضاً إلى التيارات التي تفرعت لاحقاً، ومنها

التيار الذي وصل إلى ميرزا حسن كوهن ثم الميرزا محمد باقر والد الميرزا موسى الاسكوي. وقد عارضت حركة تبريز في العائلات الثلاث الركن الرابع وادعاءات شيخة كرمان (انظر: حقائق الشيعة، ص ٥٦). وقد دافع الميرزا موسى وابنه الميرزا حسن عن الشيخ أحمد الإحسائي ورفض الأفكار غير الصحيحة أو على حد قوله، «ترهات» وقد أدرج في حقائق الشيعة ٩٤ عنواناً من كتب الإحسائي. ونشر هذا الكتاب عام ١٣٣٤هـ.ش / ١٣٧٤هـ.ق.

الجزء الثاني: تحدي الحداثة والدين في أفكار ميرزا حسن:

من بين كتب ومؤلفات الميرزا حسن الحائري الإحسائي، نكتب تقريراً عن ثلاثة كتب. أحدها كتاب أساس السعادة وهي مذكرات السفر هذه التي نُشرت عام ١٣٠٣. والكتابان الآخران هما رسالة الإيمان المكتوبة عام ١٣٢٦ ضد كسروي، والآخر رسالة الإنسانية في مجلدين، أحدهما نُشر عام ١٣٤٣ والآخر عام ١٣٤٩. سنتحدث عن هذين الكتابين أولاً، ثم عن أساس السعادة بمزيد من التفصيل.

أ: حول كتاب رسالة الإيمان للميرزا حسن:

في حوالي العام ١٣٢٢هـ.ش كتب كتابين في الرد على الشيعة، الأول هو كتاب أسرار ألف عام، لمؤلفه علي أكبر حكيمي زاده - وقد كتبتُ ووصفتُ ذلك في كتاب بعنوان «حكيمي زاده في أربعة مشاهد» - والكتاب الآخر هو الشيعة والتشيع لكسروي، والذي انتقده أيضاً عدد من العلماء في ذلك الوقت.

رسالة الإيمان هي إحدى الرسائل التي كتبت في نقد كسروي، وقد قوبلت في بعض المجتمعات بشيء من الامتناع كونها تنتمي إلى طائفة الشيعة، ولكن تم نشرها بشكل متكرر من قبل الإحقاقيين أنفسهم.

تحدث الميرزا حسن في مقدمة هذا الكتاب أولاً عن أهمية «التبليغ» والدور الذي يلعبه في إرشاد المجتمع، وأن المجتمع يعاني في الوقت

الحاضر من فقر في وجود دعاة الدين الحقيقيين، ويقول: «إن واقع الإعلام لدى الشيعة ضعيف لدرجة يكاد يكون معدوماً». ويعتبر أن المجاميع المنتشرة في المدن والأرياف بغرض الوعظ «لا يستوعبون المفهوم الحقيقي لواقع الإعلام بل لم ترتفع إلى المستوى الذي يؤهلها القيام به بسبب فقدانها للناحية العلمية والعملية على السواء وكأنهم عمي يقودون عمياناً»، نعم «توجد في المجتمع مجموعة من المبلغين الذين ارتفعوا إلى مستوى الجدارة والقابلية في العمل والقول في تنوير الأفكار وبث المفاهيم طبقاً لما يتطلبه الواجب إلا أنهم قلة وضعاف بالنسبة إلى الأعداد الهائلة من دعاة الأفكار المناوئة» فإن المشكلة الرئيسية هي أنه لا أحد في العالم الجديد يمكنه فعل شيء باستخدام الأدوات القديمة، ثم يتطرق إلى ضعف العالم الإسلامي «بسبب عدم وجود أدوات إبداعية جديدة لمعظم الدول الشرقية»، وأنهم «فقدوا سيادتهم واستقلالهم، وجزءاً كبيراً من بلادهم، واصبحوا كمستعمرات خاضعة للدول الغربية».

ويؤكد الإحقاقي بشكل خاص على تدريب المبلغين وإلمامهم ب«التقنيات الروحية للعصر الحديث»، من أهم الأدوات لنشر الدين المنشورات والمطبوعات، والمجلات، ويظهر الإحقاقي حساسيته من تلك الكتب التي تكتب في الترويج للغرب وإظهار محاسنه، وأن هذه المنشورات في الواقع «ما هي إلا جرائيم تسري في الروح إذ إنها جاءت من الغرب لتستقر بين مواطنينا وبالتالي تؤدي إلى تدهور وضعف حيوية الدين»، وبرأيه فإن ما ينشر في إيران دفاعاً عن المعتقدات الشيعية لا يكفي في الأساس، لأنه «تبدو ضعيفة حقاً» وكذلك ما ينشر من (الزيارات والرسالات العملية [تعد] أمراً حيوياً لا بد منه، إلا أنها لم تكن في يوم من الأيام أداة قوية للإعلام والتبليغ).

ووفقاً لكلام الميرزا حسن الإحقاقي فإنه بسبب (روح المادية الشريرة

الوافدة إلينا من الغرب والمنتشرة بسرعة البرق في أرجاء الشرق الأوسط والتي رفعت علم الاستقلال بين جموع الشباب وأناخت في أعماق وجودهم رحلها أصبح التوحيد الكامل والعبودية الواقعية والأخلاق الفاضلة وكمال الإنسانية مستقرّاً في دخائل العارفين المعدودين ومتخفياً في زوايا بيوت محدودة)، في ذروة حكم رضا شاه، صار شائعاً حتى بين المثقفين مثل كسروي، ناهيك عن رجال الدين، الذين رأوا كل شيء، وخاصة الصراع ضد الدين، من خلال عيون الغرب. يكتب الإحقاقي: «إن هذه السحابة المجازية التي علت من سماء الغرب وظهرت في أفقها خيمت على فضاء عالمنا ونشرت عليه عتمة سوداء أوردت شمس الحقيقة حالة الكسوف، وإن الماديين في كل مدينة وناحية يحدوهم تقبل سكان الأقاليم، ظهوروا بشكل بارز إلى الوجود وإن كل ما يشاهد بين الناس من تلون وتغير ما هو إلّا مظهر من مظاهر المادية المتعددة الألوان، ولكن روح الجاهلية أو عبادة الطبيعة جعلت من العصر الحاضر مظهرًا لذاتها في كل مكان».

يتحدث ميرزا حسن عن وحشية الغرب التي ظهرت تحت ستار الحضارة ويقول: «إن الشرك والأناية وفنون التزوير وصلت إلى درجة لم تكن تعرف قبل ذلك إذ لعب التدليس دوره في طريقة التوحيد وعبادة الله، وفي عالمنا اليوم نجد أن الإنسان الذي خلق من طين لازب ينساق بشواظ من نار ليحاول بمبضعه استئصال جذور الإنسانية أو إزالة شرفها ثم ينهش جسمها ويعتدي على النواميس وإن كل جريمة يقتربها يطلق عليها اسم التمدن والمعرفة والعلم الحديث».

والسؤال الآن ما هو البديل عن الغرب؟ يستخدم مؤلفنا مفهوم الإنسانية. ويكتب في ذلك كتاباً من مجلدين بعنوان «رسالة الإنسانية» وهي حول التعاليم التي ورد ذكرها في دين الإسلام ورسالة حضرة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله.

ويعرض الإحقاقي مناقشة تاريخية لـ «نظرية الحضارة الإسلامية» ويقول: «كان العرب بصورة عامة، قبل الإسلام لا يملكون أيّاً من وسائل الهيمنة والسياسة، وكانت الصفات السيئة الطابع المميز لهم، وكانوا يتخبطون في محيط من الفقر، والاستكانة، والجهل والأمية، والتوحش، وعدم الإيمان. وإن الجور والقسوة هما الأسلوب الذي يعاملون به من دونهم، إذ لم يكن التهتك واللامبالاة عندهم بأقل مما كان عليه في (أفريقية) المتوحشة في ذلك الوقت.

إنهم كانوا لا يملكون من العلم والثروة شيئاً، فلا مهارات فنية، ولا خبرات أو تجارب في السيادة والشؤون الاجتماعية، بل كانوا على الدوام يطرقون أبواب ملوك (اليمن)، و(الشام)، طلباً للعون. فإن سجية الطبقة البارزة منهم في تأمين العيش، هي التملق، والسرقة، ونظم الشعر) ويقول: (إن أمثال داريوس وكورش، أو شخصيات أخرى مسؤولة، إن قدر لهم أن يظهروا في وسط الجزيرة العربية، لم تسمح لهم أية فرصة في بعث الوعي بين صفوفهم، وعلّة ذلك تعصبهم الأعمى واستسلامهم لعاداتهم الجاهلية.

إذن ما هي الوسائل التي هيأت لهم سُبُل الفتوحات والسيطرة؟ إذ صارت واحدة من العجائب والأساطير في التاريخ؟ أولئك العرب الذين قد بلغوا في أقل نصف قرن، درجة من العظمة والقدرة، حيث صاروا يأنفون من الاتكاء على عروش الفرس، ويزدرون التيجان التي تعلو رؤوس ملوك الروم».

وهنا يعمد الشيخ الإحقاقي إلى بيان دور الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه «الصحيفة الكاملة التي لم يسطر يراع الإبداع ألمع منها في لوحة الكون، والماء الحي الذي أنزل من سماء الاختراع لإحياء نور البشر، والشمس الوحيدة التي أوجدها الخالق لإنعاش ذرات الوجود) ويكفي أنه

(أيقظ أمثال هؤلاء من نومتهم السحيقة ونفخ في أموات عصر الجاهلية روح الحياة... فهل ليس من المدهش أن مجموعة من الرعاية الفقراء، أو اللصوص المتطرفين، أو عديمي المعرفة، وسيئي الظنون، أصبحوا خلال وقت قصير جداً، وبصورة مفاجئة، قادة للجيش الكبيرة الأعداد؟ وإن جيوش البلدين المتمدنين، (إيران والروم)، الكاملة التهذيب، بدأت تشعر باضطراب. وبعد ذلك لقد تربعت على كرسي الحكم لقرون طويلة، مرت على عالم البشرية، والحال إنهم بعد انتقال النبي إلى الرفيق الأعلى، لم يلتزموا بواحدة من مائة من تعاليم ذلك المعلم السماوي).

يقول المؤلف: «أي من الأماكن قام بإعمارها اليهود؟ أو أي توحيد قبض المسيحيون بأيديهم عليه؟ أين حضارات الزرادشتيين؟ وأين أصبحت آثار آلهتهم التي يعبدون؟ كما وان دستور (بودا)، و(براهما) لم يتجاوزا مياه (نهر السند) وجدران (سد الصين)، في الوقت الذي نشر الإسلام أجنحة عاطفته السامية على رؤوس الخواص والعوام. وقد فتح بقدرة غير محددة في جميع أنحاء الشرق والغرب، جامعات العلم والمعرفة، ويقرأ على كافة أقوام البشر، الشرقية، والغربية، الهندية والصينية، كتاب الإنسانية، ويعلمهم الدروس السماوية».

وهنا يتحدث عن القرآن باعتباره كتاب بناء الحضارة، وأن أبطال الفصاحة والبلاغة اعترفوا بالعجز أمامه، وأن القرآن الكريم قد (وضع قدميه على رأس التوراة وأكتاف الإنجيل في أغلب المراكز المسيحية يتلو الآية الشريفة: (إن الدين عند الله الإسلام)، وأن هذا القرآن وبكل قوة وصلابة يبعث الاهتزاز في أركان المسيحية ويؤدي إلى ارتعاش قلوب القساوسة».

ويؤكد كاتبنا على أن القساوسة المفعمين بالتعصب لم يستطيعوا منع القرآن الكريم من دخول مراكزهم في كل مكان.



وبما أن (رسالة الإيمان) كتب في الرد على دعاوى كسروي فحين يتعرض للقرآن الناطق أي علي بن أبي طالب عليه السلام يتحدث بشكل سيء عن كسروي الذي هاجم التشيع ويقول عنه: «إن واحداً من سيئي الحظ المنكرين في القرن العشرين، الذي صار ينظر بمنظار السوء نحو جميع المقدسات في العالم وبصورة خاصة لأبناء علي وعترته الطاهرة عليهم السلام كأنه يحمل عداً شخصياً بالنسبة لهم).

لقد انتقد الإحقاقي كسروي بشدة، واعتبره مثل مسيلمة الكذاب والأسود العنسي أو غيرهما من أدعياء النبوة في بداية الإسلام، واتهمه بإثارة النعرات بين السنة والشيعة، لأنه ترجم كتابه (شيعة كري) وبعث بنسخ كثيرة إلى أهالي الكويت والجزيرة العربية.

يقول الإحقاقي أن أحد الأشخاص قدم له بعض المجلات الشهرية التي تحتوي على مقالات كسروي، وبعد مطالعتها تجسد له الغرور والتلون في تلك الكتابات ولأن كسروياً يدعو طلاب العلم إلى الرد عليه فقد كتب الإحقاقي له عدة أسئلة طالباً منه الإجابة عنها ونشرها، لكن كسروي أخذ

يكتب بطريقة عشوائية، فأرسل له الإحقاقي مرة أخرى الأسئلة طالباً منه نشرها بدون أي تحريف أو تغيير ولكن للأسف عاد كسروي للتلاعب مرة أخرى، وبعد اليأس من ناحية كسروي نشر الميرزا الإحقاقي ردوده عن طريق حوار بينه وبين ابنه الميرزا عبد الرسول.



ب: حول كتاب رسالة الإنسانية :

من المناسب قبل الدخول حول الحديث عن رحلة السعادة أن نتحدث قليلاً عن كتاب (رسالة الإنسانية) والذي يقع في مجلدين نشر المجلد الأول منه عام ١٣٤٣، والغرض من كتابته هو تقديم صياغة للإنسان وفق منهج السماء، وأكثر مباحثه تدور حول (مكارم الأخلاق)، ويحتوي على شيء من الآراء حول القضايا الإنسانية والحضارية، وبعض الأفكار التصحيحية ولذلك من الضروري الرجوع إلى نص الكتاب.

تتحدث صفحاته الافتتاحية، بالنثر الأدبي القديم، عن جوهر الإنسانية، ثم يتحدث عن «الحب» وقيمة الحب في الحياة، كما يطالعنا عنوان «معرفة

الذات» ويعني به معرفة الجسد والروح ويتحدث عن البعد الأخلاقي والاقتصادي، ويرى أن المهم هو الجانب التوحيدي، والتوجه نحو الله تعالى، وذكر بعض الآيات والروايات الدالة على أهمية التوجه إلى الله والسلوك إليه، ثم يعطي أمثلة مثل المعصومين وأبو ذر وسلمان، وقد كان أسلوبه في المناقشة أدبي - ديني، وهو ليس كاتباً تقليدياً، بل يحاول أن يصف الأبعاد الفردية والاجتماعية وأثرها في الإنسانية، ويمكن القول أن كلمة الإنسانية هي إرثه من شبابه.

العنوان التالي هو «الغابة والبستان» ويشير إلى مجتمع بشري يمكن العثور فيه على كل شيء من الذئاب والفهود والحيوانات المفترسة الأخرى، وما إلى ذلك، ولا يمكن إصلاحه إلا ببرنامج تعليمي جيد يكشف عن حقيقة الإنسان، فهو بحاجة إلى التعليم، وهذا التعليم أمر يجب أن يكون «في ظل تعاليم خالق الناس»، يقدم الإحقاقي وصفاً للاختلاف بين الإنسان والحيوان، ويركز على أن المعرفة، والعدالة، والسخاء، والشجاعة، والرحمة، واللطف، والصدق، والصلاح، واحترام الذات، والصبر هي التي تظهر جمال السيرة وهو الجمال المعنوي، ومن الأمثلة على ذلك النبي الكريم صلى الله عليه وآله والذي أثنى الله على شخصيته الأخلاقية والتربوية، بينما يفكر الكثير من الناس في جمال الصورة، لكن جمال السيرة هو الذي يشكل القيمة الواقعية للإنسان، ويقدم المؤلف مقارنة لجمال السيرة وجمال الصورة.

يتحدث المؤلف كذلك عن التفاؤل والتشاؤم وتأثيره على الإنسان، وينبغي على الإنسان أن يشكر النعم الإلهية وأن يدرك أن الحياة الأبدية هي حياة الآخرة فلا يتمنى شيئاً في هذه الحياة، كما أن المؤلف ينتقد الحضارة الجديدة، ف(المجتمع البشري اليوم أصبح كغابة موحشة يملأها الجور والظلم... فالشعوب تحكمها الأنانية وفقدان الموجه، الأقوياء والجبابرة

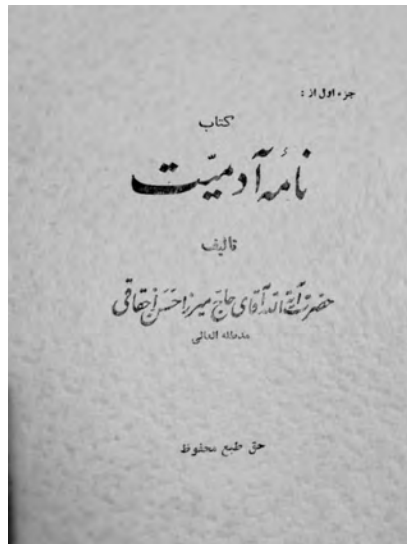
يضطهدون الضعفاء بكل قسوة، الحماية والمروءة تركتا دورهما ونسختا، أما الصدق والاستقامة فقد هجرا مملكة الآدميين، والإحسان والمحبة لم يبق منهما عين ولا أثر.. العلم الذي كان يرتقب كونه ذريعة لراحة الجسم والروح أصبح اليوم أداة للخراب والدمار وسببا لهلاك العنصر الإنساني الشريف... وناهيك عن المنظر الكريه الذي يظهر عندما يرتفع هذا البرقع الإنساني عن وجه أغلب الناس، فترى النمر والفهد، والدب والخنزير، والحية والعقرب، وسائر الحيوانات المؤذية. عندئذ ترى الشيطان الخناس قد عشنش في قلوبهم وأدمغتهم وكيانهم هذه الآثار السيئة كلها نتيجة للإنفلات أو الخروج على القانون، وهي عواقب وخيمة تترتب تلقائياً على الاستبداد والاضطهاد، وعدم الانصياع لأوامر فلاح الأزل).

هناك موضوع مرتبط بشهر رمضان والصيام، وبحث آخر حول الماضي والحاضر والمستقبل، وبحث حول العلم، والعمل، وفي رأيه أن دراسة العلم بلا عمل ليست ذات جدوى، كما أنه يهاجم الفلاسفة البشريين الذين يدعون وصولهم إلى مدارج الفضيلة، ويزعمون أنهم اطلعوا على حقائق الخليقة،

قدم الإحقاقي موضوعاً بعنوان التهيؤ والاستعداد تحدث فيه مقارنة بين الشعب الإيراني والشعب الهندي، وكانت غايته تقديم نموذجين مختلفين لتفكير الناس المؤثر على حياتهم الاجتماعية ووحدتهم، فهو: (في حيرة من أمر الإيرانيين في العصر الحاضر وبعبارة أخرى من جميع المسلمين والشيعة منهم بالخصوص إذ مع وفرة الصرخات المؤلمة والانذارات الشديدة وعوامل التهديد الجدية الصادرة بحقهم من الأعداء يعيشون حالة من الغفلة والانفلات ولا يتحركون للدفاع عن وضعهم الحاضر).

كما أن الكاتب يقدم موضوعاً بعنوان الحرية والرق، وموضوعاً آخر بعنوان (عالم الوجود الرحب) ينصح فيه المؤلف الإنسان بالاهتمام بقدراته

واكتشاف أسرار الوجود، ويوجد بحث بعنوان (طائر السعادة) يصور فيه المؤلف اختلاف الناس في مفهوم السعادة فهناك من يرى السعادة في الوصول إلى الشهرة، وبعضهم يراها في الوصول إلى السلطة، وآخرون يرونها في جمع المال، وفي مقابل هؤلاء من يرى السعادة في كسب العلوم والمعارف، إلا أن هناك قليلاً من الناس قد وصل إلى السعادة الواقعة وهي حب المحبوب الواقعي ويضرب مثلاً لذلك ميثم التمار الذي قطعت يده ورجلاه في سبيل المحبوب، ويذكر المؤلف أنصار الحسين ويصفهم بأنهم نسور عالم اللاهوت، ويذكر حركة الإمام الحسين عليه السلام ويصفه بأنه: (القائد الفذ لمسيرة التضحية والفداء).



والبحت الآخر هو حول (حب الترقى والطموح) ويضرب أمثلة من التاريخ في هذا المجال ثم يعرض الآيات القرآنية الحاثّة على أن الإنسان يجب أن يكون في مسيرة الترقى.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو العنوان التالي والذي له بعد ديني. وعنوان آخر هو «الحركة والتكامل»

إن المناقشة التي طرحها المؤلف بعنوان (النور والحياة) هي صياغة أخرى لقصة النور والوجود وأن عالم الوجود طافح بأشعة المشيئة الإلهية، ويتساءل الإحقاقي (هل يمكن أن الصخر والزيت والفتيل والقمر والسمك والنجم والشمس مظاهر للنور ولا تكون أنت؟! وهل يمكن التصديق بأن الجماد والنبات والحيوان مراكز لانتشار أشعة التوحيد وتستثنى من ذلك؟ هل يعقل أن لا يكون لخليفة الله في الأرض هذه الجوهرة المشعة قسط من نور الوجود؟!)، ويقول الإحقاقي إن الصادر الأول والعقل الكل هو مركز انتشار جميع الأنوار والسراج المنير في عالم الإمكان.

عنوان آخر هو «الحرية والرق» يضع فيه المؤلف مفهوماً آخر للحرية والرقية، حيث يعتبر أن الحر هو من تحرر من استجابات النفس الأمانة، وانحصر سلوكه في الأفعال التي تستند إلى الحب الحقيقي وهو تحقيق واجبات الإنسانية.

يشبه المؤلف في كتابه رجال الدين بخلايا الدم البيضاء والحمراء حيث يلعبون دوراً مهماً في المجتمع ويشيد بالدور الإيجابي لرجال الدين. من العناوين كذلك هو «ذكر الله» أو «ذكر الحق»، ويذكر الآيات المرتبطة بذكر الحق تعالى معلقاً عليها.

ضم الكتاب بجزئيه مواضيع عديدة كالإنسانية والتي يثني فيها المؤلف على التطور والازدهار العلمي في مجالات الحياة لكنه يعتبرها سهلة أمام الوصول إلى الإنسانية، والذي يعتبره عملاً شاقاً ومتعباً.

وقد طبعت رسالة الإنسانية باللغة العربية عام ١٤٠٨هـ، وعنوانها (الرسالة الإنسانية منهج لصياغة الإنسان وفق رسالة السماء).



ج: حول مذكرات السفر «أساس السعادة»:

كما اتضح، فإن هذا الكتاب هو قصة سفر كتبها ميرزا حسن الإحقيقي مع شقيقه ميرزا علي وعدد من أقاربه وأصدقائه من كربلاء إلى مشهد، وهذا المجلد بعنوان أساس السعادة، وتنتهي الرحلة بوصوله إلى طهران، وتم نشره عام ١٣٠٣ في مشهد من قبل مطبعة خراسان، لكن المجلد الثاني، الذي عزم على كتابته بعنوان الحياة الأبدية لم ينشر، أو لم يكتب.

بدأت رحلته في الرابع عشر من ذي الحجة عام ١٣٤١هـ. ق / ٥ آب ١٣٠٢هـ.ش، وبعد ذهابه إلى بغداد والكاظمية، سلك الطريق إلى خانقين وأخيراً إلى إيران، وبعد قدومه إلى قصر شيرين غادر إلى أذربيجان، وبعد ذلك جاء إلى طهران من تبريز وانتهت رحلته حتى الآن.

يحتوي هذا الكتاب مثل معظم الرحلات على معلومات حول الطرق وظروف المدن والقرى، كما يقدم معلومات عن شعوب المنطقة المختلفة ووضعهم، ولكن من المزايا التي لفتت انتباه مؤلف هذه السطور فترة ١٣٠٢هـ.ش، هو التركيز على رجل الدين في ذلك الوقت، فيما يتعلق بالمناقشات الثقافية والسياسية والحضارية. وهناك قدر كبير من المعلومات في هذا المجال.

في عام ١٣٠٢، أي بعد ما يقرب من عشرين عاماً من آخر دستور، تجذرت الحداثة في إيران، وازداد انتقادات الدين ورجال الدين، وتعرض رجال الدين لسنوات عديدة لضغوط شديدة، كانت هذه الانتقادات موجودة في جميع الأبعاد، من مبدأ الدين إلى الطقوس الدينية والمذهبية وانتقاد رجال الدين. وأدى ظهور الصحافة والحرية النسبية والانتشار الكبير للكتب التي تتحدث عن العالم الجديد وتجربته والحداثة إلى تفاقم الوضع ضد رجال الدين، وأدى تطوير مدارس جديدة وزيادة عدد الطلاب بشكل كبير إلى زيادة التعليم أكثر من أي وقت مضى، مما خلق ازدواجية بين العلم والدين، وخلف العديد من الصراعات العقلية والاشكالات الذهنية خصوصاً للمبهرين بالحضارة الغربية.

في الجانب الآخر فإن رجال الدين قد استعدوا لمواجهة الانتقادات الموجهة إليهم، وقاموا بنشر العديد من المنشورات في كرمانشاه وتبريز وحتى مشهد، وكذلك طهران ورشت، بلغة حديثة دفاعاً عن الإسلام، واستخدموا الأدب الجديد في مجال الدفاع عن الدين وروجوا للتعاليم

المبتكرة، وكانت هناك أنشطة في النجف والمدن الدينية العراقية الأخرى، بما في ذلك الكاظمية وكربلاء.

وبهذه الطريقة، يمكن للمرء أن يرى انقساماً قوياً على كلا الجانبين، حيث بقيت إحدى المجموعات الدينية تقليدية والأخرى حديثة، وكان من الصعب التوفيق بينهما.

في غضون ذلك، كانت أصعب مهمة لرجال الدين هي النقد الداخلي لبعض الممارسات والأفكار، إذ كانوا يخشون من حصول ردة فعل تدميرية للثقافة الدينية، ومن أوضح الأمثلة هو مؤلفنا الذي يشعر بهذا التحدي صفحة تلو الأخرى. فأحياناً يندفع في هذا الاتجاه وأحياناً يواجه المعارضة. بالرغم من العقبات التي يصعب تخيلها.

في هذا الكتاب، نرى قائمة من الانتقادات الشائعة، مثل المعتقدات والآراء التاريخية والقضايا السلوكية والتنظيمية حول الدين ورجال الدين التي ينوي المؤلف الرد عليها، ويظهر المؤلف نفسه في المحادثات التي أجراها مع أشخاص مختلفين. في الوقت نفسه ينتقد الغرب ويهتم أكثر بالسيطرة الغربية، وتدمير الدين، والإيرانية، والكرامة الوطنية للإيرانيين، والتي يشير إليها باسم «لعبة ساسان». في هذا السياق يعبر في كل مكان عن مشاعره القومية والدينية. ومع ذلك، فإنه ينتبه إلى تفوق الغرب، وحتى في أصعب اللحظات عندما يهاجم الغرب أو الغربيين فهو حريص على ملاحظة أن الغرب ليس لديه صناعات فقط، ولكن أيضاً قضايا أخرى. وله العديد من النقاط التي يجب اتباعها. ومثل العديد من معارضي التغريب في تلك الفترة، فهو سعيد، مشيراً إلى أن الغرب لديه العديد من الجوانب الإيجابية ولا يريد إنكارها.

لنعد إلى رحلة كاتبنا، حيث أنه غادر كربلاء متوجهاً إلى بغداد والكاظمية في صيف عام ١٣٠٢ ومن هناك إلى إيران، بعد أن مر عبر

كرمانشاه، وغادر إلى أذربيجان. وقد تم الترحيب به في مناطق مثل مدينة أسكو وغيرها، المركز التقليدي لأنصار جماعة الإحقاقي، من قبل الناس والعلماء المحليين، وأخيراً ذهبوا إلى تبريز. وقرروا الذهاب إلى مشهد قبل البرد القارس، وبالتالي الانتقال من تبريز إلى طهران عبر زنجان وقزوین، وجلس أيام قليلة في طهران، لينتهي هذا السفر باعتباره الجزء الأول.

ما ورد في هذا الكتاب يتعلق بهذا المسار وأحداثه، بناءً على معلومات طالب شاب في إيران في ذلك الوقت. كما ذكرنا، فإن أفكاره التي تعكس الوضع الفكري والسياسي والاجتماعي لتلك الفترة، يمكن أن تساعدنا كمصدر لمعرفة ما كان يجري في إيران في ذلك الوقت.



مظهر الحضارة والتدين في رحلة (أساس السعادة):

يبدو أن المؤلف كان يدون ملاحظات على طول الطريق وعندما وصل إلى مشهد كان يتحدث بها مع أصدقائه فطلب منه أصدقائه أن يكتبها، وقد

رأى أولاً أن كتابة مثل هذا النوع من المذكرات غير مناسب لرجال الدين، وفي النهاية وبعد الإصرار من قبل زملائه وأصدقائه قام بكتابتها وأعتبرها مثل كشاكيل العلماء، وقد نشرت على نفقة السيد مشهدي محمد تقي التاجر.

الجديد هو أن كتابة مذكرات السفر بهذه الطريقة كانت تتوافق أيضاً مع طبيعة معظم الشعوب المتحضرة في ذلك الوقت، ومع أن الكاتب كان طلبه في المقدمة (أن لا ينظر إلى رحلة هذا العبد الفقير كما ينظر إلى الروايات والقصص، وأن لا يضعها في عداد سائر المنحولات). ويؤكد ذلك لأن العديد من التقارير في الكتاب تتخذ شكلاً أدبياً وروائياً، ويذكر المؤلف لغته العامية في بعض الحالات وذلك بسبب نطق بعض الأشخاص لها، كما يتمتع الميرزا حسن بطابع شعري أدبي، حيث قدم في رحلته بعض الأشعار التي قام بتأليفها مشيراً إليها بلقبه (سليمي)

غادرت مجموعتهم إلى بغداد يوم الأحد ١٤ ذي الحجة ١٣٤١ ثم كاظمين. في الخطوة الأولى يذهب لمقابلة صديق ويذهبان لزيارة صديق آخر اسمه محمد سعيد. وفي أثناء الحديث يتبين أنه مريض وأن مرضه ناتج عن ضعف في الجسم وسببه عدم ممارسة الرياضة، فيقرر بناء صالة ألعاب رياضية في منزله، ويعتبر أن العبادات مثل الصلاة لا تنفع في رفع بعض مشاكل البدن، ليأتي الميرزا حسن مناقشاً إياه، ومدافعاً عن قوانين الإسلام. انتقلت قافلتهما إلى إيران، ووصلت إلى خانقين ومن هناك إلى غرفة الجمارك الإيرانية، ثم وصلوا إلى قصر شیرين، وذهب هو وصديقه للاستحمام بالقرب من النهر ويعلقان في المياه الهائجة، لكنه بالكاد يهرب ويتحدث مع صديقه عن الطهارة الجسدية والروحية.

هنا يروي حديثه مع أحد الأرمن في حضور العديد من المسلمين الذين تحدثوا معه من قبل لعدة أيام عن الإسلام، ويرد على اشكالاتهم حول إنكار

إعجاز القرآن وشق القمر، كانت هذه النقاشات شائعة بين العلماء منذ زمن وصول الجماعات الإنجيلية المسيحية إلى إيران، منذ عهد عباس ميرزا. تستمر الرحلة ويوضح كاتبنا تفاصيل التفتيش على جانب الطريق وضريبة المرور ويواصل الطريق إلى كرمانشاه، وفي أول ليلة من شهر محرم ١٣٤٢ يشاركون في العزاء المقام على سيد الشهداء، ويعتبر آل بويه ناشري الشعائر، ووفقاً له، فإن الحداد على سيد الشهداء هو الذي يمكن أن يحافظ على عظمتنا.

يحكي المؤلف حديثه مع أحد الرعاة الذي يشير إلى شخص قد رشح نفسه في الانتخابات وأنه يعتبر الناس البسطاء من المتخلفين والمتوحشين، ويحسبون أنفسهم متحضرين فقط، إلا أن هذا الشاب يقف على قارعة الطريق ليتبول واقفاً من دون خجل واستحياء.

فيتحدث الميرزا حسن عن أي شخص يدرس في بلاد الفرنجة أن يفكر بتقدم بلاده بعد عودته.

يواصلون الرحلة ويدخلون خسرو اباد وهي قرية تعود ملكيتها إلى الأمير همايون مع عدد من القرى الأخرى، ثم يأتون إلى المسجد للمشاركة في عزاء سيد الشهداء ويتحدث الأمير همايون مع الميرزا علي حول ما يقوم به الروس من اضطهادهم والأترك كذلك، ويحكي لهم كيف أنهم استخدموا الناس كمراكب مثل الحيوانات، متتهكين في ذلك درجات الإنسانية.

كما يتحدث الميرزا الحائري عن حوار دار له مع قاضي سني حول موضوع الوحدة الإسلامية، فيخبره الميرزا حسن أن هناك شرطاً واحداً للوحدة الإسلامية، وهو بعد إزالة الخلافات أن يتحد الجميع على ما به الاتفاق ويتركوا ما به الاختلاف ولا شك أن ما به الاتفاق هو أمير المؤمنين عليه السلام حيث يسلم الكل بخلافته.

تحدث الميرزا حسن حول الكثير من الأحداث والحوارات التي حصلت

له ومنها الخلاف الذي دار حول قبلة مسجد منطقة (تيكان تبه) حيث يظهر منها اهتمامه بالموضوعات العلمية الجديدة كما أنه يوضح في رحلته تأثير رجال الدين في المجتمع وبين الناس، وإلى متى سيستمر هذا التأثير وكيف يمكن الاستفادة منه، ويوضح العلاقة بين المجتهد والمقلد، حيث يجعل الحب رابطاً مشتركاً يدفع الناس إلى الامتثال إلى أوامر العلماء الحقيقيين، وستكون أوامر العلماء محل قبول للناس، فيرى الميرزا الإحقاقي أنه يجب أن يكون رجل الدين أميناً، وماهراً، ودقيقاً، ومحباً، وطيباً، وبليغاً، ومتديناً، ومروجاً للعدالة.، وأنه يجب على رجال الدين أن يساعدوا «الأمة النبيلة إلى أعلى مستويات الإنسانية وأعلى مستويات الحضارة» وأن على طلاب العلم أن يستفيدوا من العلوم الحديثة.

خلال هذه السنوات كان هناك تركيز كبير على تعلم اللغات الأجنبية من قبل العلماء من أجل نشر الإسلام. وكان التفكير أنه إذا كان الطالب يعرف لغة أجنبية يمكنه أن يلعب دوراً مهماً، في نشر الدين الإسلامي، يقول الميرزا حسن إنه إذا كان طلاب العلم يعرفون لغة الأجانب ويسعون جاهدين لنشر الدين الإسلامي، فإن مجد الأمة وعظمة رجال الدين سيتضاعف بدلاً من الديانة البروتستانتية، الكاثوليكية والأرثوذكسية، إلخ.، والإلحاد الباطني والبهائي. «.. وقد ناشد الإحقاقي رجال الدين قائلاً: (ناشدتكم الله ما هي الثمرة المترتبة على إهدار الوقت في بحث (مقدمة الواجب) أو (اجتماع الأمر والنهي) أو التعريف أو البحث في موضوع علم الأصول الذي يستغرق منا أشهراً وسنوات في قبال مواجهة اعتراضات الأجانب أو تطوير ذواتنا؟!..»

لو أننا أنفقنا نصف هذه المدة الزمنية في تعلّم الردّ على وساوس الماديين أو مواجهة دسائس المسيحيين، ولجم وإفحام المعترضين، كم سنكون قد خدمنا عالم الإنسانية، وأرضينا الشارع المقدس منا؟!.. أيها

السادة، لو كان التدين والعلم بمعرفة أحكام الشرع فقط؛ فإن بالإمكان إطلاق صفة العالم حتى على الهندوس أيضاً؛ وذلك لعلمهم بأصول ديانتهم وأحكام ال(براهما)، و(شيفا)، و(فيشو)؛ أرجو منكم أن تبينوا لنا ما هو الفرق بين علمنا وعلمهم، سوى أننا نعتقد أننا على حق وأنهم على باطل؟

اسمحوا لي بالتطاول أكثر فأقول: لو كانت العظمة والإنسانية والشرف في التقليد الشكلي وكثرة الأتباع؛ لكانت عظمة (الدالاي لاما) - كبير علماء البوذيين قاطبة، والذي يعيش في مدينة (لاساى) في الصين - أكبر من مركزيتنا معاذ الله؛ إذ لو كان عدد مقلدنا وأتباعنا نصف مليون أو عشرة ملايين أو عشرين مليون نسمة، فإن عدد أتباع الدالاي لاما يناهز الأربعمئة مليون نسمة! فهل يمكن لكم أن تجدوا فرقاً واختلافاً بيننا وبينهم في الشرف الظاهري؟ كلا، سوى الشرف الباطني الذي هو توأم ولازم الحقيقة التي نمتلكها دونهم.

أيها السادة إن غاية ونتيجة المقدمات أنه لا ينبغي أن نقنع بهذا الشرف الباطني، وأن نلهو في ركن أو أن نؤثر الراحة اتكالاً على هذا الشرف؛ إنما شرفنا وعظمتنا في أن نعمل أولاً على تأسيس مؤتمر لعلماء الدين أو مجلساً للشورى العلمية، ثم نعلن لكافة الشعوب والمذاهب في جميع أقطار العالم أن علماء الإسلام سوف يجتمعون في هذا المكان كي يثبتوا أحقية الدين الإسلامي على سائر الأديان، والعمل على ردّ إشكالات الأجانب، وإبطال سائر المذاهب الأخرى؛ عندها سوف يمكن لنا أن نعتبر أنفسنا أعلم من غيرنا، ويحق لنا أن نفتخر عندها على الآخرين..)

كما أن لديه العديد من المقترحات لإصلاح وضع رجال الدين، بحيث يتحسن الوضع العلمي والتبليغي والمالي.

هذه في الواقع هي انعكاس للانتقادات الموجهة إلى رجال الدين قبل الدستور وبعده، في هذا الصدد، ينصح الإحقاقي (بأن قوّتنا الظاهرية ليست

اليوم أكبر من قوة علماء وقساوسة النصارى كما هو واضح بالوجدان؛ فعلينا أن نقرأ تاريخهم ونعتبر به.

لقد كانت أحكامهم في أوروبا أكثر نفوذاً من أوامرنا؛ فقد كانوا يعزلون من يرون ضرورة إلى عزله من الحكام، كما أنهم يكفرون من يحلو لهم تكفيره.. أما اليوم فهم أذلة أمام الحكام، وليس لأحكامهم أدنى سلطة على أبسط أفراد الرعية.. فأتمنى أن لا نقع بعد مدّة في نفس المصير فنغدو مثلهم مسلوبي الروح والإرادة، وعلينا أن نستعدّ للكارثة قبل وقوعها [وكما يقول المثل؛ فإن درهم وقاية خير من قنطار علاج].. أما اليوم فإن الحكومة والشعب كلاهما - بحمد الله - من الذين يدينون بالإسلام، ويحبّون العلماء ويطيعون أوامرهم، ويطالبون بتحقيق الازدهار للإسلام؛ فإذا شمرنا عن سواعدها وحافظنا على وحدة الكلمة بين علماء الدين، وعملنا على تحقيق الأهداف المتقدّمة؛ فسوف نصل إلى أعلى درجات الشرف والسيادة.. وأما إذا أهملنا وتقاعسنا عن تحقيق ذلك، وسرنا على ذات النهج والوتيرة، وأهدرنا أوقاتنا الثمينة بالغفلة والكسل، فإننا - بالإضافة إلى التعرّض إلى سخط الله، والخزي عند مواجهة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عليهم السلام - سوف نفقد ديننا ودولتنا، ويغدو نظامنا وشعبنا ضعيفاً وخاملاً، وتشتدّ سلطة وهيمنة الأجانب علينا حتى تكتمل وطأة قبضتهم على بلادنا الحبيبة بالتدريج، وسوف يبذلون كل ما بوسعهم من أجل القضاء على السلطة الوطنية والشريعة المحمدية، كما أنهم في اللحظة الراهنة - على العجالة - لا يبدون غفلة أو تهاوناً في هذا الشأن).

وتستمر الرحلة إلى عدة قرى ومدن، ويتم الترحيب بالميرزا حسن وأخوه الميرزا علي من قبل الحشود الكبيرة، ثم يدخلون إلى مدينة أسكو التي ينتسب لها الميرزا حسن ووالده الميرزا موسى، ثم يعرجون على تبريز المقر الرئيسي لعائلة حجة الإسلام، ويصف الميرزا حسن ظاهرة الاستقبال من الأهالي، وصرخات الحب التي تعالت من قبل الوفود.

يلخص المؤلف الجدول اليومي للاجتماعات، والذي يحتوي أيضاً على معلومات حول بعض الأشخاص والعادات. ومع ذلك، فهو يحاول عدم الخوض في الكثير من التفاصيل.

يوجد في هذه الرحلة العديد من المباحث العلمية، كبحثه حول المد والجزر وبسبب معلوماته الجغرافية والفلكية يستطيع أن يوجد جمعاً مناسباً بين ما تقوله الروايات في سبب المد والجزر وبين ما يقوله العلم الحديث.

في شهر ربيع خرجوا إلى تبريز، وتوقفوا لزيارة قبر الميرزا علي ثقة الإسلام، وقد ذكرنا سابقاً أن العوائل الثلاث (حجة الإسلام، وثقة الإسلام، والإحقاقي) متحدة بشكل أساسي مع بعضها البعض ويشكلون تياراً من الشيعة ضد شيخة كرمان.

ويتوقف في أحد المحطات ليرى الناس مجتمعين حول شخص يقرأ عليهم من كتاب الأمير أرسلان ويبدي انزعاجه لعدم صحة الناس واهتمامهم بمواضيع أكثر جدية.

تم تخصيص صفحات طويلة من هذا السفر لتقرير نزاع بين طالبين، أحدهما شيخي والآخر متشرعي في مدرسة في زنجان. من الواضح أنها أعيدت كتابتها لاحقاً، لأنها تحتوي على مواد وثائقية من بعض كلمات كريم خان الكرمانى، كما لو كان من المفترض أن ينتقدها هذان الطالبان. هذان الشخصان، أحدهم طالب والآخر مدرس، يتنازعان حول الشيخ الاحسائي، ونسبة بعض الفتاوى له، فيتدخل الميرزا حسن بهدوء ويتحاور معهم وفي النهاية يتصالحون مع بعضهم البعض. ويظن الأستاذ المتشرعي أن هذا الطالب من الشيعة الكرمانية، فيعرض عليه فتاوى غير صحيحة، لكن أثناء النقاش يتبين أن الطالب ناقد لمعتقدات شيخة كرمان، وهذا الموقف يتمشى مع شخصية مؤلفنا، وهنا تم اغتنام الفرصة ووجه انتقادات لمعتقدات الشيعة الكرمانية. في وقت لاحق، نشر كتيب بعنوان «إزالة

الغبي» من قبل شيخية كرمان الذين يعيشون في آذربيجان، وهذه القصة تبين وجهاً من الصراع الديني العنيف في آذربيجان، حيث يتنازع الناس بين (شيخي) و(ناصبي)، وأخيراً، يتصالحون مع بعضهم البعض، لأنه اتضح أن هذا الشيخ الطالب كما تخيل معلمه لا يصدق الآراء التي نقلها من كتب الحاج محمد كريم خان.

كاتبنا له لون تصحيحي وهو منزعج من الوضع التكفيري بينهما، يقول لسيف علي: (حسناً يا سيف علي.. إن الإسلام حالياً هو أضعف ما يكون مقارنة إلى الكفر؛ وها أنت الآن بدلاً من أن تنحت إنساناً من الخشب والحجر، وتضع عليه اسم الإسلام، تعمل على إخراج آلاف المسلمين من ربقة الإسلام!! إن بيننا وبينهم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام؛ فهم الجهة الجامعة، أما الكفار أو المشركون فليس هناك من جامع يجمعنا بهم أبداً.. فعلينا أن نتحد لصدّهم ودفعهم عن المساس بحياض الإسلام.. وأما هذه الفروع فإنها لا تخرج المسلم عن دائرة الإسلام؛ فهل الاختلاف بيننا وبين أهل السنة والجماعة قليل؟! هب أن هؤلاء منهم. فالآن حيث لم يبق من رسم الإسلام سوى القليل، فلا أقل عليك من أن تجهد ما أمكنك في الحفاظ على اسمه.. يا أخي عليك عموماً أن تلاحظ مجموع الإسلام، وبدلاً من السعي إلى هلاك هؤلاء، عليك الدعاء لنا ولهم بالهداية، ولا تنسى كلام الله تعالى إذ يقول: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، واعتبرهم شركاءك في هذه المرحلة، لا أن تدعو عليهم جميعاً بالويل والثبور وعظائم الأمور).

يترك المؤلف زنجان مع رفاقه ويأتي إلى طهران، ويشعر بالصدمة من الوضع في طهران، ويعبر عن صدمته بقوله: (يا ويلتاه! ما هذا الوضع الذي أراه؟! أين نحن يا ترى؟! وإلى أي نقطة من العالم دخلنا؟! هل هذه المدينة جزء من البلاد الإسلامية أم هي بلدة من البلدان الغربية؟!..

يا مشهدي إسماعيل، ربما ضللت الطريق، وبدلاً من طهران قد ذهبت بنا إلى باريس!..

كلا، كلا، فلو كانت هذه هي باريس أو مدينة أوروبية أخرى؛ إذن أين سكك الحديد؟ ولماذا لا نرى ازدحام القطارات وضجيجها؟ وأين شوارعها التي لا تنتهي؟ وأين عماراتها وأبنيتها الشاهقة؟ وأين أسواقها الزاخرة بالأضواء؟.. ولماذا لا نسمع هدير مصانعها؟ ولماذا لا نشاهد العربات التي تعمل على الطاقة الكهربائية؟ وأين الازدحامات السكانية؟.. ولماذا تمّ القضاء على عمرانها وجمالها؟.. ربما قامت مدافع الألمان ومناطيد زبلين بتدميرها؟ أم أن سياسات جارتها الغربية هي التي تسببت لها بهذا الحالة المزرية؟!

كلا، كلا، إنها مدينة في إيران، بل هي العاصمة ودار السلطنة طهران.. ولكن أين الغيرة الإسلامية؟!.. وأين التدنّي؟!.. لماذا تمّ التخلي عن القوانين والأحكام الإسلامية؟!.. لأيّ سبب اكتسب المسلمون أخلاق وطباع الغرباء؟!.. ما معنى أن يتمّ استبدال أحكام العقل الكل صلى الله عليه وآله بقوانين (لينين) و(بسمارك)؟!.. ولماذا يستضيئون بسراج النفط بدلاً من (الشمع الكافوري)؟!.. لماذا تمّ إسقاط الحجاب عن المخدرات؟ ولماذا تمّ سحب بساط العقّة والغيرة).

تجري عدة نقاشات في طهران حول رجال الدين مع بعض الشباب المتأثر بثقافة الغرب، والذين يرون أن سبب التخلف هو رجال الدين، المؤلف الذي أظهر في مكان آخر أن لديه انتقادات من هذه الزاوية، يحاول أن يشرح لهم أن لرجال الدين دور مهم يقومون به في الحفاظ على استقلال هذا الوطن، وثانياً، هذه الأموال التي تصل إلى علماء النجف تنفق على حياة العلماء وليس على حياتهم الشخصية، ويذكر دور الميرزا حسن الشيرازي صاحب فتوى التبغ، وكذلك الشهيد ثقة الإسلام التبريزي وآخرين في الحفاظ على الوطن.

كما أجرى محادثات مع مدرس الجغرافيا، وطرح عليه عدة أسئلة اعترف خلالها أستاذ الجغرافيا بالعجز عن حلها.

هناك موضوع آخر كان محط التداول في ذلك الحين وهو مسألة الخمس، حيث أن الخمس في آية القرآن لغنيمة الحرب فقط، فلماذا يوسعها فقهاء الشيعة إلى أمور أخرى أيضاً؟ في هذا الصدد، يحاول ميرزا حسن التعبير عن حجة فقهاء الشيعة والرد على هذا الإشكال الذي هو في الواقع نوع من الاعتراض على الجوانب المالية لوضع رجال الدين.

القصة الأخيرة في هذا الكتاب هي قصة أرستقراطي طهراني محب يبلغ من العمر ثمانية عشر عاماً فقط وقد حدث له شيء ما ودارت محادثة بينهما، وهو أمر غير وثيق الصلة بتقريرنا هنا.

في خضم هذه المحادثات، يقدم الشاب ميرزا حسن نفسه على النحو التالي: «أنا قادم من كربلاء، وأعتزم الذهاب إلى مشهد المقدسة، اسمي الميرزا حسن، ولي من العمر اثنتين وعشرين سنة، وأمتلك شيئاً من المعلومات في الصرف والنحو أو قواعد التكلّم والكتابة باللغة العربية والفارسية والتركية، والمنطق، والمعاني، والبيان، والفقه، والأصول، والحكمة الإلهية، والجغرافيا، والحساب، والهندسة، وبعض العلوم الجديدة الأخرى في الجملة.

وأعرف شيئاً من الرسم والتصوير، وأتذوّق الشعر، وأستطيع نظم الغزل، وأنا بالإضافة إلى ذلك كله أعشق الإسلام، وقد امتزج حب علي عليه السلام بلحمي وعظمي.

عندما كان ميرزا حسن يعيد كتابة هذه المادة في مشهد، كانت الصحافة تنتظر نشر نصه عاجلاً. لذلك، يؤجل باقي ذكرياته إلى المجلد التالي، الذي يبدو أنه لم ينتهي منه.

كما ذكرنا، نُشر هذا السفر في مشهد عام ١٣٠٣هـ.ش، وفي الصفحة

الأولى أيضاً تم إصدار رخصة نشر من قبل مسؤول المعارف والأوقاف في خراسان أديب بجنوردي، وكتب على الكتاب: لا يوجد مانع قانوني من طبعه ونشره، وتم نشره على أنه المجلد الأول لـ (حجة الإسلام الأسكوي) (أساس السعادة) وتحمل مصارف الطبع والنشر عمدة التجار الحاج المشهدي محمد تقي، على أن يصرف ريع فوائده في الشؤون الخيرية، وطبع في مطبعة خراسان، وقيمة الكتاب خمس قرانات، ويقع الكتاب في (١٨٤ صفحة)، وفي آخره قائمة مؤلفات جد المؤلف ووالده وأخيه ميرزا علي ونفسه بعنوان «مؤلفات هذا التافه».

في نهاية هذه المقدمة أقدم الشكر للدكتور هاشميان والسيد عيدي خسرو شاهی على مساعدتهم في إعداد بعض المصادر.





الميرزا حسن الإحراقي في عمر ٢٢ سنة ويده كتاب (أساس السعادة)

أساس السعادة

رحلة سامية آية الله المعظم
الهاج الميرزا حسن الإحقاقي الهائري الأسكوثي
من كربلاء إلى طهران
١٣٤١هـ.ق / ١٣٠٢هـ.ش

بقلم
الإمام المصلح
الميرزا حسن الهائري الإحقاقي الأسكوثي

ترجمة
السيد حسن مطر البهائمي

ديباجة الرحلة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بعد الحمد والثناء على الحنان المنان، والتسليم التام على مظهره الأول
نبي آخر الزمان وأهل بيته الأطهار عليهم الصلاة والسلام.

[السبب الداعي إلى كتابة هذه الرحلة]

أودّ أن أحيط القارئ الكريم علماً بأن هذه هي رحلتي الثانية التي أتشرّف
فيها - برفقة سماحة أخي المقدّس حجّة الإسلام الميرزا علي آغا^(١) (أدام
الله ظلّه العالي^(٢) روعي فداه) بلثم العتبة الرضوية المباركة (على مشرّفها
آلاف التحيّة والثناء)، وفي هذه البلدة المقدسة نقلت - في بعض محافل

(١) آية الله الحكيم الإلهي الميرزا علي بن الميرزا موسى الحائري، ولد في ليلة السابع والعشرين
من شهر صفر سنة ١٣٠٥هـ في مدينة النجف الأشرف، ونشأ فيها تحت رعاية والده، درس
المقدمات وأكمل السطوح وبعدها حضر عند آية الله الأخوند الملا محمد كاظم الخراساني،
وآية الله الشيخ الشريعة الأصفهاني، والسيد مصطفى الكاشاني، والملا محمد الخونساري
وغيرهم، فلفت نظر أساتذته وحصل على إجازات الاجتهاد، ألف العديد من الكتب منها:
عقيدة الشيعة، ورسالة في معنى الغلو، والرد على ترجمة السيد الأمين للشيخ الأوحدي في
كتابه أعيان الشيعة وأبان الكثير من زلاته في ترجمة الشيخ الأحسائي، توفي في الحسينية
العباسية بالكويت في آخر جمعة من شهر رمضان سنة ١٣٨٦هـ، وشُيع في موكب مهيب إلى
كربلاء المقدسة، ودفن بجوار جده ووالده. [قرنان من الاجتهاد والمرجعية، الفصل الرابع
ص ١٥٩ - ١٧٨، وكذلك مقدمة كتاب الكلمات المحكمات].

(٢) في النسخة (أ): (دام الله العالي)، وفي النسخة (ب): (أدام ظلّه العالي).

وأندية الأصحاب من المحبّين والإخوة الروحانيين - جانباً من التقارير الغربية والمطالب النافعة لما حدث لي وصادفته أثناء هذه الرحلة؛ فعرض عليّ بعضهم تدوين كامل هذه الأحداث والوقائع وطبعها في كتاب، ولكن لا يخفى على الضمير المنير لأصحاب السياسة والكياسة أن تأليف كتاب في الرحلة وذكر تفاصيل أحداثها التي تخلو من العلوم الحقّة، لا يتناسب مع شأن أرباب العلم، أو المنسوبين إلى العالم الروحاني، بل يقع ذلك إلى الضدّ الكامل من منهج أصحاب العلم والفضيلة، ومن هنا فقد كنت أعتذر في الوهلة الأولى عن تلبية هذا الطلب، وأمتنع عن تأليف مثل هذا الكتاب - [الذي يعدّ من أدب الرحلات] - حفاظاً على قداسة المسلك الروحاني.

حتى راجعني سماحة المستطاب الأجل الأكرم عمدة التجار الآغا مشهدي محمد تقي آغا - زيد توفيقه - في هذا الأمر، وتعهّد لي بتكفل نفقات الطبع والنشر، وأخذ ذلك على عاتقه، وبعد الكثير من الإصرار والمزيد من الإلحاح وجدت نفسي مضطراً إلى النزول عند رغبته، وعلى الرغم من أن همّة وإصرار هذا الأخ الروحاني والمحترم - الذي هو بحق صاحب مرتبة وشأن في التفاني في الإسلام وحبّ الوطن - هي التي أجبرتني على القيام بهذا الأمر، ولكنني بقيت فترة أجيل الفكرة في الاستجابة إلى دعوته؛ حتى ألقى في روعي فجأة وكأنّ هاتفاً غيبياً يطرق سمع الفؤاد قائلاً: انهض وشمر عن ساعدك، واكتب ما رأيته وسمعته باطمئنان كامل؛ فليس ما رأيته وسمعته من الأحداث والوقائع في رحلتك هذه بأقل شأن من قصص وحكايات (الأنوار النعمانية) و(زهر الربيع) للسيد العلامة نعمة الله الجزائري^(١)، وكشاكيل العلماء الأعلام - رضوان الله عليهم - بل إن هذا

(١) السيد نعمة الله بن محمد بن عبدالله الموسوي الجزائري (١٠٥٠ - ١١١٢هـ): عالم وفقه ومحدّث ومفسر. من كبار علماء الشيعة الإثني عشرية في العراق وإيران. عاش في العصر الصفوي، وتقلد بعض المناصب القضائية. ولد في قرية الصباغية وهي إحدى قرى قضاء=

النوع من الكتب هو وحده الأوفق والأنسب بطباع أغلب المتمدّنين في هذا العصر؛ إذ أنهم يُعرضون عن الأساليب القديمة؛ ولا بد في كل زمان من ملاحظة ورعاية طباع ومشارب أهل ذلك الزمان؛ بمعنى أنه يجب الانسياق وراء التنوّع في جميع الفنون إلّا في الشرعيات، بالإضافة إلى أن تلبية دعوة الأخ المؤمن من الواجبات.

فلم أجد مندوحة من اعتبار طاعتي للإلهامات الوجدانية والقلبية واجباً عليّ، وها أنا أكتب وقائع وأحداث هذه الرحلة المباركة، كما هو مضمون ما رأيت وما سمعت، وعلى الرغم من أن الروايات والقصص المُحدّثة والمنحولة قد قللت من تأثير الوقائع والأحداث الصادقة إلى حدّ ما، بيد أنني أرجو من صدق وإخلاص القارئ الكريم أن لا ينظر إلى رحلة هذا العبد الفقير كما ينظر إلى الروايات والقصص، وأن لا يضعها في عداد سائر المنحولات.

وعلى الرغم من أن الألفاظ وكلمات الأشعار، وترتيب الكتابة، وتنظيم القوافي لا تمثل أسلوب حكاية عين القضايا الواقعة، بيد أن المعاني تأتي على طبق الوقائع وتوافق مضمونها.

ولا بدّ لي من إضافة أن بعض الكلمات التي تحتوي على أخطاء إملائية إنما كتبتها كما نطق بهما المتكلمون بها، من ذلك ما جاء مني - على سبيل

=الجزائر في البصرة الفيحاء، ويُسمى حالياً بقضاء الجبايش والذي يقع حسب الجغرافيا الحديثة في محافظة ذي قار جنوب العراق. وله من المؤلفات بالإضافة إلى (زهر الربيع في الطرائف والمُلح والمقال البديع)، و(الأنوار النعمانية في معرفة النشأة والأنساب)، والكثير غيرهما، مثل: (النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين)، و(الجواهر الغوالي في شرح عوالي اللآلي) وهو شرح على كتاب (عوالي اللآلي العزيزية في الأحاديث الدينية) لابن أبي جمهور الأحسائي، و(تحفة الأسرار في الجمع بين الأخبار)، وغير ذلك من الكتب الأخرى. توفي عند عودته من زيارة الإمام الرضا عليه السلام في مدينة (بل دختر) الواقعة في محافظة لرستان في غرب إيران ودفن هناك، وقبره مشهور يُزار. (المعرب).

المثال - من قبيل: (غلت) بمعنى (غلط)، أو (ميشن) بمعنى (ميشوند)، أو (إيرون) بمعنى (إيران)، إنما كتبتة لأنقل عين ما تلفظ به المتكلم، وكما سمعته منه.

وفي الختام أرجو من المختصين في فنون الكلام أن يتجاوزوا - بكريم أخلاقهم وعلو منزلتهم - ما يرونه من زلات قلم هذا الفقير وما ارتكبته من الأخطاء في المعاني، وأن يغضوا الطرف عن ذلك كله؛ لأن الإنسان مساوق للسهو والنسيان، ولا سيما إذا كان في أثناء السفر، حيث الاستعجال من أجل إكمال الأعمال وضيق المجال، وهذا كله مفرق للحواس ومشتت للانتباه ومضيّع للأوقات، وإن كنت إنما كتبت هذا المختصر مقدمة للمجلدات القادمة والمقاصد الآتية.

إن كل شعر أُميّزه بالحرف (س) إنما هو من نظمي وإنشادي؛ إذ الحرف (س) يرمز إلى الحرف الأول من كلمة (سليمي)^(١) التي اخترتها لتكون (تخلصاً)^(٢) لي في نهاية أشعاري.



(١) في إشارة منه إلى انتسابه لجده الأكبر مؤسس هذه الأسرة العلمية (الشيخ الملا محمد سليم الأسكوئي). (المعرب).

(٢) التخلّص: مصطلح في الأدب الفارسي يشير إلى ما دأب عليها الشعراء الفرس ولا سيما العرفاء منهم من اختيار كلمة أو صفة لهم يذيلون بها آخر قصائدهم حتى تكون بمثابة التوقيع؛ ليستدل بها على أن الشعر من نظمهم. (المعرب).



[معدة الانطلاق]

[مطة الانطراف]

بداية الرحلة: يوم الأحد الموافق للرباع عشر من شهر ذي الحجة عام ١٣٤١هـ.ق

الساعة حيث هي الآن تمام التاسعة عربي^(١) من يوم الأحد الموافق لليوم الرابع عشر من شهر ذي الحجة سنة ١٣٤١ للهجرة، توجهنا إلى بغداد في طريقنا إلى زيارة الإمام الرضا ثامن الأئمة - عليه آلاف التحية والثناء - برفقة أخي وشقيقي المقدس^(٢) - روعي فداه - بواسطة العربات المعهودة، [فاخترنا واحدة من تلك العربات]^(٣) وكان الحيز الذي شغلناه من تلك العربة في غاية الضيق، وكان الطقس شديد الحرارة، والغبار تذروه الرياح العاصفة من كل جانب، وعلاوة على ذلك كله بُليت ببهيمة نغصت عليّ حياتي وأخذت بخناقِي، وكان أمامي شخص مريض، وكان من طول القامة بحيث إذا جلس القرفصاء بلغت ركبته التراقي، وتجاوزتا بطولهما صماخ أذنيه.

(١) التوقيت العربي هو نوع من التوقيت الزمني يبدأ قياسه من لحظة غروب الشمس وهذا يعني أن الساعة السادسة بالتوقيت العربي هي ست ساعات بعد الغروب وهكذا في الساعات الأخرى. أما اليوم العربي المكون من ٢٤ ساعة فهو من الغروب إلى الغروب الثاني.

(٢) يعني بذلك أخاه الأكبر آية الله المولى الميرزا علي الحائري.

(٣) ما بين المعقوفتين إضافة توضيحية من عندنا. (المعرب).

كاسه زانو گذشته از سر دوشش راست بگویم رسیده تا دم گوشش^(١)

وكان هذا البائس المسكين بالإضافة إلى معاناته من المرض، يَغْطُ في نوم عميق يُعَدُّ هو علّة العلل بين أمراضه، فكان على الدوام محتضناً توأم الموت^(٢)، وهو يعزف له على قيثارة الشخير، وسط دهشة واستغراب الجميع، وكانت سيقانه الطوال أثناء النوم تنال منا بالضرب على الرؤوس والصدور وكأنهما صولجان (لندهور)^(٣) أو مقوار (معدّي كرب)^(٤).



(١) بيت شعر للمؤلف باللغة الفارسية، يصف فيه طول أطراف هذا الشخص المريض على ما مرّ أعلاه في المتن، وكان من حقه أن يرمز له بالحرف (س). (المعرب).

(٢) يعني (النوم).

(٣) (لندهور) يعني: ابن الشمس؛ حيث أن (لن) بمعنى الابن، و(هور) بمعنى الشمس، وهو في الأصل اسم أحد ملوك الهند، وتذهب الأسطورة لدى البراهمة إلى القول بأن الشمس أُلقت بنظرتها على أمّه؛ فحملت به، ومن هنا جاءت تسمية الفرس له بـ(لندهور). بيد أن العامة تطلق هذا الاسم في أدبها الشعبي على كل شخص عظيم الجثة لا يفلح في شيء ولا يأتي بخير، وهذا هو المعنى المراد في كلام المؤلف أعلاه. وربما أمكن تشبيهه في عظم الجسم بعوج بن عناق في الأدب التوراتي. (المعرب: نقلاً عن علي أكبر دهخدا، لغت نامه، ج ١٣، ص ١٩٧٨٧).

(٤) يعني بذلك (عمرو بن معدّي كَرِب): وهو عمرو بن معدّي كرب بن ربيعة بن عبدالله الزبيدي، فارس اليمن وصاحب الغارات المذكورة، يُكنى أبا ثور، وفد على المدينة في السنة التاسعة للهجرة في عشرة من بني زبيد؛ فأسلموا جميعاً. وكان عصيّ النفس فيه قسوة، وأخبار شجاعته كثيرة. له شعر جيّد. ومما ورد في عظم جسمه - وهو موضع الشاهد في العبارة أعلاه - ما رواه رميح بن هلال عن أبيه، قال: (رأيت عمر بن معدّي كرب شيخاً عظيم الخلقة، أعظم ما يكون من الرجال، أجشّ الصوت، إذا التفت التفت بجميع جسده). (المعرب).



[المحطة الأولى : بغداد]

[المعطاة الأولى : بغداد]

أمضيْنا تلك الليلة إلى منبج الصبح نعاني شدة الارتياض من ليلة هي [في عذابها] نسخة مصغرة عن يوم المحشر، وبعد طلوع الشمس دخلنا ولاية بغداد، وختمنا أوراقنا الثبوتية في مفوضية الدولة العلية، وتوجّهنا شطر الكاظمين (عليهما السلام).

وبعد الاغتسال ورفع الأدران والتخلّص من وعثاء السفر، تشرّفنا بلثم العتبة المقدسة، ومكثنا هناك ليلتنا، ثم رجعنا في اليوم التالي إلى بغداد، ودعاني أمر إلى قصد الجانب الشرقي من بغداد^(١).

صادفت على الجسر سماحة الآغا محمد صادق - وهو من الأشراف والأصدقاء المخضرمين.. وبعد إلقاء التحية والسلام المتعارف، واصلنا طريقنا إلى حيث القصد.. وفي الأثناء انتبهت إلى صديقي وهو يحرك سبابته على شتى الاتجاهات؛ فقلت له: خيراً يا أخي؟! أراك منشغل البال؛ فإذا كان لديك ما يشغلك، لا أكون عائقاً في طريقك.

فقال الآغا محمد صادق والحياء يجلله: أستغفر الله يا أخي؛ بل إنه لمن طالع السعد أن تشرّفت بصحبتيكم، بيد أن الآغا محمد سعيد^(٢) - وأنت تعرفه - يعاني منذ مدّة من وعكة صحية، حتى أقعده المرض عن الحيوية

(١) يقسم نهر دجلة العاصمة بغداد إلى شطرين، ويعرف الجانب الغربي منها بالكرخ وفيه مرقد الإمامين الكاظمين (عليهما السلام)، ويعرف الجانب الشرقي منها بالرصافة. (المعرب).

(٢) سيأتي أن هذا الرجل يُلقّب بـ (الجلبي) أيضاً. (المعرب).

والنشاط، وقد أبلغته بالأمس أنني اليوم زائرته قبل الغروب بساعتين، وقد أوشك الآن أن يحين موعد اللقاء، والنكت بالوعد مخالف للتعاليم الإسلامية والتقاليد الإنسانية، وفي الوقت نفسه فإن إدراك فيض صحبتك وخدمتك غاية مطمحي وأمنيّتي؛ وها أنت ترى أنني متحير في العثور على طريقة للجمع بين هذين الواجبين!

فقلت له: لا داعي للحيرة يا أخي؛ فإن الآغا محمد سعيد من أصدقائي العريقين أيضاً، ولي ثلاث سنوات لم أجدد عهد الصداقة معه، وإن كانت صداقتنا جنة مخضرة لا تجد رياح الخريف طريقها إليها، ولكن وجب الآن [بعد الذي سمعته منك]^(١) أن نذهب إلى عيادته وتجديد العهد به، كما أن زيارة المريض من المندوبات المؤكدة في الشريعة الإسلامية.

فركبنا عربة وتجاوزنا أطراف الحديث على متنها، حتى وجدنا العربة تقف أمام عمارة منيفة؛ [فنزلنا هناك] وأعلن البواب (أصلاًن بيك) عن وصولنا، فدخلنا إلى داخل الدار، وارتقينا درجات السلم حتى وجدنا أنفسنا في صالة كبيرة مزودة بأنواع الستائر المخملية والمصابيح الكهربائية، وكانت جميع أطراف الصالة مزودة بالأرائك والأسرة ذات النوايض اللولبية، وكان الآغا محمد سعيد يجلس منتظراً في زاوية الصالة، وما إن وقع بصره عليّ حتى هبّ من مكانه واقفاً، وخفّ يعدو مسرعاً لاستقبالنا، وهو يقول:

يا لها من سعادة!

دعني أرى جيداً؛

هل أنت الآغا ميرزا حسن؟!

أين ذاتك العالية المنيرة من كوخنا المظلم هذا؟!

(١) ما بين المعقوفتين إضافة توضيحية من عندنا. (المعرب).

وأين يوسف من بيت أحزان يعقوب؟!

متى وصلتكم سيدي؟

أقسم بروحي أنني كنت في غاية الشوق إلى لقاءكم، لقد غمرتموني بالفخر والاعتزاز؛ سيدي أنسيت أن الأصول تقول: (إن القادم يُزار)، كان يجب أن أكون أنا المبادر إلى زيارتك.. وكان هكذا يواصل إطلاق رشقات متلاحقة من الكلام من شدة الشوق بشكل متواصل، ويقول كل ما يرد على لسانه دون توقّف.

فقلت له: تمهّل أيها السيد الجليبي أولاً: عند الأحباب تسقط الآداب. وثانياً: لن نمكث في بغداد لأكثر من يوم واحد، وشرحت له تفصيل السفر.



[الرياضة والصلاة]

بعد أن استقرّ بنا المقام وانتهينا من الترحيبات المتعارفة، جيء لنا بالشاي والقهوة، ومع حلول وقت العصر تمّ تقديم البطيخ الأحمر والبطيخ الأصفر والرمّان.

فقلت له: حسناً أيها السيد، لقد بلغ سمعي أنك تعاني من وعكة صحيّة، ألم تراجع الطبيب؟

فقال السيد الجلبي: بلى، لقد جاء الدكتور عزّت أفندي بالأمس؛ لغرض إجراء الفحص والكشف، وبعد المعاينة والتدقيق واختبار درجة الحرارة وما إلى ذلك، قال: إني لا أشكو علّة سوى الإكثار من الجلوس والمطالعة، الأمر الذي جعلني أعاني من إرهاق فكري وتشنّج عصبي، ولذلك يتعيّن عليّ أن أمضي فترة استجمام، وأن أمارس الرياضة في أوقات الصباح، قبل تناول طعام الإفطار.

فقلت له: حسناً، ماذا ستعمل بالنسبة إلى الرياضة؛ إذ أنك لا تستطيع الذهاب إلى الزورخانة^(١)!

(١) رياضة شعبية يمارسها الفُرس منذ القدم، وهي من ألعاب القوى التي تجمع بين رفع الأثقال والمصارعة. وقد اشتهرت في العشرينات من القرن الماضي في كل من العراق والكويت أيضاً، وهي تقوم على تمجيد قيم الفتوة وأخلاق الفروسية والذين يمارسونها يتخذون من الإمام علي عليه السلام قدوة لهم في البطولة والفتوة والإباء. ومن المعدات الرئيسة المستعملة فيها: (الكبادة) بمعنى القوس، و(الميل) بمعنى (الهراوة)، و(خشب الضغط). (المعرب).

فقال السيد الجلبي : أجل ، ولكنني أمرت بحفر قاع مستدير في زاوية من السرداب على شاكلة الزورخانة ، واليوم قد أحضر لنا (أصلان بيك) - وهو من الأبطال في رياضة الزورخانة - زوجاً من الأميال وكُبادتين^(١)؛ لنرى كيف نبدأ التمارين عليها.

فتبسّم الآغا محمد صادق وقال له : أيها السيد الجلبي ، أنت - بحمد الله - شخص مسلم ، وقد علّمنا رسول الله - صلى الله عليه وآله - ما هو أفضل من هذه الرياضة ؛ فما عليك إلّا أن تأتي في كل يوم واحداً وخمسين ركعة - ما بين صلاة واجبة ومندوبة في أوقاتها الخاصة - وأنا أضمن لك بها رفع الوعكة الصحية التي ألّمت بك مؤخراً.

فقال السيد الجلبي : إن ما تفضلتم به صحيح ، وقد سبق لسماحة الميرزا عبد الرحيم - وهو أستاذي في علوم القرآن والأمور الشرعية - أن ذكر لي هذا الشيء أيضاً ؛ وقد أضفت نوافل الصبح والعصر إلى الفرائض ، ولكن ذلك فاقم من مرضي ، وأظن أن الصلاة وسائر العبادات هي لمجرد إظهار العبودية للخالق الواحد المعبود ، ولا شأن لها بالحفاظ على الصحة ، بل إن أكثر المقدسين أو الذين يصلون استئجاراً يعانون في الغالب من الضعف والهزال ، بيد أنني أجد من نفسي رغبة كبيرة في ممارسة رياضة الجمناستك ، وسوف أمارس هذه الرياضة.

وهنا أثر الآغا محمد صادق أن يلتزم الصمت والسكوت ، وتشاغل بعد ذلك بأكل الفاكهة.. فرأيت أن السكوت في تلك اللحظة قد يؤدي إلى ضعف عقيدته واستخفافه بالشريعة الإسلامية.

فقلت له : أيها السيد الجلبي ؛ إنه لمن المستبعد من شخص في مثل كمالك وعلمك ، أن لا يكون حتى الآن قد فهم دقائق ديننا الحنيف ، وأن

(١) من أدوات الزورخانة. (المعرب).

يغفل عن أن الشريعة الإسلامية المطهّرة لا تقتصر في اهتمامها على الجانب الروحي والمراتب الأخروية فقط، بل إن هذه الشريعة الغراء تحتوي على جميع الجزئيات واللوازم الدنيوية والأخروية والجسمانية والروحانية من الوجود، ولا سيما فيما يتعلق بنوع البشر، حيث يشتمل الإسلام على أكمل القوانين وأتمّ التعاليم في هذا الشأن؛ فهل تظن أن الصلاة والصوم وسائر العبادات إنما هي لمجرد إظهار العبودية؟! حاشا وكلا، بل إن هذا القانون المقدّس إنما نزل من أجل الحفاظ على صحة الأبدان، واستقامة الأديان، وازدهار نوع تربية الأرواح، وردع المعتدين، وحفظ الثغور، وما إلى ذلك من الحقائق الأخرى التي يعجز من هو مثلي عن تعدادها وإحصائها. وإن قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَأْتُوا لِيَأَلِّبَ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾^(٢)، والحديث القائل: (صوموا تصحّوا)^(٣)، لخير شاهد على أن الشريعة المحمدية الغراء، لم ترد لمجرد إظهار العبودية.

نعم لا شك في اشتغال جميع هذه العبادات على نوع من العبودية؛ كما هو الحال بالنسبة إلى الجهاد - مثلاً - فإن الحكمة الظاهرية منه وإن كانت هي تحقيق الهيمنة على الكفار واستئصال شأفتهم، بيد أنه في الوقت نفسه ينطوي على الكثير من الفوائد المعنوية والدرجات الأخروية بالنسبة إلى الشخص المجاهد أيضاً؛ من قبيل الطفل الصغير الذي لم يدرك بعد لذة الحصول على مراتب الكرامة والشرف، ولا يستطيع التمييز بين الحُسن والقبح، ولكن والده يُرسله إلى المدرسة ويساعده على تحصيل المعارف والعلوم التي هي وسيلة إلى تحصيل الشرف والسؤدد وارتقاء المداير

(١) البقرة (٢): ١٧٩.

(٢) البقرة (٢): ١٨٤.

(٣) ورد هذا الحديث في المأثور عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله. انظر: العلامة المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٥٩، ص ٢٦٧، وج ٩٣، ص ٢٥٥.

العالية، وفي مثل هذه الحالة إن أطاع والده نال الشرف والثروة التي هي من نتائج العلم، كما سيحصل على برّ الوالد وحبّه له الناتج عن إطاعته، وإلا فإنه سيحرم نفسه من الأمرين معاً، وسوف يُبتلي بأنواع الذلّ والهوان!

ألم تسمع بمقالة ذلك الشخص الأوروبي؟

قال السيد الجلبى: كلا، في أيّ شأن؟!

فقلت له: إذن سوف أروي لسماحتكم تفصيل هذه الحكاية:

يروى أن رجلاً من حكماء أوروبا قد سافر قبل عدّة أعوام إلى الأقطار الإسلامية، وقد ساءه أن يجد بعض المسلمين يعملون على خلاف تعاليم الإسلام وأحكامه. وفي أحد المجالس ذكر سماحته هذه المقالة:

(يا معشر المسلمين؛ أنا طبيب أوروبي، ولم أكن قبل ذلك أدين بمذهب معيّن، بمعنى أنني كنت مادياً أقول بالمذهب الطبيعي، أي أنني كنت دهرياً، وبعدها أدركت - بسعيي وجدّي وبهمة بعض الأصدقاء من أمثالي - أننا نسلك في حياتنا سلوك البرابرة والمتوحشين من الشعوب والبشر الذين لا يتمسكون أو يتقيّدون بأيّ قانون أو شريعة من الشرائع السماوية، وأننا أناس بلا شرف وبلا غيرة وبلا حميّة، وأننا بعيّدون كل البعد عن الحضارة والإنسانية؛ وعليه فقد اتفقت مع جماعة من عقلاء الفرنجة على رأي واحد، وقد استحسن أعضاء هذه الجماعة رأيي، واستقرّ الرأي بيننا على عقد مؤتمر فيما بيننا، وأن يذهب كل واحد منا إلى اعتناق شريعة ومذهب، وأن يروي للآخرين ما وجده من مواضع الحسن والقبح والصالح والفساد والصحة والسقم في ذلك المذهب وتلك الشريعة.. فقلت لهم:

أما أنا فإن كنت متخذاً ديناً، ومطوّفاً رقبتى متشرّفاً بقانون أو طريقة ما؛ فلن أحيّد عن دين الإسلام، حيث يمتاز هذا الدين من سائر الأديان الأخرى؛ وإن الشيء الوحيد الذي يدفعني إلى التبعية والانسياق وراء هذا الدين، هو أن محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله - وهو المؤسس لهذه

الشرعية، والواضع لهذا القانون الأواحد - قد نشأ في بيئة وبين طائفة من الناس الأميين الذين لم يتعرفوا على حضارة أو ثقافة، ولم يبلغهم شيء من المدنية، ولم يحصلوا على ذرة من الرقي والشرف ومستلزمات الإنسانية، ومع ذلك كانت قوانين دينه ودقائق شريعته ولا تزال تذهل العقول، وقد عجز جميع عقلاء الشرق وكافة حكماء الغرب حتى الآن عن حلّ جزئيات أحكامه وتفاصيل تعاليمه، وقد اعترفوا بعجزهم في هذا الشأن.

إن قوانين الإسلام وأحكامه لم تترك شيئاً من لوازم الوجود ناقصاً - مهما قلّ شأن ذلك الشيء - وإنما علاوة على ذلك لم نكتشف شيئاً واحداً من أحكامه وتعاليمه إلا وجدناه مناسباً لحفظ الصحة تمام المناسبة. في حين أن الشعوب الأوروبية - التي تعدّ اليوم من أوائل الشعوب التي تحترم القوانين الوضعية في العالم - لها مئات السنين وهي تستعين بالعديد من العلماء والمفكرين لتأسيس قانون متين وثابت، ولكنها مع ذلك سرعان ما تكتشف نقص تلك القوانين من جميع الجهات، واحتياجها في بعض الأحيان إلى قوانين أخرى، ويتضح لنا في كل حين فساد قانون من تلك القوانين. إن الشعوب الأوروبية - على الرغم من أنها تعتبر نفسها هي الأعقل من سائر الأمم - لم تنجح حتى الآن في وضع قانون ثابت لا يظهر فساده بعد التطبيق.

إن أساس الملل الأوروبية المتحضرة حالياً يقوم على انعدام الغيرة، كما أن من بين قوانينهم أن الرجل لا يستطيع أن يتخذ لنفسه أكثر من زوجة واحدة، في حين أننا نجد عدد النساء في كل بقاع العالم يفوق عدد الرجال بأربعة أضعاف أو خمسة.

إن ضجيعة أول شخص أوروبي بعد وفاة زوجها، يتعيّن عليها إما أن تعمل في بيوت الدعارة والفواحش، أو تعاشر الحمالين^(١) والسوقة من

(١) في النسخة (أ): (با حمال)، وفي النسخة (ب): (به اجمال).

الناس عديمي الوجدان والشرف؛ لتطفئ لهيب غريزتها، أو أن تهلك نفسها في سبيل الحفاظ على عفتها وشرفها من طغيان وحرارة الشهوة. وأكثر القوانين الأوروبية من هذا القبيل، وهي بأجمعها مخالفة للحضارة والمدنية، ومضرة بعالم الإنسانية. وإنما القانون الوحيد - الذي مضى عليه أكثر من ألف عام دون أن يتعرض لاعتراض كبار العقلاء وأساطين الحكماء، وكان من كل الجهات جامعاً لحقوق البشر والتدين والثروة والرقي والحضارة - هو قانون الشريعة الأوحـد للإسلام.

وإن إدراك فلسفة ومصالح أحكام هذا الشخص العظيم الذي يمثل العقل الكل والمؤسس للقانون الأكمل، خارج عن قدرة أمثالنا، ولست أرى نفسي بحاجة إلى إثبات ذلك، وإني من هذه الساعة أعلن عن تطويق رقبتني بعقد هذه الشريعة المقدسة لذلك الحكيم الأوحـد، وأعلن عن تزيين صدري ورأسي بوسام وتاج الإسلام، وأقول بصوت عال: أيها العالم الأوحـد والحكيم الفرد، يا نبي الإسلام، ويا محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله، اعلم... إني منذ الآن سوف أعتبرك وسيلة لنجاتي، وأقرّ بأنك رسول الله بحق.. والسلام.

وإذا بأصوات وهتافات الفرح والتصفيق ترتفع في المجلس من كل جانب، وصرّح الجميع بأنهم على نفس مقالتي، وهنا تمّ الإعلان عن ختم المحفل الشريف... وأخذت منذ تلك اللحظة أعمل بواجبات الشريعة الإسلامية، وأخذنا نتقيّد قدر الإمكان بالعمل بالمستحبات وترك المكروهات، وأخذت دائرتنا تتسع شيئاً فشيئاً، والآن بعد مضيّ سبعة عشر عاماً على تلك الحادثة هناك حالياً آلاف الأوروبيين الذين يعملون بقوانين [الشريعة] الإسلامية المقدسة؛ ولذلك فإني أتعجّب منكم معاشر المسلمين؛ إذ تعدّون أنفسكم على دين الإسلام، ومع ذلك تتركون أحكامه وتعملون بأحكام الجاهلية؛ وإني لأشكر الله على حسن حظي؛ إذ هداني إلى هذه النعمة العظيمة، بيد أن أكثر المسلمين - للأسف الشديد - لا يعرفون قدر

شريعته المقدسة، وأخذوا يستخفون بها بتغريير من بضعة أشخاص من البروتستانتين)!

فها أنت الآن أيها السيد الجلبي ترى كيف تعرّف شخص أوروبي على فوائد ديننا الحنيف، وهو بذلك يُنذر أمثالنا من بوابة العصبية واحترام القانون؛ فلماذا لا يكون لنا مثل هذا المستوى من الوعي والإدراك الذي يمتلكه هذا الشخص الأوروبي؟! لا أقول لك: لا تمارس الرياضة أو الجمناستك، ولا أقول لك: إن هذا حرام، وإنما الذي أريد قوله هو أن شريعتنا المقدسة كاملة من جميع الجهات، بل إنها تحتوي على جميع ما يحتاج إليه الإنسان على نحو كامل، ولكن ليس كل شخص يدرك فلسفة التعاليم الإسلامية، وإن ذات حالة الكسل وعدم الرغبة لديكم هي التي تحول دونكم ودون التعرّف على فوائد الصلاة، وإلا فإن توجه النفس التام وإقبال الطبيعة على كل شيء يعدّ في حدّ ذاته دواء ناجعاً، وإن ذات رغبتك في ممارسة الجمناستك تكفي للتغلب على المرض، دون أن تكون بحاجة إلى إدراك فائدة الرياضة، وإن عدم رغبتك في الصلاة يكفي بدوره لحجب منافعها.

وأما الضعف الذي تراه على بعض المقدّسين، فلا يعود سببه إلى الصلاة، وإنما يعود سببه إلى قلة النوم وسوء التغذية وسائر الرياضات الروحانية، ولو أردت أن أعدّد لك فوائد ومنافع أحكام هذه الشريعة المقدسة بما يزيد على ذلك، ربما ترك هذا الأمر تأثيراً سلبياً على مزاج سماحتكم.

فقال السيد الجلبي: بل على العكس من ذلك سيدي؛ فإن كلامكم العالي ثروة روحانية يفتخر بها هذا العبد الفقير، وبطبيعة الحال سوف أعمل من بعد هذا على طبق نصيحتكم.

[ثم نادى على المدعو أصلاً قائلاً]: يا أصلاً بيك، يا أصلاً بيك،
لم تعد هذه الأميال تلزمننا.. [ثم غيّرنا مجرى الكلام] وتجاوزنا أطراف
الحديث حول بعض الأبحاث العلمية.

لم يبق إلى وقت الغروب سوى نصف ساعة.. أيها السيد الجلبي نستأذك
في الانصراف؛ فإن أخي ينتظرنى، وقام الآغا محمد صادق أيضاً، ونزلنا
درجات السلم حتى وصلنا إلى الباب؛ لنجد هناك السيد الجلبي قد سبقنا
في الوصول إلى الباب من طريق آخر، فقام بتوديعنا هناك قائلاً: لقد
شرفتموني بزيارتكم، ثم قال لي: أسألك الدعاء عند العتبة المقدسة للإمام
الرضا عليه السلام، وأرجو أن تكون على ثقة واطمئنان من أنى قد استبدلت
الرياضة بالصلاة، ثم ودّعنا بعضنا بكل ودّ واحترام، وواصلنا الطريق حتى
وصلنا إلى مفرق الجسر حيث انفصل عني الآغا محمد صادق، وسار كل
واحد منا إلى جهته مسرعاً.





[المعطة الثانية: خاتقين]

[المحطة الثانية: خانقين]

يتعين علينا الليلة أن نشد الرحال نحو (خانقين)؛ فأسرعت إلى اللحاق بأخي المقدّس؛ فوجدته هناك ينتظرني وهو على أهبة الاستعداد للانطلاق، فركبنا متن عربية ونزلنا في المحطة، وعلى وقع صوت الجرس الأول تمّ جمع التذاكر.. وعلى صوت الجرس الثاني، أخذ كل واحد من المسافرين مكانه في واحدة من عربات القطار.. لقد مضى على بداية الليل ساعتان.. سوف ينطلق القطار على رأس الساعة الثالثة.. لم ينقطع النداء في العربات والقاطرات، وكنا لا نفتأ نسمع على الدوام هناك من يقول: (إيراني عائد إلى الوطن من زيارة العتبات المقدسة).. انطلقت صفارة الإيذان بالحركة، وأطلق القطار صفارة الإنذار.. وأخذ كل واحد من المسافرين يلقي بأمّته به وحقائبه في العربات على عجل.. انطلقت الصفارة الثانية [والأخيرة] وبدأت عجالات القطار تدور على محورها، ولم يزل هناك بعض المسافرين الذين لم يفلحوا في الصعود بعد، وكنا نسمع أصواتاً تأتي من شتى الاتجاهات:

(أسرع.. آخ، لقد أفلت الحذاء من قدمي، ولم يعد بإمكانني الرجوع لانتشاله.. فليذهب إلى الجحيم)!.. وآخر يقول: (آه لقد جرحت يدي).. تمكن كل واحد منا من حجز مكان لنفسه، وكان القطار يغذّ السير بأقصى سرعته.. الحق أن وسائل الشحن والنقل والمواصلات في العراق مبذولة ورخيصة جداً.

تجاوزنا (خان المشاهدة)، و(بعقوبة)^(١)، و(شهربان)^(٢) أثناء النوم، وصلينا الفريضة عند الفجر في محطة (قزل رباط)^(٣)، وبعد ساعة من بزوغ الشمس دخلنا (خانقين)^(٤)، حيث ركبنا سيارة انطلقت بنا مباشرة إلى جمرک قدر هناك، وكان مدير الجمارک رجلاً يهودياً أدركه الذبول وهو في خريف عمره، وكان المفتش بدوره طاعناً في السن، وقد جاء إلى تفتيش أغراضنا، ثم قال بصوت عال: (ما عندهم شي)، ثم نظر في وجهي نظرة ذات دلالة، وبعدها أخذ يُدمم بكلام ذي مغزى؛ فعلمت سرّ شكواه؛ فأخرجت شيئاً من جيبي ودسسته في كفه؛ فنادى على الحمال لكي يساعدنا في حمل أمتعتنا.



(١) في النسخة (أ): (يعقوبية)، وفي النسخة (ب): (يعقوبية / بعقوبية). وهي على كل حال ليست سوى (بعقوبة): مركز محافظة ديالى. تبعد نحو خمسين كيلومتراً إلى الشمال الشرقي من العاصمة بغداد. (المعرب).

(٢) (شهربان): هي التسمية الكردية والفارسية لمدينة (المقدادية). وهي ثاني أكبر قضاء في محافظة ديالى بعد مركز المحافظة (خانقين). سمّيت بهذا الاسم نسبة إلى الوالي الصوفي (المقداد بن محمد الرفاعي) المدفون في محيطها. (المعرب).

(٣) (قزل رباط) أو (قرزابات) مدينة صغيرة في ناحية (السعدية) التابعة لقضاء (خانقين) في محافظة (ديالى) شرق العراق. وكانت (قرزابات) من توابع (شهربان) أو (المقدادية) حالياً. وكانت قرزابات من ممتلكات (كسرى) ومن هنا كان اسمها في الأصل (كسرا آباد) بمعنى: (معمورة كسرى)، ثم صُحف الاسم إلى (قسرابات) أو (قرزابات). وقد حَرَفَ العثمانيون التسمية إلى (قزل رباط)؛ ليجاري المفهوم في اللغة التركية والذي يعني (الرباط الأحمر). (المعرب).

(٤) (خانقين): مدينة تقع ضمن محافظة (ديالى) في العراق بالقرب من الحدود مع إيران. ويقسمها نهر ألوند إلى قسمين. (المعرب).



[الدخول إلى الأراضي الإيرانية]

[الدخول إلى الأراضي الإيرانية]

وضعنا أمتعتنا في الـ(جبارخانه)^(١) التابعة للدولة العليّة لإيران. ثم خرجت لكي ألقى نظرة على أطلال المدينة، ثم عدت أدراجي قبل كل شيء إلى دائرة التلغراف [البريد]، وكتبت هناك برقية إلى سماحة الوالد الماجد - روعي فداه - على النحو الآتي: (كربلاء. سماحة حجة الإسلام الأسكوئي. يوم الخميس. وصلنا خانقين. الميرزا علي).

وختمت البرقية بتوقيع المكرّم، أخي المقدّس.

وبعد ساعة من ذلك رجعت إلى الجبارخانه العليّة، ثم جاء إلى الجبارخانه ثلاثة من السادة الإيرانيين المقيمين في النجف الأشرف؛ حيث كانوا يعتزمون العودة إلى أرض الوطن أيضاً.



(١) (جبارخانه): مصطلح فارسي للخدمة البريدية التي بدأ استخدامها منذ العصر الأخميني؛ وكان الـ (جبار) يطلق على الفارس الذي يعمل على إيصال الرسائل والطرود البريدية. وقد أنشئ هذا النظام البريدي من قبل كوروش الكبير مؤسس الإمبراطورية الفارسية، ثم طوّره داريوش العظيم لاحقاً باعتباره الطريقة الملكية المثلى للتواصل مع جميع أنحاء الإمبراطورية. كما كانت هذه المؤسسات تتخذ كمنازل ومحطات بين الطرق لاستراحة المسافرين والخيول. وكانت تفصل كل جبارخانه وأخرى مسافة تقدّر بأربعة فراسخ. (المعرب).

[المعطة الثالثة: قصر شيرين]

[المحطة الثالثة: قصر شيرين]

كانت هناك سيارة في متناولنا؛ فركبنا فيها جميعاً وانطلقنا نحو (قصر شيرين)^(١).. كان الطقس شديد الحرارة، وكان العرق لا يفتأ يتصبّب من جميع مسامات أجسامنا، وبعد ذلك بنصف ساعة وصلنا إلى الحدود العراقية، حيث ختم الموظفون التذاكر، ثم استأنفنا رحلتنا إلى الوطن، ولم يمض طويل وقت حتى وجدنا أنفسنا داخل قطرنا الحبيب؛ فشكرت الله على أن مدّ في عمري ومنّ عليّ بتكحيل الطرف الكليل برؤية هذه التربة الطاهرة مرّة ثانية، وتفتحت أزهار القلب بعد أن أمسى شبيهاً بالغابة الحزينة والموحشة.

هبّ حرس الحدود إلى استقبالنا والترحيب بنا، وقاموا بختم أوراقنا وتذاكرنا، ثم انصرفنا عنهم بكل تقدير واحترام.. وأخذنا نطوي الهضاب والوديان بأقصى سرعتنا، لم يبقَ إلى وقت الغروب سوى ساعة واحدة حيث لاح لنا سواد مدينة (قصر شيرين)، ولم تكن سوى دقائق معدودة إذ دخلنا المدينة، حيث أحاط بنا الموظفون في دائرة الجمارك، وأخذوا أمتعتنا إلى الجمرك، وبعد تفتيشها بوقت قصير وضعناها في منزل، وكانت تذكرتنا عبارة عن دفتر يحتوي على ست عشرة ورقة، وكانت الورقتان الأخيرتان

(١) (قصر شيرين): قضاء في محافظة (كرمانشاه) الإيرانية. وقد شهدت هذه المدينة التوقيع على معاهدة قصر شيرين سنة ١٦٣٩م، والتي أنهت الحرب بين الدولة العثمانية والدولة الصفوية. (المعرب).

تحتوي على صورنا الشخصية؛ فتم إرجاع تلكما الورقتين إلينا، واحتفظوا بسائر الأوراق عندهم.

التفت إليّ جناب الآغا سيد حسن - وهو من الذين كانوا برفقتنا في خانقين، وكان شخصاً عالمًا فاضلاً - وقال لي: يا ميرزا حسن، إن الطقس شديد الحرارة، وقد اتسخ جسمي بسبب الغبار والعرق، وإني لأعرف نهراً صافياً في مدينة (قصر شيرين)، وأجد من نفسي رغبة كبيرة إلى الاغتسال والسباحة في ذلك النهر.

فقلت له: وأنا بدوري أرى ذلك أيضاً.

فانطلقنا معاً إلى النهر؛ وكان بعرض عشرة أذرع، يجري من الأعلى إلى المنحدر محدثاً محدثاً هديراً عالياً، وكان اصطدام التيار المندفع بالحصى والأحجار الكبيرة الواقعة في مجراه تزيد من ضجيج هديره حتى كنا نسمعه من مسافة بعيدة.

وقد نفخت فينا عذوبة الماء وصفائوه روحاً جديدة، فجلست على ضفة النهر، وتمضمضت واستنشقت بمائه عملاً بالسنة الوارد في الشريعة الإسلامية، وقد اجتزنا عرض النهر إلى الضفة الأخرى بصعوبة بالغة؛ بيد أن دفع الماء في تلك الضفة كان من الشدة والسرعة بحيث لم يترك في أجسادنا قدرة على الصمود، فرميت نفسي في الماء ثانية لظني أنني بذلك سوف أصل مرة أخرى إلى وسط الماء، وأخذت بالعوام على سطحه، دون أن تسعفني قوتي على مقاومة تياره، فكنت فوقه بمثابة القشة الطافية وكان التيار يطوح بي على شتى الاتجاهات، وذهبت جميع جهودي لتفادي الاصطدام بتياره أدراج الرياح، وكان في هذه الناحية الكثير من أعواد القصب، وكنت كلما تشبّثت بواحدة منه، كانت الأمواج تضرب وجهي بقوة وتجبرني على إفلات القصة.

وكما يفعل الأطفال الصغار حيث يتقلبون فوق أكوام القش وهم يلعبون،

كنت أتقلب أنا في ذلك النهر أيضاً، ولكن لم يكن ذلك بإرادتي، وكنت بدلاً من القش تتقاذفني أكوام الحجارة على اختلاف أحجامها، حتى وصلت في نهاية المطاف لحسن الحظ إلى موضع من النهر أكثر اتساعاً، الأمر الذي خَفَّفَ من حدة انصباب الماء، فسحبت نفسي بجهد جهيد إلى الناحية الأخرى، ولما وضعت قدمي على ساحل النجاة شكرت الله على أن منَّ عليّ بنعمة السلامة.

وكان الآغا سيد حسن هو الآخر من خلفي يتخبَّط وسط الماء، ولا يمسك بعود عائم إلّا وينكسر في يده بفعل ضغط الماء، أو لا يجد في نفسه طاقة على المقاومة فيفلته ويعود إلى التخبط منساقاً مع التيار الجارف، وقد مرَّ المسكين بمحاذاتي دون أن أتمكن من إسعافه، حتى تمكن أخيراً من بلوغ هذه الضفة بنفسه، بعد الكثير من العناء ونجا من تلك المهلكة هو الآخر أيضاً.. (لقد كان بلاء وشيكاً، ولكنه انتهى على خير)^(١).. ارتدينا ثيابنا وجلسنا هناك نستعيد أنفاسنا ونستريح قليلاً إلى جانب النهر، وقد تمثل أمام ناظرنا مشهد في غاية الروعة والجمال.

قال الآغا سيد حسن: يا له من مشهد جميل! وأفق ينعش الروح.

فأجبت: لقد أصبت، ولكن ما الفائدة؟!.. وما هو نفع الصفاء الجسماني إذا كان الخريف يعقب هذا الربيع! وإذا كان هذا الصفاء يكذِّره الذبول! نحن بحاجة إلى صفاء روحي لا يعتريه الأفول.. إننا نحتاج إلى الشريعة

(١) سيأتي لاحقاً هذا المعنى (لقد كان بلاء وشيكاً.. ولكن انتهى على خير) في شطر البيت القائل: (رسيدہ بود بلائی ولی بخیر گذشت)، وهو يعود في الأساس إلى شطر بيت من الشعر قاله: (آصف بن نعيم الدين نعمة الله علي القهستاني) المعروف بـ(الآصفي الهروي) (٨٥٣ - ٩٢٣هـ)، من شعراء الفرس من الأفغان في العصر التيموري، وقد اكتسب هذا الشطر شهرة بالغة في الأدب الفارسي حتى أضحي مثلاً يُضرب، وسيأتي الاستشهاد به من المؤلف في موضع آخر، وهناك سوف يكون لنا شرح للبيت كاملاً إن شاء الله. (المعرب).

الإسلامية التي تضمن ازدهار البلاد واتحاد العباد.. نحن نحتاج إلى العلم والمعرفة فهي أساس الحضارة والرقى؛ ولا يزال داعي الإسلام ينادي ويستغيث من شدة الحزن والأسى الروحي والنفسي بصوت مرتفع، [وهو يترنم بهذا البيت من الشعر]:

(دلم گرفته بحدّی که میل باغ ندارم
به قدر آن که گلی بو کنم)^(١) دماغ ندارم)^(٢)

بمعنى أنه يجب العمل أولاً على معالجة الإنسان من انقباض صدره، ثم في التكيّف^(٣) مع المناطق الرائعة والمناظر الجميلة والمشاهد الخلابة؛ فيا ليتني لم أرَ مثل هذا المنظر البديع؛ فيذكرني ذلك بغربة الإسلام وتكدر الوطن.

وفي هذه الأثناء ارتفع صوت أذان المغرب من كل جانب مستهلاً ب(الله أكبر)؛ فقطعنا كلامنا وأسرعنا بالعودة إلى المنزل، وبعد أداء الفريضة، وتناول وجبة العشاء، تحدّثنا ساعة في المسائل العلمية وغيرها حتى غلب علينا النوم.. ثم استيقظنا في وقت السحر، وبعد أداء الصلاة وتناول الإفطار، خرجت بمفردي للتفرّج والنزهة.



(١) في نسخة أخرى: (بچينم گلي)، بدلاً من: (گلي بو کنم).

(٢) المعنى: (ضاق صدري حتى لم أعد أرغب في رؤية البساتين.. ولم يعد عندي مزاج إلى شمّ الرياحين).

(٣) في النسخة (أ): (بتكيف)، وفي النسخة (ب): (به تكليف).

[حوار ديني مع شخص أرمني]

وكانت أفضل مناطق (قصر [شيرين]^(١)) هي تلك التي تحاذي النهر، فارتأيت السير بمحاذاته متجهاً إلى حيث مصبّه، فصادفت هناك خمسة أشخاص متخذين لأنفسهم مجلساً محاذياً وقد انهمكوا بالحديث فيما بينهم، ثم قام واحد من بينهم وألقى التحية عليّ، فرددت عليه التحية، ثم بادرني بالقول:

لديّ مسألة شرعية، وأرجو منك أن تنضمّ إلى مجلسنا هذا لفترة قصيرة. فاستجبت إلى هذه الدعوة الخالصة الصادرة من أخي في الإسلام والوطن؛ فجلست معهم، وكان أحدهم ما انفك يرمقني بنظرات فاحصة ومتلاحقة.

فقال الذي بادرني بالسلام أولاً: سيدي إن هذا الرجل أرمني، وله ثلاثة أيام وهو يصحب هؤلاء الأشخاص المسلمين الذين تراهم هنا، ويثير معهم مساجلات مذهبية، وقد تمكنت حتى الآن من أن أثبت له بالأدلة الوجدانية والفطرية أن تعاليم ديننا المقدس أفضل من سائر الأديان الأخرى، وقد وافقني على ذلك، ولكنني عجزت من الردّ على إشكاليين ما فتى يثيرهما.

وهما أولاً: مسألة شقّ القمر؛ فهو يُنكرها ويقول: لو كان شقّ القمر قد

(١) ما بين المعقوفتين إضافة من عندنا. (المعرب).

حدث حقاً، لظهر ذلك لكل الناس، ولتحدّث عن ذلك المؤرخون في الأمم الأجنبية، ولذكروا ذلك في تواريخهم.

وثانياً: مسألة إعجاز القرآن التي هي من أولى معاجز نبينا [الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)]؛ وذلك لأنه يدّعي أن هذا الكتاب لا يحتوي على غير مجموعة من القصص والحكايات وبعض التعاليم والمفاهيم؛ فأيّ إعجاز أو خرق للعادة في ذلك؟! بل إننا نرى كتب المؤرخين مشتملة على أحداث ووقائع وقصص أكبر وأكثر تفصيلاً من القرآن! وقد عجزت عن الرد على هاتين المسألتين، وما أنا أضعهما الآن على عاتقكم.

فقلت له: أشكرك كثيراً، وأنا على أتم الاستعداد لخدمة الإسلام وأتشرّف بذلك. ثم توجّهت إلى الشخص الأرمني بالقول: حسناً، هل لك أن تذكر لي ما هي معجزات نبي اليهود؟

فقال الأرمني: إن أعظم معاجزه عصاه التي كانت تشتمل - عند الحاجة - على الكثير من الخصائص؛ إذ تنقلب في بعض الحالات إلى ثعبان، وتنقلب في بعض الأحيان إلى شجرة ذات ثمار متنوّعة.

فقلت له: وما هي معجزة نبيكم؟

فقال الأرمني: إن لنبينا الكثير من المعجزات، ولكن أعظمها إحياء الموتى ومعالجة الأمراض المزمنة.

فقلت له: هل تعرف السبب في اختصاص النبي موسى بمعجزة العصا، واختصاص النبي عيسى بمعجزة إحياء الموتى؟

فقال الأرمني: كلا، لست أعلم.

فقلت له: اسمع مني إذن، حتى تحصل على جواب ما أشكل عليك علمه..

فأولاً: من المعلوم بالوجدان أن صاحب كل علم وحرفة، إذا أراد أن يثبت لنظرائه قدرته وسعة علمه، وجب عليه أن يجترح لهم ما يتناسب مع

العلم والفن الذي يتخصص فيه؛ من ذلك أن الطبيب - مثلاً - إذا أراد أن يثبت أعلميته وأفضليته على نظرائه وأقرانه وأن يؤكد تغلبه عليهم، وجب عليه أن يجترح لهم لوازم علميات وعمليات الطب؛ بحيث يعجز سائر الأطباء عن الإتيان بمثل تلك الأمور العملية والعلمية، ليدعوا له بالأولوية ويشهدوا له بالصدق فيما ادعاه. ولا يمكن للطبيب أن يثبت جدارته في الطب ويغدو رئيس الأطباء، بواسطة علم الحساب والهندسة أو معرفة الكثير من اللغات، أو بواسطة العلوم الأخرى. ومن هنا حيث كان السحر هو الشائع في عصر النبي موسى عليه السلام، وكان السحرة منتشرون في كل مكان، وكانوا يأتون بما تقف معه عقول العامة من الناس، وكان عامة الأشخاص ينبهرون بأعمالهم حتى أنهم كانوا يرونهم قادرين على فعل كل شيء، ولا يخطر في بالهم أن هناك من يستطيع أن يقهر ساحراً.

ومن هنا فإن الله سبحانه وتعالى - وهو الحكيم المطلق - قد أكرم نبيه موسى عليه السلام بمعجزة العصا، وجعلها مصدراً لاجتراح الخوارق والمعجزات التي يعجز السحرة عن الإتيان بمثلها، كي يقرّوا له بالصدق ويؤمنوا برسالته؛ كما ظهرت هذه المعجزة على بني إسرائيل وعلى الأقباط في قوله تعالى: ﴿فَأُلْقِيَ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾^(١)، واعترف السحرة بعجزهم: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾^(٢)، ثم آمنوا جميعهم بصدق كلام النبي موسى عليه السلام وأعلنوا عن إيمانهم وإذعانهم لشريعة موسى؛ إذ ﴿قَالُوا ءَأَمَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾^(٣). وحيث رأى الآخرون - من الذين كانوا يعتبرون أن السحرة هم أهل الحل والعقد، وأن بأيديهم حلّ جميع المعضلات، وأنهم مصدر الخوارق والمعجزات - عجز السحرة

(١) الأعراف (٧): ١٠٧؛ الشعراء (٢٦): ٣٢. وانظر أيضاً: الشعراء (٢٦): ٤٥.

(٢) الشعراء (٢٦): ٤٦. وانظر أيضاً: طه (٢٠): ٧٠.

(٣) الأعراف (٧): ١٢٢؛ الشعراء (٢٦): ٤٨.

واستسلامهم للنبي موسى، سارعوا إلى اعتناق شريعة النبي موسى عليه السلام وصدّقوا برسالته.

وهكذا الأمر بالنسبة إلى عصر النبي عيسى عليه السلام أيضاً؛ فحيث كانت الغلبة للحكماء والأطباء، وحيث كان الأطباء يبهرون العالم بواسطة معالجاتهم للأمراض الغريبة بمهارة وحذق، كانت معجزة نبيكم تتلخّص في معالجة الأمراض المزمنة وصولاً إلى إحياء الموتى. وهكذا فقد عجز جميع الأطباء في عصر النبي عيسى عليه السلام عن الإتيان بمثل معجزته، وتعدّر عليهم مجاراته.

ولو كتب للنبي عيسى عليه السلام أن يجترح في عصره معجزة النبي موسى عليه السلام، فحيث أن الأطباء والحكماء لا يتقنون هذا الفن؛ لما آمنوا به ولما صدّقوا برسالته، ولا اعتبروه مجرد شخص ساحر ومشعوذ لا أكثر.

ومن هنا حيث كان السائد في عصر خاتم الأنبياء محمد بن عبدالله - صلى الله عليه وآله وسلم - هو فن الفصاحة والبلاغة؛ حتى كان هذا الفن يعدّ وسيلة للتفاخر والتباهي، وكانوا يعدّونه شرفاً عظيماً، وكان كل واحد فيهم يطمع في أن يأتي بمقالة أو ينشد قصيدة في الشعر، فيبهر بها الشعراء والبلغاء؛ فتنال شرف التعليق على جدار الكعبة، ولما سطع نور النبي الأكرم صلى الله عليه وآله على الوجود، بعثه الله سبحانه بالنبوة وله من العمر أربعين سنة، وحيث قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾^(١)، فقد كان نبي الإسلام يتكلم اللغة العربية على أتمّ الفصاحة والبلاغة، وكانت أولى معاجزه متناغمة مع فن لا يبرع فيه غير العرب؛ فأظهرها لهم من عالم الإمكان بما يتناسب مع المقام، وقال لهم بلسان

فصيح : ﴿قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾^(١).

وما إن بلغت فقرات هذه الآيات مسامع فصحاء العرب، حتى هبوا إلى معلقاتهم ونزعوها من جدار الكعبة، وعادوا مجللين بالعار والخجل.

وقد عقدوا من أجل مبارزته فيما بينهم الندوات والمؤتمرات، ولكنهم كانوا كلما حاولوا مجارات آية من القرآن نكصوا على أعقابهم وزادت حيرتهم، وكانت كل واحدة من الآيات التي تنزل على رسول الله تأخذ بمجامع قلوب طائفة منهم؛ فتأتي طائفة ومنقادة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله تعرض عليه إسلامها وتعاهده على السمع والطاعة، وكان بفضل قوله تعالى : ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولُوا أَلْبَابٍ﴾^(٢) أن جاء آلاف العرب ليعلموا الطاعة لرسول الله وعاهدوه على امتثال أحكامه وتعاليمه. وبذلك فقد تمكن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله - بواسطة هذه الحروف التي تبدو في ظاهرها من أدنى كمالات البشر - من ترويض القساة والمتكبرين من عرب الجاهلية وباختصار فإن المعجزة الوحيدة - التي تكفلت بتذليل قياد عتاة العرب وجعلت منهم محوراً لقيادة الإسلام - هي هذا القرآن.

هذا وقد اجترح النبي الأكرم صلى الله عليه وآله معجزات أخرى أيضاً، بيد أن أعداءه - من الذين كانت لهم الرئاسة والمنزلة الكبيرة بين العرب - صوّروا هذه المعاجز في أعين تلك البهائم بوصفها مجرد سحر، وبذلك فإنها لم تُجدِ نفعاً كبيراً في هداية أصحاب تلك القلوب القاسية. ولكن حيث كانت الفصاحة والبلاغة من الوجدانيات، ولم تكن وجوه إعجازه تخفى على أحد من العرب، فقد كان الجميع بمجرد الاستماع إلى آياته يقرّون قولاً واحداً بنبوّة ذلك الوجود الفرد الأوحّد؛ فهل ترى أن النبي الأكرم

(١) الإسراء (١٧) : ٨٨.

(٢) البقرة (٢) : ١٧٩.

صلى الله عليه وآله جاء بالقرآن الكريم؛ ليكون معجزة بالنسبة إلى أتباع الديانة الزرادشتية والمسيحية والمجوسية واليهودية؟! كلا طبعاً، وإنما كان يظهر لكل واحد ما يناسبه، وعليه فمن الطبيعي بالنسبة لك أن لا تدرك معنى إعجاز القرآن الكريم؛ فحيث لا يكون بمقدورك تمييز الفرق والاختلاف بين معنى كلمة (قم) و(إجلس)؛ أنى لك أن تميّز مواطن الفصاحة والبلاغة في هذا الكتاب السماوي؟! إن طرق العثور على مواضعه ومعاجزه - الخارجية عن حيّز إمكان البشر - لا يعرفها غير بلغاء العرب وفصحائهم، وقد عجز هؤلاء حتى الآن عن الإتيان بمثله، وبركة هذا الكتاب المقدس لم يخرج حتى الآن أي واحد من عقلاء المصريين - الذين يحظون بنصيب وافر من عالم الحضارة - من دائرة الإسلام، في حين أنهم كانوا ولا يزالون يختلطون بشكل تام مع البروتستانتين الأمريكيين والأوروبيين، وبطبيعة الحال فإن الماديين عندنا؛ حيث يجهلون هذه النعمة الكبيرة، فمن الطبيعي بالنسبة لهم أن يقولوا بمقالتك؛ وعليه فإنه لا يليق بأمثالنا الحديث عن إعجاز القرآن الكريم؛ وإنما يكفي لإثبات إعجازه بالنسبة لنا أن نجد العرب قاطبة يقولون قولة رجل واحد: (ليس هذا من كلام البشر)!

وأما مسألة شقّ القمر؛ فأولاً من المعلوم بالوجدان أن سكان الأصقاع الأمريكية والجزر الواقعة إلى الشرق من أستراليا بالإضافة إلى عدم المعرفة، لم يكن لهم نصيب من مشاهدة هذه المعجزة السماوية، وذلك بسبب اختفاء القمر عن تلك الأنحاء. كما أن الشعوب الهمجية في الجزر الواقعة إلى الغرب من أستراليا وأفريقية، لم يكن بوسعها أن تدرك هذا الأمر الخارق بدورها أيضاً، بل إن إدراك القروء في الوقت الراهن أكثر من إدراكهم في تلك الحقب الغابرة؛ وعليه إذا كانت هذه القروء عاجزة عن إدراك اختلال الحالات في العالم السفلي؛ فأنّى لها أن تدرك الأحداث المتحققة في الأجزاء العلوية؟! وفي تلك العصور كان المتحضرون

والمؤرّخون في الأقاليم السبعة المعروفة، ينحسرون في عدّة مناطق، ومن بينها الأجزاء الجنوبية والشرقية من أوروبا، والأجزاء الشمالية والشرقية من أفريقية، والجزء الأكبر من آسيا، وقد انتشر الإسلام وعمّ جميع هذه المناطق في فترة وجيزة، وبالإضافة إلى المؤرخين من المسلمين الذين أثبتوا هذه المعجزة حيثما كانوا، فإن قوافل التجار قد تحدّثوا عن هذه الواقعة لدى منصرفهم من مكة إلى جميع البلدان التي جاؤوا منها. ونحن نفترض أن هذه المعجزة المخالفة للطبيعة قد شوهدت فور وقوعها من قبل جميع الأمم الأجنبية وتمّ تدوينها. إلّا أن الشيء الوحيد الذي من شأنه أن يدفع إشكالكم ويثبت ما ندعيه هو أن مشاهير الحكماء في الإسلام حيثما كانوا قد علموا أن (شقّ القمر) معجزة مؤسس الشريعة الإسلامية، وأنها برهان على أحقيّته وصدقه؛ وعليه فإن الرائي والكاتب لا يخلو أمرهما من إحدى حالتين: إما أن يكونا منصفين وإما أن يكونا معاندين؛ فإن أنصفوا أسلموا، وإن أسلموا سوف يكونون من مؤرخي الإسلام، وأما إذا اختاروا العناد، فمن الطبيعي أنهم سوف ينكرون هذه المعجزة؛ ومن هنا فإنهم بالإضافة إلى أنهم لن يُطلعوا أولادهم وأحفادهم على هذه الحقيقة، سوف يبادرون كذلك إلى إخفاء وإتلاف ما كتبوه، والسلام. وأنت بدورك إن أنكرت مقالتي، فسوف تكون منكراً للوجدان؛ فأطرق الرجل الأرمني ولم ينبس ببنت شفة.

فقال السائل مبتهجاً: فديت لسانك، لقد كنت ملاكاً ناطقاً هبّ لنجدتي، وقد أوشك هؤلاء الرجال أن يقولوا بمقالة هذا الرجل الأرمني!

فقلت له: من الطبيعي أن لا يميّز العامّة هذه المسائل، ولكنني أرجو أن لا ينسوا هذا الكلام لاحقاً؛ إذ أن هاتين المسألتين تشكّلان الآن موضع طعن المعاندين من الأمم الأجنبية ومن الماديين والدهريين من أبناء بلدنا؛ في حين أن إثبات أحقية الدين الإسلامي الحنيف لا يتوقف على هذه المعجزات؛ وإنما يكفي لإثبات صدق وأحقية هذه الشريعة المقدسة أن نعلم

أن نبينا الأكرم محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله، كان يتيم الأبوين، ولم يحضر درساً عند معلم ولم يختص بتربيته مؤدّب، وكان مع ذلك قد نشأ وترعرع بين جماعة من الأعراب الأجلاف، الذين لم يكونوا يعرفون من الحضارة والمدنية سوى الأكل والشرب والنوم، وذلك على أسوأ أشكالها، وقد رحل عن الدنيا بعد أن امتدّت نبوته لثلاثة وعشرين سنة، وعلى الرغم من انعدام الأسباب وعدم توفر الأدوات الحديثة، ترك لنا من الأحكام والتعاليم ما لا يمكن لآلاف العلماء أن يأتوا بمثلها، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً؛ حتى قال عنه العلماء والمفكرون في جميع البلدان: إنه العقل الكل، وواضع القانون الأكمل، وإنه الحكيم الأول، وأضحت تدابيره وتأسيساته الحكيمة ثروة للعقلاء في أوروبا وأمريكا.

نغار من كه به مكتب نرفت و خط ننوشت

بغمزه مسأله آموز هر معلم شد^(١)

في حين أننا نحن معاشر المسلمين في غفلة من هذه الناحية.. إن النبي عيسى عليه السلام الذي نؤمن به نحن أيضاً ونعتقد بأنه من الأنبياء المرسلين من عند الله سبحانه وتعالى، عندما أضاء العالم بنور مولده، كان الحكماء الكبار من أمثال أفلاطون وأرسطو وجالينوس وغيرهم من الحكماء قد عملوا على تطوير أغلب نقاط العالم، وكان هذا النبي قد ترعرع في أحضان ذلك العالم، وتربى في كنف الأنبياء الآخرين من أمثال النبي زكريا عليه السلام، ومع ذلك كان علماء النصارى يجتمعون من حين لآخر، ويعملون على تغيير

(١) هذا البيت من قصيدة للشاعر الفارسي الشهير شمس الدين محمد حافظ الشيرازي المعروف بـ(لسان الغيب)، وقد نظم هذه القصيدة في مدح رسول الله صلى الله عليه وآله، والمعنى: (لي حبيب لم يتعلّم في مدرسة ولم يكتب خطأ.. ولكنه أضحي برمشة عين معلماً لجميع المعلمين).

الشريعة وتبديلها على وفق ما ترتأيه وعقولهم ويراه تدبيرهم، وها نحن اليوم نشاهد عياناً أن البروتستانت يعقدون مؤتمرات دورية من حين لآخر بعد مضي عدّة سنوات، ويضيفون بعض القوانين على أحكامهم السابقة اعتماداً على مدركاتهم، ومع ذلك لا تزال جميع القوانين والتعاليم الأساسية في شريعتهم الراهنة ناقصة، وهي تعاني على الدوام من بعض القوانين العلية، غافلين عن أن الشريعة الحقيقية المقدّسة للسيد المسيح عليه السلام إنما كانت نافعة لمرحلة ما قبل ظهور شريعة الإسلام فقط، وإن الشخص الفطن لو قارن ما بين قوانينهم الحالية والأحكام الأولى للديانة المسيحية ودقّق فيما بينهما، سوف يدرك أن أغلب القوانين الجديدة التي تنسب إلى النبي عيسى عليه السلام إنما هي مسروقة من أحكامنا الأساسية، كما أن الإنجيل الموجود حالياً - والذي يعدّونه كتابهم المقدّس - إنما تمّ تأليفه بعد النبي عيسى عليه السلام بقرنين من الزمن أو أكثر، ولم يكن السيد المسيح عليه السلام يقر شيئاً من هذا الإنجيل المنتحل ولا من الأحكام الحالية الموضوعية فيه، ولو كان عندي ما يكفي من الوقت؛ لبيّنت لكم تفصيل ما نهبوه وسرقوه من شريعتنا المقدّسة، ولكنني أستمحكم عذراً، وأستودعكم الله.

قال السائل: سيدي لقد أزعجنا سماحتكم، الحق أنكم قد نفختم روحاً جديدة في أجسامنا.

فقلت له: بل إنني أشكر الله على حسن حظي وسعادتي أن وفقني إلى مساعدة ونجدة أبناء جلدتي وإخوتي في الدين والوطن.. شكر الله سعيكم.



[على ضفاف النهر]

اكتفيت بهذه المشاهد الروحانية، وعدت أدراجي إلى ناحية المنزل.. ولما وصلت رأيت رفاقي قد همّوا بالخروج من المنزل.

فقلت لهم: خيراً أيها السادة، إلى أين تمضون؟

قالوا: إلى حيث النهر.. فانضمت إليهم بدوري، وسرت معهم حتى استقرّ بنا المقام على شاطئ النهر؛ وهناك قال سماحة الفاضل اللبيب الآغا سيد حسن: إن هذا الماء الرقراق وهذه الخضرة النظرة تشرح الصدر وتفتح الآفاق لقول الشعر، وإن حكاية (خسرو برويز)^(١)، وحكاية (فرهاد وشيرين)^(٢) المعروفتين لهما صلة بهذه المدينة.. ولذلك أرى من المناسب أن ننشد بعض الأبيات بهذه المناسبة.

فقلت له: على الرحب والسعة.

(١) (خسرو برويز) (٥٩٠ - ٦٢٨ م): هو كسرى الثاني أو خسرو الثاني، ويعرف أيضاً بـ (برويز)، بمعنى: (المظفر). الملك الرابع والعشرون في الدولة الساسانية في بلاد فارس، حيث خلف والده الملك هرمز الرابع على العرش. واجه في بداية حكمه تمرداً من (بهرام) اضطر على أثره إلى الهروب نحو روما وطلب اللجوء من قيصر، ثم عاد بحماية قيصر واسترجع العرش من بهرام، وزوجه قيصر من ابنته (مريم)، وأنجبت له (شيرويه) الذي انقلب عليه لاحقاً فسجنه وحلّ محله. كما كان لخسرو زوجة ثانية اسمها (شيرين)، التي أغرم بها (فرهاد)؛ حتى شكلت قصة حبه لها أحد أشهر قصص الحب في الأدب الفارسي، وسوف يأتي الحديث عن هذه الحكاية في هامش آخر من هوامش هذه الرحلة. (المعرب).

(٢) سيأتي الحديث عن هذه الحكاية في هامش آخر.

ثم أخذ كل واحد منا يراعاً وقرطاساً، وسرّحنا النظر في الأفق البعيد، وأخذنا نستشير خيالنا، ولكننا لم نتمكن بعد جهد جهيد إلا من كتابة هذا المصراع: (بقصر شیرین ألا دمي بعبرت نگر..)^(۱)، ثم أمضينا قرابة نصف ساعة نشحذ الفكر والخيال، ويشجع بعضنا بعضاً ولكن دون جدوى، حتى عجزنا عن إكمال البيت، في حين كان بمقدور كل واحد منا أن ينظم في ساعة واحدة ما يزيد على الأربعين والخمسين بيتاً.. وفي نهاية المطاف نال التعب من كلينا، وصرفنا النظر عما كنا بصده.

ثم قال السيد حسن آغا: إذن هل لك - في الحد الأدنى - أن تقرأ علينا شيئاً من منظومك القديم في الغزل، لكي نتدارك ما فاتنا من النظم الجديد؟.. فقلت له: رغم أن نظم الغزل لا يُناسب أمثالنا، ولكن [كما يقول المثل] (عند الأحباب تسقط الآداب)، ولأنني أراك ضائق الصدر، سوف أنزل عند رغبتك.

(س)

- | | |
|----------------------------------|---|
| ای دیدنت آسایش دل های رمیده | خندیدن تو آفت جان های خزیده ^(۲) |
| بالا و قدت قامت شمشاد شکسته | اندام مهت پرده ی احباب دریده ^(۳) |
| پیران رخت را بنمائی قد و بالا | یک باره شود راست کمرهای خمیده ^(۴) |
| از دیده ی لطف ار گذری جانب محبوب | اقدام تو را جای دهد بر سر و دیده ^(۵) |
| هرکس دو چشم و حرکات تو به بیند | گوید که ز چین آمده آهوی رمیده ^(۶) |

(۱) المعنى: (انظر لحظة إلى قصر شیرین بطرفك معتبراً..).

(۲) المعنى: (يا من رؤيته تسكن القلوب الوالهة.. وابتسامته آفة الأرواح الزاحفة).

(۳) المعنى: (قامتك المديدة أزرت بقامة السرو.. ونور وجهك شقّ ستائر الأحباب).

(۴) المعنى: (إذا أظهرت حُسن وجهك للطاعين في السن.. سوف تستقيم قاماتهم المحدودة).

(۵) المعنى: (لو تكرّمت ومررت على منزل المحبوب.. سوف يضع أقدامك على رأسه وعينه).

(۶) المعنى: (كل من ينظر إلى عينيك وانعطافتك.. يخالك ظبية نافرة عادت من المشرق).

- این حسن و جمال و خط و خالی که تو داری گویا که تنت در بر فردوس چریده^(۱)
هرگز نرهد تا ابد از هستی مستی یاری که ز لب های تو يك بار مکیده^(۲)
از کوثر فردوس چشیدن نتواند محبوب تو گر آب دهان تو چشیده^(۳)
فریاد ز هتك خم گیسوی بلندت که از قلب حرم باز کشد صید خزیده^(۴)
بیداد ز هجران تو اي سرو خرامان باز آی و بیارام تو دل های طپیده^(۵)
در وصل تو بی پایه شدم شهره ی آفاق گرگ دهن آلوده و یوسف ندیده^(۶)
قصد عسل روی تو کردیم و لیکن نا خورده عسل گشتیم زنبور گزیده^(۷)
بی نور شده دیده اش از گریه (سلیمی) آخر نظری سوی من ای نور دو دیده^(۸)

[ثم قلت له بعد أن فرغت من قراءة هذه الأبيات]^(۹): أيها السيد يحرم علينا قراءة الغزل بعد هذا.. إن الشعوب في جوارنا الجنوبي تريد غزلاً يقترب أبداً بارتشاف كأس الوصال من يد الكواعب الحسان، ويسعون جاهدين

- (۱) المعنى: (إن الحُسن والجمال والخطوط والخيالان على وجنتيك.. تشي بأنك قد رعيت في أرض الفردوس).
- (۲) المعنى: (لن يُكتب الخلاص أبداً من سكرة الوجود.. لذلك العاشق الذي ارتشف الخمرة من شفتيك).
- (۳) المعنى: (لن يستسيع الحبيب كوثر الفردوس.. إذا ذاق الشهد من رضاب فمك).
- (۴) المعنى: (وا غوثاه من عدوان منحني جدائلك الطويلة.. إذ تقتل حتى الصيد الملتجئ في جوف الحرم).
- (۵) المعنى: (أستعبد من جور هجرانك أيتها الشجرة الميَّاسة.. عودي واسكني في القلوب المضطربة).
- (۶) المعنى: (لقد اشتهرت في الآفاق بوصالك كذباً.. فكنت بذلك الذئب البريء من دم يوسف).
- (۷) المعنى: (لقد دنونا منك لجني العسل من ناظريك.. ثم عدنا وقد أوسعنا لسعاً، دون أن نحظى منك بالعسل).
- (۸) المعنى: (لقد ابيضَّت عين (سلیمی) من كثرة البكاء.. فتحنن عليّ بنظرة يا نور الناظرين).
- (۹) ما بين المعقوفين إضافة من عندنا. (المعرب).

ومن دون ورع في هلاك العاشقين، ويرون لكل عاشق معشوقة ينشد الغزل في هواها.. ولكن لسوء الحظ فإن تلك الكاعب الحسناء التي بذلنا الغالي والنفيس في تصوّر وصالها، تلهو الآن بين مخالب الوحوش، وإن جدائلها المضمخة بالعنبر في تناول الأجانب، ولماها العذبة مرتشف للغرباء، وبدر طلعتها شمع مجالس الأجانب، وإن خالها الأسود لمؤشر على شرارة مدفع، وإن لحظها الذي يحاكي لحاظ الأطباء أضحى منظاراً لأوروبا، وإن شعاع وجنتها أصبح ترياقاً لأمريكا.

(س)

آن لعبت عيار كه در دامن ما بود افسوس كه اكنون بر اغيار نشسته^(١)
شوخي كه بدي شمع حرم خانه اسلام در مجلس بتخانه كفار نشسته^(٢)

إيه! ليت أمّ الكون لم تلدني.. وليتني كنت مثل الأطفال؛ حيث لا أدرك
حُسن وقبح هذا العصر، فلا أرى أرض الإسلام ومملكة الساسان، ملعباً
تجول فيه خيول الأجانب بسنابكها.

كاش گشوده نبود چشم من و گوش من كه آفت جان منست عقل من و هوش من^(٣)

إن حبّ الوطن الذي هو من سجايا الصالحين والأبرار، والذي كان
بمنزلة (أساس السعادة) لنا قد تركناه جانباً للأسف الشديد، وإن ثروات
بلادنا أضحت منجماً لرقّي وازدهار الأمم الأخرى؛ وعليه فإن اليوم هو

(١) المعنى: (إن تلك اللعوب التي كانت بأيدينا.. أسفاً فقد أضحت اليوم تقيم في مرابع الغرباء).

(٢) المعنى: (الغادة التي كانت شمعاً في حرم بيت الإسلام.. تجلس الآن عند الكفار في بيت الوثن).

(٣) المعنى: (ليت أذني أصيبت بالصمم، وليت عيني أصيبت بالعمى.. إذ أن عقلي وإدراكي هو آفة روجي).

وقت عزائنا الذي لم يترك لنا وقتاً لنظم الأشعار والغزل، واليوم هو يوم
مأتمنا وليس يوم فرحنا؛ فقد أضحى حبيبنا القديم عرضة للأجانب والغرباء.

سعديا روي دوست نا دیدن به که دیدن میان آغیارش^(١)

وحيث خيّم علينا سحابة من الحزن والكمد بسبب استحضر الأوضاع
البائسة التي يعيشها الدين والوطن، برحنا المكان ولم تعد لدينا رغبة في
مواصلة النظر إلى جمال الطبيعة المائل أمامنا.

گر چنین بگذرد این رشته که من می بینم آه اگر از پی امروز بؤد فردائی^(٢)



(١) البيت من غزل للشاعر الفارسي الشهير سعدي الشيرازي المعروف بـ (الشيخ الأجل) (حوالي
٦٠٦ - ٦٩١هـ)، ومعنى هذا البيت: (أيا سعدي أن لا ترى وجه الحبيب.. خير لك من أن
تراه بين الغرباء). (المعرب).

(٢) المعنى: (إذا سارت الأوضاع على هذه الحالة التي أراها.. فالويل لي إن كان لهذا اليوم
غد)، ويروى هذا البيت عن الشاعر شمس الدين حافظ الشيرازي بصيغة أخرى، وهي: (گر
مسلماني از اين است که حافظ دارد.. آه اگر از پی امروز بؤد فردائي)، والمعنى: (إذا كان
الإسلام من النوع الذي يعتنقه حافظ.. فالويل لي إن كان لهذا اليوم غد). ويقال إن
الحاسدين أرادوا الوقعة بالشاعر حافظ الشيرازي لدى السلطان شاه شجاع، مدّعين أن هذا
البيت صريح في إنكار حافظ الشيرازي للمعاد واليوم الآخر، ولكن حافظ ردّ هذه التهمة عن
نفسه بالإحالة إلى البيت المتقدم على هذا البيت، والذي يقول فيه: (اين حديثم چه خوش
آمد که سحرگه مي گفتم.. بر در ميکده با دف و ني ترسائي) بمعنى: (عجبت لقول نصراني
على باب خمارة ويده دفّ ومزمار في وقت السحر)؛ وبذلك يكون ما قاله نقلاً عن ذلك
النصراني، ومن المعلوم بداهة أن ناقل الكفر ليس بكافر. (المعرب).



[المحطة الرابعة: كرمانشاه]

[المصطفى الرابعة: كرمانشاه]

مضى يومان آخران على هذا المنوال، وفي اليوم الثالث انطلقنا على متن عربة حكومية، وتناولنا وجبة الغداء في رأس الجسر المعروف بـ(جسر ذهاب)^(١)، وعند الغروب بلغنا منزل (بالا طاق)^(٢)، وكان نهر قصر شيرين يصبّ منحدرًا من أعلى الطاق ويمرّ بهذا الموضع، ليقترب بعد مسافة بمجرى ماء آخر يدعى دىالى داخل الأراضي العراقي حيث يروي بمائه المناطق الواقعة في الشمال الشرقي من تلك النواحي ويحولها إلى قطعة من جنة الفردوس، كما يروي توابع مدينة خانقين ورباط شهربان و[يعقوبية]^(٣)، ليصبّ بعد ذلك في نهر دجلة، حتى يجتاز عدّة فراسخ متجهًا إلى الجنوب الشرقي من بغداد.

أخذت أسبغ الوضوء إلى جانب النهر استعداداً لصلاة المغرب والعشاء؛ وهناك لمحت رجلاً طويلاً القامة يتقدّم نحوي من بين عشرة رجال، حتى وصل إلى محاذاتي ثم وقف جانباً، وبعد انتهائي من الوضوء، اقترب مني مسلماً، ثم قال بأدب جمّ:

-
- (١) لا يبعد أن يكون مراده (مدينة سربل ذهاب). وهي من مدن محافظة كرمانشاه، ويبلغ عدد سكانها حالياً أكثر من ٣٤ ألف نسمة من الشيعة والسنة والياراسانية (العلوية). (المعرب).
- (٢) (بالا طاق) أو (طاق غرا): معلم قديم يعود إلى الحقبة الساسانية، أقيم على الحدود الإيرانية الغربية لأغراض الرصد والحراسة. وقد ذهب بعض علماء الآثار إلى اعتباره محطة حدودية، حيث يقع على الطريق من (كرمانشاه) إلى قضاء (سربل ذهاب). (المعرب).
- (٣) هكذا في الأصل، والصحيح: (بعقوبة). وقد سبق مثله. (المعرب).

هل تعود هذه العربة لكم يا سيدي؟

فقلت له : نعم.

من أيّ جهة أتيتم؟

قدمنا من (قصر [شيرين])، ونقصد الذهاب إلى (كرمانشاه)؛ فما هي

غاييتكم؟

قال: أنا أعمل مفتشاً في الطرق (المعبّدة)^(١)، وأرغب في مرافقتكم إلى منطقة (بالاطاق).

فقلت: لقد قام المفتشون الإنجليز بتعبيد طرق بهذه الجودة لكم، بغية إصلاح أمورهم وعبور حافلاتهم وعساكرهم، وها أنتم تعترضون طريق العباد وتأخذون من الآتين والذاهبين مبالغ طائلة بذريعة المكوس؟! (عدو شؤد سبب خير أكر خدا خواهد)^(٢)!.. ولكن عليكم في الحد الأدنى أن

(١) في الأصل (شوسه): كلمة فرنسية، وهي تعني في الاستعمال الفارسي: الطريق المعبد بغير الإسفلت، حيث يتم رصفها بالرمل والحجارة الناعمة. (المعرب، نقلاً عن: العلامة دهخدا في كتابه (لغتنامه)).

(٢) المعنى: (قد يصبح العدو سبباً إلى الخير، إذا أراد الله ذلك)، مثل يُحكى في الأدب الفارسي، ويشير إلى أن الأمور كلها تجري بإرادة من الله سبحانه وتعالى، فإذا أراد أجزاها حتى على يد الأعداء. ويحكى أن منشأ هذا المثل يعود إلى رجل صالح اشترى بقرة فطمع بها لص فتبعه لكي يسرقها منه وفي الطريق رأى اللص شخصاً آخر يتبعه؛ فسأله عن شأنه فقال له إنه يريد قتل صاحب البقرة؛ فقال له: إذن غاييتنا واحدة مع هذا الرجل. ولما وصل الرجل الصالح إلى داره كان الليل قد أرخى سدوله، فربط البقرة في الزريبة ووضع العشب لها، وراح إلى داخل البيت كي يتناول عشاءه وينام، وظل الرجلان يتربصان به، وفي الأثناء فكر القاتل في نفسه وقال: ربما أفسد اللص خطتي إن هو سرق البقرة وأحدث ضجيجاً قبل أن أجهز على الرجل!.. بينما فكر اللص بدوره أن القاتل ربما فشل في قتل الرجل وأفسد عليه خطته في سرقة البقرة.. ومن هنا فقد اقترح كل منهما أن يكون هو الذي ينجز خطته قبل الآخر، ولكن النزاع بلغ بينهما حدّ الصياح والتضارب، وحدثت بينهما ضجة استيقظ الرجل الصالح على إثرها، واستنقذ الجيران؛ فهبوا إلى نجدته، فلم يجد اللص والقاتل إلى=

تنفقوا الشيء اليسير من هذه الأموال الطائلة، لصيانة هذه الطريق المعبّدة؛ فلا تعود إلى وعورتها الأولى.

وهنا تأوّه المفتش بحسرة واغرورت عيناه بالدموع، وقال: إيّه.. أيها السيد:

بر احوال آن شخص باید گریست که دخلش بؤد نوزده خرج بیست^(١)

لقد بلغ مقدار المكوس لهذه السنة تسع مئة مليون تومان، في حين بلغت مصارف العمال والموظفين ما يزيد على تسع مئة وخمسين مليون تومان!..

فلما سمعت هذا الكلام منه لم أتمالك نفسي من الضحك!

وقلت له: يا جناب المفتش؛ إذا كان أمر جباية وإنفاق موارد هذه الطريق المعبّدة والمربحة بيد الوحوش القادمين من وراء القارّات، وأمر الإشراف في ذلك واقع على عاتق القروء القادمين من الهند؛ فمن الطبيعي - بعد حصولهم على المنافع العامة - أن تعجزوا عن صيانتها من الأضرار الحادثة.

والموظفون حتماً لا يتجاوز عددهم الخمسين؛ فإذا افترضنا أن الأجور التي يتقاضونها مجموعها خمسين مليون تومان في السنة، فيبقى من المجموع ثمان مئة وخمسون مليون تومان؛ فأين ذهبتم بهذا المبلغ المتبقي؟!

=نجاتهما طريقاً سوى الفرار. فقال الناس للرجل: كيف ظفرت بهما، فقال: لم أظفر بهما، بل هما من أوقعا بنفسيهما، وقال قولته التي ذهبت مثلاً: (عدو شؤد سبب خير اگر خدا خواهد). (المعرب).

(١) يروى هذا البيت من الشعر عن الشاعر الفارسي الشيخ الأجل سعدي الشيرازي بصيغة: (بر احوال آن مرد باید گریست.. که دخلش بؤد نوزده خرج بیست)، والمعنى: (يجب البكاء على وضع هذا الرجل.. فهو يكسب التسعة عشر وينفق العشرين). (المعرب).

وهنا أطرق المفتش حائراً، ثم قال: وهل بيدي حيلة يا سيدي، فأنا أتقاضى على القيام بوظيفتي خمسة وثلاثين تومانياً في الشهر، ولكن الويل من الموظفين الذين [...] ^(١) فإن هؤلاء هم سبب الفساد وخراب الوطن، بل وإنهم هم أساس القضاء على بيضة الإسلام! كن على يقين لو أننا كنا قد جلبنا العمال من أبعد المناطق الأمريكية، وأتيننا بالأحجار من (شبه جزر كامشاتكا) ^(٢) على متن أرقى الزوارق البريدية، وأتيننا بالمشرفين والناظرين من (جزيرة جرينلاند) ^(٣)، لكانت نفقات الصيانة والإصلاح أقل بكثير من المبالغ التي يتقاضاها عمالنا والميزانيات التي تنفق على شراء الأحجار المتوفرة في أرضنا أصلاً، إيه ثم إيه، ماذا بوسعي أن أقول؛ حيث السكوت أبلغ من الكلام!

وفي هذه الأثناء جاء الحوذي بالخيول وصاح على الجميع، فصعدنا جميعاً في العربة؛ ثم انطلقت العربة بنا خبياً، وكان الطريق على مدّ البصر متجهاً نحو الأعلى، ولم يمض طویل وقت حتى أحاطت بنا ظلمة الليل، وكان بصيص نور يترأى لنا من سفح الجبل وهو ينتقل بسرعة من ناحية إلى ناحية أخرى؛ فسألت من معي: ترى ما يكون مصدر هذا النور؟ فإن كان إنساناً؛ فما سبب حركته السريعة من موضع إلى آخر في هذه الحلقة من الليل؟ ثم إن ضوء السراج والشمع لا يكون بهذا الضعف!

(١) الفراغ موجود في الأصل، للدلالة على كلام لا يليق التصريح به. (المعرب).

(٢) (كامشاتكا) أو (شبه جزيرة كامشاتكا): شبه جزيرة تقع في أقصى شرق روسيا بين بحر أوخوتسك والمحيط الهادي وبحر بيرنغ. (المعرب).

(٣) (جرينلاند): جزيرة تابعة للدنمارك تقع شمال شرق كندا، وشمال غرب أيسلندا ما بين المحيط المتجمّد الشمالي وشمال المحيط الأطلسي. وهي تتألف من جزيرة جرينلاند (أكبر جزيرة في العالم)، وأكثر من مئة جزيرة صغيرة أخرى حيث يتواجد سكانها في المستوطنات الصغيرة المنتشرة على طول المناطق الساحلية، وهي تمتلك ثاني أكبر لوح جليدي في العالم. (المعرب).

قال أحدهم: إن الحيوانات الكاسرة كثيرة في هذه الجبال؛ ولا يبعد أن تكون هذه الأنوار مجموعة من الفهود أو النمر التي تقدح أعينها شرراً في الظلام.

وقال شخص ثان: إن أعين هذا الصنف من الحيوانات لا تصدر مثل هذا اللمعان، لا شك في أنها صنف من الأفاعي.

وقال ثالث: كلا، لا شك في أنها من الغيلان؛ ألا ترون كيف أنها تتقاذف مسرعة من موضع إلى آخر؟!

فقلت: ما هذا الكلام أيها السادة؟!.. عن أيّ غيلان وأفانق تتحدّثون؟!.. لا يبعد أن تكون مجرد قطط جبلية.. فقد رأيت الكثير من القطط في الظلام؛ حيث تكون أعينها في الليل مثل النجوم في لمعانها وسطوعها. إن أعين القطط تحتوي على كمية من النور حتى أنها ترى الأشياء في الظلام الدامس بشكل أفضل من رؤيتها لها في ضوء النهار، بل إنها تتأذى من النور الساطع، ولذلك فقد حباها الله - سبحانه وتعالى - بغشاوتين على كلا الطرفين من عينيها؛ حتى إذا ارتفعت الشمس في كبد السماء ونشرت نورها، أسدل ذانك الغشاوان وأحاطا بالعينين حفاظاً لهما من أشعة الشمس، وعند الظهيرة حيث يبلغ ضياء الشمس أعلى درجاته القصوى، لا يبقى لدى القطط من قوة الإبصار سوى درجة واحدة^(١)، ثم تعود - كلما جنحت الشمس نحو الغروب - إلى حالتها الأولى بالتدريج.

وفي هذه الأثناء بلغنا موضعاً شديد التصعيد من الجبل، حتى لم يعد لدى الخيل قدرة على سحب العربة، فترجلنا منها وانتقلنا إلى مقدّم العربة، وأخذ المفتش دور الدليل؛ إذ تنكّب بنا الطريق وقام بهدايتنا إلى قمة

(١) في النسخة (أ): (مقدار (١) باقي ميماند)، وفي النسخة (ب): (مقدار باقي مي ماند).

الجبل؛ وكانت تتناهى إلى مسامعنا الأصوات الصادرة عن الحيوانات الكاسرة المنتشرة في الوديان وقمم الجبال..

تجاوزنا قطع الأحجار الكبيرة في ذلك الظلام الدامس بمشقة بالغة، حتى وصلنا إلى وسط الطاق، فاسترحنا هناك على صخرة، وأخذ المدخنون ينفثون الدخان وهم ما بين من يدخن السجائر وبين من يدخن التبغ بواسطة الغلايين، بينما واصلت العربة تصعيدها فوق الصخور يتناهى إلينا صوت احتكاك عجلاتها بصغار الحجر.. كان المفتش يروي لنا قصصاً عجيبية وغريبة عن الحيوانات والأكراد المفترسين في تلك النواحي، ولا أخفي أننا كنا نستمع إلى حكاياته الصادقة والجميلة بشغف..

بلغت العربة غايتها، فتوقفنا هناك قليلاً لإراحة الخيول، ثم صعدنا في العربة وانطلقت بنا لنواصل المسير، وكانت رؤوسنا تترنح من شدة النعاس وتضرب من حين لآخر بأجزاء العربة.. تناهى إلى مسامعنا صوت صياح الديكة ونباح الكلاب، وصلنا إلى أعلى الطاق، وهناك استبدلنا الخيل.



[الوصول إلى كرمانشاه]

مضينا نواصل الطريق. مرّت عليّ تلك الليلة وأنا في غاية الإعياء والأرق، أدينا صلاة الصبح في (كرند)^(١)، وعلى الرغم من الحر، كان ماء هذه المدينة الجميلة من شدة البرودة؛ بحيث لم نتمكن من الوضوء إلا بصعوبة بالغة.

وبسبب الإعياء وتأثير الطقس القارس الذي شهدناه ليلة البارحة داهمني زكام شديد، وكان هذا الزكام من الشدة بحيث غيّر حالي رأساً على عقب.. طويّنا منازل (نعل شكن)^(٢)، و(هارون آباد)^(٣)، و(ماهدشت)^(٤) في مدّة استغرقت أربع عشرة ساعة، وبعد أن مضت على الليلة الحادية والعشرين

(١) (كرند) أو (كرند غرب): مركز قضاء (دالاهو) من أعمال محافظة (كرمانشاه). تقع هذه المدينة على الطريق بين (قصر شيرين)، و(سربل ذهاب) وصولاً إلى (كرمانشاه) و(إسلام آباد). (المعرب).

(٢) (نعل شكن): قرية صغيرة من توابع مدينة (سومار). (المعرب).

(٣) (هارون آباد): الاسم القديم لمدينة (إسلام آباد) ثاني أكبر مدن محافظة (كرمانشاه) بعد مدينة (كرمانشاه) مركز المحافظة. وكان اسمها قديماً (شاه آباد) أو (شباباد). (المعرب).

(٤) هكذا في الأصل، وعلى الرغم من وجود الكثير من القرى والمدن في إيران بهذا الاسم، ولكن لا وجود لمدينة أو قرية في (كرمانشاه) باسم (ماهدشت)، وإنما توجد فيها قرية (ماهدشت) وهي من أعمال قضاء (كرمانشاه) مركز محافظة (كرمانشاه). وكانت في العصر الأشكاني تعرف بـ (نيسناه)، وكانت تتخذ لصفاء مناخها وعدوبة هوائها ومائها ومراتها؛ موطناً لتربية الخيول الأصيلة. وفي العهد الصفوي أطلق عليها اسم (ماهدشت) وبني فيها منزل شاه عباسي؛ ليكون واحداً من محطات القوافل المعروفة. (المعرب).

ثلاث ساعات دخلنا ولاية (كرمانشاه)^(١)، وفي الليلة الثانية أصبت بنزلة برد قاسية - إضافة إلى الزكام الذي كنت أعاني منه، ولم أكن قد أبللت منه بعد - واستولت عليّ حمى شديدة لازمتني لثلاثة أيام، وعلى الرغم من ذلك لم أراجع طبيباً، وفضلت العمل بالطب النبوي والمأثور عن رسول الله محمد صلى الله عليه وآله، القائل: (المعدة بيت الداء، والحمية رأس كل دواء)^(٢). امتنعت عن أكل أغلب أنواع الفاكهة، وقنعت من ضيافة الأصحاب بتناول الحساء، وشيء من الرز من دون مرق. وفي الليلة الرابعة تعرّقت، وأخذ مزاجي الصحي يسير نحو الاعتدال والتحسّن.



(١) (كرمانشاه) (بالفارسية) أو (كرماشان) (بالكردية): مركز محافظة (كرمانشاه)، وهي تعد من أشهر المدن الثقافية والتاريخية في إيران، وتوسع أكبر المدن من حيث عدد السكان. وكانت تعد العاصمة الثانية للدولة الساسانية، وكانت تعرف في العصور الوسطى بـ(قرمسين) (المعرب).

(٢) ورد هذا الحديث عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بصيغة: (وأعلم أن المعدة بيت الداء والحمية هي الدواء، وأعود البدن ما اعتاد). الخصال، الشيخ الصدوق، ص ٥٢٦.

[في فضيلة الوفاء وقبح الضيانة]

اليوم حيث هو اليوم الخامس خرجت من المنزل لاستنشاق الهواء، واتجهت نحو الساحة الكبيرة، وفي السوق شاهدت على البعد شاباً بدا لي أنه من المعارف؛ فأسرعت نحوه أحثّ الخطى؛ فوجدت أنه السيد [...] ^(١) وهو واحد من أصدقائنا في العتبات [المقدّسة]؛ فألقيت عليه التحية قائلاً: (السلام عليكم)؛ فالتفت نحوي وردّ قائلاً: (وعليكم السلام)، وبعد تبادل التحية وتفقد الأحوال كما هو المتعارف، سألته عن أحوال الأحبة والرفاق؛ فقال لي: الجميع بخير والحمد لله، وهم على ما هم عليه من الوفاء المعهود منهم، باستثناء فلان الذي كان يمتاز من الجميع في فرادته وخصائصه، وكان اهتمامك به متميّزاً؛ إذ خصصته باهتمامك دون سائر الأصحاب، ولكنه سلك طريقاً يجافي الوفاء ويقطع حبل العهود السابقة، وأخذ يجالس فلاناً [...] ^(٢) المعروف بمناوئته لعالم الإنسانية، والذي كنا نعدّه من المناوئين، وقد تناسى أياديكم المتواترة والمتلاحقة عليه بالكامل، وأما الآخرون فهم لا يزالون على العهد في الشاء والصلاح والثبات على الدين.

سأني سماع هذا الخبر واستولى عليّ حزن شديد، فودعت ذلك الصديق الصادق دون إرادة مني، وعدت أدراجي إلى البيت؛ وحيث سبق لي أن سمعت - وأنا في بغداد - طرفاً من جفاء هذا الشخص في الجملة، وقد

(١) الفراغ من الأصل.

(٢) الفراغ من الأصل.

بلغني عموماً ما يؤكد عدم حفظه للوفاء؛ فقد صدّقت بما قاله عنه هذا الرجل، وأيقنت بصحة مقالته؛ فأرسلت له كتاباً بهذا المضمون:

من ندانستم از اول كه تو بي مهر و وفائي

عهد نابستن از آن به كه ببندي و نپائي^(١)

لم يدُر في خلدي أن تتخذ هذه الخطوة المتهوّرة في الجفاء، وأن تورث هذا الفؤاد كل هذا الغم، وأن تزيده كمداً على كمده؛ أنسيت قديم العهد، فاتخذت من الجفاء شريعة ومنهاجاً لنفسك؟! ألم تتعلم بعد قاعدة شطرنج الصداقة، حيث تقحمت في هجوم كثير التعرّج؛ فخسرت فيل سلطان الوفاء، واعتليت سهوة الحصان المتقحّم ليهجم على رأس الهزيمة!.. لو أني لم أحسبك على شاكلة اسفنديار، لما عارضتك مثل رستم بكل قوتي وعدّتي^(٢)، ولولا رؤيتي لمُهرة رستم عصيّة في الصداقة، لما استحسنت الركوب على سهوتها لغرض منازلتك وغربلتك.

(١) البيت من أشعار الشيخ الأجل سعدي الشيرازي، والمعنى: (لم أكن أعلم في البدء أنك عديم العهد والوفاء.. وإن عدم عقد المواثيق خير من نقضها بعد إبرامها).

(٢) في الميثولوجيا الفارسية تقول الأسطورة على ما ورد في الشاهنامه (أو سيرة الملوك) للشاعر الملحمي الفارسي أبي القاسم الفردوسي، أن (غشتاسب) أو (شرويه) أجبر والده على التخلي عن العرش واستولى على تاج المملكة الفارسية بمساعدة من قيصر روما؛ وحيث خاف من نجله اسفنديار أن يقوم بنفس فعلته، كان يرسله إلى شتى الحروب والمهالك بغية التخلص منه ولا ينافس على السلطان؛ إذ المُلْك عقيم، وكان من ناحية أخرى يخشى من علوّ شأن رستم وهو محارب لا يُشَق له غبار من مملكة زابل، فجعل لنجله ولاية العهد واشترط لذلك أن يأتيه برستم مقيداً بالأصفاد، وتقول الأسطورة أيضاً أن اسفنديار قد تمّ تغسيله في ماء مقدس ليُكتب له الخلود، ولكن الخوف الغريزي حمل اسفنديار على إغماض عينيه داخل الماء، فلم يباشرهما البلبل وبذلك أصبحت عيناه مصدر ضعفه، وهنا تلتقي هذه الأسطورة الفارسية بالميثولوجيا الإغريقية وأسطورة عرقوب أخيل وهو سرّ كان رستم على علم به، وقد استغله عندما نازله في القتال، فسدّد ضرباته إلى عينيه حتى تمكن منه وقتله. (المعرب).

اي عهد شكسته وفا داده به باد مادر همه شیر بی وفایی به تو داد
اول تو چنان بدی که کس چون تو نبود آخر تو چنان شدی که کس چون تو مباد^(١)

والآن عليك أن تختار واحداً من أمرين؛ لكي أحدد موقفك منك؛ (فإما
أن أعلمك الوفاء، أو أن أعلم منك الجفاء)، فاختر إما الوفاء وإما الجفاء؛
فإما أن تتعلم مني أو تعلمني.

ولكن من الواضح أنك في الوفاء والفرن مثل (بهرام)^(٢) الذي تخلى عن
سلطان إيران، وصار تابعاً لخاقان سيي الصيت والسمعة^(٣)، سوى أنه كان

(١) المعنى: (أيها الناقض للعهد، والمفرط بالوفاء.. لقد أرضعتك أم الجميع بلبن الجفاء / لقد
كنت في البدء حيث لم يكن هناك مثلك.. ثم صرت حيث لن يكون هناك مثلك). وهذان
البيتان للشاعر ميرزا محمد ولي دشت بياضي، من ولاية دشت بياض من أعمال خراسان،
وهو من شعراء القرن العاشر للهجرة وكان معاصراً للشاه طهماسب الصفوي. مات قتلاً بأمر
من (يقيم سلطان) سنة ١٠٠١ للهجرة، وقيل إن رجلاً من خراسان سأل السلطان يقيم عن
سبب قتله؛ فقال: بلغنا أنه منقبض الصدر منا؛ فخشينا أن يهجونا ويكون في ذلك سبة علينا
يخلدها التاريخ. (المعرب).

(٢) (بهرام) أو (وهرام چوبين) أو (بهرام السادس) (؟ - ٥٩٠ م): قائد عسكري إيراني نجل
(بهرام گشنسب) حارس ثغور الدولة الساسانية في عهد (هرمز)، وكان من أسرة مهران،
وهي واحدة من الأسر السبعة الممتازة في العصر الساساني. ويبدو أنه لقب بـ(چوبين) بسبب
قوامه الطويل وعضلاته المفتولة حتى أصبح في القوة مثل الخشب (چوب). وكان من أمره أن
ادعى أنه ينحدر من السلالة الأشكانية وأنه أحق بالسلطة من غيره، حتى أنه قاد تمرداً
عسكرياً ضد (خسرو برويز)، واستولى على العرش باسم (بهرام السادس)، وحكم لفترة
وجيزة (٥٩٠ - ٥٩١ م)، وفرّ (خسرو برويز) إلى قيصر الروم الذي زوجه من ابنته مريم،
وأعانه على استعادة سلطانه من (بهرام)، ولأذ بهرام بما تبقى لديه من الجنود بالفرار نحو
الشرق، ولجأ عند الأتراك؛ حيث لقي حفاوة من قبل الخاقان التركي. وفي النص أعلاه
يعمد مؤلف الرحلة إلى وصف بهرام بالخيانة والتآمر مع خاقان الترك ضد مصالح بلاده،
ويُشبه هذا الصديق القديم في الخيانة ونكث العهود بـ(بهرام). (المعرب).

(٣) لم تذكر المصادر العربية ولا الفارسية اسم هذا الخاقان، بيد أن بعض المحققين يرى أنه
(يون يوليق) أو (دولان خان) أمير خاقانات الشرق، حيث كان يعيش حالة من التنافس مع =

في عدم الوفاء مثل (الخشبة)^(١)، وأنت [في عدم الوفاء] مثل الحديد.
وإذا كان هو في الجفاء عقاباً ملؤه الحقد، فأنت في ذلك صقر.
كلا كلا؛ بل إنه كان تحت ثقل الوفاء خشب، وأما أنت فقد كنت مجرد
قطن، وإنه كان في الرأس إلى الصفاء شحماً، وأنت لست سوى ذنب شاة،
ولو أردت الصدق فإنك في عدم الاستقامة مع الأصدقاء زلق مدهن، وفي
شدّ ظهر الأعداء جوهر أصيل!

وإخواناً حسبتهم دروعاً فكانوها ولكن للأعادي^(٢)
وكأن مهندس الأزل قد صاغ قوام هذا الفذّ كثير الأضلاع، حيث يكون
في الصداقة شديد القلق والاضطراب حيناً، ويسكن حيناً آخر، ويحلّق
حيناً، وفي حين خشبة مسندة!

خديا چرا قرص من شده بُراده شه زين سوارم چرا شده پياده^(٣)
إذن منذ الآن لن أعدك من أصحابي، وسوف أدرجك في عداد الغرباء،
والزيادة على ما تقدم سوف تكون من فضول الكلام.

[التوقيع]: الميرزا حسن

=خاقانات الغرب التركي (خلفاء ساوه شاه)، وربما كان هذا هو سبب احتفائه ب(بهرام)
واستقباله لاجئاً عنده. (المعرب).

(١) في إشارة إلى لقب (بهرام)، حيث كان يلقب ب(بهرام چوبين) (بهرام الخشبة). كما أسلفنا.
(المعرب).

(٢) البيت من شعر أبي الحسن علي بن فضال المجاشعي النحوي، وبعده البيت القائل:
(وخلتكم سهاماً صائبات.. فكانوها، ولكن في فؤادي). انظر: ياقوت الحموي، معجم
الأدباء، ج ١٤، ص ٩٤. (المعرب).

(٣) لم يرد هذا النص في النسخة (أ) على شكل بيت شعر مستقل، كما ورد في النسخة (ب)،
ولم نعثر له على قائل، وعلى كل حال فإن معناه: (ربّاه لماذا انكسر ظهري.. ولماذا ترجل
فارسي عن صهوة جواده).



[المعطة الخامسة: سنقر]

[المعطاة الخامسة: سنقر]

لم يكن مناخ كرمانشاه يناسبني ؛ وقد أثر الطقس في مزاجي حتى لم أجد من نفسي رغبة إلى الطعام، وأمضيت ثمانية أيام بلياليها في غاية الإعياء؛ وقد استقر رأي ذوي الرحم، ودعوة الأصدقاء، ورأي سماحة أخي المقدس على الانطلاق إلى (تبريز) على عجل، ومواصلة الطريق من هناك إلى المقصد.

ولذلك قام سماحة المستطاب الأجل الأكرم عمدة التجار والأعيان (الآغا محمد رضا مسكرأوف) بالإعداد لمقدمات ومستلزمات السفر على الوجه الأكمل، وللحق والإنصاف فإنه قد تكفل بالنصيب الأوفر من مشقة وعناء الإعداد لهذه الرحلة.

انطلقنا في المحامل مع قافلة (الآغا مهدي خان) وهو من الأسر النبيلة في ولاية جيلان، وحيث كان الطريق متضرراً وشديد الوعورة لم تكن تسلكه سوى القوافل. أمضينا الليلة الأولى في قرية (بيستون)^(١).

(١) (بيستون): قرية تقع على سفح جبل بهذا الاسم. ويقع هذا الجبل إلى الشرق من (كرمانشاه) بطول خمسة كيلومترات، وعرض ثلاثة كيلومترات. وتعود أهمية جبل (بيستون) إلى اعتباره من أكثر المعالم الأثرية العالمية شهرة، وقد تمّ تسجيله سنة ٢٠٠٦ م ضمن التراث العالمي لليونسكو باعتباره مزيجاً رائعاً من المعالم الفنية الباقية من عصور إيران التاريخية المزدهرة، ومنها: الأخمينية والإيلخانية والساسانية والمادية، وهو يحتوي على كتيبات داريوش، وأكبر المخطوطات والنقوش الصخرية في العالم والتي يعود تاريخها إلى ما قبل أكثر من خمسة قرون قبل الميلاد. (المعرب).

[العزاء على الإمام الحسين عليه السلام وأهميته]

كأن هذه الليلة كانت هي الليلة الأولى من شهر محرّم الحرام؛ فقد اتشح الكل بالسواد، حيث لبس جميع السكان هناك ثياب الحزن، وقد شغلهم العزاء على الإمام أبي عبدالله الحسين - أرواحنا فداء - وكان كل واحد منهم يعبر عن حزنه وجزعه بعيون عبرى وصدور حرى، ولم يبق في الواقع الراهن من العالم الإسلامي والآثار التي تعدّ من مصادر رقيّ الإسلام والمسلمين سوى هذه الشعيرة الفدّة، التي يمكن للإنسان أن يضمن بها دنياه وآخرته؛ فأسأل الله الحنان والمنان أن يدخل السعادة والسرور على الأرواح الطاهرة لملوك وسلاطين آل بويه (الديالمة)^(١)؛ حيث أسسوا لهذه النعمة الخالدة، وتركوها ذكرى للأجيال اللاحقة، ومنذ أن أسس هؤلاء الأبرار من

(١) (البويهيون) أو (بنو بويه): سلالة من الديلم حكمت غرب إيران والعراق ما بين عامي: (٩٣٢ - ١٠٦٢ م). ينحدرون من أعالي جبال الديلم ويُرجعون نسبهم إلى ملوك الساسانية. استمدوا اسمهم من (أبي شجاع بويه) الذي لمع اسمه في عهد الدولتين السامانية ثم الزيارية. استطاع ثلاثة من أبنائه الاستيلاء على السلطة في العراق وفارس. وخلع عليهم الخليفة العباسي ألقاب السلطنة، ومن ملوك هذه السلالة: (عماد الدولة)، و(حسن ركن الدولة)، و(أحمد معز الدولة)، ومن بين أهم ملوك هذه الأسرة: (علي بن خسرو عضد الدولة). تصارعت فروع الأسرة لاحقاً فعمت الاضطرابات أرجاء الدولة، وانقسمت الدولة إلى فرعين واحد في العراق وآخر في كرمان. وقد قضى الغزنويون على فرع البويهيين في الري، ثم أنهى السلاجقة ما تبقى من دولتهم وحلّوا محلّهم في بغداد. وظل آخر فرع لهم يحكم في كرمان حتى سنة ١٠٦٢ م. (المعرب).

الملوك الصالحين أساس مواكب العزاء على سيد الشهداء عليه السلام، أخذت الأمة الإسلامية - ولا سيما الفرقة الاثني عشرية - تشق طريقها نحو الرقي والازدهار والتكاثر، حتى تمكنوا في فترة وجيزة من حيازة قصب السبق من جيرانهم، وظهروا إلى العالم بكامل الشوكة والاعتدار، ولذلك أخذوا يعملون بكل جدّ ونشاط من أجل تدارك ما فات في الأيام الغابرة؛ حيث رزحوا لفترات طويلة تحت نير سلطة الأجانب والغرباء، وهم يحملون على أجسادهم وأرواحهم سياط الذل والمحن، فصاروا اليوم ينشرون بريق العزة ولواء الشرف والاستقلال بفضل هذه السلالة الملكية.

ولو لم يكن هذا النهج من نشر الدين ومراسم العزاء قائماً، لربما لم يُكتب الخلود لأسماء الصالحين والأبرار من الحكماء والملوك، بل لأمضيئنا حياتنا في هذا العالم وفي الأطراف والأكناف حتى الرمم الأخير في مزيد من الذل والهوان.. وفي الآونة الأخير حيث نبذنا طريقة ذوي الهمم من أولئك الملوك في سياسة وإدارة الدولة والمملكة، أضعنا العمل بالقوانين والتعاليم الأساسية للشريعة الإسلامية، وأضحّت مملكتنا وبلادنا الحبيبة - للأسف الشديد - ساحة تجول فوقها سنابك خيول الأقربين والأبعدين، ولا زلنا نعاني من الضربات القاسية لبلدان الجوار. ومع الأسف فإن خمرة الغفلة قد أسكرتنا وسلبت منا الوعي والإدراك إلى الحدّ الذي لن نستفيق معه من هذه السكره، ولن نستعيد رشدنا إلى الأبد.

ولو أمعنا النظر سوف ندرك أننا نمتلك مثل هذه الثروة التي تشكل مصدراً للرقي والازدهار وأساساً للشوكة والاعتزاز، وسوف نعلم أن إقامة المآتم والتعازي على سيد الشهداء عليه السلام بمنزلة سدّ ذي القرنين^(١) في

(١) (ذو القرنين): من الشخصيات التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، والتي كثر الاختلاف بين علماء الإسلام حول تحديد هويته، ولكن يمكن تحديد صفاته في ضوء ما ورد عنه في القرآن الكريم: إنه كان يتمتع بصفات ممتازة، من قبيل: إنه كان رجلاً مؤمناً تجلت فيه صفات=

مواجهة هجوم يأجوج ومأجوج^(١).. إن المآثم هي التي تجعل ملايين النفوس من الهند تهفو إلينا، وإن هذه المآثم هي التي تدخل في كل عام آلاف البوذيين والهندوس إلى دائرة الإسلام.. إن هذه الحركات الجنونية للمعزّين من أصحاب المآثم هي التي أدهشت كبرياء الأجانب.. وإن هذه الحالة المجنونة من مواكب عزائنا هي التي أعجزت عقلاء الأجانب.. وإن مواكب العزاء وهذه المآثم هي التي وقفت سداً منيعاً أمام تبشير القساوسة وإنفاق الأموال الطائلة من قبل البروتستانت والكاثوليك، وإلا لما بقي حتى الآن من أثر لإيران والإسلام.

وإن (المتفرنجين)^(٢) من إخواننا في الوطن الذين يعتبرون العزاء على

=التوحيد والعطف، والتزام طريق العدل، وإن الله قد مكن له في الأرض وهياً له جميع أسباب القوة وجعلها تحت تصرّفه. وقيل في بيان سبب تسميته بذئ القرنين: إن ذلك يعود إلى وصوله إلى الشرق والغرب؛ حيث يُعبّر العرب عن ذلك بقرني الشمس. وقيل: إنه عاش لقرنين، أو حكم على مدى قرنين. وهناك من يعتقد أن تاجه الخاص كان يحتوي على قرنين. وقد تحدّث القرآن الكريم عن كيفية بنائه للسد لتخليص الناس من جور يأجوج ومأجوج، بواسطة صهر الحديد ومزجه بالنحاس وإفراغ القطر عليه؛ بحيث يكون في غاية الصلابة والقوة، وقد شبه صاحب رحلتنا هذه، قوّة وصلابة إقامة المآثم والعزاء على سيد الشهداء عليه السلام بقوّة هذا السدّ الذي بناه ذو القرنين. (المعرب).

(١) (يأجوج ومأجوج): يظهران في الكتب المقدسة العبرية وفي النصوص الإسلامية كأفراد أو قبائل أو أماكن؛ ففي سفر حزقيال يرد ذكر يأجوج بوصفه شخصاً ويأتي ذكر مأجوج بوصفها أرضاً له، وفي سفر التكوين يأتي ذكر مأجوج كشخص دون ذكر يأجوج. وبعد قرون غيّرت النصوص اليهودية عبارة (يأجوج من مأجوج) إلى (يأجوج ومأجوج) مع تعريف يأجوج ومأجوج بوصفهما جماعتين وليس شخصين. وفي القرآن الكريم يظهر يأجوج ومأجوج كقبائل بدائية غير أخلاقية تمّ إبعادها وحظرها من قبل ذي القرنين الذي ورد ذكره في القرآن باعتباره حاكماً وفاتحاً صالحاً، وفي الغالب يتمّ الربط بينه وبين الإسكندر المقدوني. (المعرب).

(٢) نسبة إلى (الفرنجة)، ويريد بهم هنا أنصاف المثقفين الذي يحاولون تقليد الغرب والفرنجة في ظواهر الأمور بشكل أعمى، دون انتقاء الإيجابيات ونبذ السلبيات من الحضارة الغربية. (المعرب)

الإمام الشهيد عملاً وحشياً، لو دققوا النظر سوف يدركون كيف تشير هذه الحركات الوحشية حسد الذين يدعون الانتساب إلى عالم الإنسانية. ورغم أننا لا ننكر أن بعض أصحاب مواكب العزاء يقومون ببعض الممارسات الخاطئة، ولكن الدعوة إلى نبذ هذه الأمور وتركها موكول إلى قاطبة العلماء الأعلام؛ لما تنطوي عليه هذه الأمور من المظاهر التي تتنافى مع الحزن والعزاء، ولا شك في أن العلماء الأعلام وأمناء الإسلام لا يرتضون ذلك؛ إذن يتعين العمل على نبذ هذه المظاهر.



[مراصلة المسير]

لنعد الآن إلى المقصود.. عند الصباح بعد أداء ركعتي فريضة الصبح قربة إلى المعبود الأوحـد، انطلقت بنا القافلة قبل طلوع الشمس.. وهنا انقسم المسافرون إلى قسمين؛ حيث سلك بعضهم ناحية اليمين باتجاه المشرق بعد عبور الجسر الواقع على (نهر بيستون) متجهين إلى الواحة، بينما سلكت مجموعتنا ناحية الشمال.

وهنا أسفرت ملكة الشرق^(١) عن وجهها الباهر من خلف حجابها الأزرق الداكن.. وكانت العيون الرقراقة الصافية تنبجس في كل مكان وهي تصبّ من الأعالي نحو المنحدرات وكأنها دموع العاشقين وهي تطرّز السفوح الخضراء الزمرّدية؛ فتمثلت سفوح الجبال لأعيننا كأنها قطعة من المينا وهي تلمع تلالؤاً على شتى الألوان في مواجهة أشعة الشمس المشرقة، وكانت المياه العذبة تجري في كل مكان حيث تتراقص الرياحين والأقاحي على ألحان سقسقة الطيور المغرّدة.

طوطي شكر شكن بروي درختان بلبل غوغا فكن بشاخ صنوبر^(٢)

(١) يعني (الشمس). (المعرّب).

(٢) المعنى: (غرّد أيها البلبل الصادح فوق الشجر.. واصدح أيها العندليب على أغصان الصنوبر).

ذكر السير جون مالكولم^(١) الإنجليزي في كتابه (تاريخ بلاد فارس): إن رياض الفرنجة وحدثاتها التي تزرع بعناية بالغة ونفقات طائلة ورعاية مضنية وعناء شديد، لا يمكنها أن تضاهي العشب الذي ينبت من تلقائه في هذه الأراضي الخصبة.

ولكن يمكن القول كذلك: إن أفهام ونظريات العقلاء المتمدنين في أوروبا لا يمكنها هي الأخرى أن تضاهي الأفكار الساذجة والبدوية للإيرانيين من سكان الخيام الأميين، ولكن يا حسرة على المريدين والكبار الذين يفتقرون إلى الهمم، حيث هم سادرون في نوم الغفلة، وقد أسكرتهم خمرة الجهل والنفاق، وإلا فإن هؤلاء الذين يسكنون في الخيام هم أنفسهم الذين كانوا يفتخرون على القياصرة والملوك.. وأأسفاه، فإن الذين يمثلون الشعب غارقون في النوم، وهم بجهلهم يخسرون الدنيا والآخرة.

كان طريقنا - خلافاً لهذه المناظر الخلابة - في غاية الوعورة، وكانت سبيلنا ضيقة وطويلة جداً ومتعرجة، وكانت الحجارة غير المتناسقة على امتداد الطريق من الكثرة بحيث كانت تعيق حركة الدواب.. مضى على طلوع النهار ست ساعات، ولم تبد لنا جدران المنزل بعد.. بلغنا موضعاً شديد الضيق، حتى تعيّن على البهائم في القافلة أن تسير متعاقبة خلف بعضها على هيئة قطار، وكان البعير الذي يحمل هودجنا في طليعة القافلة، وقد تعين علينا أن نجتاز مضيقاً شديد الوعورة والانحدار، حتى أن (إله الشر)^(٢) نفسه

(١) السير جون مالكولم (١٧٦٩ - ١٨٣٣ م): جندي وإداري ودبلوماسي ولغوي وشاعر ومؤرخ بريطاني. عمل في إدارة المستعمرات البريطانية. ولد في إسكتلندا، وبعد أن ترك الدراسة حصل على منصب في شركة الهند الشرقية، واهتم باللغات الشرقية، وأتقن اللغة الفارسية وعمل في حقل الترجمة. من مؤلفاته: (تاريخ بلاد فارس). (المعرب).

(٢) في الأصل (أهريمن) في قبال (إيزد) في الديانة المجوسية الثنوية، حيث هناك إلهان؛ إله للخير اسمه (إيزد) أو (يزدان)، وإله آخر للشر اسمه (أهريمن)، وقد يرمز له في الثقافة =

يتعيّن عليه - إذا أراد اجتياز تلك المفازة - أن يلهج باسم الله!.. ترجّل جميع من كان على الهودج المكشوفة والمسقوفة إلى الأرض وسار الناس على أقدامهم خوفاً من هذا الصراط، وأما نحن فواصلنا اجتياز عقباتها بفضل ذكر (توكلت على الله).

وكان بغيرنا الذي يضاهي (رخش)^(١) رستم الجبار في قدرته، يسير بهدوء كامل وثقة تامة مجاناً للأحجار غير المصقولة وغير المستوية، وكانت سائر الإبل تسير على هدي هذا الكائن الأصيل، والحقيقة أن الموضع كان شديد الخطورة، وكنت لذلك أكثر من قول: (يا الله، يا محمد صلى الله عليه وآله، ويا علي عليه السلام).. أخرجت رأسي من الهودج لأرى مدى الخراب الذي ألم بالطريق؛ فهالني المنظر، وصرخت دون إرادة مني: واه واه واه، يا ويلي، يا حاج علي أكبر! هلمّ مسرعاً، ولكن عليك الحذر، هيا احترس!

لقد تقحّمتنا بقعة لا يزيد عرضها على ذراع واحد فوق هوة، ولو خطى البعير خطوته الثانية فسوف يقذف بنا إلى هوة سحيقة يزيد مداها على عشرة أذرع، وسوف يرمي بنا فوق أحجار كبيرة وغير مستوية، وكان كل تفكيري مشدوداً إلى سماحة أخي المقدّس، وإلا فقد كان بمقدوري لو حدث مكروه أن أرمي بنفسي وأنجو بفضل الحركات التي تعلمتها في رياضة الجمناستك،

=الإسلامية الفارسية للدلالة على الشيطان، وهذا هو المعنى المراد للمؤلف في النصّ أعلاه. (المعرب).

(١) (رخش): اسم حصان رستم الجبار الأسطوري المذكور في الشاهنامة للفردوسي، وقد تقدم ذكره في قصة اسفنديار. والرخش في اللغة يعني الأحمر المشرب ببياض. ويحكى أن رستم طلب أن يتخذ لنفسه جواداً يستطيع أن يستقيم تحت ثقله؛ فعرضت عليه بأمر من زال جميع الخيول في زابل وكابل ليختار من بينها ما يعجبه منها، وكان رستم يختبر كل جواد يعجبه منظره بالضغط على ظهره، فكان كل جواد ينوء تحت ثقل قبضة رستم وتلتصق بطنه بالأرض، وما استقام تحت قبضته سوى (رخش)، فاختره ليكون جواداً له. (المعرب).

وإن كان لا يمكن النجاة من القضاء والقدر المحتوم حتى لو تشبث بآلاف السُّبُل.

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع^(١)

فقال لي الحاج علي أكبر مبتسماً وهو رابط الجأش: لا تقلق يا سيدي، إن هذا الحيوان بالغ الذكاء والشعور، وهو يعرف طريقه.. وإذا بهذا الحيوان المدرك يستدير بكل هدوء نحو الطرف الآخر، وأنقذنا بذلك من هول تلك العقبة.



(١) البيت لأبي ذؤيب خويلد بن خالد الهذلي، وهو شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام. وقيل إنه قال هذا البيت في قصيدة نظمها بعد رُزئه بأولاده الخمسة، ومطلع القصيدة: (أَمِنْ المنون وريبها تتوجّع.. والدهر ليس بمعتب من يجرعُ). وقبل البيت موضع الشاهد: (ولقد حرصت بأن أدافع عنهم.. فإذا المنية أقبلت لا تُدفعُ). (المعرب).

[غل تبه]

قبل الغروب بأربع ساعات وصلنا إلى قرية (غل تبه)^(١)، لم يكن بمقدورنا العثور في هذه القرية على منزل لإسكان المسافرين، غير خان شاه عباسي^(٢)، وكان هو الآخر عبارة عن خربة معطلة؛ فتركناه واتخذنا لأنفسنا منزلاً في ناحية تحت ظلال الأشجار الوارفة، كانت المياه تجري من ثلاث جهات.. سارع دليلنا علي أصغر إلى إيقاد (السماور)^(٣) بخفة ورشاقة بغية إعداد الشاي، وتعرفت هناك على جميع الأشخاص الذين سوف يكونون رفقتنا في السفر حتى الوصول إلى تبريز، فرداً فرداً، وكان من بينهم: جناب الأجل الأكرم الآغا السيد أحمد الزعفراني، ونجله الآغا السيد علي أصغر، وجناب الكربلائي محمد حسين الأسكوئي، وجناب الكربلائي محمد باقر الحبشي، وجناب الكربلائي الجليل أستاذ علم الأشياء في إحدى مدارس تبريز، وجناب الكربلائي المير باقر، وجناب الكربلائي علي أصغر - وهو

(١) غل تبه أو (گل تپه): من قرى همدان، وقد تحولت الآن إلى مدينة، ويقدر عدد سكانها حالياً بأكثر من (١٨٧٦) نسمة. وفيها الغار العجيب المعروف باسم (غار علي صدر) حيث يقصده السائحون. (المعرب).

(٢) بالفارسية: (كاروانسرای شاه عباسی)، وهي سلسلة من المنازل التاريخية تعود إلى العصر الصفوي، وتنسب إلى الشاه عباس الصفوي، وهي سلسلة من المنازل تقع في طريق الحرير؛ حيث تستخدم لاستراحة القوافل التجارية والمسافرين. (المعرب).

(٣) السماور: وعاء معدني كبير يُستخدم لغلي الماء وتحضير الشاي، وهو شائع الاستعمال في كل من: روسيا وتركيا وإيران.

غير عليّ أصغرنا - وجناب الحاج علي أكبر - وهذا الآخر هو غير اليتيم صاحب الدواب - وكان كل واحد منهم مشغولاً في ناحية بإعداد طعام العشاء. كان الطقس في هذه الناحية معتدلاً، وماؤها عذباً، خلافاً لأهلها الأجلاف وغير المضيافين والمخادعين والفاستدين.



[نقد التقليد الأعمى للغرب]

قُبيل منبلج الصباح شَدَّت القافلة رحالها متجهة نحو (سُنقر)^(١)، سرنا في طريق مخضرة وزاخرة بالعيون والينابيع الصافية والرقراقة. وعند الظهيرة ظهرت لنا جدران المدينة.. كان الحاج علي أكبر اليتيم صاحب الدواب رجلاً واعياً ومدرکاً قد حنَّته الحياة، تقدَّم مني وأخذ بزمام بعيري قائلاً:

سيدي، انظر إلى تلك الناحية. رميت ببصري إلى حيث أشار إلى ناحية اليسار، فرأيت شاباً واقفاً وسط مزرعة.. ثم قال: سيدي، هل ترى هذا الشاب، إنه وأمثاله يحسبوننا وحوشاً، وأنهم هم المتحضرون! وها أنت تراه بأم عينك يبول واقفاً، وعما قريب سيأكل البطيخ بيده النجسة وفي ذات المكان الذي نجَّسه ببولته!.. إن والده الآغا [...] ^(٢) يعتبر من أعيان كرمانشاه، وهذا هو ولده الوحيد، أرسله إلى لندن لتحصيل الزخارف دون المعارف، وبعد أن أمضى ثلاث عشرة سنة هناك، عاد إلى الوطن قبل شهرين، وقد حلَّ في سنقر لغرض الحصول على تمثيل هذه المدينة في المجلس، وقد اختزل دعايته الانتخابية بإعطاء تومان واحد لكل شخص ينتخبه!.. أناشدك الله ما هي الفائدة التي يمكن لإيران والشعوب الأخرى أن تجنيها من علوم ومعارف هؤلاء وأضرابهم.. إنهم بدلاً من أن يعملوا على

(١) سنقر: مدينة تقع في محافظة كرمانشاه، ويقدر عدد سكانها بما يزيد على ٤٤ ألف نسمة.

تشتهر بزراعة عباد الشمس. (المعرب).

(٢) نقاط الفراغ من الأصل.

خدمة الوطن، ونشر الدين والمذهب، وإصلاح الصناعة، وتنظيم الإدارات الحكومية، والنهوض بأعباء الشعب والعمل على ارتقائه وتعزيز أساس الدين والأمانة والأدب والنظافة، لا يحملون من الغرب بضاعة لأبناء وطنهم سوى الأخلاق والعادات القبيحة للفرنجة، بل ويميلون قبعاتهم من باب الغرور والتكبر والتعالي على أبناء نحلته، وكأنهم جاؤوا من تحت الأوربيين ليضيقوا ذرعاً بأبناء جلدتهم؛ في حين أنهم لم يتعلموا من الأوربيين سوى الاستلقاء على السرير بأحذيتهم، والتبول من وقوف، والتبجح ببعض المصطلحات الفجة؛ (أي دو صد لعنت بر اين تقليد باد)^(١)، كما أنهم يقفون أمام المرأة عدّة مرّات في اليوم، ويدهنون وجوههم بأنواع المساحيق الوردية والبيضاء؛ لكي تكتسب وجناتهم صبغة وردية أو يسعون إلى تبييضها.

(١) شطر بيت بيت من قصيدة طويلة لجلال الدين الرومي (١٢٠٧ - ١٢٧٣ م) في ذم التقليد الأعمى، وكامل البيت في (المثنوي المعنوي)، بلفظ: (خلق را تقليدشان بر باد داد.. كه دو صد لعنت بر آن تقليد باد)، وحكايته أن شخصاً كان راكباً على حمار، فصادف في طريقه حلقة ذكر للصوفية، فأسلم حماره إلى شخص في باب التكية ورجاه أن يحرسه، ثم دخل واختلط بجماعة الصوفية في حلقتهم يردد معهم الأذكار والأوراد. وحيث كان الصوفية في فقر مدقع وجوع شديد، فقد أرسلوا من أخذ الحمار من الحارس عنوة ومضى به إلى السوق وباعه هناك واشترى بثمنه ذبيحة، وعاد بها حيث أخذوا ينضجون لحمها على النار حتى بلغ الدخان رائحة الشواء حلقة الصوفية أثناء ذكرهم؛ فما كان منهم إلا أن انتقلوا فجأة إلى ذكر آخر بلفظ: (خر برفت)، أي: (ضاع الحمار) بحماستهم واستغراقهم المعهود، وانساق معهم صاحب الحمار وأخذ يقلدهم في ترديد هذا الذكر الغريب بحماسة أكبر، ولما انقضت حلقة الذكر، وجاؤوا بالطعام وأكلوه وشبعوا بدأوا يتفرقون من المجلس ويخرجون إلى بيوتهم، وخرج صاحب الحمار على إثرهم يلتمس من الحارس حماره، فأخبره الحارس بما كان من أمر الحمار وكيف أخذه منه عنوة؛ فقال له صاحب الحمار: هب أنهم أخذوا الحمار منك عنوة، أما كان بإمكانك أن تأتي إليّ وتخبرني؟! فقال الحارس: بلى جئت لأخبرك، ولكنني وجدتك تردّد مثلهم قول: (ضاع الحمار)؛ فأيقنت أن ذلك كان بعلمك! فما كان من صاحب الحمار إلا أن قال: (خلق را تقليدشان بر باد داد.. كه دو صد لعنت=

وإذا وجدوا في أنفسهم بصيص معرفة، فإنهم - والعياذ بالله - سوف يوظفونها من أجل نهب وسرقة ثروات أبناء وطنهم، ويتطلعون إلى منصب رئاسة العدلية والمالية والبلدية!.. مساكين هم المسؤولين؛ إذ يظنون أن هؤلاء قد لمسوا أمانة الأجانب عن كذب، وتثقفوا بثقافتهم، وإنهم سوف يعملون على توظيف ما وجدوه وتعلموه هناك، وبذلك فهم سيتشرفون بمنحهم أسمى المناصب العالية، في حين أنهم إنما ذهبوا إلى الغرب محمولين على جناح خيانة الوطن، ثم عادوا محمولين على جناحين من خيانة الوطن وخيانة الإسلام! وقلّما شوهد فيهم من يعود إلى الوطن وهو متمسك بتدينه وحبّه للوطن..

إن الأشخاص من الشعوب الأجنبية الذين يأتون إلى السياحة أو للقيام ببعض المهام في البلدان الأخرى، يعملون من أجل رقيّ شعوبهم وأعراقهم على ترويج مذهبهم حيثما ذهبوا، بل يكون كل همّهم منصباً على الإغراء بالآخرين، خلافاً لهؤلاء المفتقرين إلى العيرة والحمية؛ فإنهم للأسف الشديد بمجرد الوصول إلى البلدان الأجنبية، يكون أول همّهم تعلّم لغة الإفرنج، حتى يُتاح لهم مغازلة نساءهم، ويكون أول ما يقومون به أنهم يفرطون بدينهم المقدس ويبيعونه لجلسة سمر هناك، ويخسرون لعبة الجوكان^(١) الملكية الأصلية في ملعب الفرنجة، وبذلك لا يخسرون حبّهم

=بر آن تقليد باد). بمعنى: (ما أهلك الخلق سوى التقليد.. ألا فآلف لعنة على التقليد!) (المعرب).

(١) لعبة الضرب بالصولجان أو لعبة العصا في العربية، أو لعبة البولو في الإنجليزية، أو (الجوكان بالفارسية): من فنون الرياضة الفروسية، وهي من الألعاب الفارسية القديمة وقد اكتسبت حالياً شهرة عالمية، وتعرف منذ القدم بلعبة الأمراء والسلاطين، وكان يخصص لها في بلاد فارس منصب على غرار الوزارات الحالية، فكان هناك منصب الجوكاندار، وقد انتقلت هذه الرياضة من بلاد فارس إلى الهند واليابان والصين ومصر والشام في عهد الدولتين (الأيوبية ثم المملوكية)، ويعود الفضل في إدخال هذه الرياضة إلى الغرب للجند البريطانيين الذين كانوا يخدمون في الهند الشرقية. (المعرب).

للإسلام فحسب، بل تخرج من قلوبهم المسوَّدة حتى العصبية الوطنية أيضاً..
تفّ على هذه الغيرة، وتفّ على هذه الحمية، وألف تفّ على هذه
الدراسة!.. وهنا بلغ الغضب على مزاج هذا الرجل الوطني حتى لم يعد
يعرف ما يجب قوله، فلاذ بالصمت مكرهاً.

فقلت له: أيها الحاج، لا تمتعض، وتحلّ بالصبر، فإن الأمور سرعان
ما تكون عواقبها خيراً، ولكن بعد التمسك بحبال الصبر. أما الآن فتأكد
عندما ندخل المدينة أن يكون الهودج في موضعه!

يمكن للقارئ أن يدرك الحالة التي اعترتني وأنا أستمع إلى لوعة هذا
المكاري الأمي وغير المتعلم، ومع ذلك فهو يحمل هموم الترويج للدين
وازدهار الوطن، وقد اضطرب وضعه بسبب الواقع المزري الذي يعاني منه
المسؤولون، والانحراف الذي سقط فيه المتمدّنون، في حين أن الشخص
الفلاني الذي يتطلع إلى تمثيل الشعب - على العكس من ذلك - لا يسلك
سبيلاً مخالفاً للدين فحسب، بل ويسلك ما يخالف الأدب والمروءة! فهل
يمكن لمثل هذا الشخص - الذي يعجز عن تدبير مصالح نفسه - أن يكون
جديراً بتمثيل جماعة من المسلمين في مجلس الشورى الوطني ويعمل على
إصلاح أمورهم، أو أن يميّز الصلاح من الفساد؟! كلا، كلا أبداً.

آن گس که خود گم است که رارهـنـمـون شـود^(١)

حاشا وكلا، بل إن عصا هذا المكاري الجاهل والأمي أشرف من هذا
المتفرنج، وهو أجدر منه بتمثيل الشعب.. لا شك في أن المجلس والبرلمان
الذي يغدو هو العارف بصلاح المملكة بقوة النقود أو ضرب العصا جدير
بأن يطلق عليه اسم ال...!

(١) لم نقف على قائل هذا البيت، ومعناه: (كيف يمكن للضال أن يكون مرشداً وهادياً
لغيره؟!).

فأيّ فرق بين هذه الدولة والدول المقيّدة؟! أجل إن الفرق القائم هو أن حاكم دولة الاستبداد شخص معيّن يضطر من أجل رقيّ مملكته إلى العمل على تهدئة الشعب وترويع المذهب، إلّا أن هذا الاستبداد الذي يتم صبه على هيئة اشتراط أمراء لا يحصى عددهم ولهم آراء مختلفة حيث يفرطون في الوطن العزيز ويهبونه إلى الأجنبي بسبب التحاسد والتنافس فيما بينهم، كما تضعف القوّة الدينية والعصبية الوطنية يوماً بعد يوم.

عيسى دمي كجاست كه احيائي ما كند^(١)

من المعلوم بالوجدان أن الذي يسافر إلى البلاد الأجنبية مسلماً، سوف يعود مجرداً من الإسلام، وإذا كان وطنياً سوف يعود خائناً لوطنه..

أيها المواطن العزيز، يا من تشدّ الرحال إلى البلدان الأجنبية لتحصيل المعارف وتحسين وضعك، إن كان مقترحك هو اكتساب العلم وخدمة الوطن الحبيب؛ فلماذا تتخلي عن دينك المقدّس الذي هو أساس الرقي والاستقلال، ولماذا تستبدل تقاليد أسلافنا الأبرار بعادات الأجانب القبيحة؟! هب أنك تربيت في أحضان أبالسة الغرب، وأضعت سلوك ملائكة الوطن العزيز، ولكن حيث ترى تقدّم البلاد ورقّي الدولة في رواج الدين ونشر أحكام الشريعة، فعليك أن تتبنى أسلوباً حكيماً، وأن يقوم تدبيرك على دعم التاج والعرش، كي تعمل على بناء بيتك بمساعدة من الأجنبي ونفسك، وأن تعمر البلاد المتداعية والخربة بالطرق الصحيحة، وإذا كنت ترى ازدهار وتقدّم الوطن في همّة الأقران فهناك متسع إلى ذلك؛

(١) البيت للشاعر حافظ الشيرازي، ومعناه: (أين نفس المسيح عيسى عليه السلام.. فينفخ الحياة في أجسادنا؟).

إذ لا يمكن العثور من بين كل خمسة عشر ملايين^(١) إيراني على مئة ألف مثلك في الهمة والمعرفة؛ إن الرقي والازدهار يحتاج إلى ثروة وإلى كثرة. أنى للجندي الذي لا يكون على دينك أن يدفع عنك أعداءك، وأنى للموظفين في الدوائر إذا خلو من حبّ الوطن أن يهتموا بتنظيم الأمور؟!.. ولكن لو ضمنت الطريقة الإسلامية إلى حبّ الوطن، واتخذت من سبيل الدين وسيلة لإدارة الدولة، فعندها ستجد إلى صفك خمسين مليون جعفري أو ثلاث مئة وخمسين مليون مسلم، ويكونون على نفس الرأي الذي تضمّره، وسوف يضحون بأنفسهم وينذرون أرواحهم في مقاتلة الأعداء في سبيل الإسلام.

فلم ننس بعد ذلك المؤتمر الأوروبي الذي عقده من أجل القضاء على الإسلام والمسلمين! ولم ننس وقاحة كبار الوزراء في أوروبا وجراتهم على القرآن الكريم.. فلأيّ سبب تمّ عقد هذا المؤتمر؟ إن هذا المؤتمر كان يهدف إلى القضاء على الإسلام، ويهدف إلى القضاء على بلادنا الحبيبة، وإن هذا الاجتماع يهدف إلى القضاء على شعبنا العزيز الذي تشكل بقوة الإسلام وجامعية هذا الكتاب المقدّس، وقام على هذا الأساس وسيبقى كذلك. وإلا فأيّ ضرر يمكن أن تلحقه بضع صفحات من القرآن أو أربع ركعات صلاة، أو صيام شهر من قبلنا نحن المسلمين على استقلال وسلطة الأوروبيين؟! إذن فكن على حذر وانتبه جيداً؛ إنهم يريدون تدمير دولتنا العريقة - التي يمتدّ عمرها لستة آلاف سنة - من خلال تقويض دعائم الإسلام على يدك.

(١) في الأصل (كرور)، والكرور وحدة عدية كانت تستعمل في الهند، كما تستعمل حالياً في بلاد البنغال وجزر المالديف والنيبال وباكستان وسريلانكا، وهي تعادل عشرة ملايين، في حين أنها كانت تستعمل في إيران قديماً وكان الكرور الواحد يعادل نصف مليون أو خمسمئة ألف. (المعرب).

[مضاطر الغزو الثقافي]

أيها الأخ.. انظر إلى دولة (أمريكا)^(١) والدول الصديقة لأمريكا المتفوقة على الآخرين من جميع الجهات سواء في الثروة والقوة والتجارة والصناعة والمعادن، كما أنها مستغنية عن الآخرين في كل شيء، ومع ذلك فإنها لا تقصّر في الترويج لديها، وتعمل على إنفاق الملايين من أجل إضعاف دينك وأديان الآخرين.. ألم تسأل نفسك: لماذا يفتتحون المدارس ويطبقون المشافي الضخمة في بلدنا العزيز؟ هل تظن أنهم يفعلون ذلك حباً بنا، أو أنهم يفعلون ذلك وفاء لنذر نذروه على أنفسهم، أو أنهم يعالجون المرضى، ويعلمون الجاهل منا قربة لوجه الله؟!..

كلا، إنهم إنما يفعلون ذلك مكيدة للوقية بنا في حبال تزويرهم لا أكثر.. وإلا أين صغار الجعفرية من إنجيل لوقا ويوحنا؟!.. ما معنى أن يتم تزريق أطفال المسلمين أثناء فترة العلاج بتعاليم المسيحية، حيث يعلمونهم آداب الديانة البروتستانتية؟! ولماذا لا يسمحون لشبابنا البالغ بالدخول إلى مدارسهم؟!.. نحن غافلون والأجانب ينصبون لنا الكمائن في كل آن وحين.. في أغلب الحواضر والمدن، ومن بينها مدينة بيروت، عندما يدخل المعلم البروتستانتي إلى قاعة الدرس في الساعة الأولى يسأل كل واحد من الأطفال

(١) في الأصل (أتازوني)، وهي من أسماء الولايات المتحدة الأمريكية التي كانت شائعة الاستعمال في إيران، وهي مأخوذة من اللفظ الفرنسي (Etats - Unis) حيث أن (Etats) بمعنى الولايات، و(Unis) بمعنى: المتحدة. (المعرب، نقلاً عن: لغت نامه دهخدا).

الصغار قبل كل شيء: (كيف أصبحتم؟)؛ ويتعيّن على الطالب الصغير أن يقول في الجواب: (بحمد الله، أصبحت على دين المسيح)، وإن أجاب بغير ذلك تلقى السبّ والشتيمة، حتى يحمله ذلك المعلم ويضطرّه إلى قول تلك العبارة أو يكون مصيره الطرد من المدرسة، علاوة على أنهم يعلمونه الآداب المسيحية على الدوام!.. فإلى متى النوم والغفلة، وحتى متى السكر والغرور، ولماذا يتعيّن علينا أن نكون مثل الأطفال ألعبه بيد الأجانب؟

إن هذا تقصير من جانب أولياء الأمور والكبار، حيث يقدمون هذه الأزهار والبراعم النضرة من أشبال الوطن العزيز طعمة بيد (الأتابكة)^(١)، ويرمون البلابل المغرّدة في الروض بين مخالف البوم الآتي من وراء الحدود؟ هل أنتم غافلون عن أن هؤلاء الأجانب إنما هم بمثابة اليعاسيب العدوّة للشمس والقمر.

أو إنهم مثل الطورانيين^(٢) أعداء.....

(١) في الأصل (زنكيان): وهم سلالة من الترك حكمت مناطق من شمال العراق وسوريا (١١٢٧ - ١٢٥٩ م) باسم الدولة السلجوقية، واتخذوا من مدينة (حلب) عاصمة لهم. وكان مؤسس هذه السلالة هو (عماد الدين الزنكي) نجل (آق سنقر) من قادة جيوش السلاجقة. كما تأتي تسميتهم بـ (الأتابكة) نسبة إلى (أتابك) وهو لقب كان يُلقب به مربو أبناء سلاطين السلاجقة، ويعني (مربي الأمير)، ثم صار هذا اللقب لقب شرف يمنحه السلاطين للمقربين من الأمراء وغيرهم. وصارت لهم سلطات واسعة بفعل تشرذم الدولة السلجوقية. وقضوا جلّ فترة سلطانهم في محاربة الصليبيين أو الفرنجة. حتى جاءت الهجمة المغولية وقضت على دولتهم. (المعرب).

(٢) (الطورانيون): قبائل مترحلة تنسب إلى الأتراك، وتميل المصادر العربية والفارسية في العصور الوسطى إلى نسبتهم إلى أصقاع ما وراء النهر، كما يذهب المستشرقون إلى القول بأنهم طوائف تسكن السهول الروسية أو هم القبال المترحلة التي تنتشر في بحر القوقاز إلى نهر سيحون. والذي يبدو من (الأفستا) والكتب الدينية البهلوية القديمة والقصص الوطنية وأقوال المتقدمين من المؤرّخين أن الإيرانيين والطورانيين يتفرّعون من أرومة واحدة؛ غاية ما هنالك أن الإيرانيين تحضروا قبلهم ومالوا إلى حياة المدن، بينما ظل الطورانيون على =

لـ(إيرج)^(١) و(منوتشهر)^(٢)؛ ولا يخفى - بطبيعة الحال - أن (كلّ مولود يولدُ على الفطرة، وإنّما أبواه يهودّانه ويُنصرّانه ويُمجّسانه)^(٣). ومن الواضح بالوجدان أن الطفل الذي لا يستطيع التمييز بين الحُسن والقبح، لا يستطيع بالبداية أن يميّز بين الوطني والأجنبي، ولا يُفرّق بين الإسلام والنصرانية؛ فما أن يخالط الأجنبي حتى ينسى حبّه وعصبية لوطنه ودينه، وبسبب جهله سوف يسير على خلاف سيرة أسلافه، ويعتبر أبناء وطنه وجلدته هم الغرباء.

= حياة الترحّل والبداءة. وتشكل الحروب بين الإيرانيين والطورانيين جزءاً كبيراً من القصص الملحمية والوطنية في الأدب الفارسي. والذي يبدو من ملحمة الشاهنامه للفردوسي أي بعد ما يقرب من ١٥٠٠ عام من (الأفستا)، أن القبائل المترحلة كانت تقاد من قبل (طور) نجل (فريدون) ومن هنا تأتي تسميتهم بـ (الطورانيين). (المعرب).

(١) (إيرج): يُعد في الأساطير الفارسية أصغر أبناء الملك الفارسي (فريدون)؛ ويحكى أن الملك فريدون قد ورّع إمبراطوريته على ثلاثة من أبنائه، وهم: (إيرج)، و(سلم)، و(طور). وكانت إيران من نصيب (إيرج)، فحسده كل من أخويه (طور) و(سلم) على ذلك، وقد وفد (إيرج) على أخيه (طور) تسكيناً لخاطره، ولكن (طور) الذي ينتسب إليه (الطورانيون) بادر إلى قطع رأسه، وعمد حفيده (منوتشهر) لاحقاً إلى الأخذ بثأر جدّه، وقتل (طور) و(سلم). (المعرب).

(٢) (منوتشهر): أحد ملوك السلالة البيشداية، من نسل فريدون. قتل كلاً من (طور) و(سلم) - على ما ورد في الهامش أعلاه - ثأراً لجدّه (إيرج). خسر في حربه ضد (أفراسياب)، وحوصر في (طبرستان)، الأمر الذي اضطره إلى توقيع معاهدة صلح بين الإيرانيين والطورانيين. (المعرب).

(٣) ورد هذا الحديث في بحار الأنوار، بصيغة: (كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودّانه وينصرّانه ويمجّسانه). وفي ميزان الحكمة: عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) في غزوة قتل فيها أبناء من المشركين، أنه قال: (ألا إن خياركم أبناء المشركين.. ألا لا تقتلوا ذرية، كل مولود يولد على الفطرة، فما يزال عليها حتى يعرب عنها لسانه، فأبواه يهودّانه أو ينصرّانه أو يمجّسانه). (المعرب).

[س] (١)

گوش إدراك كجا تا شنود پند حكيم اي (سليمي) توبيا موعظه را كوته كن (٢)

وعلى الرغم من أنني منذ البداية لم أرغب في التعرّض إلى مثل هذه الأمور، ولكن ما الحيلة والقلب يصرخ بي: (تكلم، فقد ضاق صدري)!

خرجنا نمشي في سوق المدينة، وعندما رأنا الناس تصوروا أننا عائدون إلى الوطن من زيارة العتبات، فكانوا لذلك يرحّبون بنا قائلين: (تقبل الله الزيارة)، ومنهم من يتقدم إلى الواحد منا ويقول له: (تقبل الله زيارتك أيها الكربلائي)، وهناك من تدفعه شدة شوقه وعاطفته إلى إضافة المصافحة والعناق إلى الترحيب.. تجاوزنا السوق والميدان والساحة، ثم اتجهنا إلى بوابة (تبريز) ونزلنا في بيت نظيف.. كان يجب علينا التوقف يوماً كاملاً نلتمس فيه الراحة لأنفسنا، واستراحة الدواب أيضاً.

ثم خرجت من المنزل بمفردي لمشاهدة أوضاع المدينة، فأخذت أستشرف النظر في جميع الأماكن، ولاح لبصري من ناحية الميدان تجمّعاً لحشد كبير من الناس حول عمارة واسعة، ثم اتضح لي أنهم جاؤوا من القرى المجاورة من أجل الانتخابات، وسمعت أحدهم يقول لآخر: (كربلائي حسين، أقسم عليك بحياتك إلا ما كتبت اسم (ياور علي خان)، ويمكن لي أن أحصل لك على زيادة تومان آخر).. وسمعت الآخر يقول: (يا أخي، أقسم لك بحياتي أن ذلك لا يمكن أن يكون؛ إذ كما تعلم فقد سبق

(١) ما بين المعقوفتين لم يرد في الأصل، ويبدو أنه قد سقط سهواً، وقد أضفناه اعتماداً على وجود كلمة (سليمي) في البيت أعلاه، وهي تدل على أن البيت من نظم مؤلف الكتاب على ما تقدّم في (ديباجة الرحلة)، حيث تأتي الإشارة إلى ذلك بالحرف (س) إذا كان الشعر من نظم المؤلف. (المعرب).

(٢) المعنى: (هل من أذن سامعة لتفهم موعظة الحكيم.. هل أنت يا (سليمي) واقتصد في موعظتك).

لي أن أخذت من فلان خمسة وعشرين قراناً^(١)، وقد قطعت على نفسي وعداً بإقناع شخصين آخرين).. وسمعت شخصاً ثالثاً يقول وهو لاهث الأنفاس: (ما حيلتي يا عمّاه، إن بإمكانه أن يرسلني إلى التهلكة، فما الذي يمكن لي أن أفعله إن هو أخرجني غداً من أرضه)؟!.. يا له من مكان بهيج بالنسبة إلى الأجنبي؛ ويا لها من معركة أثار نقيعها بين أبناء الوطن الواحد!

بعد الفُرجة في السوق، عدت أدراجي إلى المنزل مثقلاً بالهموم والحسرات.. يمتاز أغلب سكان هذه المدينة بحسن السيرة، والأخلاق الفاضلة، وإكرام الضيف، والتمسك بأحكام الدين، كما تمتاز المدينة نفسها باعتدال الطقس، وعذوبة الماء، وكثرة الثمار، ولم أذق في حياتي إلى الآن بطيحاً بحلاوة البطيخ في هذه المدينة!.. وهناك في الجوار ضريح لأحد السادة من سلالة الأئمة، هو على الدوام موئل لزيارة الزائرين الذين يطوفون أبداً حول مرقده. وفيها عين فوّارة، وهي من شدة دفقها وفورانها أطلق الناس على الضريح وساكنه اسم (بابا قرقر)^(٢)؛ حيث يأتي الزائرون من كل

(١) القران عملة نقدية كانت رائجة في إيران في العصر القاجاري، وكانت تعدل آنذاك عشرين شاهياً أو ألف دينار، وعُشر التومان، حتى تم استبدال القران بالريال سنة ١٩٣٢ م. ومنذ ذلك الحين لم يعد القران متداولاً في سوق التعامل، ولكنه لا يزال يستعمل في المحاورات اليومية بين الناس كمصطلح على نطاق واسع، على نحو استعمال مفردة البيزة في بعض بلدان الخليج العربية. (المعرب).

(٢) يقع مقام السيد جلال الدين - ويبدو أنه من أحفاد الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام - في قرية اسمها (بابا گرگر) في قضاء (قروة)، ويعرف هذه المرقدة بـ (باوه گرگر) أيضاً. وتوجد بالقرب منه عيون فوّارة، ومن بينها عين اسمها (بابا گرگر) أيضاً؛ حيث تقع على مسافة ثمانية عشر كيلومتراً إلى الشمال الشرقي من قضاء (قروة) في محافظة كردستان. وهي عين غازية تحتوي على الكثير من المعادن والأملاح حتى يميل لونها الأصفر إلى الحمرة، وتبلغ مساحة هذا الينبوع حوالي ١٥٠ متراً مربعاً. ويأتي لفظ (گر) في اللغة الكردية بمعنى النار، ومن هنا ربما أمكن ترجمة مصطلح (بابا گرگر) حرفياً إلى (والد العين النارية)، ولكن لهذا اللفظ بالنسبة إلى الأتراك الذين يقطنون في المناطق المجاورة (مثل زنجان وهمدان)=

مكان رجاء قضاء حوائجهم، وهم يحملون النذور في قدور يرمون بها وسط الينبوع؛ فيكون رسوب القدر في قعر الينبوع علامة عندهم على قضاء حاجة صاحبة واستجابة دعائه؛ بمعنى أن الينبوع قد قبل النذر، وإلا فإن الينبوع سوف يرمي بالقدر وما فيه من النذر بقوة دفعه إلى الخارج، والعهد في ذلك على الراوي.



=معنى آخر، إذ أن (گر) عندهم يعني (انظر)، ويروى في سبب تسمية هذه البقعة بـ (بابا گرگر): أن السيد جلال الدين - وهو صاحب المقام والمرقد المعروف في تلك المنطقة - كان قائماً يُصلي وإذا بهذه العين تنبجس من الأرض نحو الأعلى بدفق شديد، وحيث رأى نجله هذا المشهد، قال لوالده مندهشاً: (بابا گر، گر) يعني: (يا أبتاه! انظر، انظر). (المعرب).

[غردكانة]

في الليلة الرابعة من الشهر، وبعد أن مضى على حلول الليل أربع ساعات، شددنا الرحال نحو المقصود.. كانت هذه الليلة أبرد من الليلة السابقة بكثير، وضعت رأسي على الهودج واستغرقت في نوم عميق، ولم أستيقظ إلا على صوت الكربلائي محمد باقر وهو يرفع الأذان على مقام الحجاز، وأناخ الحاج علي أكبر راحلتنا كي ننزل إلى أداء الصلاة، كانت الريح تشتد في كل لحظة، وكان البرد قارساً بحيث توضعنا وصلينا بصعوبة بالغة.. ثم واصلنا طريقنا نقطع عقبات الزمهير بشدة.. وعند طلوع الشمس على مألوف عاداتها، بان لنا سواد قرية (غردكانة)^(١) حيث ستكون منزلنا لهذا اليوم، كانت بيادر القمح تُرى على مدّ البصر متراكمة فوق بعضها.. أحاطت بنا السُحب، ولقنا الضباب من كل جانب، وكانت حبات المطر تتساقط علينا.. حتى دخلنا القرية واستقرّ بنا المقام في منزل طليت جدرانها حديثاً بالجبس الأبيض.. تقع زراعة الأزهار والأقاحي في هذه الأنحاء على عاتق النساء.

(١) (غردكانة) أو (غردكانه العليا): من أعمال قضاء (سنقر) في محافظة (كرمانشاه) على سفح جبل (دربند كبود). تبعد عن سنقر بمسافة تقدّر بثلاثين كيلومتراً. وتقع أختها (غردكانه السفلى) على مسافة تزيد على الخمسة كيلومترات إلى الجنوب من هذه القرية. وأشهر محاصيلها: (القمح) و(الشعير). (المعرب).

لشدة البرد يقيم الغرباء والقاطنون هنا (موقداً)^(١) يضرمون فيه النار التماساً لشيء من الدفء.. تدثرنا بكل ما كان بحوزتنا من الثياب الشتوية.. يا لها من لحظة! أي مناسبة يمكن لها أن تجمع بين ساكن شبه الجزيرة العربية وكان برجه (برج الأسد) وبين صقيع (برج القوس)؟! وكانت السنايل السامقة والطويلة تنحني على شاكلة الأقواس وهي تتمايل إلى شتى الاتجاهات.. أمضينا الليل بصعوبة بالغة وعناء شديد، وفي وقت السحر بعد صلاة الفريضة ركعتين لوجه المعبود الأوحى، وتناول طعام الإفطار، قام الحاج علي أكبر بجمع الأمتعة، واعتلينا على ظهور المطايا بكامل عدتنا لمواصلة المسير، وكانت الريح تبدو أشدّ عصفاً من الليلة الماضية! يقال إن مصدر هذه الريح الجائرة غار بطول خمس أو ست أذرع يقع في قمة الجبل الشمالي، وإنه يعصف في هذه الصحراء والجبال ثلاث مرّات أو أربع مرّات في الشهر.. لقد أحاط الغيم والضباب بجميع أنحاء الجبل الذي كان يتعيّن علينا اجتيازه، وكانت قمة الجبل إلى وسطه متدثرة بركام من الضباب، وكنا نواصل طريقنا صعوداً نحو القمة، وقد ترجلنا جميعاً في الأثناء؛ لتخفيف الحمل عن الإبل في صعودها.. تشتهر عقبة غردكانة بصعوبتها، لا سيّما في

(١) في الأصل (كرسي): وهو عبارة عن وسيلة تقليدية قديمة يتم ارتجالها التماساً للتدفئة وتوفيراً للطاقة في أيام الشتاء القارسة، وهي عبارة عن طاولة خشبية مربعة أو مستطيلة الشكل تقوم على أربع أرجل ترفعها عن الأرض بمقدار ثلاثة أشبار تقريباً، ويوضع أسفلها في الوسط كمية من الفحم المسجور عادة، ثم تغطى الطاولة بلحاف كبير يتسع لجميع أفراد الأسرة كي يتدثروا به وهم متحلقون حول الطاولة لا ترى منهم إلّا رؤوسهم، ثم يتم تثبيت اللحاف فوق الطاولة وفقاً لحجمه بطبق من نحاس يوضع فوقه سماور لتحضير الشاي وأطباق الطعام والفواكه، وفي الليل يهجع أفراد الأسرة على تلك الحالة تسندهم الوسائد، وأخذت هذه الظاهرة بالانحسار مؤخراً؛ فهي وسيلة بدائية غير آمنة؛ وقد حصدت أرواح الكثير من الأنفس بسبب الحرق، أو الاختناق الناجم عن انتشار ثاني أكسيد الكربون وانعدام الأوكسجين. (المعرب).

هذا اليوم حيث أضيف إلى قسوتها شدة الرياح العاتية والبرد القارس.. جهدت ما أمكنني من أجل الوصول إلى قمة العقبة قبل الجميع، وجلست هناك على سنام صخرة.. وأما الإبل - التي كانت على طول الطريق تسير قطاراً متعاقباً يهدي بعضها بعضاً - فقد رأيتها الآن منتشرة ومتفرقة على شاكلة (بنات نعش)^(١)، بعد أن أسلس لها القياد وتحرّرت من أثقالها وحملها بعد مسيرة طويلة، وإذ وجدت نفسها حرة طليقة فقد اتخذ كل واحد منها طريقاً لنفسه.

وإذا أردت الحق والإنصاف؛ يجب على الدولة أن تنصف هذه الكائنات المظلومة. هب أننا لا نمتلك وسائل حمل ونقل تعمل على قوة البخار، فلا أقل من العمل على إنقاذ هذه الحيوانات المستعبدة، وتخليصها من بين براثن المكارين الظلمة؛ بمعنى أن تحدّد لكل واحد من هذه الحيوانات مقداراً من الحمل يتناسب وقدرته على حمله، كما تفعل ذلك الدول الأجنبية.. سمعت أن بعض المكارين الظلمة يحملون على ظهور الدواب ما مقداره (مئتان وأربعون كيلوغراماً)^(٢)! قال أحدهم: ليست مظلومية الشعب وسكان القرى وحدها هي الكفيلة بتقويض دعائم الظلم فقط، بل حتى الظلم الذي تتعرّض له هذه البهائم والعجماوات يكفي لخراب قطرنا الحبيب.

كانت قرية (غردكانة) مكللة بالضباب، حتى لم يبدُ منها سوى ما يُشبه الخيمة السوداء، والحقيقة أن المشهد الذي كان يلوح في الأفق جميل للغاية، حتى أن جمال المنظر قد أنساني وعشاء السفر وعناء الطريق تماماً..

(١) (بنات نعش الكبرى) أو (بنو نعش) أو (آل نعش): اسم مجموعة نجمية مكوّنة من سبعة نجوم تشكل جزءاً من كوكبة الدب الأكبر. حيث تسمّى الأربعة على الشكل الرباعي (النعش)، والثلاث نجوم التي في الذنب (بنات) يتبعن النعش. (المعرب).

(٢) في الأصل (٨٠ مناً تبريزي)، والمنّ التبريزي وحدة قياس للوزن، وكل منّ منه يعدل ثلاثة كيلوغرامات. وهناك أنواع أخرى من المنّ في سائر مدن إيران تختلف عن بعضها في حساب الوزن، ولكن المنّ التبريزي أشهرها. (المعرب).

وصل رفاق الدرب على أثري، ثم واصلنا الطريق سيراً على الأقدام.. لم يعد هناك أثر للريح والبرد والغيوم والضباب، وتجاوزنا قطع الطريق - وكان ملؤه الأزهار الزرق، وشقائق النعمان بشتى ألوانها، والأعشاب الزمرّدية والمياه البلورية الصافية - بنشاط وحيوية، حتى بلغنا قرابة الظهر قرية (سر اوقيد)^(١) حيث منزلنا لهذه الليلة.. سارع علي أصغر إلى تحضير الشاي، وقد احتسيناه برغبة عارمة، ثم نهضت مع رفقتي للتفرّج على الحدائق والبيداء، وعلى مسافة مئتي متر كانت هناك حديقة بهيجة المنظر، وقد اشتملت على مختلف أنواع الفاكهة، وقد توسطها ينبوع ماء جار هو في صفائه مثل دمع العاشقين، أخذنا نجول في جميع أنحاء المكان حتى بلغنا منتصف الحديقة، وهناك وجدنا بحيرة مستطيلة الشكل، وإلى جوارها سرير، تخيلته ملكاً قد ورثته؛ فاستلقيت على السرير بطمأنينة كاملة.. ثم وصل الرفاق تباعاً، واتخذ كل واحد منهم مكانه مفترشاً الأرض والحشائش الزمرّدية النابتة على أطراف الحوض، وانشغلوا بتجاذب أطراف الحديث ورواية الطرائف وإنشاد الأشعار. ثم أقبل الكربلائي محمد باقر - وهو شاب خلوق ومرح - ضاحكاً من ناحية الشارع يتمايل في خطوات رشيقة حتى بلغ المجمع.

ثلاثة يذهبن عن القلب الحزن الماء، والخضراء، والوجه الحسن^(٢)

(١) هكذا ورد في الأصل، وللأسف لم نعر على قرية بهذا الاسم في ما توفر لدينا من المصادر. (المعرب).

(٢) ينسب هذا البيت إلى الشاعر شمس الدين بن العفيف التلمساني، بصيغة: (ثلاثة يذهبن عن المرء الحزن.. الماء، والخضراء، والوجه الحسن). وفي المأثور عن أبي الحسن الأول عليه السلام: (ثلاث يجلين البصر: النظر إلى الخضرة، والنظر إلى الماء الجاري، والنظر إلى الوجه الحسن). بحار الأنوار، ج ٥٩، ص ١٤٤؛ وسائل الشيعة، ج ٢٠، ص ٤٩. (المعرب).

ثم أقبل البستاني من ناحية أخرى ورَّحَّب بنا بحفاوة كاملة، ثم عاد ثانية يحمل في حضنه بعض التفاح ليتحفنا به ووضعه أمامنا، وقد ألقى الرفاق في الوهلة الأولى على ذلك التفاح نظرة استخفاف، ولكن ما إن وضعنا منه شيئاً في أفواهنا حتى خلناه شيئاً من مائدة السماء أو من ثمار الجنة؛ لم أذق حتى الآن تفاحاً بمثل هذا النضج والحلاوة والنكهة.. حتى أخذ الرفاق ينظرون إلى بعضهم وهم مأخوذين بسكرة هذه الثروة الوجودية.. ثم نهضنا بعد ساعة، ووضعت في كفّ البستاني الصالح شيئاً برسم الهدية، وعدت أدراجي أمشي الهوينا ميمماً شطر المنزل.



[الممطرة السادسة: خسرو آباد]

[المقطعة السادسة: خسرو آباد]

في منتصف الليل أعددنا القافلة وانطلقنا متجهين نحو (خسرو آباد)^(١).. ارتفع صوت الأذان من يمين القافلة ومن شمالها؛ فنزل المسافرون يحدوهم الشوق إلى أداء الفريضة لوجه الله تعالى، ثم أسفرت أميرة الشرق^(٢) عن وجهها ونشرت أشعة جمالها على ربوع العالم.. وعند الظهيرة وصلنا إلى (خسرو آباد)، وأقمنا في منزل نظيف... وبعد تناول وجبة الغداء، أخبرنا علي أصغر أن أغلب سكان القرية قد اجتمعوا في المسجد لإقامة العزاء على سيّد الشهداء؛ وقال لنا: إن كنتم ترغبون فسوف نصلي الظهر والعصر هناك؟ فقال أخي المقدّس: هذا أمر جيّد، انهض يا ميرزا حسن لنذهب إلى حيث المسجد.. منذ اليوم الأول من المحرم إلى الآن حيث اليوم السابع لم نشهد عزاء ومأتماً كما ينبغي!.. فقمنا وذهبنا إلى المسجد برفقة الأصحاب، وكان التجمع في بدايته، ثم أخذ الناس يتوافدون شيئاً فشيئاً، فقام الحضور مرّة واحدة؛ إذ دخل شخص جليل على غاية المهابة والوقار، واتخذ مكانه بيني وبين أخي المقدّس، واستقبلنا^(٣) بترحيب خاص؛ فسألته عن اسمه

(١) هناك الكثير من القرى والمدن في إيران بهذا الاسم، حيث يربو عددها على العشرين قرية ومدينة، وربما يكون المراد منها هنا قرية خسرو آباد التي هي من توابع المنطقة المركزية من قضاء (دالاهو) الواقعة في محافظة كرمانشاه، وتقع هذه القرية في ضاحية كرنند. (المعرب).

(٢) يعني: الشمس.

(٣) في النسخة (أ) (تلقي)، وفي النسخة (ب) (تقلّي). والأول هو الصحيح. (المعرب).

وسمته؛ فقال إن اسمه (أمير همايون)، وهو صاحب ومالك قسبة (خسرو آباد) بالإضافة إلى خمسة وثلاثين قرية أخرى.

وكان المسجد والجسر - الذي سبق أن رأيناه عند قدومنا - قد بناه والده الماجد المرحوم، وكان لقب أمير همايون خاص به، وكان محباً جداً لأعمال الخير والبر وقضاء حوائج الفقراء والغرباء.

وبعد ذلك بلحظات اعتلى المنبر خطيب، وأخذ يسرد على الحضور وقائع ما جرى على أهل البيت عليهم السلام في مثل تلك الليلة بحزن وأسى بالغ، وأثار الشجون واللوعة في قلوب الحاضرين، ثم انتهى المجلس وأخذ الناس يتفرقون.. ودعانا (أمير [همايون]) إلى المآتم الذي سيقمه في تلك الليلة، ثم نهضنا واتجهنا نحو المنزل، وبعد مدة وجيزة عدنا إلى المسجد، فوجدنا (أمير همايون) حاضراً هناك، ولكنه كان هذه المرة برفقة شاب بهيّ الطلعة، ثم اتضح لنا أنه شقيقه.

جلس (أمير همايون) في موضعه السابق، وجلس شقيقه إلى يميني.. واندمج الآغا أمير همايون مع أخي المقدّس في حوار حميم؛ وكان من جملة ما قاله لأخي:

أيها السيد لقد تمّ نهب القرية التي أملكها حتى الآن خمس عشرة مرة، وتمّ حرقها بنار جور الروس والأرمن وعساكر الترك، وذُرِّي رمادها في الهواء؛ يا ويلنا من ظلم الروس؛ لم يتركوا لنا قطيعاً من المواشي، ولا من المطايا، ولم يغضوا الطرف عن النقود، ولم يسمحوا لنا بالاحتفاظ حتى بسقط المتاع والأثاث، ولم يتركوا شيئاً من البربرية والهمجية إلا ارتكبهوا!

ولم يكن ما فعله عساكر الأتراك - الذين نعدّهم إخوتنا في الدين - بأقل همجية منهم؛ فعند اجتيازهم لمنطقتنا هطل مطر غزير بحيث انتشر الوحل الزلق على مساحة فرسخ وغمر الماء أغلب المناطق؛ فطلبوا منا بغالاً وحميراً لعبور مشاتهم؛ فقلت لهم: لقد أخذ منا الجائرون الروس وذوو

المنابت الخبيثة من الأرمن جميع الخيل والدواب؛ حتى لم يعد بأيدينا بهيمة واحدة نعطيها لكم! فقالوا في الجواب: إن رجال هذه المناطق أشدّاء ولهم أكتاف عريضة ورقاب غليظة، فابعثوا إلينا خمسين رجلاً من رجالكم حتى نستخدمهم!.. فقلت لهم: أيها الإخوة، إن هؤلاء البائسين يعانون منذ أربع سنوات عجاف من شطف العيش والقتل والنهب والمجاعة، ولم يعد في أجسادهم رمل، ثمّ إنهم فوق ذلك كله إخوتكم في الدين؛ فكيف ترضون بإيذائهم؟!.. إلّا أن كلماتي لم تؤثر فيهم أبداً، ثمّ إنهم أخذوا عدداً من هؤلاء المساكين، وسخّروهم وسيلة لحمل أثقالهم؛ واعتلى كل وحش منهم على ظهر واحد من هؤلاء الضعاف، فكنت ترى فيلاً يعتلي ظهر نملة، وكان كل واحد من أبناء قُرانا رغم دقّة عظمة وذبول شحمه يحمل على ظهره واحداً من أولئك الوحوش، ويخوض به لجة الماء والطين من الضفّة إلى الضفّة!

والحصيلة أنه من بين تلك القرى الخمسة والثلاثين وأهلها، لم يفضل سوى (خسرو آباد)، وما ترونه الآن من المجتمعين هنا هم بقية السيف، ولم نعد نستطيع بسبب نقص الأنفس وارتفاع حجم الخسائر قادرين على إصلاح قرية واحدة.

ثم قال شقيق (أمير [همايون]): أيها السيد، إنما نحدّثك عن جور عساكر جوارنا الغربي شيئاً وتسمع ذلك منا، ولكن ليس السامع كمن قد رأى؛ لقد أضرّموا النار في جميع ممتلكاتنا، وأحرقوا جميع ما لدينا ولم يُبقوا لنا الأخضر واليابس؛ أسأل الله أن لا يتبلي مسلماً ويوقعه بين مخالف هذه الوحوش الضارية؛ لا يمكن لك أن تتصوّر ما هم عليه من البهيمية والسبعية، نستعيز بالله من جورهم.

فقلت له: أولاً لقد طويت صفحة عداوات الأزمنة القديمة، وقد مددنا اليوم إلى بعضنا يد الاتحاد، وعلينا أن نتجاهل تلك الممارسات القبيحة

التي صدرت في الأزمنة الماضية من الطرفين، وعلينا أن ننظوي تحت راية الإسلام ومظلة القرآن الكريم ومكة المكرمة وسائر أركان الدين، لكي نبعد حشود الكفر والنفاق عن البلدان الإسلامية، ولكي نتحرر من سلطة الأجانب على رقابنا.. ثم إن هذه الممارسات الوحشية إنما هي تصرفات فردية يقوم بها هؤلاء الجنود، وإلا فحاشا أن تصدر مثل هذه الأفعال عن كبارهم وزعمائهم؛ فهم بعيدون كل البعد عن هذه الممارسات، بل إنهم في الأعم الأغلب متمدّنون ومتحضرون، ويتمتعون بالعطف والأخلاق الحسنة، والحقيقة أن بعضهم يحظى بقسط كبير من عالم المدنية والإنسانية، ولو أنك جالست الشباب في إسطنبول ساعة واحدة من الزمن فسوف يتبيّن لكم صدق كلامي هذا.. ويمكن العثور على نماذج من هؤلاء الوحوش الذين ذكرتهم في كل أمة من الأمم، ولا ينبغي تعميم الحكم من بعض الأشخاص الأرجاس وتسريته إلى عامة الناس.

وفي هذه الأثناء عمّت أرجاء المسجد فجأة صيحة واحدة من أفواه الجموع الحاضرة وهي تهتف بصوت واحد: (يا حسين، يا حسين)، واصطفّت الناس أمامنا ينوحون ويندبون ظلامه سيد الشهداء عليه السلام، وضجّ الناس بالبكاء والنحيب وبدأ العزاء وقراءة المراثي، واستمروا على هذه الحالة لأكثر من ساعة، ثم تفرّق الناس إلى بيوتهم، وحيث كان يتعيّن علينا مواصلة السفر في منتصف تلك الليلة، فقد ودّعنا الآغا (أمير [همايون]) ونهضنا من عنده.

كانت تلك الليلة قاتظة، وقد أعدّ لي (علي أصغر) فراشاً للنوم فوق السطح، وقد حاولت النوم ولو لساعة واحدة كي أستريح من وعثاء الطريق، ولكن دون جدوى؛ فقد انشغل كل تفكيري بالبؤس الذي يعاني منه هؤلاء النجباء من أبناء شعبنا العزيز، حيث تدهسهم على الدوام سنابك خيل الأجانب ويتعرّضون إلى أضرار جسيمة، فتارة يقصف الروس معابدنا،

ويصلبون علماءنا في أعزّ الأيام، وقد ابتلينا حالياً بالسياسات الظالمة من قبل بعض دول الجوار، وتقلبات البروتستانت المنهمكين بنهب ثروات البلاد، كما أنهم ينشطون في سرقة الدين والمذهب.. والأسوأ من ذلك كله إخوتنا في الإسلام، حيث أنهم يغفلون عن سياسات الأعداء، ولم يكفوا عن النفاق واللجاج، بل يعملون على الدوام على تشويه سمعة الدولة والشعب بتصرفاتهم الوحشية. وحيثما تذهب تسمع صيحة اتحاد الإسلام تملأ الآفاق وتصم الآذان، دون أن نرى أثراً لذلك على أرض الواقع للأسف الشديد.



[حوار مع أحد القضاة حول الوحدة الإسلامية]

عندما كنت ذات يوم قادماً من مدينة الكاظمين عليهما السلام إلى بغداد، كان أحد قضاة أهل السنة والجماعة جالساً في العربة أمامي، فالتفت إليّ قائلاً بنبرة ذات مغزى:

لماذا لا تتحدون معنا، لنقضي على الكفار ونقوّض قلاع المشركين بقوة الاتحاد؟!

فقلت له: ما الذي تعنيه بالاتحاد؟ فنحن جميعاً - ولله الحمد - تحت لواء الإسلام، ونجتمع على أمور كثيرة، من قبيل: القرآن الكريم، ومكة المكرمة، وسائر الأصول الجامعة الأخرى، وقد مدّت ثلاث دول إسلامية يد الاتحاد إلى بعضها؛ فهل يمكن أن تجد اتحاداً أفضل من هذا الاتحاد؟

فقال القاضي: كلا، إن المصدر الأساسي لهذا الاتحاد فاقد للدعائم المتينة؛ فإن الاتحاد إذا لم يكن اتحاداً دينياً لن يجدي شيئاً، ولن يمضي اليوم أو الغد حتى تنهار الخلافة العثمانية بعد سبعة قرون من قيامها.. لقد حدّ الأجانب أسنان الطمع، وأخذ لعابهم يسيل من أجل قضم وخضم^(١) الحواضر الإسلامية وعلى رأسها مكة المكرمة والمدينة المنورة، وها هي العتبات المقدسة تزرح تحت سيطرة الإنجليز، وها هي سوريا وفلسطين

(١) (القضم) يكون بمقدم الأسنان وهي التي تعرف بالقواطع، و(الخضم) يكون بمؤخر الأسنان وهي الطواحن. (المعرب).

تستغيث تحت وطأة سنابك خيل الأوروبيين، وها هي البلدان والأقطار الإسلامية في القارّة الأفريقية محتلة من قبل الأجانب؛ وعليه فإن الاتحاد الديني هو المرهم الذي يمكنه أن يداوي جميع جراحاتنا ويبرئ جميع أوجاعنا وآلامنا.

فقلت له: إذن ﴿لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(١)؟!.. لقد أصبنا في تشخيص الداء، ولكننا من شدة المرض أضعنا أنفسنا، وضللنا الطريق وعجزنا عن وصف الدواء.

والآن حيث وصلتم إلى هذه النقطة أرجو منك أن تستمع إلى ما أقوله جيداً:

صحيح أن مصدر الشرف وأساس العظمة و(أساس السعادة)^(٢) والازدهار والرقى في كل أمة يكمن في الاتحاد الذي يقوم على أساس محكم، ويكون مركز ثقله وجامعيته مستحكماً، ولا شك في أن الوجدان يقضي بأنه ليس هناك أساس وجامعية أقوى من الدين، ولكن هيهات؛ فإن ما نقوله في هذا الشأن لا يعدو أن يكون مجرد لقلقة لسان لا أكثر، ولن يفضي بنا إلى أي نتيجة تذكر.. ولو أننا كنا في الاتحاد مثل اتحاد قرده الهند؛ لأمكن لنا أن نقتلع (جبال الهيمالايا)^(٣) من قواعدها ورواسيها برؤوس أصابعنا، ولو كان لدينا مثل اتحاد قروود الهند لأخذنا قصب السبق على جميع الأوروبيين!

(١) الصف (٦١): ٢.

(٢) تقدم أن ذكرنا أن المؤلف قد اشتق تسمية هذه الرحلة من هذه العبارة. (المعرب).

(٣) (الهيمالايا): سلسلة جبلية تقع في آسيا، وتفصل سهول شبه القارة الهندية عن هضبة التبت. تحتوي على العديد من القمم الأعلى في الأرض، وأعلاها قمة جبل إفرست، حيث يبلغ ارتفاعه تسعة كيلومترات عن سطح البحر. (المعرب).

يقول مؤلف كتاب (جام جم)^(١): (انطلقنا من مدينة شيبور^(٢) في الهند على ظهر فيل قاصدين مدينة (تونغ) الواقعة على مسافة أربعة منازل، وفي الطريق صادفنا معبداً للأصنام مقام على ضفة نهر، فدلقت إلى ذلك المعبد، فلم أرَ سوى خمسة أو ستة أشخاص من الهندوس العُراة؛ فسألت أحدهم: ما هي المسافة التي تفصلنا من هنا إلى مدينة تونغ؟ فقال لي: إن المسافة عبر الطريق المتداول تقدّر بيومين، وأما هذا الطريق الآخر الذي تراه [وأشار إلى طريق غير معبد]، فلا يستغرق سلوكه أكثر من يوم للوصول إلى تلك المدينة؛ بيد أن القردة قد استولت على هذه الغابة وقطعت هذا الطريق على المسافرين!

فقلت للهندوسي: كيف يمكن للإنسان أن يخشى من الحيوان؟!

فقال نجل الهندوسي: على مسافة فرسخ واحد من هذا المكان؛ حيث يقع الآن تحت احتلال القروء، كانت هناك مملكة عظيمة تقدّر الضرائب السنوية التي يحصل عليها سلطانها باثني عشر (لك)^(٣)، وبعد وفاته تربّع على العرش بعده ولي عهده ولم يكن يبلغ من العمر في حينها سوى سبعة عشر عاماً.. وفي يوم من الأيام خرج إلى صيد الخنازير البرية في هذه الغابة، ولكنه لم يجد صيداً إذ أصبح من النادر العثور على حيوانات أخرى بسبب كثرة جماعات القروء هناك؛ ولذلك فقد صبّ جام غضبه على

(١) مؤلف كتاب (جام جم) هو ركن الدين بن حسين المراغي الإصفهاني، ويلقب في شعره بـ(أوحدي) (٦٧٣ - ٧٣٨هـ). والمراد بـ (جام جم) كأس يُقال إنه يمكن رؤية العالم من خلاله؛ ففيه كناية عن الشمولية والموسوعية. (المعرب).

(٢) (شيبور): تقسيم إداري لدولة الهند تتبع ولاية مدينة برديش. مركزها مدينة شيبور. وتشكل شيبور مع مدينتي (نيودلهي) و(أغرا) مثلثاً ذهبياً في الهند. (المعرب).

(٣) (لك): وحدة نقدية أو عددية (كانت شائعة في النظام الحسابي الإنجليزي / الهندي)، وتستعمل حالياً في أفغانستان أيضاً. وكل (لك) يعدل مئة ألف؛ فيكون مجموع الضرائب التي كان يحصل عليها السلطان في تلك المملكة في حينها مليون ومئتي ألف. (المعرب).

القردة، وأوسع فيها قتلاً، ثم انقلب راجعاً إلى القصر مخلفاً وراءه قطعاً من القرده المضرجة بدمائها.. وفي اليوم اللاحق اجتمعت القروود وهاجمت ضواحي المدينة وخلعت أبواب البيوت، ونهبت أثاث المنازل.. وحيث كان هذا (المهاراجا)^(١) شاباً غراً ومتكبراً، فقد لجأ إلى السيف والنبل ثانية من أجل تشتيت هذه الحيوانات المزعجة.. ولم يمض طويل وقت حتى علمت جماعات القروود في الغابات البعيدة بما جرى على إخوانها من أبناء جلدتها في هذه الغابة، فاتفقت فيما بينها على الثأر والانتقام، ثم أقبلت مع طلوع الشمس بعيون عبرى وقلوب حرى لا تلوي على شيء، وهاجمت المدينة مغتمة نوم أهلها، وكانت أعدادها من الكثرة بحيث أحاط بكل بيت ألف قرد منهمك بقتل ساكنيه ونهب ما فيه، وكان كل شخص هندي مدني في قبضة خمسين هندياً من نوع إنسان الغابة، واستمر القتال والنزاع بين هاتين الفرقتين إلى غروب الشمس.. وبعد حلول الليل واشتداد الظلام وإضرار النار انسحب جيش القروود المنتصر من المدينة، وأحاط بها من أطرفها، وعند الصباح أعادت هجومها نحو البادية والحقول وأغارت على الحبوب والغلات، وكانت في كل ساعة ترفع من مستوى القتل والنهب ودمار الأراضي العامرة..

وبعد حرب استمرت ستة أشهر أدرك (المهاراجا) الغر أنه لم يكن يتوقع مثل هذه النتيجة، ووجد نفسه عاجزاً أمام المد البحري الجارف لهذا الجيش الجرّار، وكان عدد القروود يزداد في كل ساعة طرداً مع زيادة في

(١) (ماهاراجا) أو (مهاراجا): كلمة مركبة من (ماهات) بمعنى: (العظيم)، و(راجا) بمعنى: (الملك)، فيكون معناها: (الملك العظيم). وتستعمل هذه العبارة للدلالة على ملوك الهندوس أو الحكام في الهند. وكان أول ظهور لهذا اللقب في القرن الأول قبل الميلاد في إمبراطورية الكوشان، حيث تأثروا في ذلك بحكام السكيثيين والفرس والمغول، وأخذوا يطلقون لقب التبجيل (العظيم) على ملوكهم، ولم يعودوا يكتفون بإطلاق لفظ (الملك) مجرداً من التبجيل. (المعرب).

الدمار.. وفي نهاية المطاف ضاقت الدائرة على الأهالي بسبب ازدحام جماعة القروء؛ فأثروا الفرار على القرار، وهجروا موطنهم الحبيب واتجهوا نحو مدينة (تونغ)، وعمروها لتكون موطناً لسكناهم.. وبذلك حُسم الأمر لمصلحة جيش القروء المنتصرة بعد كل هذا الكرّ والفرّ، ودخلت المدينة حاملة راية النصر والظفر، وأصبح القروء ملوكاً وراجات^(١) على كل هذه الأنحاء حيث استولوا على ما يقرب من ستة فراسخ من هذه البوادي والغابات، ولا تزال هذه المساحة تحت سيطرتها.. والآن لا يمكنكم على العجالة عبور هذه العقبة حتى لو استعنتم بألف فوج من الجيوش الجرّارة).

ثم استطرد صاحب كتاب (جام جم) يقول: (لقد حملت كلمات الهندوسي على الإغراق والمبالغة، وحسبتها من الأساطير؛ فلم أعبأ بها، وقلت لسائس الفيل: من الأفضل لنا أن نسلك أقصر الطريقين؛ فما هو مبلغ خطورة القروء حتى يخافها الإنسان؟! وبعد إصرار كبير أخذت معي سبعة رجال يحملون الحراب، واقتحمنا طريق الغابة، ولم نبتعد عن معبد الوثن سوى خمس مئة قدم حتى اهتزت الغابة بانتفاضة القروء وصراخها وزعيقها وامتلات أرجاؤها بحشودها، ثم تحرّكت نحونا مثل السيول الجارفة تحدوها الجرأة والشجاعة، واستحوذ على سائس الفيل فزع واضطراب كبير، فقام بسحب رأس الفيل إلى الخلف واستدار به إلى الجهة المخالفة تماماً، وهمز خاصرته لينطلق بنا بأقصى سرعته، ولم نتوقف عند بيت الوثن مخافة أن تصل القروء وتغلق علينا الطريق، [وسلكنا الطريق المعتاد مباشرة]^(٢).. وبعد عودتنا من مدينة تونغ بأسبوعين، التقينا بالهندوسي في المعبد ثانية، وقال لنا:

(١) انظر: الهامش أعلاه.

(٢) ما بين المعوقتين زيادة توضيحية من عندنا. (المعرب).

بعد ذهابكم بثلاث ساعات أحاط بأطراف المعبد ما يقرب من عشرة آلاف قرد، ومكثت لثلاثة أيام متتالية، وكانت أعدادها طوال هذه المدة تزداد ساعة بعد ساعة، وبعد أن يئست من رؤيتكم أخذت تنسحب إلى قواعدها بالتدريج، ولو أنكم بتم تلك الليلة في المعبد؛ لاستحال عليكم الخلاص من قبضتها بمثل هذه السهولة، ولكنكم أنقذتم أنفسكم - لحسن الحظ - من مخالب هذه الجماعة من القروء العنيدة).

والآن أيها القاضي لو أننا كنا متحدين فيما بيننا مثل قردة الهند لكنا من أول الأمم اقتداراً ومنعة.. لقد تمكنت جماعة القروء في ظل اتحادها من تقويض دعائم مملكة هنود (تونغ) بعد آلاف السنين من تأسيسها، وتمكنت من رفع راية الاستقلال في مواجهة الإنجليز والحكومات الهندية المحلية، وخضبت مخالبها بدماء قتلاها، ووقعت صكّ مملكتها فوق جباه أعدائها..

إن هذه الكائنات التي كانت منذ بداية العالم مسخرة لخدمة أبناء البشر، تمكنت بفضل اتحادها من فك طوق العبودية والطاعة عن رقابها، ومزقت صكوك العبودية بكل جرأة وشجاعة، رغم افتقارها إلى المدافع والحراب، وعدم امتلاكها للثروات والتجارب، فهم ليسوا سوى حفنة من الوحوش الفاقدة للعقل والإدراك والأصول، ومع ذلك تمكنوا من اعتلاء عرش العظمة والجلال والكبرياء، وما ذلك إلا في ظلّ الاتحاد.. في حين أننا لسوء الحظ لا نفتقر إلى القوة والقدرة والثروة والتجارة والزراعة والصناعة والفنون والجيوش فحسب، بل لا نمتلك حتى همّة وتلاحم الحيوانات فيما بينها أيضاً.

وإذا تجاوزنا هذا الأمر، فإنه من المعلوم بالوجدان أن كل واحد منا إذا رأى نفسه هو الأحق بالرئاسة، لن نتمكن من مواجهة الأعداء، إلا إذ تنازل أحدنا إلى الآخر وكان أحدنا أميراً والآخر مأموراً، وأنا لم أفهم ما هو مرادك من الاتحاد الديني حقيقة.

فقال القاضي: كل الذي أعرفه هو أن الشرط الأول في الاتحاد يجب أن يقوم على أساس الإسلام، والتركيز على المشتركات، ونبذ ما به الاختلاف، ولكن كيف يتم ذلك وبأي طريقة؟ هذا ما لا أعلمه.

فقلت له: الآن حيث أدركت هذه النقطة، فأرجو منك الاستماع إلى وجهة نظري في هذا الشأن؛ وقبل كل شيء عليك أن تعتبرني ممثلاً عن الشيعة، واعتبر نفسك ممثلاً عن أهل السنة؛ كي نصل إلى تحقيق شروط الاتحاد بين هاتين الفرقتين الإسلاميتين على أساس العدل والإنصاف.

فقال القاضي: حسنٌ، فما هي شرائط اتحاد المسلمين، وراء ما ذكرنا؟

فقلت له: إن شرائط الاتحاد هي ما ذكرتموه في كلامكم، ولكنه يحتاج إلى شرح دقيق. وبطبيعة الحال فإن الأمر كما ذكرتم، بمعنى لو أن عشرة أشخاص أو عشرين أو ثلاثين شخصاً أرادوا الاتحاد فيما بينهم على أمر، وجب عليهم أن يعترفوا لأحدهم بالرئاسة والقيادة عليهم، لا بالطرق الاستبدادية، بل بمعنى أن يجعلوه منتدباً من قبلهم، وإلا فمع اختلاف الآراء لا يمكن تحقيق الاتحاد، غاية ما هنالك أن الرئيس يجب أن يكون هو الأعقل والأشجع والأكثر تميّزاً من الآخرين؛ إذ الأعلى لا يرضى بالانصياع إلى رئاسة الأدنى منه، بل هذا على خلاف وجدان كل عاقل..

الأمر الآخر أن عليهم نبذ ما بينهم من الاختلافات، بمعنى أن عليهم تحييد ما به الاختلاف واعتباره مادة للفرقة وتقويض الاتحاد، وأن يعتبروا ما يتفقون عليه وما به الاتحاد مادة لتوحيدهم، وأن يجعلوا من ذلك على الدوام وسيلة لرأب صدعهم ولمّ شعثهم.

وعليه فإن الاتحاد بين الشيعة وأهل السنة والجماعة يقوم قبل كل شيء على تحقيق هذين الشرطين؛ فعلينا أولاً أن نتعرّف على الممثل الأوحد لهاتين الفرقتين الإسلاميتين، ونبذ ما به الاختلاف، وأن نعمل على توثيق عُرى الاتحاد بواسطة ما به الاتفاق؛ وبعد إقامة هذين الأساسين، ندخل في

تطبيق الشروط الأخرى؛ إذن علينا أن ننظر بعين الإنصاف أيّ الدول الإسلامية الراهنة هي الأجدر بالرئاسة والأنسب لتمثيل الأمة، وما الذي يمثل ما به الاتفاق والذي يمثل ما به الاختلاف فيما بينها؟.. وإذا سمحت لي فسوف أبين آرائي المنصفة لكي نوازن ما بين الحسن والقبيح وما بين الصواب والخطأ فيها.

فقال القاضي: طبعاً، أنا على استعداد وكلي رغبة في الاستماع إلى كل ما يوفر أسباب الاتحاد ويضمن سعادة جميع المسلمين؛ فاليوم ليس هو يوم اللجاج والجدال، ويجب القبول بكل كلام يثبت بدليل الوجدان، وقد مضى زمن العناد، فقد كان ذلك في عصر قوّة الإسلام، حيث كان مسيطراً ومتفوقاً على جميع الأجانب، على الرغم من النفاق والخلاف والمعارضة.. وأما الآن فنحن في غاية الضعف، حيث لا ناصر لنا ولا معين؛ فعلينا أن نفكر في توفير الحلول لمشاكلنا بأنفسنا؛ بمعنى أن علينا أن ننبد اللجاج والعناد القديم، وأن نجعل من طريق الإنصاف سبيلاً لنا؛ إذن قل ما تشاء؛ فإن كان موافقاً للحق والدليل، فسوف أعتنقه وأصدّقه بقلبي ولساني.

فقلت: يتعيّن علينا في البداية أن نعدد الرئاسة الإسلامية الراهنة واحدة واحدة، وهي: الدولة في إيران، والدولة للأتراك، وإمارة الأفغان، وإمارة عراق العرب^(١)، وإمارة تركستان، وإمارة نجد، وإمارة الشام، وشرافة مكة المكرمة والمدينة المنورة، والخديوية في مصر، ومملكة الدكن^(٢)، ورئاسة

(١) يأتي التعبير بـ (عراق العرب) في الكتب الإيرانية القديمة، تمييزاً له عن مدينة آراك الحالية، حيث كانت تسمّى قديماً (عراق العجم). (المعرب).

(٢) هضبة الدّكن أو هضبة ديكان إقليم جنوب الهند يحدد من الوجهة التاريخية بجميع أراضي الهند الواقعة جنوب نهر نارابادا وفي معناه الأضيق يقصد به الهضبة الواقعة وسط شبه الجزيرة الهندية فيشمل ولايات كارناتاكا بأكملها وجنوب أندرا برديش وجنوب ماهاراشترا وشمال تاميل نادو وتكثر زراعة القطن في هذا الإقليم لخصب تربته البركانية. تمتد على =

مراكش، والكويت، ومسقط، واليمن، والبحرين، والقوقاز، وتونس، والجزائر، وطرابلس، وغير ذلك من الرئاسات الأخرى غير المعروفة.

والآن فإن انتخاب الممثل رهن بالوجدان، فأَيّ هذه الرئاسات كان هو الأقدم والأقوى والأكثر حضارة وتمدناً، والتي يكون استقلالها أشد استحكاماً، وجب أن يكون لها التمثيل التام، ومن الواضح الذي لا يحتاج إلى مزيد من الكلام أيّ هذه البلدان جامع لهذه الصفات.. لا أقول إن على هذه البلدان بأجمعها أن تصبح دولة واحدة، وإنما عليها أن تصبح بمنزلة الدولة الواحدة، فعلى كل واحدة منها تعيين ممثل قوي عاقل لها لتمثيلها في الحوار، والتشاور في الأمور العامة.

قال القاضي: لقد فهمت ما تعني، فأرجو أن تبين الشرط الثاني.

فقلت: وأما الشرط الثاني فهو باختصار: إن الاختلاف الوحيد الذي شطر المسلمين إلى نصفين، فهو يتمثل في مسألة الإمامة والخلافة، ولو عمدنا إلى تنقيح هذه المسألة من منطلق الصواب والإنصاف، فسوف نصل إلى الاتفاق والاتحاد التام في جميع الجزئيات بين أتباع الإسلام.. ومن هنا يتعين علينا أبداً أن نبذ ما نختلف عليه، ونعني بذلك ما به الاختلاف بين المسلمين في هذه المسألة، ونجعل ما به الاتفاق أساساً للاتحاد؛ وعليه نقول:

إن فرق الشيعة قاطبة وجميع فرق أهل السنة والجماعة تُجمع وتتفق على

=ثمانى ولايات هندية وتشمل مجموعة واسعة من المواطن، وتغطي أجزاء كبيرة من تيلانغانا وماهاراشترا وكرانتاكا وأندرا برديش وكيرالا وتاميل نادو، تقع الهضبة بين سلسلتين جبليتين هما غاتس الغربية وغاتس الشرقية، كل منها ترتفع من السهل الساحلي القريب الخاص بها وتقترب من الطرف الجنوبي للهند، أنتجت ديكان بعض السلالات الرئيسية في التاريخ الهندي بما في ذلك سلالة بالافا وساتافاهانا وفاكاتاكا وتشالوكيا وراشتراتاكا، وإمبراطورية تشالوكيا الغربية، وسلالة كادامبا، وإمبراطورية كاكاتيا، وإمبراطورية ماراثا، وسلطنة بهماني المسلمة، وسلطنات الدكن، وسلالة نظام الملك.

خلافة وإمامة الإمام علي بن أبي طالب - عليه السلام - وليس هناك في المسلمين من يشك في أن الإمام علي عليه السلام هو الأشجع والأعلم والأزهد والأتقى والأورع والأولى من جميع الصحابة، بالإضافة إلى كونه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله، وزوج ابنته الوحيدة، وخليفته بالنص.

وأما الخلاف في أن يكون هو الخليفة الأول أو الرابع، فلا يضرّ في إجماع المسلمين على أصل خلافته؛ إذ أننا إنما نتكلم حول أولويته وخلافته، ولم نشاهد من خالف في ذلك؛ وهذا يعني أن خلافة أمير المؤمنين عليه السلام تشكل ما به الاتفاق بين قاطبة الفرق الإسلامية، وأما خلافة الخلفاء الثلاثة فهي موضع خلاف بين فرق الإسلام وتشكل ما به الاختلاف بينهم، وإن الخلاف في هذا الشأن قد بلغ إلى أبعد المديات؛ إذ لم يقل بخلافتهم سوى فرق أهل السنة والجماعة، وأما فرق الشيعة فلا يقرّون لهم بذلك؛ وبذلك يكون هذا من مصاديق ما به الاختلاف بين المسلمين.

وبذلك تكون نتيجة هذه المقدمات هي أن المسلمين إذا أرادوا الوصول إلى الاتحاد الديني؛ فيجب أن يتفقوا قبل كل شيء على من يمثلهم في الحوار، وإذا نبذنا ما به الاختلاف المتمثل بخلافة الخلفاء الثلاثة، ونجعل مما به الاتفاق المتمثل بخلافة أمير المؤمنين عليه السلام وسيلة للاتحاد وأساساً للاتفاق، حتى نتجاهل بعد ذلك جميع ما به الاختلاف بالمرّة، ونمدّ إلى بعضنا يد الاتحاد، وأن نحضن بعضنا بعضاً، وأن ندافع عن بعضنا كما ندافع عن أرواحنا وأنفسنا، وإلا فلن نتمكن من تحقيق الاتحاد في غير هذه الحالة، وكل ما ذكرته إنما هو من الأمور الوجدانية التي لا يشك فيها عاقل.

فقال القاضي بعد تأمل طويل: أنا من هذه اللحظة أصدّق على كلامكم، ولكن.. متى.. من الأفضل أن نطبع هذه المقالة ونعمل على نشرها، ربما

توصلنا إلى نتائج محمودة، أو ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ﴾^(١).
وعليه من الطبيعي أن الاتحاد الديني إذا لم يقيم على هذا الأساس، فإنه لن
يجلب لنا الازدهار والرفي أو التقدم.

حاصل الكلام؛ لنترك كلام القاضي، فهذا هو حال الإسلام في الوقت
الراهن، ولكن لو أننا في الحقيقة خطونا خطوة صادقة، ومددنا إلى بعضنا
يد الاتحاد على الشرائط المذكورة أعلاه، فسوف نمسك بقصب السبق بين
الأمم، ونكون قد عملنا بحكم الإسلام.



[مواصلة السفر]

كنت مستغرقاً في هذه الأفكار؛ إذ أعادني إلى الواقع صوت المنادي يدعو إلى الاستعداد للرحيل؛ فتحاملت على نفسي ونهضت وأنا في غاية العناء والكسل، وجهّزت نفسي إلى الرحيل. أرسل (الآغا أمير [همايون]) جندياً من الخيالة؛ ليكون برفقتنا في حُلُكة الليل، وحيث كنت في غاية التعب والنصب من كثرة التفكير والانجراف مع الخيال، فقد وضعت رأسي على زاوية الهودج دون إرادتي، وعانقت (توأم الموت)^(١) بشدة، ثم استيقظت على أصوات همهمة في القافلة، واتضح أننا قد بلغنا عقبة شديدة الانحدار والخطورة، وتعيّن على الجميع أن يترجّلوا من رواحلهم، ومواصلة الطريق مشياً على الأقدام. أنعمنا على الفارس العسكري المبتعث من قبل (أمير همايون) - لتشييعنا مسافة من الطريق - بتحفة، وانصرف لشأنه.

وبدا على كل واحد من المسافرين كأنه قد أضاع شيئاً، إذ رأيت الجميع منهمكاً في ذلك الظلام يبحث بين الأحجار؛ فكانو يزيحون الحجارة الكبيرة ويفتشون ما بينها؛ فسألت أحدهم: ما الذي يفعله هؤلاء؟ فقال لي: لماذا لا تحذو حذوهم وتفعل مثلهم؟ إن هذه الحجارة التي تراها تحتوي على قطع من حجارة سحب الأرجل^(٢)، وهؤلاء يجمعونها ويأخذونها معهم

(١) يعني: (النوم). (المعرب).

(٢) هي حجارة الحمام التي تكون خفيفة الوزن خشنة الملمس تكثر فيها الفجوات بمختلف=

كهدايا إلى الأهل والأقارب والأصدقاء، كما يتم تصدير هذه الأحجار يومياً إلى جميع الأمكنة؛ فهي تشكل بضاعة تجارية رائجة ومربحة.. ولما كان هذا الشخص على شيء من البلاهة، فقد أحببت أن أمازحه؛ فقلت له:

آه، فقد أحللت عقدة قلبي، وجبرت خاطري بما يزيد على الوصف، ويجب لذلك تقبيلك؛ لقد سمعت أن الدولة لا تقوم باستخراج هذه المعادن؛ فما هذا إذن، ولمن هذه المعادن الباهظة الثمن؟ يبدو أن الذي يروج لهذه الشائعة عدو لإيران، ويحسدنا على ازدهارنا وثرواتنا! لم أكن حتى الآن أعلم أننا نمتلك مثل هذه التجارة العامة، إن جميع العالمين يحتاجون إلى حجارة سحج الأرجل، ولا شك في أن هذه الحجارة لا تتواجد إلا في إيران حصراً، فعلياً أن نغتبط جداً ونكون من الشاكرين!..

فقال الرجل الأبله: أيها السيد يتضح أنه لم يسبق لك أن أتيت إلى إيران؛ وإلا فإن ضرائب معادن الملح أكثر من ذلك بكثير، ولو تم جمع العاملين في الملح سوف يزيد عددهم على فوج كامل من العساكر، كما أنه في بعض الأوقات لا تفي الضرائب بأي واحد منهم، وبطبيعة الحال لو لم تكن هناك منفعة لما رصدوا لها كل هذا العدد من العمال! يُقال: إن منافع السكر البلوري في الهند لا يجلب دخلاً مربحاً كما يجلبه الملح البلوري^(١) في (أذربايجان)^(٢)!

فقلت: لم يسبق أن فرضت ضرائب على معادن الملح، وبعد أن فرضت الدولة ضرائب على ذلك، تم حمل ذلك منها على الخسة والظلم؛ ظناً منهم

=الأحجام، وتستخدم في الحمام وغسل الجسم وتنظيفه وسحج الأرجل للتخلص من البثور والزوائد. (المعرب).

(١) في النسخة (أ): (بلوري)، وفي النسخة (ب): (بلوى). وما في النسخة (أ) هو الصحيح. (المعرب).

(٢) في الأصل (آذربايجون)، مقول قول على لسان الرجل الأبله. (المعرب).

أنه كان شيئاً تافهاً يسترزق منه بعض الفقراء؛ ولكن يبدو - استناداً لما تقول - أنه يشتمل على ضرائب كبيرة، وبناء على ذلك لا تعود هناك من حاجة إلى معادن الذهب والفضة والفحم الحجري والنفط والأحجار الكريمة الموجودة في بطون الجبال والوديان من قطرنا الحبيب؛ ومن الأفضل أن نتصدّق بها - لسلامة الفقراء - على ملوك البلدان الأخرى! وطبقاً لما تقول: يمكن لنا أن نستثمر عوائد معادن الملح في بناء سكك حديد وهمية تربط جميع المدن والمحافظات الإيرانية ببعضها؛ فلماذا لا يشحذون همهم، ويهملون إنجاز هذه المشاريع؟!

فقال الرجال الأبله: ما الذي يمكنني قوله، ربما سيقومون بذلك لاحقاً، ولكنهم يقولون (إذ سمعت ولم أرَ ذلك بأمّ عيني): هناك سكك حديد في [جميع المدن الإيرانية]^(١) من تبريز وبادكوبه وتفليس وخراسان وسمرقند وبخارا وقندهار والهند وبغداد والبصرة؛ فمن أين أقاموا هذه السكك، وهناك أماكن أخرى لا أعرف أسماءها، ألم ترَ أنت أو تسمع بذلك؟! وهنا لم أستطع كتمان ضحكتي وانفجرت مقهقهةً.

فقال الأبله: لماذا تضحك أيها السيد، فهل غدوت أنا الرجل العجوز أضحوكه لك؟!!

فقلت له: أستغفر الله أيها العم؛ فقد استرسلت في الحديث حتى قصّرت في رسم الخارطة الإيرانية وجعلتها تبدو أصغر مما هي عليه في الواقع^(٢)؛ فإن المدن التي ذكرتها إنما كانت على عهد ملوك الصوفية [و]^(٣)

(١) ما بين المعقوفتين إضافة توضيحية من عندنا. (المعرب).

(٢) يأتي هذا الكلام على سبيل التهكم؛ إذ ورد في كلام الأبله ذكر مدن من خارج الخارطة الإيرانية الراهنة؛ حيث عدّ سمرقند وبخارا وقندهار والهند والبصرة وبغداد من المدن الإيرانية! (المعرب).

(٣) ما بين المعقوفتين إضافة ضرورية للفصل بين ملوك الصوفية ونادر شاه؛ إذ يعتبر نادر شاه مؤسساً للمملكة الأفشارية على ما سيأتي توضيحه في الهامش اللاحق. (المعرب).

نادرشاه^(١).. وأما الآن فقد اتسعت رقعة إيران، وصار علمنا يرفرف في بلاد الإفرنج والمدن الأخرى والعوالم البعيدة أيضاً، وصار من الواجب على جميع الملوك أن يدفعوا لنا الأتاوة ويحملون إلينا الخراج، حيث تدفع كل دولة الأتاوة لنا على حدة! ألم تر كيف أرسلت الدولة الألمانية قبل خمس^(٢) سنوات مبعوثاً إلى مملكتنا، وقامت بتوزيع الكثير من الليرات العثمانية بين فقرائنا.. وقامت الدولة الإنجليزية بـ(رصف وتعبيد)^(٣) طرقنا وشوارعنا.. وقام الأمريكان بتأسيس المشافي والمدارس في أرضنا، وأخذوا يلقنون صغارنا مبادئ الدين المسيحي! عليك أن لا تظن أن هذا يأتي بالمجان، أو أنه نذر نذروه على أنفسهم، أو صدقة على أرواح موتاهم، وإنما هي أتاوة مرغمون على دفعها إلينا؛ فقد أبرمنا معهم عهداً وميثاقاً وأخذنا عليهم أنهم إن لم يدفعوا الخراج على هذه الشاكلة، ولا يقومون على خدمتنا، فإننا بقوة الإسلام سنقلب الأعلي من أرضهم على أسافلها، وإن هم جنحوا إلى السلم والراحة تعيّن عليهم القيام بخدمتنا على نحو ما ترى، وأن يعملوا على تنصير أبنائنا رغم أنفهم!

(١) نادر شاه أفشار أو نادر قلي (١١٠٠ - ١١٦٠هـ): ملك إيران (١١١٤ - ١١٢٦هـ ش)، ومؤسس الأسرة الأفشارية على أنقاض الدولة الصفوية، تمكن من توحيد الجيش الإيراني، وحارب على شتى الجبهات في مرحلة كانت تعاني فيها إيران من الضعف والتشرد، فطرد الأتراك العثمانيين في الغرب، وردّ الروس في الشمال، وقضى على الأفغان في الشرق، ثم فتح الهند وتركستان، وعدّ بذلك من أعظم الغزاة وآخر الفاتحين في آسيا. بيد أن حكم سلالته لم يدم طويلاً، فبعد قتله غيلة على يد بعض حراسه، دبّ الخلاف في أسرته، حتى انحسر ملك حفيده واقتصر على خراسان؛ ليقتل هو الآخر وكتب نهاية لحكم هذه السلالة؛ ليقوم على أنقاضه حكم السلالة الزندية، وبعدها حكمت الأسرة القاجارية. (المعرب).

(٢) الرقم (٥) ساقط من النسخة (ب). (المعرب).

(٣) في الأصل: (شوسه) من اللغة الفرنسية، بمعنى: رصف الطرق بالرمل والحجارة الصغيرة حتى تكون صالحة لسير الحافلات. (المعرب).

فقال الأبله: ما الذي تقوله أيها السيد؟! فأنا أعلم ذلك كله، ولكن ما الذي يمكن أن نجنيه من الدين الأرمني؛ إذن قل: إنهم يدفعون النقود، ويأخذون الدين.

فقلت له: لم يعد هناك وقت للكلام؛ فقد سبقنا الرفاق في المسير، وعلينا اللحاق بهم!

فقد أدركت أن المزيد من الكلام سينتهي بنا إلى متاهات أخرى!

وصلنا إلى نهاية العقبة، فقال لي سماحة السيد أحمد الزعفراني: سيدي، لقد حان وقت الصلاة، ولكن ليس لدينا ماء للوضوء؛ فتعيّن علينا لذلك أن نسبق القافلة برفقة الأصحاب للبحث عن الماء على عجل، فتجاوزنا مسافة تقدّر بفرسخ واحد أمام القافلة؛ فوجدنا مسيلاً ربيعاً جداً ينزل على السفح من أعلى الجبل الذي تعيّن علينا اجتيازه، وكان ماء المسيل ينساب في غاية الصفاء. وبعد أداء الصلاة أدركتنا القافلة؛ فركبنا جميعاً وانطلقنا لمواصلة الطريق.

بعد طلوع الشمس بثلاث ساعات رأينا سواد المدينة، كان الأفق المائل أمامنا زاخراً بثمار البطيخ الأحمر، والبطيخ الأصفر، وبيادر القمح، وشتى أصناف الخضروات الأخرى، ودخلنا المدينة قبل حلول الظهر بساعتين. اختطف الحاج علي أكبر زمام الهودج، وأدار رأس البعير ناحية الزقاق، واستقرّ بنا المقام بالقرب من الشارع العام في منزل مستقل، وبعد أداء الصلاة وتناول وجبة الغداء، خرجت برفقة علي أصغر لمشاهدة معالم المدينة، وكان النشاط في السوق من بيع وشراء التجار والكسبة وأصحاب المحال بسبب ازدحام الأكراد ملحوظاً، ولكنه لم يكن كما هو الشأن في مدينة (سُنقر).

[حكاية الشاب الكردي]

كنا نسير في السوق بحرية تامّة عندما أمسك شخص بعضدي من الخلف مسلّماً، فالتفت ناحية اليسار على عجل؛ فرأيت شاباً وسيماً، يمدّ يديه للمصافحة بتواضع جمّ، ثم قال: سيدي، هل أنتم قادمون من زيارة العتبات المقدّسة؟

فقلت: أجل.

فقال الشاب: هل لكم أن تقبلوا دعوتي لتناول الشاي في دكاني؟

فقلت له: إذا عرّفتني بشخصك، سيكون لي الشرف بتلبية دعوتك.

فقال الشاب: إنما أردت التشرّف بقدومكم المبارك، وحيث أنكم قادمون من تلك البقاع المطهّرة، فإن من الشرف لي أن تكحلّوا متجري بتراب أقدامكم، فإن وقفت على صدق نيتي شرّفتني، وإلا كان الصواب ما يراه سماحتكم على كل حال.

فوجدت أن رفض دعوته مخالف للمروءة؛ فقبلت دعوته بامتنان، ورافقته عائداً إلى الورااء مسافة عشرين خطوة؛ حيث أشار إلى دكان بديع، وأدركت من زينة المكان وخلوّه من بضاعة للبيع واشتماله على مجرّد قاصة حديدية أنه صيرفي. فأخذت مكاني مطمئناً في ناحية منه، وأقبل شاب أنيق ليضع أمامي فنجاناً من الشاي بأدب جمّ.

فقال لي الشاب التاجر: سيدي متى كان انطلاقكم من مدينة كرمانشاه،

وهل هناك صحّة لخبر منع الزائرين من الذهاب إلى العتبات المقدّسة أم لا؟
وهل سبق أن طرق سمعكم مثل هذا الخبر أم لا؟

فقلت له في الجواب: لقد خرجنا من هناك في اليوم التاسع والعشرين من شهر ذي الحجة، وأثناء توقفنا لم نسمع شيئاً بهذا الشأن.. ولكن عندما كنا في (خسرو آباد)، وصلت إلى (أمير همايون) برقية صادرة عن وزارة الخارجية بتعميم حظر السفر إلى العتبات المقدسة على جميع المدن الإيرانية بسبب انتشار الوباء في منطقة ما بين النهرين؛ ولكن يبدو أن انتشار المرض هناك ليس سوى ذريعة ظاهرية لا أكثر!

هزار نكته باريكتر ز مو اينجا است^(١)

ولكن لا تسألني عن الكيفيات والتفاصيل.. وفي الأثناء دخل علينا شاب وسيم طويل القامة حسن الصورة أسود الشعر، وقد شدّ على رأسه لفافاً حريراً، يتبعه عدد من الأشخاص، فألقى التحية علينا بوقار، ثم سأل عن سعر الليرة العثمانية؛ فقال له التاجر الشاب بلسان عذب: (فديتك، نشري [الليرة] بأربع تومانات وعشر شاهيات)؛ فماكسه الشاب بزيادة قران واحد^(٢)، ولكن التاجر لم يقبل؛ فقال الشاب: لا بأس، نأتيك في وقت

(١) شطر من بيت شعر للشاعر الفارسي الشهير حافظ الشيرازي، وتمام البيت: (هزار نكته باريكتر ز مو اين جاست.. نه هر كه سر بتراشد قلندري داند)، والمعنى: (هناك في البين ألف سبب أدق من الشعرة.. وليس كل من حلق الرأس عدّ من القلندرية)، والقلندرية جماعة من الصوفية الملامتية (بمعنى أصحاب النفس اللوامة)، وتمتاز هذه الجماعة بإهمال التقاليد الاجتماعية. وتعود ذروة اشتهار هذه الجماعة إلى القرن الهجري السابع، وكانوا يمتازون من سائر الصوفية بحلق شعر الرأس واللحية والشاربين، بل وحتى الحاجبين أيضاً. وقد نسب الرحالة المعروف ابن بطوطة هذه الظاهرة إلى الشيخ جمال الدين الساوجي (الساوي)، وقيل: إنه إنما فعل ذلك للنجاة بنفسه من امرأة أرادت أن تفتته، ثم صار أتباعه ومريدوه يفعلون ذلك اقتفاء لأثره. (المعرب).

(٢) تقدّم في هامش سابق أن ذكرنا أن (القران) أو (القيران) يمثل العملة الشائعة في إيران في =

آخر، ثم انسحب بعنفوان ووقار.. ولما خلا بنا المقام سألت التاجر الشاب عنه؛ فقال لي:

اسمه (سنجاب خان)، وهو من نجباء رؤساء الأكراد، ولجده حكاية غريبة، ولو مكثت عندنا ساعة رويت لكم خلاصة من حالاته؛ فهي تجمع بين العذوبة والمرارة!

فقلت له: لا أرى بأساً في ذلك، وكلني رغبة في الاستماع.



=العهد القاجاري في الفترة ما بين عامي ١٨٢٥ - ١٩٣٢ للميلاد، وكانت هذه العملة تعدل عشرين شاهياً أو ألف دينار، وتبلغ قيمة القرآن عُشر التومان، حتى حلّ الريال محل القرآن عام ١٩٣٢ م. (المعرب).

[برايۃ المکابۃ]

قال التاجر [الشاب]: يمكن لك أن تستدل بشمائل هذا الشاب على فضائل جدّه.. إنه شاب يُدعى سنجاب، طويل القوام، قوي الشکيمة، حلو اللسان، مصارع الأسود، جميل الأخلاق، بديع الشیم، محارب شجاع، حسن الطالع، رفيع العماد، وباختصار: هو مستجمع لأغلب الصفات الحسنة.. كانت له ابنة عم في غاية الواجهة، إذا برزت بوجهها المليح احتجبت الشمس في نقابها، وعندما تطلع السنابل الملتفة من ظفائرها السوداء، تُسبى القلوب الوالهة بنظرات عيون تزي بعينون المها، وتصرع الرجال بسهام لحاظ تنطلق من بين قوس الحاجبين، وكأن قلم الخلق قد خط على جبينها الوضاء هذين البيتين:

[س] (١)

اي گل تو چه پکمانی نزد لب خنداناش وان جور تو چه کم نوري نزد رخ تابانم (٢)

(١) وضع علامة (س)، يدل على أن البيتين من نظم مؤلف الرحلة على ما تقدّم بيانه في دياجۃ الكتاب، ولكن روايتهما على لسان التاجر الصيرفي تدعو إلى التأمل، إلا أن يكون المؤلف قد نقل الحكاية عنه بتصوّف. (المعرب).

(٢) المعنى: (لماذا الحزن أيتها الزهرة عند مبسم اللمى.. ولماذا انكسف النور منك عند نور وجهها الساطع).

آهوي ختن را گو تا چشم سیه بیند کین چشم سیّه حیران بنموده دو چشمانم^(١)

كانت تلك الفتاة المحظوظة ملاكاً على شكل إنسان أو قل: هي حوراء إنسية، واسمها كذلك بريزاد [فهي بذلك اسم على مُسمًى]^(٢).. وقد وقع سنجاب في غرامها وهام في حبّها، وكان والده أميراً لطائفة كبيرة من الأكراد الذين يعتنقون مذهب أهل السنة والجماعة، وكانت له سطوة كاملة على جميع المناطق المحيطة والخاضعة لسيطرته، وما إن علم برغبة وشغف نجله الأكبر البالغ من العمر ستة عشر عاماً، بابنة أخيه الحوراء البالغ عمرها أربعة عشر عاماً، حتى أقام تجمّعاً كبيراً دعا إليه جميع رؤساء وعلماء الأكراد.. وبعد أن حضر جميع الكبار والوجهاء أخذ كل واحد مكانه من المجلس، ثم التفت الأمير إلى الحضور قائلاً:

يا رؤساء القوم، ويا نجباء الأكراد، أعلم أنكم لا تدرون سبب هذا الاجتماع؛ فأعلن لكم من هذه اللحظة أن ثمرة هذا الاجتماع المبارك ستكون سروراً وفرحاً وبهجة لسائر طوائف الأكراد، وأعني بذلك أنني أريد أن أنكح (بريزاد) من (سنجاب)، وأريد بهذا الاقتران والجمع بين هذين الكوكبين الدريّين، أن أنير نجم الأكراد؛ فإني خشيت أن يفترسني ذئب الأجل على حين غرّة، دون أن أحقق هذه الأمنية العريقة.. وأريد أن أستمع إلى رؤية كل واحد منكم في هذا الشأن؛ كي لا أكون مستبدّاً برأيي..

فقال الجميع بصوت واحد زاحر بالغبطة والبهجة: (ما قيمة رأينا في قبال رغبة الأمير! كيفينا سعادة أن شرفتنا بدعوتك لنا إلى هذا المجلس

(١) المعنى: (تحدث عن غزال المسك كي تراعى العين الكحيلة.. فإن هذه العيون السوداء قد أذهلت عيوني).

(٢) ما بين المعقوفتين إضافة توضيحية من عندنا، لبيان الجنس الموجود في كلمة (بريزاد) في النصّ الفارسي، فهو يستعمل تارة للدلالة على الحوريات أو الملائكة، وتارة أخرى علماً للأشخاص. (المعرب).

الكريم، ونوّرت أبصارنا الكليّة بمشاهدة هذا المحضر الشريف والجليل..
الرأي رأي الأمير.. والحكم حكمه).

فالتفت الأمير إلى القضاة، قائلاً: إذن، يمكن لكم إبرام العقد الشريف،
والجمع بين (كوكب الزهرة) و(كوكب المشتري)^(١).

وبعد أن أخذ القضاة إشعاراً بذلك، قاموا بإجراء عقد الزواج بين هذين
السراجين، وارتفعت صيغة وعُلقَة (أنكحت وزوّجت) إلى عنان السماء؛
لترتفع فوق جميع الأفلاك والأبراج.. وما إن تمّ النطق بصيغة القبول
المباركة بشهادة العدول، حتى عمّ الفرح والسرور عالم الأكراد، وانطلقت
أهازيج الفرح من جميع الأنحاء والجهات، وكانت كل طائفة تشدو بألحانها
الخاصة والنغمات التي تميّزها من سائر الطوائف الأخرى.

ومنذ ذلك اليوم أخذ (سنجاب) يعيش على أمل تحقيق السعادة بوصال
الحبيبة (بريزاد)، وكان لذلك يسهر الليالي الطوال متضرّعاً إلى الله سبحانه
وتعالى كي يحقق له هذه الأمنية.. وكان من ناحية أخرى بسبب كثرة تردّده
على العلماء من الجعفرية قد اعتنق مذهب التشيع؛ فكان لذلك يخشى أن
يكشف سرّه، ويُحال دونه ودون تحقيق الوصال والاقتران بابنة عمّه الأثيرة
عنده؛ فكان لذلك يُلحّ في التعجيل على تحقيق غايته ومبتغاه..

ولكن سرعان من انقلب عليه حظه بوفاة والده وارتحاله من هذه الدنيا
الفانية؛ وبذلك انتقلت الرئاسة إلى (سنجاب) على عشرة آلاف فارس ولم
يكن يبلغ من العمر سوى سبعة عشر عاماً.. ولكن بعد وفاة الأب حيث كان
العمّ مطلعاً على سرّ (سنجاب)، فقد عمد إلى حمل ابنته الوحيدة والذهاب
بها بعيداً معلناً بذلك انفصاله عن الطائفة؛ وحيث سأله كبار القوم عن سبب

(١) يأتي تخصيص كوكب الزهرة والمشتري في النصّ أعلاه، من أن كوكب الزهرة يرمز للحب،
كما يُعرف كوكب المشتري بأنه (ملك الكواكب)، فيأتي هنا تشبيه (بريزاد) بكوكب الزهرة،
و(سنجاب) بكوكب المشتري. (المعرب)

انفصالة؟ كشف لهم عن السرّ الذي كتّمه (سنجاب) عنهم جميعاً.. ثمّ أخذت الرعية والجيش شيئاً فشيئاً تحاط علماً بتشيّع هذا الشخص النزيه والطاهر، وأخذوا يتفرّقون عنه بالتدريج، حتى لم يبق معه سوى أربعة عشر فارساً على صبغته ومساره، وأعلنوا له الوفاء والبقاء على طاعته.. وظل هذا الشجاع يواصل حياته بين الأكراد بحرية كاملة، ثابتاً في مركزه مثل الجبل الأشم، وكان ينظر إلى أعدائه بترفع ولا يقيم لهم وزناً، وكان آمناً مطمئناً من أن سرب النمل لا يمتلك حيلة للتآمر عليه والتغريب به، غافلاً عن أن حقيقة الأمر إنما هي كما يقول الشاعر:

(پشه چو پر شد بزند پیل را با همه تندي و صلابت كه اوست
مورچه گان را چو بود اتفاق شیر ژيان را بدرانند پوست)^(١)

بيد أن عمّه الماكر جمع كبار الأكراد في منتصف ليلة، وقال لهم: إني لست آمن من قوّة ساعد سنجاب الذي استبدل دين آبائه وأجداده بدين الروافض؛ وخوفي أن يدفعه الهيام بابنتي بريزاد إلى الهجوم على مهجعي ليلاً والإجهاز عليّ مستعيناً بقوّة شبابه، فيمتلك بذلك ناصية الأكراد ويستحوذ على ابنتي بريزاد.. ولست أرى حيلة سوى دفع هذا المغوار الفذ، والعمل معاً على إذلال هذا الوحيد في الآفاق؛ فلو أن قبضته القادرة على البطش بأسد تمكنت من مقبض سيفه لن يُبقي منكم أحداً، وعليه أرى من الأسلم لنا أن نجهز عليه وهو نائم في فراشه، ونطّيح ببيرق شبابه في غفلته.. وإذا لم أره مضرّجاً بدمه، ولم أر جسمه مرمّلاً بالتراب؛ فهيهات لي أن آمن

(١) هذان البيتان للشاعر الفارسي الشهير (الشيخ الأجل سعدي الشيرازي)، أوردهما في حكاية له في كتابه المعروف بـ(گلستان) أو (روضة الورد)، ومعناهما: (عندما تشعر البعوضة بالامتلاء فإنها تسقط الفيل أرضاً.. رغم ما عليه الفيل من القوّة والصلابة / والديدان إذا تكاثفت واتحدت.. ستسلخ جلد الأسد المفترس). (المعرب).

من سطوته وبطشه.. حذاري أن تتهاونوا في القضاء على هذا الأسد الهزبر؛ فإنه إن ظفر بكم لن يبقني على أحد منكم، وسوف يصنع من لحمكم طعاماً للضواري، ومن دمائكم شراباً لسيفه الذي لا يشبع ولا يرتوي؛ فوافقه كبار القوم على رأيه بأجمعهم، واختاروا ثلاثين رجلاً من الأكراد ليخطفوا طائر روحه من جسده أثناء نومه.. بيد أن (بريزاد) التي حرّمها الهيام بابتغائها من تذوّق نعمة النوع راعها سماع تأمر أهلها على زوجها، وانطلقت زفرات حسرتها من أعماق قلبها؛ فسارعت إلى كتابة رسالة بهذا المضمون إلى ابن عمّها سنجاب:



[مضمون رسالہ بریزاد]

(حبیبی العطوف، وابن عمّی الأعزّ علیّ من نفسی، اعلم أني قد وقعت أسيرة في شباك حبّك منذ فترة طويلة، وقد رسفت أقدامی بأغلال حنانك.. عندما أرفع رأسي من الوسادة في كل صباح، أتذكر جمالك الذي يحسدك عليه البدر والهلّال، فيقع ذكرك بلسماً على قلبي الجريح، وتنسكب دموع الحسرة على وجنتي دون إرادة مني، وقد تمزّق ثوب تصبّري على بُعد الشُّقّة، ومن كثرة البكاء أصبحت أبداً مخضّلة الوجنات. فديتك:

یا من نا صبور را پیش^(۱) خود از وفا طلب
یا تو که پاک دامنی صبر^(۲) من از خدا طلب^(۳)

(۱) في نسخة أخرى (بسوي)، أو (نزد)، بدلاً من (پیش).

(۲) في نسخة أخرى (مرگ)، بدلاً من (صبر).

(۳) البيت للشاعر الفارسي محمد بن يوسف بن شهاب الشيرازي المعروف بـ(أهلي الشيرازي) (۸۵۸ - ۹۴۲هـ) شاعر ومتصوّف من شعراء القرن التاسع والعاشر للهجرة. عاصر السلطان إسماعيل الصفوي، والسلطان طهماسب، والسلطان يعقوب آق قويونلو. من مؤلفاته: (زبدة الأخلاق)، و(تحفة السلطان)، وله رسالة في العروض وديوان شعر. وله الكثير من الأشعار في مدح الإمام علي عليه السلام، وسائر الأئمة الأطهار عليهم السلام. يقع قبره بالقرب من قبر حافظ الشيرازي. ومعنى البيت أعلاه: (إما أن تفي بوعدك وتأخذني إليك إذ لم أعد أطيق صبراً.. أو أن تطلب من الله - وأنت الطاهر - أن يمنحني صبراً). (المعرب).

هر دم باد كاكل مشكينت قرار از كفم ميربايد

و خيال عنبرينت آرام از دلم ميزدايد^(١)

في تمنّي وصالك أصبحت ذاهلة، ومن تجليات جمالك مندهشة.. متى
تحين لحظة جلوسي في حِجرك الملكي، وأقطف القُبَل من عينيك
المقدامتين.. إني لا زلت على عهدي القديم، حتى إذا لم تعد أنت على
قديم وعدك، ولا زلت أحمل الهوى للرفيق القديم، حتى إذا عقد العزم على
القطيعة والجفاء.

من آنم ار تو نه آني كه بودم اندر عهد بدوستي كه نكردم ز دوستيت عدول^(٢)

خذ حذرک فإن الأعداء والأوباش قد جرّدوا سيوفهم، وقد أخذوا
مواضعهم ومكانهم لقتالک.. حذاري من أن ينثروا حصاد عمرك العزيز كما
صُنِعَ بـ(فرهاد)، أو يجتثوا بيدر (شيرين)^(٣) بخبثهم وطغيانهم.. لقد اختاروا

(١) لم نعثر على قائل لهذا البيت، ومعناه: (كلما تذكرت ذؤابتك السوداء اضطربت فرائصي..
وإذا مرّ بي خيال خالك العنبري اضطرب قلبي). (المعرب).

(٢) البيت من قصيدة للشاعر الفارسي (الشيخ سعدي الشيرازي)، ومعناه: (أنا كما أنا لم أغير
كما تغيّرت أنت ولم تفِ بوعدك.. وحافظت على ميثاق الصداقة المنعقد بيننا ولم أخن).
(المعرب).

(٣) حكاية (شيرين وفرهاد) قصة حبّ في الأدب الفارسي على غرار (قيس وليلى) في الأدب
العربي. وقد وردت قصة (فرهاد وشيرين) ضمن قصيدة تنيف على الألفي بيت من الشعر
تعاقب على نظمها كل من الشاعر (وحشي بافقي)، و(صابر الشيرازي)، و(وصال
الشيرازي)؛ إذ أن الأجل لم يمهل الأولين على إتمامها. إنها قصة حبّ من طرف واحد،
تنتهي نهاية مأساوية، وفيها تفاصيل كثيرة لا يتسع المجال إلى سردها، ولكن خلاصتها: أن
شيرين كانت أميرة أرمينية خطبت للأمير خسرو نجل الملك شابور من السلالة الساسانية،
وكانت شيرين تحبّ شرب اللبن طازجاً، ولما كانت المسافة إلى قطع الغنم والماعز بعيدة
بحيث يستغرق جلب اللبن مدة طويلة يفسد معها طعم اللبن، اقترح شابور أن يُعهد إلى
شخص يدعى فرهاد - معروف بالنحت على الحجارة - أن ينحت من الجبال إلى القصر =

ثلاثين رجلاً من اللئام للإجهاز عليك في الليلة القادمة وأنت نائم في فراشك، كيما يتسنى لهم تحقيق نصر اللئام على الكرام.. وإنني وإن كنت أعلم أنك محارب مغوار ومقاتل هُمام تعدل في قوتك قوّة ألف فارس، ولكن قد تعجز حتى الأسود من النجاة من مخالب التقدير والقضاء.. وأرى من الأفضل أن تأتي مساء الغد إلى بيت أحزاني، وتخطف بقبضتك عشقك الصادق.. ربما أمكن لنا العيش - في هذا الزمن الرديء - بسعادة في بلاد بعيدة، ولا طاقة لي بقول المزيد.

حببتك التي تفديك بنفسها.. بريزاد

ثم وضعت الرسالة في ظرف، وأعطتها لجارية هي مستودع أسرارها كي توصلها إلى ابن عمّها.. وحيث كان سنجاب جالساً على صخرة وهو مستغرق في التفكير بأيام السعادة؛ إذ ظهرت له الجارية وألقت برسالة بريزاد في حجره.. وما إن وقع بصره على ختم بريزاد حتى قام من مجلسه احتراماً وتقديراً، وأخذ يسكب الدمع المدرار على خديه، ثم أخرج من جيبه قبضة من الدراهم والدنانير وأتحف بها الجارية أجراً على حمل الرسالة.. ولما علم بمضمونها، سارع إلى كتابة رسالة جوابية إلى ظبيته بهذا المضمون:

=أخذوداً يُسكب فيه اللبن من أعلى المصبّ وصولاً إلى منحدره في القصر؛ فقبل فرهاد هذه المهمة، وعند تفقّد شيرين لسير العمل، وقع فرهاد في حبّها، حتى اشتهر منه ذلك بين الناس وصار حديث الأوساط، ولما أنهى الخبر إلى خسرو، حاول ثني فرهاد عن حبّ شيرين بشتى الطرق ولكن دون جدوى، حتى احتال عليه أخيراً بأن أرسل له من يخبره بموت شيرين، وقد كان هذا الخبر الكاذب كفيلاً بأن يضع حدّاً لحياة فرهاد؛ فلم يتحمل صدمة الخبر، وسقط على الأرض ميتاً. (المعرب)

[مضمون رسالة منجانب]

يا بلسم روحي، ويا حبيبتي الأثيرة، أنا بدوري أسير مقيّد بسلاسل جدائلك.. وقد أورثني البُعد عن عذب لُماك مرارة في فمي.. متى ننسى أيام التناهي والهجران وأضُمّ باقة الأزهار إلى صدري.. كلما ذكرت قامتك الفارعة شعرت بهزة في أعماقي، وقض مضجعي خيال الصياد من حاجبيك.. هيهات أن أسلو عن ماء الحياة، بل سوف أطير مثل الفراشة وأدور حول شعلة الشمع العبق حتى أموت.

(س)

زينهار دست برکشتم از مهتر اي حبيب

صد بار گر تو بند ز بندم جدا کني^(١)

اول کسی که لاف محبّت زند منم

بهر فدا اگر تو محبان ندا کني^(٢)

(١) المعنى: (هيهات أن أسلو عن حبك أيتها الحبيبة.. لن أسلو عنك حتى لو قطعوا أوصالي مئة مرّة).

(٢) المعنى: (أنا أول من يشدو بلحن الحبّ.. إن أنتِ طلبت من المحبين أن يفتدوك). والشرط الأول من هذا البيت يرد شرطاً لبيت من قصيدة للشاعر الفارسي (الشيخ الأجل سعدي الشيرازي) أيضاً؛ إذ يقول: (گر تیغ برکشد که محبان همی زنم.. اول کسی که لاف محبّت زند منم). والمعنى هنا: (لو صرخ السيف على العشاق بضرب الرقاب.. لكنك أنا أول من يشدو بلحن العشق). (المعرب).

گر برکنم دل از تو [و]^(١) بردارم از تو مهر

این مهر بر که افکنم؟ این دل کجا برم؟^(٢)

لقد ذكرت أيتها الحبيبة أن المناوئين والأوباش لم يراعوا حقّ الوفاء لنا، وأنهم قد نقعوا سيوفهم بسمّ الجفاء يريدون قتلي.. وإني لأقسم بجذائك العنبرية أنني ما دامت يدي ممسكة بمقبض سيفي، لن أبقى على هذه البسيطة من هؤلاء الأشرار دياراً.. وما قيمة الثعالب حتى تفكر بمنازلة أسود البراري، وما خطر البلهاء حتى يتنطعوا للتغلب على العقلاء والأدباء؟! وإني على الرغم من علمي بأن قد لا أنجو من حيلتهم بسهولة، ولكنني أعلم بضرورة الصبر على ليل الهجران من أجل بلوغ أيام الوصال، ولا بد لمن يريد أن يدرك الربيع من تحمّل فصل الخريف.

(١) ما بين المعقوفتين موجود في بعض النسخ. (المعرب).

(٢) المعنى: (إن منعت قلبي منك وكففت عن حبك.. فلمن أعطي هذا الحب، وماذا أصنع بهذا القلب). أول من قال هذا البيت من شعراء الفُرس هو مسعود سعد سلمان (٤٣٨ - ٥١٥ هـ) وهو من شعراء القرن الخامس والقرن السادس للهجرة، وقد اختلف أرباب السير في مكان ولادته؛ بين همدان، وجرجان، ولاهور، وقال بعضهم إن أصله من همدان ولكنه ولد وعاش في لاهور. وقد نظم الشعر بالفارسية والعربية والهندية، ولم يبق من ديوانه العربي سوى بعض الأبيات المحفوظة في كتاب (حدائق السحر في دقائق الشعر). وبعد ذلك بأكثر من قرن أورد (نصر الله المنشئ الشيرازي) هذا البيت في كتاب (كليلة ودمنة). وبعد ذلك بقرنين قام كمال الدين إسماعيل الإصفهاني الملقب بخلاق المعاني بذكر هذا البيت في بعض قصائده، وهو من شعراء إيران في القرن السابع للهجرة، قتل على يد المغول سنة ٦٣٥ هـ، وبعد ذلك بأربعة قرون ضمّن شمس الدين حافظ الشيرازي (نحو ٧٢٥ - ٧٩٢ هـ) هذا البيت في شعره، مستشهداً به في قصيدة له مع تصريحه - خطأً - بأنه لكمال الدين؛ إذ يقول في البيت السابق عليه: (ور باورت نمي کند از بنده اين حديث.. از گفته (كمال) دليلي بياورم)؛ بمعنى: (إن كنت لا تصدّق مني هذا الكلام.. فسوف آتيك بالدليل من كلام (كمال)). (المعرب).

باغبان گر پنج روزي صحبت گل بايدش

بر جفاي خار هجران صبر بلبل بايدش^(١)

وعليه فإني إذا لم أضح بنفسي فداء لناحل طرفك، لن أكون ذلك العاشق
الولهان، وإن لم أقبل النزال في مهرجانك الملّكي، لن أكون صادقاً.

عاشق گل دروغ مي گوید گر^(٢) تحمّل نمي کند خارش^(٣)

كوني على اطمئنان؛ فإن الأعداء والأوباش لا يملكون من الخطر الذي
يدفع مثلي إلى الهروب من أمامهم.. فإن (رستم)^(٤) وإن كان نسرّاً فريداً في
أجواز السماء، إلّا أن جيش (توران)^(٥) ليس سوى حبّ ودخن في منقاره..
وإني سوف أخرج إليهم في تلك الليلة مسرعاً وأحصد رؤوسهم جميعاً بذبالة
سيفي.. فمن الخير لي أن أنال المُنَى مثل (برويز)^(٦)، وأقطف من لُمَى ذلك
الميّاس الغنج وأنا على سرير الرئاسة، وإن كان لساني عاجزاً عن بيان
مقدار شوقي، إلّا أن خفقان طائر قلبي، يشهد على صدق حبي:

(١) البيت من قصيدة لشمس الدين حافظ الشيرازي، ومعناه: (لو أراد المزارع مناغة الأزهار
لبعض الوقت.. وجب عليه أن يتعلم الصبر على جفاء الهجران من الطيور الوالهة).

(٢) في نسخة أخرى (كه) بدلاً من (گر).

(٣) البيت للشاعر الفارسي العريق الشيخ الأجل سعدي الشيرازي، ومعناه: (يكذب من يدعي
حبّ الورد.. وهو لا يطيق صبراً على وخزات شوكة).

(٤) بطل أسطوري إيراني، سبق أن تقدّم وسيأتي ذكره في بعض الهوامش أيضاً. (المعرب).

(٥) نسبة إلى الطورانيين أعداء إيران. (المعرب).

(٦) (برويز) أو (خسرو برويز) أو كما يُعرف في اللغة العربية بـ (كسرى): ملك إيراني ذائع
الصيت من السلالة الساسانية. وهو نجل الملك هرمز الرابع، وحفيد الملك كسرى الأول.
وهو الذي أرسل له النبي الأكرم صلى الله عليه وآله رسالة يدعوها إليها إلى الإسلام. قتل على
يد ابنه شيرويه المعروف بـ (قباد الثاني). (المعرب).

برسينه ات اي كاش نهم سينه خود را
تا دل به تو گويد غم ديرينه خود را^(١)

ثم طوى الرسالة ووضعها في يد الجارية.
وما إن حلت الليلة الموعودة حتى جمع (سنجاب) رجاله وأخبرهم
بالمؤامرة اللئيمة والخطبة التي يبيتها الأوغاد له؛ فقالوا له بصوت واحد:
إن أيدينا على مقابض سيوفنا المتعطشة إلى دماء هؤلاء الجبناء، فكن
على ثقة بنا ولا تدع القلق أن يساورك.. وما إن مضى على الليل نصفه حتى
أحاطت جموع الأكراد بأطرافه؛ فهجم (سنجاب) عليهم مثل شعلة النار
الملتهبة بخيله ورجاله، وما إن وقع نظر الأكراد على قامة سنجاب الفارعة
حتى هربوا من بين يديه خوفاً من أن ينالهم نقيع سيفه، وخلفوا وراءهم ثلاثة
عشر رجلاً صرعى مرمّلين بدمائهم، وسارعت فلولهم إلى عمّه الغدار تخبره
بما جرى عليهم؛ فما كان من العمّ إلا أن أخذ يلطم رأسه ويندب حظه وهو
يقول:

لقد غربت شمس سُعدي، وانتكست راية سطوتي، يا حسرتاه فقد أضحي
ببدر عمري نهباً للرياح العاصفة؛ ثم إنه لم يجد بداً بعد ذلك من دعوة
جميع من معه من الأكراد إليه، فأخذوا يأتون تباعاً حتى التّم شملهم حوله
عند منبلج الصباح ثمان مئة فارس ضيغم؛ فسار العجوز الخرف بهذا الجمع
الصلف مسرعاً بقصد الإجهاز على سنجاب، ومن ناحية أخرى فقد استقبل
سنجاب وأصحابه البواسل الأربعة عشر جموع الفرسان بصدورهم، وقاموا
في الحملة الأولى بشق صفوف العدو، وشق سنجاب طريقه مباشرة إلى
حيث مركز عمّه طالباً رأسه، فانفلتت جموع الأعداء من بين يديه، تلتمس

(١) البيت للشاعر كلو علي الشيرازي، ومعناه: (يا ليتني أضع صدري على صدرك.. حتى يخبرك
القلب بحزنه القديم).

النجاة في كل جانب، وكانوا كلما حاولوا إنقاذ الشيطان منه باءت محاولاتهم بالفشل؛ فكانوا كلما اقتربوا منه أطاح جمعاً منهم بقوة ساعديه، وأعمل السيف في أجسامهم وترك دماءهم تجري مثل النيل على الأرض جداول حمراء اللون؛ فتزلزلت قواعد الأكراد، ولم يجدوا من أنفسهم طاقة على الاستمرار في مواجهته، فتفرقوا من حول العجوز، وكان كل واحد من رجال سنجاب بدوره يقوم على تفويض حمائل الركبان، وانطلق سنجاب بفرسه نحو عمه الغدار وانقض عليه مثل الشهاب الصاعق، وهوى بالسيف على مفرق رأسه، ولم يجد العم متسعاً لصدّ الضربة بالمغفر، حتى تمكن سنجاب من شق صدره الحقود وأسقطه من فوق راحلته إلى الأرض وأسقط معه اللواء والسلاح مرة واحدة؛ فلم يجد كبار الأكراد بداً من الضرب على طبول السلام، ورفعوا راية الاستسلام، ووضعوا السيوف على رقابهم.. وما أن تحقق لسنجاب النصر المؤزر حتى سارع من فوره براحلته نحو خيمة (بريزاد) ليفديها بنفسه:

(س)

گفته بودي از جهان تنگ آمدم تنگ آمدم
هر غمي داري بگو نك^(١) بهرت از جنگ آمدم^(٢)

وما إن وقع بصر بریزاد على قامته (خطيبها)^(٣) الفارعة حتى هبت من مكانها مسرعة إلى استقباله تفديه بنفسها:

(١) (نك) مختصر (اينك) اقتضته الضرورة الشعرية، بمعنى: الآن. (المعرب).

(٢) المعنى: (سبق أن قلت إنك ضقت ذرعاً بالعالم.. ها قد جئتك من ساحة الحرب فبتي بشكواك).

(٣) لا يخفى أن هناك تسامحاً في التعبير بـ(الخطيب)؛ إذ تقدم أن صيغة عقد النكاح قد جرت بين سنجاب وبريزاد؛ فيكون هو زوجها، وليس مجرد خطيبها. (المعرب).

گفته بودم چو بیائی غم دل با تو بگویم

چه بگویم که غم از دل برود چون تو بیائی^(١)

أشكر الله تعالى على أن نورّت ظلام حياتي، وأدخلت السرور على بيت أحزاني، ولكن يا أسدي الصياد لماذا تعجّلت المجيء من ساحة الوغى وشرفّنتني بقدمك قبل أن تتجرّد من لامة حربك؟!

فقال سنجاب مبتسماً فرحاً: كما سقيت ذاك العجوز الخرف حنظل الموت، سوف أسقي ابنته الوحيدة شهد الحياة.

(س)

هم شربت خشنودي از جام تو باید خورد

هم نهجت بهبودي از كام تو باید برد^(٢)

ثم أراح قبضته الدامية على جيدها البلّوري، وضم باقة الورد إلى صدره كما لو يضمّ روحه، وأطبق الشفاه على الشفاه، وارتشف الكوثر السلسبيل من كأس الفم مباشرة، وأخذ ينهل من كأس الوجود حتى بلغ منها غاية السكر والنشوة، وحملته السكرة على أن يشدو على سجع البلابل في روضة الحبّ، وكان كلاهما مغتبط بخمرة الهيام حتى ذهلا عن ثورة الأكراد حزناً على فقد كبيرهم!..

لقد كان سنجاب مأخوذاً بغصن البان، ولكنه لم يستطع البقاء عند حبيبته أكثر من ذلك؛ إذ تعيّن عليه الخروج لتهدئة الأكراد؛ فاختلس قبلات أخرى من لُمي حبيبته، ثم ودعها قائلاً: أيتها الحبيبة، يجب أن نصب العزاء على

(١) البيت للشيخ الأجل سعدي الشيرازي، ومعناه: (كنت قد نويتُ إذا أتيتَ أن أشكو إليك همي.. ماذا أصنع الآن إذ أتيتَ وقد زال همّي).

(٢) المعنى: (يجب شرب السعادة من كأسك.. كما يجب اتباع نهج الشفاء من فمك).

والدك أربعين ليلة، كي ننعم بالحياة بعد ذلك في راحة من البال.. ثم خرج إلى الأكراد، وبعد أن أصدر لهم الأمان العام، أتحف كل واحد منهم بتحفة تتناسب مع شأنه، ثم انشغل الجميع بإقامة العزاء على عمّه الغدار أربعين يوماً بلياليها..

وقام بعد ذلك بالتحضير لمقدمات العيش الهنيء والسعادة التي ينشدها، ثم جلس ثانية على عرش الرئاسة وهو في سن الثامنة عشرة، وأخذت أناشيد الفرحة تصدح من كل جانب، حتى أصمّت أصوات الفرحة مسامع الفلك.. وفي ساعة مباركة تمّ حمل (كوكب المشتري) باحترام بالغ إلى هودج (الزهرة)، ووضعوا ساعد بريزاد في يد سنجاب، وعمّت الأفراح في ربوع الأرض غبطة باقتران هذين الكوكبين الدريين.



[تمرّد عُبيد الله الفُرائس]

ثم مضت سبع سنين على هذه الوتيرة؛ لم يعكّر صفو سعادته وهو جالس على كرسي الحكم والرئاسة، حتى أحزن الشعب الإيراني النجيب خبر تمرّد (عبيد الله) اللعين، وأحاطت بهم جماعات الشياطين من كل جانب، وأقام كبار طائفة (سنجاب) مجلساً، ثم دعوه إلى الحضور في اجتماعهم، ولما دخل عليهم في مجلسهم قاموا بأجمعهم احتراماً لمقدمه، وهبّوا إلى استقباله، وأجلسوه في مكان عال من ذلك المجلس، ثم قالوا له:

يا مُقارع الأسود، نسألك أن تستمع إلى مقالة رجال قومك الذين يفدونك بأنفسهم؛ وعليك أن تعلم أولاً أنك قد تخلّيت عن دين أسلافك، واستبدلته بدين الإيرانيين، ثم بادرت بعد ذلك إلى قتل عمك، وأعملت السيف في رقاب كبار قومك، واقتربت فرحاً ومغتبطاً بـ(بريزاد)، وعلى الرغم من ذلك كله تبعناك، وكنا في ركابك نمضي حيثما تأمرنا وتشير علينا، ولم نبخل عليك بأنواع التضحيات.. والآن حيث رفع (عبيد الله) راية التمرّد على إيران، يتعيّن علينا الانضمام تحت بيرقه المقتدر، ونحملك على أن تكون في ركابنا، ونحذرك من الإعراض عن بادرتنا الودّية؛ فتكون قد حفرت لنفسك حفرة الهلاك بنفسك، ونرى من الأفضل لك أن تمضي على سرّنا دون تباطئ، وأن تستغني وتتخلّى عن (الشعب الساساني)^(١).

(١) المراد من الشعب الساساني هنا هو الشعب الإيراني؛ نسبة إلى السلالة الملكية الساسانية=

هر آن چه شرط بلاغ است با تو مي گوئيم
تو خواه از بر ما پند گیر و خواه ملال^(١)

وبعد أن استمع (سنباب خان) إلى كلامهم، استقام في جلسته وأتلع برأسه مثال السبع في عرينه، وقال لهم:

يا لها من سعادة أن تشرفت بمذهب الشرف، وأما عمي الغدار فقد جعلت لحمه لقمة لأسنان صارمي، ثم أخضعت رقابكم بقوة قبضتي، ثم أعطيتكم الأمان لتعيشوا في كنفي رغم تأمركم وغدركم القديم وعصيانكم لأمرى ورفعكم لواء الغدر والخيانة وعدم الوفاء، وها أنتم رغم ذلك كله تجدون من أنفسكم الجرأة والوقاحة لتعرضوا على رجل مثلي خيانة بلاده، وتحشون مسامعي بترهات لئيم مثل عبيد الله اللعين!

هيهات أن أجفو وطني الحبيب وأن أسجل اسمي في قائمة الخائنين.

هيهات منم بلا كش بيباك خاك پاك وطن

هزار جان گرامي فداي خاك وطن^(٢)

وأرى أن نجتمع على الإطاحة براية النفاق، وأن نهلك ذلك الباغي والطاغية ونقعه على بساط المذلة والهوان، وبذلك نكون قد قدمنا خدمة خالدة إلى الوطن، ونبرز بذلك أقراننا على مدى التاريخ، ومن هنا أنصحكم

=التي حكمت إيران لأكثر من أربعة قرون على مدى الفترة الممتدة ما بين (٢٢٤ - ٦٥١ م) وكانت عاصمتهم (تيسفون) أو (المدائن) بالقرب من بغداد. (المعرب).

(١) ورد هذا البيت في ديوان الشيخ الأجل سعدي الشيرازي، بصيغة المتكلم المفرد، ونصه كالآتي: (من آن چه شرط بلاغ است با تو مي گويم.. تو خواه از سخنم پند گیر و خواه ملال)، ومعناه: (لقد قلت لك ما يمليه عليّ واجب البلاغ.. فإن شئت فاسمع، وإن شئت فذع). (المعرب).

(٢) لم نعثر لهذا البيت على قائل، ومعناه: (هيهات أن أخون تراب وطني الطاهر.. ولو كان لي ألف روح لفديت بها تراب الوطن).

بأن تتحدوا بشجاعة على معنى كلامي، وأن تغرّزوا مخالبتكم برجولة في أكباد الأعداء، وإلا فإن السيف الذي أذكّم في اليوم الأول لا يزال قائمه في قبضتي، ولا يزال ساعدي القوي الذي فرّق جمعكم وجعلكم مثل الديدان محمولاً على جسدي.. وأقسم بـ(التاج الملكي)^(١) أنني سوف أضحي بكل ما أملك وفاءً لوطني، ولن أبقى من الأكراد على صفحة الوجود دياراً.

ثم خرج سنجاب خان من اجتماع الأكراد مغضباً، وانطلق مباشرة إلى مخدع بريزاد.. واتخذت طائفة النفاق - من ناحيتها - طريقها ليلاً إلى عبيد الله، ليخبروه بما كان منهم مع سنجاب.. وبعد ذلك دعا عبيد الله سنجاب إليه؛ فذهب سنجاب إلى لقائه برفقة سبعة من رجاله هم بقية السيف من الحرب الماضية؛ فخرج عبيد الله إلى استقباله مسرعاً، ورحب به ترحيباً كبيراً وأجلسه في مجلسه، وأخذ يخاطبه بكلمات معسولة يبتغي بها التغيرير به والتمويه عليه.

ثم قال له: إنما دعوناك لتكون على رأي جماعتك؛ لنجمع على تقويض دعائم هذه الأرض، ولن نطلب منك التخلي عن المذهب الذي اعتنقته؛ فهذا شأنك، وأما فيما وراء ذلك فإن كل واحد من كبار إيران منشغل بملذاته وأفراحه ومسراته، حتى لم يعد له علم بلذة الرئاسة وإدارة الدولة والسلطة، وتركوا أمور الحكم وشؤون العباد نهياً للفوضى، وتشتت أفراد

(١) في الأصل (ديهم كيانى): وهو يرمز إلى تاج المملكة القاجارية، وهو يحتوي على ١٨٠٠ حبة لؤلؤ تتراوح أحجامها ما بين ٧ إلى ٩ مليمتراً، و٣٠٠ قطعة من الزمرد أكبرها بوزن ٨٠ قيراطاً، كما يحتوي على ١٥٠٠ قطعة من الياقوت الأحمر، ويقدر وزن أكبرها بـ ١٢٠ قيراطاً موضوعة في أعلى مغفر التاج، كما يحتوي التاج على عدد كبير من الماس، ويبدو أنه قد صنع خصيصاً لـ(فتح علي شاه)، ويقال إن الجوهرة الكبيرة فيها كانت في يوم ما ملكاً للسلطان المغولي (أورنغ زيب)، وقد جاء بها (نادر شاه أفشار) إلى إيران بعد فتح الهند. وقد ورد استعمال اسم هذا التاج في النصّ أعلاه للدلالة على الدولة الإيرانية بشكل عام. (المعرب).

جيشهم وتفرّقوا (أيدي سبأ)^(١)، وأجهزة الدولة في فوضى عارمة.. فمن الخير أن نسبق الزمن - قبل أن تتمكن دول الجوار من الاستيلاء عليها - وأن نبادر إلى القضاء عليها وتقويضها بهجمة خاطفة واحدة، وأن نصبح نحن المسيطرون على بحارها ووديانها؛ فإلى متى نبقي نحن المحكومون وغيرنا هم الحاكمون؛ فما داموا هم نائمون، فلماذا لا نكون نحن المستيقظون؟!.. كل الشعوب تعيش عزيزة ومستقلة باستثناءنا نحن، إذ نعيش أدلة نزرع تحت وطأة الآخرين؛ فلماذا يتعين علينا تحمّل جميع المصائب والمحن، ولماذا يجب علينا الرضا بالتخلف عن سائر الأمم؛ وعليه فإني أطلب منك أن تمدّ لي يد الاتحاد، وأنا أكفل لك أن أضع أقدامك على أكتاف العالمين وتصبح ملكاً على الجميع.

فقال سنجاب وقد أصابته هذه الكلمات في مقتل: هيهات أن ألطخ يدي بدماء أبناء وطني، أو أن أجردّ السيف في وجه أمي الحنون؛ فإما أن يتدحرج رأسي في ساحة الوفاء، أو أن أقبض روح كل كردي في ساحة النزال والوغى، وما دام في جسمي روح سوف أزهب أرواح من يريد بهذا الوطن شراً، وما دام رأسي على كتفي، سوف أطيح برؤسهم عند المنحنى؛ فما قيمة حفنة من الأكراد حتى يتنطعوا لمواجهة هذه المملكة (الأصيلة والعريقة)^(٢)، وأنا وإن كنت أعدّ واحداً من الأكراد، ولكني سأبقى وفيّاً

(١) يأتي التعبير بـ (تفرّقوا أيدي سبأ) أو (أيادي سبأ) مثلاً للدلالة على التفرّق والانتشار في كل وجه من الأرض، كما تبدد سبأ وقومه، ويعود أصله إلى قصة سبأ والسيّل العرم الذي جرف اليمن وفرّق أهلها. والأيدي والأيادي في هذا المثل تعني الطرُق المتشعبة والمتعدّدة. (المعرب).

(٢) في الأصل (دولة بيشدادي)؛ والبيشداية هي السلالة الملكية الأولى للشعب الإيراني على ما ورد في الشاهنامه أو ملحمة الملوك لأبي القاسم الفردوسي، والأساطير الفارسية. والبيشداد كلمة مركّبة من (بيش) و(داد)، بمعنى (المقنن أو المشرّع الأول) أو (أول من سنّ القوانين). (المعرب).

للزاد الذي طعمته على خِوان أبناء جلدتي في هذا الوطن، ومن الخير لك أن تتوب إلى الله يا عُبيد الله وأن تستغفر لذنبك، وأن تكفّ عن العناد والاستكبار.. وإني لأنذرك من أن يؤدي بك ظلمك وطغيانك إلى الهلاك.

فأخذ الملعون لدى سماع هذا الكلام من سنجاب يتلوى مثل الخنزير الجريح، وقال له: وما شأنك أنت حتى تخالفني، ولست سوى شاب مغرور لا يفقه من أمور السياسة شيئاً، وحرّيك أن تلعب مع الصبيان إذ لا زلت أشم رائحة اللبن الذي ارتضعته من صدر أمك تفوح من فمك، قم عني وترمل بتراب المذلة، وليس بيني وبينك سوى الخيل والرجال التي ستقضي عليك وعلى رجالك بسنابكها وسيوفها.

فانتفض الهزبر واقفاً وردّ على كلامه البذيء بصفعة مدوية على صفحة خدّه، وكانت الصفعة من القوة بحيث أسقطت عبيد الله وعرشه على الأرض، وترك المكان دون إبطاء قاصداً قصر بريزاد، دون أن يتجرأ أحد من الحضور أن يعترض طريقه مخافة التعرّض لبطشه وسطوته.

وما إن وقع بصر سنجاب خان على جمال وقامة بريزاد المعتدلة، حتى امتلأت عيناه بدموع الحسرة، وقال لها: يا بلسم الروح، لقد انقضت أيام الوصال وحانت لحظة الانفصال والفراق.. أخشى أن يكون هذا آخر عهدي بك، فقد حان الوداع وأرجو أن تستمعي إلى وصيتي؛

فأولاً: قد بدت تظهر عليك آثار الحمل بولدي الوحيد؛ فأسألك أن تنشئه على تعاليم أقرانه من الجعفرية^(١)؛ ولكن عليك الآن ممارسة التقية، لأنني أخشى عليك من أن يخضب الأوغاد جدائلك العنبرية بفيض دمائك كما سوف يصنعون ذلك بي، ولا أريد أن يجري عليك ما يجري عليّ..

(١) مذهب الإمام جعفر الصادق عليه السلام، الذي ينتسب الشيعة الإمامية إليه. (المعرب).

وثانياً: ما إن تشهدي مصرعي ظلماً بسيوف الغدر والخيانة، فسلمني
جسدي إلى شيعتي ليقوموا بتجهيزي ودفني على طريقهم..
ثالثاً: أرجو أن تكتبي هذا البيت من الشعر على شاهدة قبري:

منم كه بر در كوي وطن نهادم سر

فداي خاك درش صد هزار جان ديگر^(١)

فارتعبت بريزاد لدى سماع هذا الكلام واستولى عليها الذعر؛ فتشبّثت
بأطراف ثيابه وأخذت تذرف الدمع على صدره مدراراً؛ وهي تنشج قائلة:
إيه قد انقضت وتبددت أيام سُعدنا، وتحوّل الوصل إلى هجران، وا
أسفاه أن حلّت الأشواك الشائخة بروضة الحبّ وذبلت الأقاحي في شبابها..
فديتك ما الذي يمكن لي أن أفعله بعدك؟ وعلى من أعتمد في غيابك؟
ماذا حدث حتى تتركني إلى مصيري وحيدة شريدة؟..

أقسم بعينيك وما فيهما من رجولة وشهامة، لو لم يكن الأمر متعلقاً
بالإيمان؛ لما رضيت بفراقك لحظة واحدة، ولو كتب القتال على النساء
لخرجت إلى القتال وفديتك بنفسي، ولكنني أطلب منك أن تمكث عندي
ساعة حتى أملاً عيني بالنظر إلى جمالك، ولا تعجل في الدفع بي إلى حياة
البؤس والضياع.

فاختنق سنجاب لدى سماع عتاب حبيبته بعبرته، فقال لها:

يا مهجة قلبي، لم يعد هناك للإبطاء وقت، وقد حان موعد اللقاء مع
الموت، فلنوكل أمرنا إلى الله، ونترك اللقاء التالي إلى يوم القيامة، ثم
تعانقا واحتضن كل منهما الآخر، وأخذا يذرفان الدمع الهتون مدراراً، حتى

(١) لم نعر على قائل هذا البيت، ومعناه: (أنا الذي فديت تراب الوطن بنفسي.. فداء لتربته
مئات آلاف الأرواح الأخرى).

اخضلت وجنتاهما، ولم يتمكن أيّ منهما من انتزاع نفسه من الآخر إلاّ بشق النفس، فودّع كل منهما الآخر الوداع الأخير.

انطلق (سنجاب) مع سبعة من فرسانه نحو عسكر ذلك الرجس الجلف، وعلى المقلب الآخر كان عبيد الله (بن زياد)^(١) قد عبأ جيشه على عجل لإلقاء القبض على سنجاب خان، وما أن التحم العسكران غير المتكافئان، حتى انقض سنجاب خان مقارع الأسود وسبعة من رجاله الأبطال البواسل وكأنهم كتلة نار ملتهبة على هؤلاء القوم الظالمين، وكانوا في هجومهم الصاعق يقلبون الميمنة تارة على الميسرة، ويقلبون الميسرة على الميمنة تارة أخرى، يحصدون قتلاهم قُدماً ويخلفون قتلاهم وراءهم جثثاً متناثرة، واستمرّ القتال على هذا المنوال ساعة، ثم انجلت الغبرة عن رجال سنجاب خان صرعى مرمّلين بدمائهم، وأحاطت خيل الأعداء بالأسد الهصور من كل جانب، فكان وحده في مركز الدائرة؛ فلما رأى سنجاب ذلك، ترجل من على جواده وأخذ بقبضتيه حفنة من التراب وأخذ يعفّر بها وجهه الدرّي ويشمّه ويمسح به على عينيه، ولسان حاله يقول:

اي رشك بـسـتـان ارم واي يادگار ملك جم^(٢)

(١) تأتي إضافة عبارة (ابن زياد) في النصّ تشبيها لعبيد الله في هذه الرواية بـ (عبيد الله بن زياد) الذي قاد الجيش في واقعة الطف في كربلاء لقتال الإمام الحسين عليه السلام سنة ٦١ للهجرة. (المعرب)

(٢) لم نعثر على قائل هذا البيت، ومعناه: (يا حمى جنة عدن.. ويا ذكرى ملك جم). وتأتي مفردة (جم) في الأدب الفارسي كرمز للدلالة على اسم النبي سليمان عليه السلام، كما تأتي في بعض الموارد اختصاراً للدلالة على اسم الملك جمشيد أيضاً، وقد يراد به الإسكندر المقدوني، ويتم التفريق في جميع الموارد بالقرائن؛ فحيث يأتي (جم) مع ذكر الوحوش والطيور والجن، يكون المراد منه هو النبي سليمان، وإذا اقترن بالكأس والشراب كان المراد هو الملك جمشيد، وإن اقترن بذكر المرأة والأسد كان المراد هو الإسكندر المقدوني. وبعد فتح الإسلام لبلاد فارس امتزجت الملاحم الوطنية بالروايات السامية وأساطير الملوك=

ثم أخذ يخاطب التراب قائلاً: اعلم أن سنجاب قد نثر بيدر عمره الأثير في هواك، وودع حياة اللعب في حبك، ألا وإن أبناء الأدياء لم يعرفوا قدرك، وقد صعدوا على ظهور خيل الحقد والضغينة لاستلابك، ولو لم تكن مكرماً ومقدساً، لما جعل رسول الله صلى الله عليه وآله حبك مرادفاً للإيمان^(١).

يا أرض الأجداد ويا ذكرى الأسلاف، لو كان لي ألف روح أخرى غير هذه الروح الوحيدة التي أملكها، لضحيت بها جميعاً فداء لترايك؛ فاشهد لي يوم البعث والقيامة أنني قد فديتك بجوهرة حياتي الوحيدة.. قال ذلك، ثم ارتقى على صهوة جواده ثانية، وهجم على جماعة الغدر مصلاً سيفه، وكان يكرّ عليهم من كل الجهات كالأسد الغضبان، حتى سدّدت له المنية رمية القضاء في قوس القدر فأناه سهم غدر طائش أصاب صدره وقطع منه كل أمل في الحياة، وسالت الدماء من الجرح الغائر وخضبت قوامه الفارع.

(س)^(٢)

اي فلك بهر چه شمشير جفا آخته اي
هر كجا قامت سروي است بر انداخته اي^(٣)

=والمشاهير من الفرس بقصص الأنبياء والملوك من بني إسرائيل، وتم الخلط بين الأعمال المنسوبة إلى النبي سليمان والأحداث المنسوبة إلى الملك جمشيد. (المعرب).

(١) إشارة إلى الحديث المأثور عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، أنه قال: (حبّ الوطن من الإيمان).

(٢) ولكن ورد الجمع بين ما يشبه صدر البيت الأول وعجز البيت الثالث في بيت من الشعر للشاعر الأجل سعدي الشيرازي، إذ يقول: (اي كه شمشير جفا بر سر ما آخته اي.. دشمن از دوست ندانسته ونشناخته اي)، فقد يكون ورود هذا البيت مبعثراً في شعر مؤلف الرحلة من باب التضمين، أو أن الأمر كما قيل قديماً: (إن الشعر جادة، وقد يقع الأثر على الأثر). (المعرب).

(٣) المعنى: (أيها الفلك الدوار لماذا تشهر سيفك علينا.. ما إن ترى قامة باسقة حتى تطيح بها).

سر هر شوخ جوان تاخت اي مركب جور
آخر اي پير ستمگر ز چه رو تاخته اي^(١)

دوست را خواري اجلال دهی دشمن را
دشمن از دوست ندانسته و نشناخته اي^(٢)

وما إن أحسّ من نفسه العجز عن مواصلة القتال حتى رفع يديه إلى السماء بالتضرّع والدعاء قائلاً: أي ربّي، يا من يلتمس منه الفرج، تعلم أنني قد بذلت مهجتي في مرضاتك، فأسألك أن لا أقع أسيراً في قبضة الكفار، وأدعوك أن تخفي جسدي عن أعين الشياطين من أعدائي..

وكان في تلك الحالة كأنه يوسف الثاني في جماله؛ إذ أتاه سهم آخر ليستقرّ في جبهته؛ فما كان منه لشدة الألم إلى أن ينحني ويضع رأسه المنير على قربوس سرجه ويحتضن رقبة جواده بكلتا يديه، وأخذ يجود بنفسه مستسلماً للموت، والدم يجري على ذوائبة العنبرية ويخضبها بحمرته القانية، ويجري على أطراف وجهه الوضاء، حتى دخل جمال قمر مثاله في عقرب زلفه، وعمّ الظلام سماء (بريزاد) بعد تحقق الكسوف التام لتلك الشمس المنيرة.

(س)

اي چرخ كج مدار اساست تباه باد
كه از هر طرف ز جور تو خوبان تباه شد^(٣)

(١) المعنى: (تهجم بخيل الجور على كل شباب نصر.. فيا أيها العجوز الظالم ما سبب هجومك).

(٢) المعنى: (تذل الصديق وتكرم العدو.. وكأنك لا تميّز بين العدو والصديق).

(٣) المعنى: (أيها الفلك الطائش قوض الله أساسك.. إذ لم يسلم الحسان من طيش جورك)، =

وما إن أحسّ جواده الميمون بدنوّ أجل صاحبه حتى انطلق به نحو الصحراء بأقصى سرعته يُسابق الريح، وسلك به ناحية الجبال الشرقية، ومهما حاول الأكراد اللحاق به إلّا أنهم لم يتمكنوا من إدراكه.. وقد قتل من جماعة الأكراد في ذلك اليوم ٨٤ رجلاً توزّعت جثثهم على ساحة المعركة، وكان يلوح بين الأجساد من وجود بنفسه.. وبعد أن ألقت الحرب أوزارها، أرسلوا سرية للبحث عن جثة سنجاب خان، ولكنهم لم يعثروا له على أثر، كما لم يجدوا أثراً لجواده أيضاً.

ومن الخير أن لا أقول شيئاً عن حالة بريزاد، وأكتفي بالقول إن الوصية الوحيدة التي تمكّنت من الوفاء بها أنها أنشأت ولدها الوحيد على تعاليم الشيعة، وهذا الشاب الذي رأيته وسألته عنه إنما هو حفيد سنجاب خان وسميّه، والآن ببركة هذا الشاب ووالده الراحل، دخل أغلب أبناء هذه الطائفة في المذهب الجعفري.. لن أزعجك بالمزيد من التفاصيل؛ فقد أطلت في سردّها.

فقلت له: لقد استمتعت بكلامك يا أخي، وقد أخذت هذه الحكاية بمجامع قلبي وإن كانت مرارتها أشدّ من حلاوتها.. كذلك يتعيّن على من يعتبر نفسه وطنياً، أن يكون في وطنيته وحبّه للدين مثل (سنجاب خان)، وأن يتحوّل في هجومه على الأعداء مثل النار والشرر، ولكن متى وأين وكيف؟... إيه فإنني أعرف بعض الأناس من المؤتمنين على البلاد والعباد، ولكنهم على استعداد لبيع البلاد والعباد إلى دول الجوار بعشر (مانات) أو عشرين (روبيّة)^(١)! لست أدري كيف أصبح هؤلاء الخائنون أمناء على

= ويروى صدر هذا البيت عن شاعر المراثي الشهير، حجة الإسلام الميرزا محمد تقي التبريزي، المعروف بـ (نير تبريزي) (١٢٤٨ - ١٣١٢هـ)، بصيغة: (اي چرخ كج مدار كمانت شكسته باد). (المعرب).

(١) (المانات) أو (المنات) عملة نقدية، وهي حالياً رائجة في أذربيجان وتركمنستان، وكل =

البلاد؛ هل كان ذلك بدعمك أو بدعمي؟ كلا. وهل كان مجيؤهم بدعم من أصحاب الصناعات والحرف أو المزارعين؟ كلا أيضاً. وإنما يأتي ذلك من طائفتين:

إحدهما.. من الذين لا يتحلّون بالوفاق والاتحاد، ولا يبحثون عن مثل هذه الأمور الواجبة والملحّة، وليس لهم من همّ سوى الأكل والنوم والقيام ببعض الواجبات الشكلية والصورية، ظناً منهم أن أحكام الإسلام تنحصر في بضعة مسائل.. إنهم يريدون ثمرًا من شجرة يابسة وخاوية ولا جذور لها، في حين أن رياح السموم تعصف بها من جميع الجهات تبتغي اقتلاعها.

والجماعة الأخرى هي جماعة من الذين يشحذون معاول الجهل وفؤوس الغفلة لاستئصال تلك الشجرة، ونعني بها الثروة الخالدة التي غرسوها بقلوبهم وأرواحهم، ظناً منهم أنهم يتساوون بذلك مع الأجانب في ترتيب شؤون بعض إدارات الدولة لا أكثر، من قبيل [...] ^(١) وغير ذلك الكثير الكثير، ولا همّ لهم سوى تضخيم بطونهم، والانشغال بالترّهات والبطر.

وللأسف الشديد فإن كلتا الجماعتين قد أسكرتهما خمرة الغفلة والغرور، وأضحت بعيدة كل البعد عن مفهوم الشرف والعزّة والفخر والكرامة، فليس لديهم ذرّة من العصبية الدينية، ولا الغيرة الوطنية، غافلين

=منات تحتوي على مئة كيبك، وكلمة منات مأخوذة من اللغة الروسية بمعنى السكّة. وأما (الروبية) فهي عملة نقدية كانت رائجة ولا تزال، حيث يتم التعامل بها حالياً في كل من الهند وباكستان والنيبال وسريلانكا وأندونيسيا ومالديف. ويبدو من الإشارة إلى استعداد بعض الخونة من المسؤولين في تلك الحقبة إلى بيع الأراضي الإيرانية بحفنة من المانات والروبيات، أن كاتب الرحلة يريد التنويه إلى أن الجغرافيا الإيرانية كانت في ذلك الحين (على العهد القاجاري) بسبب تفريط هؤلاء الخونة، نهباً لأطماع الدول الواقعة إلى شمال إيران والتي تتعامل بالمانات، والدول الواقعة إلى الشرق من إيران حيث تتعامل بالروبيات، والله أعلم. (المعرب).

(١) الفراغ من المصدر.

عن أن فروع وجذور دولتنا الحبيبة تصبّ في حقائب السياسات الأجنبية، وكل واحد منهم مستبد برأيه وعمله، ولا يبعد اليوم أو غداً أن يفرطوا باستقلالنا الممتدّ منذ ستة آلاف سنة [...] والتكلمة عليكم، إذ لا يطاوعني لساني على قول: [...] ^(١) وعندها سوف يتساوى الجميع من الغني والفقير كالأيتام الصغار، لا يحظون بقلب رؤوف يحنو عليهم، ولا يد كريمة تأخذ بهم، آه آه، من الأفضل أن أختصر الكلام كي لا يذوب فؤاد المستمع من الحرقة والجوى.

دردا كه دواي درد پنهاني ما افسوس كه چاره پریشاني ما
در عهده جمعي است كه پنداشته اند آبادي خویش را ز ویراني ما ^(٢)

في حين يتعيّن عليهم الترويج لدينهم من خلال العمل على تقوية الوطن؛ أي بواسطة الاتحاد وتحشيد الجهود من أجل التدقيق في أسباب الصلاح والفساد، لا أن يتنازعوا فيما بينهم ويرمي أحدهم الآخر بسبب الغفلة، فينسبون أحدهم إلى الكفر، والثاني إلى الجهل، والثالث إلى السفه، وبذلك يحتدم النزاع وتحلّ الفرقة، ومع الفرقة لا يمكن تحقيق الرقيّ والازدهار.. والجماعة الأخرى تلتمس رقيّ الوطن وازدهاره من خلال قوّة وترويج الدين؛ فيعملون على زيادة أغصان وأوراق الشجرة، ويقولون إن القوّة تكمن في الاتحاد بين الدين والدولة، ولا يمكن أن يكتب لأيّ منهما الاستقلال دون الاتحاد مع الآخر.

(١) الفراغ من المصدر.

(٢) هذان البيتان يُنسبان إلى الميرزا محمد فرّخي اليزدي الملقّب بـ(تاج الشعراء) (١٨٨٩ - ١٩٣٩ م)، وهو شاعر وصحفي وسياسي مخضرم عاش في عصر المشروطة والحركة الدستورية، وعاصر نهاية العهد القاجاري وبداية العصر البهلوي، سجن في معتقل قصر وأعدم فيه بحقنة طبية، وأخفي أثره. ومعنى البيتين أعلاه: (واحسرتاه، فإن دواء دائنا الخفي.. وواحسرتاه، فإن حل أزمئتنا المتأصلة / تكمن في يد جماعة تظن.. أن صلاح أمرها في نقض أمرنا). وقد سقط هذان البيتان من النسخة (ب)! (المعرّب).

آه، كوهمنفسی تا کنم اظهار غم دل
زان پیش که بندد غم دل راه نفس را^(١)

أرى أن لا أثقل على حضرتك أكثر ممّا فعلت.
فقال الشاب التاجر: أستغفر الله، كلاً أبدأً، لقد شرفتنى ومننت عليّ
بقبول دعوتى، بل عليّ أنا الاعتذار منك إذ أخذت الكثير من وقتك.
فخرجت من عنده، واتجهت إلى نهاية السوق، ومن هناك إلى المنزل
مباشرة.. وحيث اشتملت سياحتي في ذلك اليوم على بعض مواقف الغرام
التي لا تتناسب مع شأن أمثالنا، فقد أردت أن لا أدونها، ولكن حيث
اشرتطت على نفسي منذ البداية أن أدون ما عرض لي في هذه الرحلة فقد
دوّنته.



(١) ينسب هذا البيت إلى الشاعر شريف التبريزي (٩٢٨ - ٩٥٦هـ)، وهو من شعراء القرن العاشر
للهجرة، وكان تلميذاً للشاعر (لساني الشيرازي)، وقد اشتهر بالهجاء، حتى أنه تسبب
بالأذى لأستاذه. ومعنى البيت أعلاه: (إيّه، هل هناك من مواس فأبته حزن قلبي.. قبل أن
يسدّ حزن القلب مجرى نفسي). (المعرب).

[مواصلة الرحلة
والإقامة في قَرّه ببلّغ]

[مراصلة الرحلة والإقامة في قَرْه بلاغ]

كانت هذه الليلة هي الليلة الثامنة من الشهر.. وبعد أداء فريضة الصبح انطلقت بنا القافلة، وفي مستهل طلوع الشمس اضطررنا انحدار الطريق إلى الترّجل جميعاً، وسرنا راجلين في طريق منحدر لساعة من الزمن، وكان نهر (قزل أوزون)^(١) يجري بين سلسلتين جبليتين، وعليه جسر كبير، ولكنه كان خرباً بحيث تعذر على الدوّاب أن تعبر عليه.

وقد تكفل رجل محسن من تبريز بنفقات إصلاحه، وأرسل ناظراً معماراً من تبريز ليُشرف على إصلاحه، وقد أنفق عليه حتى الآن ما يقرب من أربعة آلاف تومان، ويكون بذلك قد أحكم أساساته ودعائمه، وتقدر التكلفة الإجمالية الكاملة لإصلاحه بما يقرب من عشرة آلاف تومان، فجزاه الله عن المسلمين خير جزاء المحسنين..

وأما الآن فقد بلغنا نقطة من الطريق، تعيّن علينا معها أن نستجمع كل قوتنا لنواصل المسير صعوداً، وقد استغرقت منا هذه المسافة ما يزيد على

(١) هكذا ورد في الأصل، والصحيح: (قزل أوزن). ويُعدّ نهر (قزل أوزن) واحداً من أطول الأنهار في إيران؛ إذ يبلغ طوله (٦٧٠ كيلومتراً)، وهو ينبع من جبال (چهل چشمه) (الأربعون عيناً) في قضاء (ديوان درّه) في محافظة كردستان ومحافظة أذربيجان الشرقية، وبعد اقتران نهر هيروشائي وزنجان شاي وشاهرود به، يصبّ في بحر قزوين. وإلى الجنوب من محافظة گیلان يتصل نهر قزل أوزن بنهر (شاه رود) الكبير، ليشكل معه نهراً أكبر باسم (سفید رود) ومعناه الحرفي (النهر الأبيض). (المعرب).

الساعة، حتى وصلنا عند الظهر إلى منزل (قرّه بلاق)^(١)، حيث استرحنا هناك من مشقة الطريق، كانت هذه القرية متواضعة وصغيرة للغاية؛ إذ لا يزيد عدد البيوت فيها على العشرين بيتاً، ولا يمكن لك أن تعثر من بين القاطنين فيها على ثلاثين رجلاً.. لقد وجدت من نفسي رغبة كبيرة إلى الاغتسال من وعثاء الطريق وإزاحة الغبار عن جسدي؛ وحيث لم يكن العثور على حمام أمراً ممكناً في هذه القرية، فقد سألت بعضهم عن موضع يمكن الحصول فيه على شيء من الماء؛ فأشاروا إلى جهة، فانطلقت مسرعاً إلى حيث أشاروا؛ فوجدت هناك جداراً جبلياً ينشق عن مسيل من الماء لا يزيد حجمه على قصبة. ووجدت أن هذا الموضع - بالإضافة إلى شحّة مائه بحيث يتعذر الاغتسال به - كان مطروحاً من قبل سكان المناطق المجاورة، إذ كانوا لا ينفكون يترددون عليه من أجل أخذ شيء من الماء؛ فسألت لذلك بعض القادمين منهم عمّا إذا أمكن العثور على ماء في موضع آخر؛ فأشاروا إلى ناحية؛ فجمعت صرّتي بما فيها من ثياب وقطيفة وأزر، وتوجهت وحيداً أبحث عن الماء في الاتجاه الذي أشاروا؛ فمشيت ما يقرب من نصف فرسخ في مناطق قاحلة وجرداء غابت حتى الطيور من سمائها، ولكن لاح لي على البُعد قطعاً صغيراً من الأغنام ترعى على قمّة جبل، ووجدت هناك

(١) هكذا ورد في الأصل، والصحيح (قرّه بلاغ)، وهناك الكثير من المدن والقرى التي تسمى بهذا الاسم في إيران، وإن محافظة أذربيجان الشرقية وحدها تحتوي على ما يقرب من ثمانية قرى بهذا الاسم، ونذكر من بينها هنا: قرية قرّه بلاغ الواقعة في قضاء (بستان آباد)، وقرية قرّه بلاغ الواقعة في قضاء (ورزقان)، وقرية قرّه بلاغ الواقعة في قضاء مرند، وقرية قرّه بلاغ الواقعة في قضاء (هشترود)، وقرية قرّه بلاغ الواقعة في قضاء (سراب)، وقرية قرّه بلاغ الواقعة في قضاء (ميانه)، وقرية قرّه بلاغ الواقعة في قضاء (جلفا). وعليه يمكن لأي واحدة من هذه القرى أن تكون هي القرية المقصودة في النصّ أعلاه، وإن كان الظن - استناداً إلى ما سيأتي - يغلب على أن تكون هي تلك القرية الموجودة في قضاء (ورزقان) والاسم الآخر لهذا القضاء هو (أرسباران). (المعرب).

ماء ليس أفضل حالاً من الماء السابق ولا هو أسوأ حالاً منه، ولكنه يمتاز منه في موضعه؛ حيث يجري في أخدود ضيق؛ فجمعت عدداً من الأحجار الكبيرة، ورصفتها إلى بعضها، ثم قمت بسد الفُرج بينها بحصيّات وأحجار أصغر منها، واصطنعت بذلك ما يشبه السدّ ليجتمع الماء خلفه؛ فاجتمع هناك مقدار من الماء يمكن الاغتسال به، وقد أخذت مني هذه العملية المضنية ما يزيد على نصف ساعة.



[المارد الكردي]

.. ولكن يا للغفلة من تقلبات الزمن، فبعد أن فرغت من الاغتسال وارتديت بعض ثيابي النظيفة بطمأنينة كاملة، ارتأيت الجلوس قليلاً على صخرة هناك، وقد أغراني بذلك الهواء العليل والماء الجاري بالتفكير في مسألة من المسائل العلمية، ولم أكن بعد قد وضعت عمامتي على رأسي؛ إذ تناهي إلى سمعي وقع أقدام من الجهة العليا؛ فرفعت طرفي بسرعة البرق إلى مصدر الصوت.

ويا للهول.. فقد وجدت المنية والقضاء المحتوم وملك الموت عزرائيل متمثلاً أمام ناظري، وكان بإمكانه أن يقضي عليّ لا محالة سواء أنهضت واقفاً أو بقيت جالساً، فهمست في سرّي قائلاً:

يا إلهي، لم يسبق لي أن اختليت لوحدي في مثل هذه المفازات في جميع أسفاري السابقة! فهل قدر لي أن أفقد حياتي على هذه الشاكلة! يا ليتني متّ شهيداً في سبيل الإسلام أو دفاعاً عن الوطن؛ فما هذه الميتة البائسة والتافهة التي أراها مقدّرة في مصيري؟!..

يا إلهي وسيّدي ومولاي، أسألك أن تنجيني أنت من بطش هذا المارد! كان الكردي الذي كمن لقتلي مارداً^(١) أعور، وله لحية طويلة شائكة وغير مشدّبة، وكانت له قبّعة سوداء كأنها قدر في مطبخ الملك، وقد لفّ

(١) في الأصل (لندهور)، وقد تقدّم معناه في هامش سابق. (المعرّب).

على رأسه شالاً كبيراً بدا معه كأنه جزء من سفح الجبل، وقد ضمّ إلى صدره حجراً كبيراً يريد أن يسقطه على أمّ رأسي، وكأنه (عوج بن عنق)^(١) قد خرج إلى قتال بني إسرائيل، ولو قدّر لذلك الحجر أن يسقط عليّ فسوف أتحوّل إلى شيء أشبه بمسحوق الإثمد تماماً.

فقلت لنفسي: أيتها النفس لماذا الرضا منك بهذا الذل والهوان على يد هذا الشمر الأعور؛ انهض وخذ بتلابيبه وليكن ما يكن، فإما أن تتغلب عليه أو تموت شجاعاً.

فوجدت في نفسي جرأة وإقداماً، وانطلقت مسرعاً إليه صعوداً، وفي الأثناء قذف الحجر نحوي، فانحرفت عنه جانباً فأخطأني، وكان في ذلك ما زادني جرأة فواصلت الصعود إلى ذلك الأحقق مثل البرق، ولما رأي شجاعتي وإقدامي وإصراري على بلوغ موضعه، لم يجد بداً من إثارة الفرار على البقاء؛ فلاذ بالهرب ممسكاً بقبعته خشية أن تسقط.. [وأخذ يقول أثناء هروبه ما لفظه]: (اوي كره شيرالي مونو قابيد نجو تا بام)^(٢).. فتعثّر بحجر مماثل لحجره؛ فتشقلب فوق الشوك والحجر وأعشاش الطير، ثم سقط أرضاً وكأنه منارة خاوية، وعلى مسافة خمسين قدماً رأيت شخصاً آخر يهرب هو الآخر بأقصى سرعته؛ فاتضح لي أنه كان قد اتخذ من هذا السفية

(١) (عوج بن عنق) أو (عوج بن عوق): كان بحسب الرواية التوراتية ملكاً أمرياً لباشان الذي قتل مع جيشه من قبل النبي موسى عليه السلام، ويذكر في الأدب التوراتي أن عوج كان من العمالقة الذين نجوا من الفيضان والغرق؛ حيث كان من الطول بحيث لم يتجاوز الماء حجزته. (المعرب).

(٢) كلام باللغة الكردية، وقد وردت ترجمته إلى اللغة الفارسية في النسخة (ب) بعبارة: (اي كره شيرالي اين رو فايدي، ربودي، چگونه پيدا كنم) وترجمته الحرفية إلى اللغة العربية: (يا جرو شيرالي، هل اختلست هذا، سرقت، كيف أجده)، ولكنها ترجمة مجانية للصواب، والصحيح ترجمته على الشكل الآتي: (يا جرو شير علي؛ لقد عرف الخصم مكمني ويكاد يدركني؛ لا تبارح مكانك حتى أصل إليك!) (المعرب).

درعاً له يستجنّ به، وكان يكتفي بالنظر على أدائه من بعيد منتظراً فرصته، فلما رأى صاحبه الأحمق في ورطة؛ أثر السلامة لنفسه ورأى أن الهروب أضمن لسلامته..

وما إن استجمع الأحمق قواه وصار قادراً على النهوض، حتى انقضضت عليه كما ينقضّ النمر على فريسته، فأسقطته ثانية على ذات الصخرة، وأخذت كلتا يديه الطويلتين بيدي وثبتت ركبتي على قفصه الصدري، وبدأت بصفعه وضرب مقدّم وجهه بقبضتي، حتى تدفّق الدم من أنفه وتحول منخراهم إلى نافورتين داميتين، واصطبغ شارباه النحسان بلون الدم القاني وكأنهم نصبوا في أسفل أنفه بوتقتين حمراوين، وكان بين يدي مثل الميت في يد الغسال، أقلّبه كيفما أشاء دون أن يقول شيئاً، وكنت في الأثناء أبحث عن حبل حتى أقيّد به أطرافه؛ فرأيت لفاعه فثبت يده اليسرى بركبتي وأخذت أفتح اللفاع بيدي اليسرى، وكان المسكين حتى تلك اللحظة لا يبدي حراكاً أبداً، ولكنه ما إن أدرك ما أرمي إليه، حتى أخذ ينتفض وأراد أن يرفع رأسه، وحيث كانت كلتا يديّ مشغولتين، فاضطرت إلى استعمال مقدّم رأسي الأجرد، فنطحته نطحة أطارت بقبعته الشبيهة بالقدر مسافة عشر أقدام؛ فلم أتمالك نفسي من الضحك على هذا المشهد الذي زاده وضوحاً ضوء القمر الذي كان في تلك الليلة يُضاهي ضوء الشمس..

ثم استعذت بالله، بعد أن امتلأ أنفي برائحة رأسه النتن، فقفزت إلى الوراء ألتمس الخلاص من رائحته المقرّزة ووقفت جانباً، وكانت هذه هي الفرصة التي شعر معها أنه قد ملك العالم، فما كان منه إلا أن أخذ قبعته وانسحب مترنحاً، ثم أسلم ساقيه إلى الريح وأخذ يعدو بأقصى سرعته، وأخذت أنظر إليه من مكاني وأنا غارق في الضحك من مشهده حتى امتلأت عيني بالدموع واشتكت خاصرتي من الألم.. ثم جمعت ما تبعثر من ثيابي، وشققت طريقي إلى المنزل.. كنت قاب قوسين من البلاء، ولكن الأمر قد انتهى إلى خير.

أخذت أكثر من حمد الله وشكره على أن أذلّ على يدي مثل هذا المارد اللامتناسق، وإلا كان بإمكانه وصاحبه أن يقضيا عليّ.. كنت مغتبطاً بمغامرتي حتى شعرت وكأنني قد تغلبت على سبعين فيلاً من تلك الفيلة التي أصابها مسّ من الجنون، وأخذت أمشي الهويناً حتى وصلت إلى المنزل.

كان أغلب السكان (في تلك القرية) من أهل السنة والجماعة، ولكن حيث كانت واقعة كربلاء الفجيعة تحركّ لواعج قلب كل مسلم، بل وتستدرّ عبرة كل كافر؛ فقد كانت هذه الشرذمة القليلة من الفقراء القرويين الذين لم يدركوا من الإسلام سوى الاسم، قد أقاموا لأنفسهم موكباً للعزاء، حيث تحلقوا ضمن دائرة، وأمسك كل واحد منهم بيده اليسرى حزام صاحبه وهم يرددون أهزوجة على إيقاع واحد، يقولون فيها بشكل رتيب: (حسن شهيد، حسين شهيد.. حسن مظلوم، حسين مظلوم)، وهكذا واصلوا حالتهم الكئيبة وهم يدورون في حلقتهم ويلطمون بأيمانهم على صدورهم لساعة من الزمن.. والحقيقة أن عزاء هذه الشرذمة كان أشدّ وقعاً وتأثيراً على القلوب من المواكب التي تقام في المدن الكبيرة؛ وذلك لأن هذه المواكب التي تقام في المناطق المهجورة تجسّد حقيقة غربة ووحدة الإمام المظلوم عليه السلام، وقد اعتنق أغلب سكان هذه المناطق مذهب التشيع بمرور الزمن على نحو تدريجي؛ بفعل كثرة تردد الزوار والمسافرين من أتباع المذهب الإمامي الاثنى عشري، وأما الباقي فهم بحكم الشيعة.



[(تیکان تبه) والنزاع حول تصدير قبلة المسجد]

بعد انتصاف الليل شددنا الرحال متجهين إلى (جعفر آباد)^(١)، وبعد مضي خمس ساعات من بزوغ الشمس وصلنا إلى المنزل.. ثم واصلت القافلة حركتها عند الغروب كي نصل في صبيحة الغد - حيث اليوم العاشر [من المحرم] - إلى (تيكان تبه)^(٢)، وقد وصلنا إليها قبل حلول الفجر الصادق بساعتين.. ومع طلوع الشمس خرجنا من المنزل بصدور مفعمة بالحزن، وعيون خضلة بالدموع؛ لنشارك في العزاء على أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله، وكانت أصوات النحيب والبكاء تنطلق من كل جانب، وكنت تسمع استغاثة (يا حسيناه، وا حسيناه) من جميع الجهات، وكان الناس في فوضى عارمة توحى لك كأنك واقف في يوم القيامة والمحشر:

روز عاشورا دي يا روز قیامت در بوگون

با قیامت عرصه سندن بر علا متدر بوگون^(٣)

(١) تقع قرية (جعفر آباد) في مقاطعة (ورزقان) في محافظة أذربيجان الشرقية، ويقدر عدد سكانها بواحد وثلاثين نسمة. (المعرب).

(٢) تقع مدينة (تيكان تبه) أو (تكاب) في محافظة أذربيجان الغربية، وقد قدر عدد سكانها عام ٢٠٠٦ م بـ (٤٣٧٠٢) نسمة، وأغلب السكان فيها يتكلمون اللغة التركية الآذرية، ويعد (تخت سليمان) من أبرز معالمها ويقع هذا المعلم إلى الشمال الشرقي من المدينة، ومن المعالم الأخرى في هذه المدينة (قلعة سردار أفشار) أيضاً. (المعرب).

(٣) هذا البيت من الشعر التركي، وقائله هو الميرزا كريم الصافي التبريزي المعروف بـ(صافي)=

وكانت مواكب التطبير، ومواكب الضرب بالسلاسل، ومواكب اللطم على الصدور، تأتي تباعاً على التوالي، بما يشبه تصنيف مراتب العلماء.. وبعد لحظات دخلنا مسجداً لكي نسمع الرثاء، وكان المسجد للإنصاف على أحسن حال من حيث فرشته بالسجاد الفاخر والبسط الثمينة، وحتى الجدران لم تكن لتخلو من بعض السجاد المعلق عليها، بيد أن الخلل الرئيس فيه - والذي ينبئ عن قلة معرفة بعض العلماء والبنائين الجاهلين في علم القبلة - يكمن في أنهم أقاموا المحراب إلى الجنوب تماماً، في حين أن القبلة تميل بمقدار ٢٥ درجة إلى جهة المغرب تقريباً..

اتخذنا مكاننا في زاوية من المسجد. ثم دخلت جماعة من المحترمين وأخذوا أماكنهم على يميننا وشمالنا، وكان الرجل الذي جلس إلى جوارى هو معالي الجنرال (سردار أفشار) سيد ومالك (تيكان تبه)، ورئيس عشيرة الأفشار، وباني هذا المسجد الفخم، ولكني لم أتعرف [في حينها] على الشخص المحترم والمقدم على الجميع والذي كان جالساً بالقرب من أخي

= (١٣٠٠ - ١٣٤٨هـ)، وهو من شعراء النصف الأول من القرن الرابع عشر للهجرة، ونص البيت كما في ديوانه: (يوم عاشورا دي يا روز قيامت دير بوگون.. يا قيامت عرصه سيندن بير علامت دير بوگون)، والمعنى: (هل هو يوم عاشوراء أم يوم القيامة؟!.. أم واقعة كربلاء قد جسدت يوم القيامة؟). ومما يروى عن الشاعر أنه ولد في أسرة ثرية ومعروفة باسم (الحاج جعفر دائي)، وقد برع في شرح شبابه في نظم الأشعار الغزلية، وقد أسكرته الغفلة عن نظم الشعر البتاء؛ حتى رأى السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في منامه تقول له: (أيتها الصافي كفاك قول الشعر في الغزل، واندب ولدي الحسين عليه السلام). ثم رأى مناماً آخر حيث شاهد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وهو يسقي الناس بيده، فالتحق شاعرنا بصفوف الناس على أمل الحصول على كأس مثلهم، ولما وصله الدور خصّه النبي بدورق كبير مميّزه بذلك من سائر الناس؛ ولما أفاق من نومته تاب إلى الله توبة نصوحاً، وأخذ من حينها لا يقول الشعر إلا في رثاء أهل البيت عليهم السلام، وعلى أثر تزكيته لنفسه لقب بـ(الصافي)، ومات في سن الثامنة والأربعين، ولم يكن له من الذرية غير ولد واحد هو الحاج محمد الصافي. (المعرب).

المقدّس^(١)، وعلى ذلك تمّ تبادل الترحيبات المتعارفة بشكل لائق من الطرفين.. وشرع قارئ المراثي بقراءة التعزية، واستمر مجلس العزاء لأكثر من ساعتين، ثم تفرّق الناس وقمنا بدورنا؛ فالتفت إلينا معالي السردار وقال لأخي المقدّس:

أيها السيد إن من بين التقاليد السائدة في مدينة (تيكان تبه) توزيع (الهريسة)^(٢) في يوم عاشوراء؛ فإن كنتم ترغبون، فسوف نتناولها معاً في صريفتي الصوفية!

فقلنا له: لسنا من أنصار الهريسة!

فاستدرك قائلاً: لا بأس، إذن تأكلون معنا الخبز والجبن!

فاعتذرنا منه قائلين: سبق لنا أن تناولنا طعامنا، وكان - بالمناسبة - خبزاً وجبناً.

فقال: إذن، ستقام في عصر هذا اليوم تعزية في منزلنا، فهلا شرفتمونا هناك، أم سترفضون هذه الدعوة أيضاً.

فقال أخي المقدّس: إنه مجلس عزاء الإمام الحسين عليه السلام، ولا نرى بأساً في الحضور، بل سوف نحضر ويزيدنا ذلك شرفاً.

وعند حلول العصر توجهنا إلى مضافته.. وعند الغروب عدنا أدراجنا إلى المسجد ثانية، وبعد برهة وصل سماحة السردار مع (الشخص المحترم)؛ ثم

(١) سيتضح أن هذا الشخص الجليل كريم المحدث والأرومة، هو صاحب منصب كبير في الدولة وأنه يلقب بـ (ناصر الوزارة). ويبدو أن هناك - على ما سيأتي - وشائج قرى بعيدة بين أسرة هذا الشخص الجليل وأسرة مؤلف هذه الرحلة. (المعرب).

(٢) الهريسة: طعام يعدّ من دقيق القمح واللحم المهرّوس، وتضاف له أشياء أخرى حسب الرغبة، ولكن قوامها باللحم والقمح. ومن طريف ما يروى عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في هذا الشأن أنه رأى جملاً يحمل قمحاً، فقال: (تمشي الهريسة). (المعرب).

قام هذا الشخص المحترم لأداء الصلاة، وأشار عليه أخي المقدّس بأن ينحرف بمقدار ٢٥ درجة إلى جهة الغرب. وهنا قال سماحة السردار:

سيدي، لقد أقمنا هذا المحراب بتوجيه وإشارة من كبار العلماء والبنّائين الماهرين؛ فمن أين جاء هذا الانحراف؟

فقال له أخي المقدّس: ربما لم يكن لهم دراية في علم القبلة؛ فإن تحديد موضع المحراب وتعيين القبلة لا شأن له بالفقيه والمعمار، وإنما يحتاج إلى معرفة ودراية بعلم النجوم أو الهيئة أو الجغرافيا الحديثة.

وفجأة وثب رجل عجوز قصير القامة من مكانه وجاء يعدو نحونا، وأخذ يقول:

أيها السيد، لقد أقمت هذا المحراب بواسطة الدائرة الهندية، فما هذا الكلام الذي تقولونه؟!!

فقلت له: يا فضيلة المعمار، لو أنك أقمت دائرتك الهندية في (موزمبيق) (وهي في الساحل الشرقي للقارة الأفريقية)؛ حيث قبلتها إلى الشمال، أو في مدينة (كيانغ تونغ / برماني)؛ حيث قبلتهم باتجاه الغرب، أو في مناطق أمريكا الوسطى؛ حيث يكون الاتجاه إلى الشرق، هل كنت مع ذلك تقيم المحراب في الجهة الجنوبية؛ بمعنى أن تنظروا أبداً وفي جميع البقاع والأمكنة إلى العقرب الرفيع وتتبعون أثره؛ في حين أن علماء الشرع لا يجيزون التقليد في الموضوعات؛ فما ظنك بتقليد الجماد!

وكان أخي المقدّس في هذه الأثناء يحدّ النظر في الشخص المحترم وكانت نظرتة إليه توحى بأنه يعرفه، ثم قال له فجأة:

أيها السيد، ألسنت من قبيلة الحاج ملا باشي التبريزي الكريمة؛ إن باستطاعتي أن أقول بكل ثقة: إنك من هذه القبيلة، ولكني لا أستطيع أن أجزم بتحديد شخصك الكريم!

فقال سماحة السردار: بلى، لقد أصبت سيدي في تشخيصك، إن

سماحته هو نجل المرحوم المغفور له الحاج ميرزا محمد خان ملا باشي، وهو ملقب بـ (ناصر الوزارة).

فقال أخي المقدّس: عجباً، على هذه الصفة فإن هناك وشائج وروابط وثيقة تربطنا بهذه الأسرة المنيفة والعريقة، والحقيقة إنه لمن دواعي الأسف أن كنا غافلين عن إدراك هذه الحقيقة.

والآن بعد أن تعرّفت على سماحتكم بالتوسّم ورؤية القلب^(١)، لن أعرف بنفسي لكم حتى تتعرّفوا عليّ بأنفسكم؛ فأخذ (ناصر الوزارة) يمعن النظر، حتى أقرّ - في نهاية المطاف - بعجزه عن التعرّف علينا؛ فلم يكن أمامنا من بدّ سوى التعريف عن أنفسنا بأنفسنا، واتضحت نقطة الاتحاد والخصوصية التي تربطنا بسماحة السردار أيضاً؛ وطفقنا نتبادل الترحيب من جديد، وتحول الحوار العام بيننا إلى حوار خاص، وعمّ الجميع ابتهاج عارم.. وبعد انتهاء المجلس رغم أن سعادة السردار دعانا إلى مضافته، ولكن أثر كل واحد منا في نهاية المطاف أن يتجه إلى منزله.. واليوم حيث هو اليوم الحادي عشر من المحرم، جاء معالي (ناصر الوزارة) وسعادة (السردار) إلينا ليُعبر عن أسفه على جهله بنا في اليوم السابق.. وبعد ساعة جاء كبير خدمه ليدعونا إلى تناول العشاء في منزله.

بعد انقضاء ثلاث ساعات من حلول الليل، وبعد انتهاء مجلس العزاء، توجهنا مع كافة الأصحاب برفقة معالي (السردار) إلى مضافته، وكان علماء المدينة وقراء المراثي قد وصلوا قبلنا، وكان الآغا أمين لشكر - شقيق معالي السردار - حاضراً أيضاً.. أثرت بعض المباحثات العلمية مع السادة العلماء.. وبعد ذلك طلبت ورقة ويراعاً لتحديد قبلة مدينة (تيكان تبه)؛ فأحضر وهما لي.

(١) يبدو من هذا أن سماحة آية الله الميرزا علي الحائري الإحقاقي أعلى الله مقامه كان يتمتع بعلم القيافة، ويمكن اعتبار هذا الفن من متفرّعات علم الأنساب. (المعرب).

وما إن أردت الشروع بعملتي، حتى تقدم جناب مدير المدرسة ليقول:
إذن تقول سماحتك إن قبلة المسجد غير صحيحة!

فقلت: معاذ الله أن أقول أنا ذلك، ولن أقوله.. ولكن بلى، هذا ما يقوله علم القبلة، وهذا ما يقوله علم الهيئة، وهذا ما يقوله علم الجغرافيا، وهذا ما تبينه قواعد علم النجوم؛ فكل هذه القواعد والعلوم تثبت أنكم بنيتم محراب المسجد العالي في مدينة (تيكان تبه) إلى الجنوب تماماً، والحال يجب أن يُبنى مائلاً إلى الغرب بمقدار ٢٥ درجة تقريباً، وهذا المقدار من الانحراف عن القبلة يُبطل الصلاة.

فقال سماحة المدير: سيدي، اسمح لي بالقول إن هذا الكلام منكم يخالف الوجدان؛ وذلك لأن الميل والانحراف في مدينة (تفليس) عن القطب الجنوبي يبلغ درجة واحدة، والمسافة بيننا وبين تلك المدينة ليست بعيدة، في حين تقدر المسافة بين كل درجة ودرجة أخرى بما يزيد على العشرين فرسخاً، وعلى هذا الأساس فإن المسافة بين (تيكان تبه) و(تفليس) تزيد على الخمس مئة فرسخ، فإلى أي دليل أو قاعدة تستندون في إثبات كلامكم؟!

لقد حملني كلام سماحة المدير على الضحك.. وبعد أن أخذت الإذن في الكلام من سماحة أخي المقدّس؛ قلت له: يا فضيلة المدير، إن وجدانكم قد جاوز حدود التعقّل؛ فما شأن خطوط عرض الأرض بدرجات القبلة؟ ألا تميّزون بين خط الاستواء ودائرة القبلة؟! ثم إن درجات القبلة كلما اقتربت من مكة المكرمة، سوف تقترب المسافات فيما بينها بشكل أكبر. كما أن المسافة ما بين درجات الأرض في خط الاستواء تختلف عن القطبين؛ فمثلاً المسافة بين درجات الطول في زنجبار والكونغو وشبه جزيرة مالاکا وأستراليا وكولومبيا التي تقع على خط الاستواء تقدّر بما يزيد على ثلاثة وعشرين فرسخاً، في حين تنعدم المسافة في القطبين الشمالي والجنوبي

لتصل إلى مجرد نقطة.. بل وأقول شيئاً أكثر وجدانية وبداهة من هذا؛ فإن الحاج في مسجد الكعبة لو صلى إلى الركن الشامي أو الحجازي، يكون قد صلى إلى النقطة المقابلة للركن اليماني، والمسافة ما بين هاتين النقطتين تبلغ بحساب الدرجات ١٨٠ درجة، في حين لا يمكن أن تكون هذه الدرجات هي التي تحدد المسافة بين هاتين النقطتين؛ والحال ينبغي على طبق كلامكم أن تزيد المسافة بين الركن الشامي والركن اليماني على أربعة آلاف فرسخ؛ فعلى أيّ معيار وملاك تعتبرون هذه القاعدة المخالفة للوجدان وجدانية..

وفي هذه الأثناء جاء كبير الخدم ليقول: إن العشاء جاهز.

فقال معالي السردار: لقد حان وقت العشاء، ولكن يجب عليكم استئناف البحث والوصول إلى النتيجة بعد الفراغ من العشاء، حتى أعرف تكليفي وما إذا كان يتعين عليّ هدم محراب بهذا الجمال أم لا؟
فقلت له: سوف تهدمونه إن شاء الله.

وبعد تناول العشاء، عدنا إلى موضعنا الأول.. فقال معالي السردار: حسناً، إلى أين وصلت نتيجة الحوار؟

فقال فضيلة المدير: بالنسبة لي، فأنا حتى الآن لم أتقبل كلام سماحة الشيخ، وكل الذي أعلمه هو أن النقطتين مهما ابتعدتا عن بعضهما، سوف تكون درجة الانحراف والميلان فيهما واحدة!

فقلت له: أيها السيد يمكن لك أن ترى المسافة بين جدة وياهاما، سوف تجد أن المسافة بينهما تزيد على ثلاثة آلاف فرسخ، في حين أن اتجاه القبلة فيهما واحد تقريباً، وعلى هذا يجب على السكان في كل من جدة وياهاما أن يميلوا في اتجاه القبلة درجة واحدة نحو الجنوب، في حين يجب أن يكون الفرق بين هاتين المدينتين - طبقاً لكلامكم - أكثر من ١٣٠ درجة؛ فما معنى أنكم لا تتعقلون كلامي؟

فقال جناب المدير: حسناً، أنتم تقولون إن الانحراف والميل في (تيكان تبه) يقرب من ٢٥ درجة، في حين أن الانحراف والميلان في جميع إيران لا يزيد على ٢٠ درجة!

ضحكت ثانية من كلامه دون إرادة مني، وقلت له: يا جناب المدير، إن إيران كلها تنحرف من الجنوب إلى الغرب بما يتراوح من ١١ درجة إلى ٧٩ درجة، فالانحراف في مدينة ماكو يبلغ ١٣ درجة، وفي بندر كواتر يبلغ ٧٩ درجة، وفي مدينة تبريز الواقعة في الشمال الغربي من إيران، يبلغ الانحراف والميلان ١٨ درجة، وعليه إذا لم تكن لديك معرفة ودراية في هذا الفن، فلماذا تجادل في هذا الشأن؟!

فقال معالي السردار والآغا ناصر الوزارة: كلا، كلا.. إن الحق معكم، وقد اتضح لنا أن المحراب يجب تغييره بإرشاد وتوجيه منكم.

فقال جناب المدير: متى كان الانحراف في تبريز يبلغ ١٨ درجة، بل هو ٢٢ درجة!

فقلت له: ما هو دليلك على هذا الكلام.

فقال المدير: يا فلان، هات التقويم، حتى أري سماحته.

فجاءوا بالتقويم، وفتحت نصف دائرة البوصلة، وأشار إلى نقطة بين خط الدرجة، وقال: هل ترى، ألا تشير هذه النقطة إلى ٢٢ درجة؟

فقلت له: ما حققناه هو الصحيح، وقد عمد صاحب التقويم إلى تقسيم نصف الدائرة إلى ستين قسماً، وقيمة كل قسم تساوي ثلاث درجات.. ثم إن هذه النقطة لا تشير إلى تبريز وإنما تشير إلى مرو؛ فهذه مدينة مرو وليست مدينة تبريز، والرقم يشير إلى ٦٦ درجة وليس ٢٢ درجة، وقد أخطأ حتى في كتابة ذلك؛ إذ أنها في الواقع لا تزيد على الخمسين درجة.

الأمر الآخر أنه سبق لك أن قلت إن تفليس تبلغ درجة واحدة، في حين كتب صاحب التقويم أنها ٣ درجات، في حين أن هذا خطأ آخر، والصحيح

أنها عشر درجات؛ وعليه فإن هذا الكلام منكم يذكرني بحكاية ذلك الشخص الذي قال: (إن الخسن والخسين ثلاثهن من بنات مغاوية)، في حين أن الصحيح هو الحسن والحسين وليس الخسن والخسين، والصحيح أيضاً أنهما اثنان وليساً ثلاثة، والصحيح أيضاً أنهما ابنان وليساً بنات، والصحيح أيضاً أنهما ابنان لعلي عليه السلام دون مغاوية، والصحيح أيضاً أنه مغاوية وليس مغاوية^(١)!

وهنا تلثم جناب المدير وقال مرتباً: أيها الشيخ، لم يقل أحد بوجوب رسم الدائرة على ٣٦٠ درجة، وإنما هذا أمر راجع إلى مذاق الكاتب، وقد رأى صاحب هذا التقويم أن يرسمها على ١٢٠ درجة؛ فأَيُّ ضير في ذلك؟!!

فقلت له: أيها المدير، إلى متى تتظاهر بـ(الجهل والغفلة).. صحيح أن كل شخص يمكنه تقسيم الدائرة كما يحلو له، ولكنه لا يقال لتقسيمه في مثل هذه الحالة إنه على مقياس ٣٦٠ درجة، وإن الدرجات المعيارية بحسب التواضع المتفق عليه تبلغ ٣٦٠ درجة دون زيادة ولا نقصان.

فمثلاً يمكن لشخص أن يقسم الدائرة إلى ٦٠ درجة ولا ضير في ذلك، ولكن كل درجة منها سوف تساوي في هذه الحالة ست درجات.

والخلاصة أننا كنا في نقاش محتدم لما يقرب من ساعتين، وكان سائر الحاضرين في المجلس يكتفون بالاستماع والنظر.

(١) هذه الحكاية تشبه ما جاء في كتاب (محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء) للراغب الإصفهاني؛ حيث قال: (سُئِلَ رجل كان يشهد على رجل بالكفر عند جعفر بن سلمان؛ فقال: إنه خارجي معتزلي ناصبي حروري جبري رافضي، يشتم علي بن الخطاب، وعمر بن أبي قحافة، وعثمان بن أبي طالب، وأبا بكر بن عفان، ويشتم الحجاج الذي هدم الكوفة على أبي سفيان!.. فقال جعفر: ما أدري والله على أي شيء أحسدك؟ أعلى علمك بالأنساب أم بالأديان أم بالمقالات؟ (المعرب).

حتى قال معالي السردار في نهاية المطاف: حسناً أيها السادة؛ لقد اتضح أن علينا أن نغيّر المحراب بتوجيه وإرشاد من سماحتكم.

وفي ذلك المجلس قمنا بتصحيح وبيان اتجاه قبلة (تيكان تبه)، وتركنا متابعة الأمور إلى نجل معالي السردار، وهو شاب وقور ومتكامل النضج.. ثم قام جميع الأصحاب، وقالوا: سوف نجهّز أنفسنا لاستئناف الرحلة ريثما تأتون.. وبعد ذلك بساعة قمنا نحن أيضاً، وودعنا - آسفين - معالي السردار والآغا ناصر الوزارة ومعالي أمين لشكر وسائر السادة، وسلكنا طريقنا إلى وجهتنا، ورافقنا بعض السادة من العلماء وقرّاء المراثي إلى المنزل، بيد أن جناب المدير أعرب في أثناء الطريق عن خجله منفعلاً وتركنا مودعاً.. والآن بعد مضي أربع ساعات من الليل، ركبنا على رواحنا وانطلقنا بنشاط تام^(١).

أردت في البداية أن لا أكتب تفاصيل الحوار الذي دار مع سماحة المدير في هذه الرحلة، ولكن حيث اشتمل هذا الحوار على مسائل مفيدة فقد رأيت أخيراً أن إدراجه أفضل، ومن هنا فقد تحاشيت ذكر سماحة المدير بالاسم.

(١) يعد كاتب الرحلة آية الله الإحقاقي أحد البارعين في علم الفلك، وقد كتب رسالة في تحديد القبلة أو ان بلوغه، وهي رسالة مفصلة جعلها في دائرة عظيمة وصورة الكعبة في وسطها وسائر البلدان حولها وأطرافها، وعيّن قبلة أكثر بقاع الأرض ورؤوس جبالها وبطون أوديتها وبحارها وأنهارها ومقدار إنحراف كل منها إلى أي جهة من الجهات الأربع، بحيث إذا جعلتها على الأرض وطبقت كل جهة معلومة منها إلى الجهات الحقيقية ووقفت بإزاء أي بلدة تريدها وتوجهت إلى تلك الكعبة المصورة كان وقوفك إلى القبلة الواقعية من غير شك وتردد، ولقد أشار آية الله المولى الميرزا علي الحائري في رسالته منهاج الشيعة إلى هذه الرسالة ومجد حسن نظامها وسهولة مأخذها، وتعد مسائل القبلة في رسالة الميرزا حسن (أحكام الشيعة) أكثر شمولاً وتفصيلاً عن باقي الرسائل العملية لعلمائنا الأجلاء. وكان لهذا النبوغ العظيم السبب لجعله محل ثقة والده وجميع الأفاضل حوله لتحديد القبلة لهم في أي بلد وردوا فيها من غير مطالبته بدليل لثقتهم باطلاعه وإحاطته.

تحتوي (تيكان تبه) من جهاتها الأربع على شوارع ممتازة يتراوح طولها ما بين ألفين وثلاثة آلاف قدم، وعلى كلا جانبيها أشجار باسقة، وتعتبر القرى حتى (صائين قلعه)^(١) ملكاً للأسرة الأفشارية بزعامة ورئاسة معالي السردار.



(١) في الأصل (صاين قلعة)، والصحيح (صائين قلعة) أو (صاين قلعة): واحدة من مدن محافظة زنجان، وتقع في الجزء المركزي من قضاء (أبهر). (المعرب).



[المحطة السابعة: بناب]

[المصطبة السابعة: بناب]

جاء الكربلائي محمد باقر يعدو، وقال لي: إن منزلنا اليوم مكان وسخ جداً، ومليء بالقراد.. ولكن هناك في الجوار واد في غاية الجمال، فإن كنتم ترغبون أمكن لنا النزول هناك؛ فقلت له: إذا كان الأمر كذلك، سيكون أفضل.

بعد ثلاث ساعات من طلوع الشمس دخلنا قرية (كوك آعاج)^(١)، فسلكننا الوادي.. يا له من مكان ساحر؛ كان المكان لكثرة أشجاره قطعة ممتدة من الظل، وفي وسطه عين جارية في غاية الصفاء، فافترش كل واحد منا الأرض في ناحية واستلقى هناك.. وما إن مضى هزيعاً من الليل، وفي أثناء النوم كسر الصمت صوت صراخ وزعيق عجيب وغريب (اوي اوي كيمدر أوغلان آلتی آچیلانی ویر گورم گده قمه نی گوتور)^(٢)..

ودخل الجميع في فوضى عارمة وأخذوا استعدادهم للدخول في عراق.. ما الذي يحدث أيها الرفاق؟.. لقد لاح سواد مرّ من خلف محمل الحاج علي أكبر آغا، ولم يتضح ما إذا كان سارقاً أو بهيمة، كما أن سكان هذه القرية ليس لهم نظير في الخبث!.. أيها السادة، هل يستدعي مرور سواد

(١) (كوك آعاج) وفي لغت نامه دهخدا (گوي آعاج): قرية من قرى ناحية (شاهين دژ) التابعة لقضاء (مراغة) إلى الجنوب من (تکاب). (المعرب).

(٢) هذا كلام باللغة التركية، وقد وردت ترجمته إلى اللغة الفارسية في النسخة (ب) على النحو الآتي: (من هناك؟ يا ولد، هات المسدس سريعاً.. يا ولد، أعطني سيفاً). (المعرب).

كل هذه الضجة؟! ليأخذ أحدكم موضعاً للحراسة ساعة ويأخذ الآخرون قسطاً من النوم بهدوء، ثم رجعنا إلى النوم من جديد.. ثم استيقظنا ثانية على وقع زعيق أشد إزعاجاً حيث كان الصراخ ينطلق من جميع أنحاء القافلة!.. ما الخبر هذه المرّة؟ ذات السودة ظهرت للمرّة الثانية!.. وبعد البحث والاستطلاع، اتضح أن الكربلائي محمد حسين هو الذي كان يفتعل إثارة الضجيج بدافع من الدعابة والمزاح! يجب عليه أن يشكر الله أنه لم يُصب بسوء من قبل أفراد القافلة؛ فقد رماه أحدهم بعدد من الأحجار الكبيرة والقاتلة، ولو أن واحدة منها قد أصابته لما حصل من المزاح على غير الجراح!

في منتصف الليل شددنا الرحال وخرجنا من ذلك الوادي الجميل.



[نهب مدينة صائين قلعة على يد إسماعيل آغا]

كان ذلك اليوم هو اليوم الثالث عشر من الشهر، حيث نزلنا في (سانجد)^(١).. وفي اليوم الرابع عشر دخلنا مدينة (صائين قلعه)؛ إن هذه المدينة الحيوية الهامة التي تمثل مركزاً تجارياً لأغلب سكان كردستان، قد تحولت إلى ركام بسبب طغيان إسماعيل آغا، فقد أخلى سكانها منازلهم لأربعين يوماً بلياليها من جور ذلك الباغي الظالم، وتفرقوا في الضواحي، وقام أفراد عصابته في هذه المدة بنهب كل ما تقع عليه أيديهم (چو ترکان خوان يغما را)^(٢).

ولم يكتفوا بذلك، بل أضرموا النار في جميع البيوت، وأحرقوا سوقها الكبير المعروف بـ(سوق الأمير) عن آخره، ثم حملوا معهم حتى الفحم الذي تكوّن بفعل حرق الأبواب والشبابيك الخشبية؛ حتى لم يبق من هذه

(١) (سانجد): في لغت نامه دهخدا (سانجود): قرية من قري (گوي آغاچ) من توابع (شاهين دژ)؛ حيث تقع على الطريق بينها وبين قضاء (تکاب)، ويعمل سكانها في الزراعة ورعي الماشية وحياسة البُسط. (المعرب).

(٢) وردت هذه العبارة في شطر من بيت للشاعر الفارسي الشهير شمس الدين حافظ الشيرازي من قصيدة له باسم (آن ترک شیرازی)، وتمايم البيت كالآتي: (فغان کاین لولیان شوخ شیرین کار شهر آشوب.. چنان بردند صبر از دل که ترکان خوان يغما را). والمعنى: (وأسفاه وواغوثاه من هؤلاء الشهود الذين فتنونا وسلبونا الصبر والهدوء.. مثلما فعل أولئك الأتراك الذين أغاروا على خوان الملك). (المعرب).

المدينة العامرة سوى أطلال من التراب والركام المحترق.. ومؤخراً أخذ السكان يعودون إليها شيئاً فشيئاً، ويباشرون إعمارها من جديد.

في الليلة الخامسة عشرة من الشهر ارتحلنا من هذه المدينة الحزينة، وأقمنا يوماً في قرية (كشاور)^(١).. وفي اليوم السادس عشر نزلنا في قرية (ليلي آباد). وفي ليلة السابع عشر [من المحرم] توجهنا إلى (بناب)^(٢).

وبعد ساعة من طلوع الشمس كان هناك شخصان راجلان يتقدمان نحونا من جهة المدينة مسرعين، ألقيا علينا السلام ثم أوقفنا محملنا، ثم قالوا:

نحن على عجلة من أمرنا، ولكن أخبروا سكان المدينة بوصولكم؛ حيث الجميع قد أخذ العدة لاستقبالكم، فقد وصل خبر قدومكم من (صائين قلعة) عبر التلغراف (برقية)، وبحسب ما جاء في البرقية كان ينبغي أن تصلوا في الغد! ألم تقفوا في ملك كندي؟! لقد أرسل سيف العلماء شخصاً إلى ملك كندي ليطلع على خبر وصولكم، ويبدو أنكم قد اجتزتم المنطقة ليلاً فلم يشعر بكم أحد..

قالا ذلك، ثم واصلا طريقهما.. إن سماحة المستطاب ملاذ الأنام العالم الفاضل الآغا سيف العلماء يُعدّ من جميع الجهات علماً وشخصاً رئيس مدينة (بناب) وضواحيها، وإن أوامره السامية نافذة على الجميع، كما أنه يحظى باحترام كبير من قبل الدولة، بالإضافة إلى حبّ الناس واحترامهم الكبير لشخصه الكريم، وقد قدّم خدمات كبيرة إلى الإسلام وإيران فيما يتعلق بدفع تمرد وطغيان إسماعيل آغا، كما سبق لوالده المرحوم - قدّس

(١) (كشاور): قرية من توابع ناحية (كشاورز) من قضاء (شاهين دژ) في محافظة أذربيجان الغربية. (المعرب).

(٢) قضاء (بناب) من أفضية محافظة أذربيجان الشرقية. وهي مدينة سياحية وتاريخية، وسكانها من الآذريين ويتكلمون اللغة التركية الآذرية، وكلهم من الشيعة الإمامية. (المعرب).

سرّه - أن صدّ عُبيد الله الملعون، ومنذ ذلك الحين وصل هذا اللقب إلى هذا الأُوحد وراثّة (ومن يُشابه أبه فما ظلم)^(١).



(١) هذا شطر بيت، وتمامه (بأبه اقتدى عديّ في الكرم.. ومن يُشابه أبه فما ظلم). وهو من شواهد النحو في بيان لغة قوم يُعربون الأسماء الخمسة أو الستة بالحركات دون الحروف. وهو مما يُنسب إلى رؤبة بن العجاج من أبيات قيل إنه مدح بها عديّ بن حاتم الطائي. وهناك من شكك في هذه النسبة؛ إذ توفي عدي سنة ٦٨ من الهجرة، بينما توفي رؤبة سنة ١٤٥ للهجرة، وبذلك تقدّر الفاصلة الزمنية بين وفاة عدي ووفاة رؤبة بسبعة وسبعين سنة. ولكن هذا الأمر لا يشكل مانعاً من نسبة هذا البيت إلى رؤبة، إذ يمكن مدح الإنسان حياً وميتاً. وقيل في شرح قوله (فما ظلم) إنه لم يظلم أمه عندما شابه أباه، إذ لو لم يشبهه لكان في ذلك متسع لغمزها به، فيكون في ذلك ظلم لها. (المعرّب).

[أهالي بناب يضرهون لاستقبالنا]

إن (ملك كندي)^(١) هو منزل للزائرين ولكننا تجاوزناه ليلاً ولم نقف عنده.. هناك على مسافة فرسخ من (بناب) مقهى، وما إن وصلنا إلى مقربة منه حتى ترجل الآغا سيد أحمد من راحلته، ووقف أمام هودجنا، وقال: ما لم أخبر الناس بوصولكم لن أسمح لكم بالتقدم خطوة واحدة! فقال أخي المقدّس: أنا لا أنشد الاستقبال والترحيب؛ لماذا كل هذا التسبّب بمشقة الناس وإزعاجهم؟.. أرى من الأفضل أن ندخل المدينة دون إشعار أهلها.

فقال السيد [أحمد] الزعفراني: كلا، لن يكون ذلك أبداً.. إن هؤلاء المساكين يتمنون هذا الشرف، وأنا أعتذر من وقاحتي وجرأتي، ولكن من المحال أن أسمح بدخولكم دون إخبار الأهالي؛ ولذلك يتعيّن عليكم أن تمكثوا في هذا المكان لبرهة من الزمن، فتوقفنا في ذلك الموضع البديع لساعة من الزمن بسبب إصراره التام، وكان المشهد الذي تمثل أمامنا يبدو بسبب تراكم المزارع الخضراء وكأنه قطعة من الزبرجد.

ذهب سماحة الكربلائي محمد حسين الداماد، والآغا [أحمد]

(١) (ملك كندي) أو (مَلِكَن): من مدن أذربيجان الشرقية الكبرى؛ حيث تقع إلى الجنوب الغربي منها، وهي مركز قضاء ملكان. كانت تسمّى قديماً (ملك كندي)، وقد تم تغيير اسمها بعد تحوّلها إلى مدينة وصار اسمها (مَلِكَن). وهي تقع على مسافة ٤١ كيلومتراً من (مراغة)، و١٤٣ كيلومتراً من (تبريز). (المعرب).

الزعفراني، وسماحة الكربلائي جليل آغا وعلي أصغر، إلى المدينة مسرعين لإخبار أهلها بوصولنا.

أخذ الحاج علي أكبر بزمام راحلتنا وأخذ يقودها في طليعة القافلة ببطء.. ثم أخذت طلائع المستقبلين من الأهالي تظهر أمامنا شيئاً فشيئاً، وكان كل واحد يصل منهم بيدي أسفه واعتذاره من عدم علمه بوصولنا.. وهكذا أخذ الناس يتوافدون لاستقبالنا رجالاً وركباناً على نحو متواصل، ثم دخلنا المدينة وكانت الجموع تزدحم بالتدريج، وتصاعد الغبار حتى ملأ الفضاء؛ فنزلنا من على رواحلنا، وعرضوا علينا ركوب الخيل وقيادتها بأنفسهم، ولكن أخي المقدّس أبي ذلك، وانضم إلينا عالم وقور وأخذ يعرف بالخاصة من الوفود المستقبلية.

وأخذت طلائع الركبان والمشاة تنشد (الألحان الداودية)^(١).. ثم وصل المقرّبون من سماحة سيف العلماء وأهله، وأخذوا يُعربون عن سعادتهم وغبطتهم بقدومنا، وأغلقت المحال التجارية والأسواق بالكامل، وكانت أصوات الصلوات تملأ أجواء المدينة، ولم يكن في مقدورنا رؤية مقدمة الجموع المستقبلية، كما لم نتمكن من رؤية نهاية الحشود، وكان الكلّ يدعو لنا رجالاً ونساءً وشيوخاً وشباباً، ولشدة الزحام ارتفعت سحابة كبيرة من الغبار الكثيف، وكان العساكر يدفعون الناس ليُخلوا مقدمة الطريق أمام مسيرنا، وخفّ سماحة الآغا سيف العلماء إلى استقبال أخي المقدّس بكل وقار واحترام.. ثم أدخلونا عمارة عالية، ودخلنا صالة واسعة، وأخذ كل واحد من العلماء والأعيان موضعه ومكانه في تلك الصالة.

(١) في الأصل (ألحان داودي): نسبة إلى نبي الله داود عليه السلام، صاحب كتاب المزامير، ويقال إنه كان يمتلك صوتاً عذباً رخيماً، وإن الطيور كانت تنزل إذا شدا وتهجّد بمزاميره وتلهو عن المخاطر التي تحيط بها. (المعرب).

قال سيف العلماء: لم نكن نتوقع هذا المستوى من الجفاء!.. كانت رؤيتي على غير ذلك؛ لماذا لم تخبروني بقدمكم؟

فقال أخي المقدّس: لقد كان القصد هو اللقاء بالأصدقاء وزيارتهم؛ فما الداعي إلى إيذاء المسلمين؟

أبدى الآغا سيف العلماء غاية الأسف، في حين أن التشريفات التي قام بها في هذه المدة القصيرة كانت استثنائية وت فوق التّصوّر.. تمّ إحضار مختلف أنواع الفاكهة.. وامتدّ التردّد والاختلاف علينا من قبل الناس حتى بعد أربع ساعات من حلول الليل.. وكان الآغا سيف العلماء يفرط في احتساء الشاي إلى حدّ كبير، وقد عُرف عنه أنه يشرب يومياً عدداً كبيراً من الفناجين يتراوح ما بين ستين إلى سبعين فنجاناً.

في صبيحة اليوم الثامن عشر، ودعنا هذا الرجل صاحب الهمّة العالية واتجهنا إلى غايتنا، والحقيقة يجب القول: إنه قام بما تملّيه عليه إنسانيته وعلوّ شأنه، وقام بما ينبغي.. وقد كان عدد سكان مدينة (بناب) - كما قال - يبلغ قبل شيوع الوباء وانتشار المجاعة ما يقرب من خمسة عشر ألف نسمة، في حين أن عدد سكانها حالياً لا يتجاوز العشرة آلاف نسمة. وفيها حمام حسن ونظيف جداً ولم أر له مثيلاً في جميع مدن (العراق)^(١)، وكانت مركزاً للعشائر والقبائل التي تقطن في الضواحي والمناطق القريبة، وفيها سوق عامرة تزخر بالبيع والشراء.. كان الآغا مهدي خان برفقتنا إلى (بناب)، وقد انفصل عنا في الليلة الماضية ومضى قبلنا.

قال لي سماحة أخي المقدّس: يا ميرزا حسن، هل الذي أراه ماء أم غباراً؟ كأنه بحيرة؟

(١) في الأصل (عراق العرب) تمييزاً له من عراق العجم الذي كان يطلق قديماً على ما يُعرف حالياً بمدينة (آراك). (المعرب).

فرميت ببصري ناحية المغرب، ثم قلت له: سيدي لا شك في أنها (بحيرة أرومية)^(١)، وها قد بدا إلى يمينها (جبل شاهي).. يقال إن ماءها من المرارة بحيث لا يمكن لأي صنف من أصناف الحيوانات أن تعيش فيها.

كان هناك شخصان من بعيد يتجهان نحونا مسرعين؛ ولما وصلا إلينا وقفنا أمام المحمل، يقولان، لقد تألمنا في الحقيقة كثيراً، فلم نسمع بخبر قدومكم إلّا في الليلة الماضية فقط، وقد سمعنا الخبر من مهدي خان، وإلا لما حصلنا على خبر قدومكم أبداً، لماذا لم تبكّروا في إخبار كبار غلمانكم؟

أمعنت النظر في وجه المتكلم جيداً، ثم سألته: أليست الكربلائي، أحد الذي تشرف بزيارة العتبات المقدسة في السنة الماضية؟.. فقال لي: بلى سيدي، أنا هو ذلك الشخص الذي تشرفت بمحضر والدك.. قال ذلك ثم قفل إلى المدينة راجعاً.. كان الطريق حيث نحن وصولاً إلى المدينة ذاتها عبارة عن حقول ومزارع بهيجة متراففة ومتجاورة ذات أشجار متنوعة.. وصلت طلائع المستقبلين ركبناً وراجلين، وهم يعبرون عن سعادتهم وحبورهم، وكان هناك منهم من يذرف الدمع من شدة الفرح، وارتفعت أصوات المنشدين والصلوات كما كان في لحظة وصولنا إلى مدينة (بناب)، وامتزجت أصوات البكاء والضحك من كل جانب.

ضحى الكربلائي أحمد آغا بكبش تعبيراً منه عن الترحيب بنا، وأشار علينا بالدخول إلى بيته؛ فدخلنا البيت وأخذنا أماكننا من إحدى غرفه.. ثم

(١) (بحيرة أرومية): بحيرة مالحة مغلقة تقع قرب مدينة أرومية إلى شمال غرب إيران ما بين محافظتي (أذربيجان الغربية) و(أذربيجان الشرقية). كانت تعدّ أكبر بحيرة مالحة في غرب آسيا؛ إذ بلغت مساحتها ألفي ميل مربع، وعمقها الأقصى ١٦ متراً. ولكنها تقلصت مؤخراً إلى ١٠٪ من حجمها السابق، بسبب سدّ الأنهار التي كانت تصبّ فيها، وضخ المياه الجوفية من المناطق المحيطة بها منذ عام ١٩٨٤ م. (المعرب).

جاء علي أصغر مسرعاً؛ ليقول: لم أنتبه سيدي، فقد تخلف أصحابنا، ونزلوا في محل استراحة القوافل!.. فأشرت عليه أن يأخذ أحد الخدم ويأتي بهم جميعاً مع جميع المكارين وأصحاب الدواب؛ لقد قلت منذ البداية أن لا ينفصل عنا رفاق القافلة ساعة حتى تحين لحظة الانفصال؛ فاعرف ما تمليه عليك مهمتك.

انطلق علي أصغر بأقصى سرعته ليأتي بالجميع.. نسينا وعشاء السفر وعناء الطريق، وجأؤوا بمختلف أنواع الفاكهة.. وفي هذه الأثناء قام شخص من آخر المجلس وقد وضع يده على صدره احتراماً مع إمالة رقبتة خضوعاً ليقول: سيدي، لقد أرسلني الحاج السيد رضا آغا؛ لكي أخبره بوصولكم، وقد مضى عليّ اليوم هنا ستة أيام، وها أنا طوع أمركم، فإن سماحته ينتظر مني الخبر في كل لحظة، وسوف أكون في ركابكم.

(سماحة المستطاب [ملاذ الأنام مرجع الخاص والعام]^(١) حجة الإسلام زادة الحاج السيد رضا آغا كبير وشريف جميع تلك المناطق، وتعد أسرته زينة لجميع تلك الأصقاع، وسوف أسميهم من الآن فصاعداً بـ (العائلة الجليلة)).

قام سيّد وقور طاعن في السن من جهة أخرى، وقال: لقد أبلغت سماحة الآغا ميرزا يحيى آغا كوكان بوصولكم عبر الهاتف، ولن يطلق الأصحاب سراحكم قريباً، وإن أهالي (شيرمين)، و(دستجرد)، و(كوكان)، و(دهخوارقان)، و(مامقان)، و(خسروشاه) والمناطق الأخرى في طريقهم إلى هنا، وإن أغلبهم من مريدي ومقلدي سماحة الوالد - أدام الله ظلّه العالي - فاجعلوا لكل واحد منهم ليلة، وسوف تتجاوز العشرة، وأنتم أحرار فيما تختارون وترون.

(١) ما بين المعقوفتين غير موجود في النسخة (أ)، وإنما هو مضاف في النسخة (ب).

قال أخي المقدّس: لا يمكن لنا أن نترك (الأسرة الجليلة) وأهالي (أسكو) ينتظرون لأكثر من ثلاث ليال؛ وعليه لا تخبروا المناطق الأخرى بقدومنا.. قام مبعوث الآغا المعظم إليه بإرسال رسول على جناح السرعة إلى مدينة (أسكو)^(١).. وقد سعدنا كثيراً بترحيب وضيافة الآغا كربلائي أحد.. وعند حلول الفجر الصادق، كانت القافلة تأخذ العدة للانطلاق؛ فودّعنا الأصدقاء واتجهنا نحو غايتنا.



(١) (أسكو): مقاطعة في محافظة أذربيجان الشرقية. وكان اسمها القديم (أوشكايا). تقع إلى الشرق من بحيرة أرومية. (المعرب).

[شيرامين]

قراية الظهر لاحت لنا جدران (شيرامين)^(١) من بعيد.. ولكن على مسافة من الطريق الجانبى العام كان هناك فارسان يتجهان نحونا، وما إن وصلا حتى ترجّلا عن فرسيهما، ووقف أحدهما أمام محملنا، وقال: سيدي، أنا من رجال الحاج السيد رضا آغا، وقد أعددت باسمه الغداء والعشاء لعباد الله الصالحين في قرية (كلوانى)^(٢)؛ فماذا تأمرون؟ قلت له:

حسناً جداً، لتحط علماً بأن أخى المقدّس لن يقطع وعداً لأحد.

اعتلى صهوة فرسه ثانية وانطلق مسرعاً حتى غاب عن الأبصار.. وقام الراجل الخبير باختطاف زمام الراحلة وأداره إلى جهة اليمين؛ فقلت له: إلى أين تسحبنا أيها الأخ؟! قال الراجل وهو متقطّع الأنفاس: سيدي: إن أهالى (شيرامين) - ظناً منهم أنكم سوف تشرفونهم - كانوا ينتظرون قدومكم المبارك على طريق خاص، وما إن علموا أنكم لا تعتزمون المرور بهم، حتى تراكضوا من هذه الناحية لزيارتكم؛ فيا سيدي لا تحرمونا هذا الشرف؛

(١) هكذا فى الأصل، والصحيح (شيرامين): قرية من قرى قضاء (آذر شهر) فى محافظة أذربيجان الشرقية. وتشير شواهد القبور فيها إلى أنها من المناطق التاريخية الضاربة فى القدم، وبعضها يُشير إلى الحقبة الأشكانية. (المعرب).

(٢) هكذا فى الأصل، ويبدو أنها (كلوانق) أو (كيلوانا)، بمعنى (الرماد)، من أعمال قضاء (هريس) فى محافظة أذربيجان الشرقية. تبعد مسافة ٧٠ كيلومتراً عن (تبريز)، ويتضح من جباتها أنها ضاربة فى القدم، وتعود فى تاريخها إلى ما قبل ١٦٠٠ سنة تقريباً. (المعرب).

فإن الأصحاب كلهم عيون باكية تجري من مآقيها دموع الفرح!.. فقال أخي المقدّس: حسناً، لن نخيّب ظنك.. ثم التفت إليّ قائلاً: يا ميرزا حسن، أخبر الميرزا صالح خان، أن لا يعدّ الغداء؛ إذ لا يسعني رفض دعوة هؤلاء المحبين الصادقين.. أخذ الحاج علي أكبر زمام الراحلة من الراجل في إحياء منه أنه هو صاحب زمام هذه الراحلة أبداً.

كانت طلائع المستقبلين تصل على شكل جماعات جماعات، وكان المنشدون ينشدون الأهازيج على مقام الحجاز.. ثم جاء معالي (الله ويرديخان) رئيس وكبير (شيرامين) - وهو رجل هرم وقور - محاطاً بحشد كبير من الناس، وبعد تبادل التحيات والترحيبات المعهودة، عبّر عن أسفه بسبب عدم علمه بقدومنا.. وتمّ ذبح الكثير من الخراف على مدخل جميع المعابر.. وكانت النسوة يبتهلن بالصلوات ويحرقن الحرمل^(١).. وكان الجميع في فرح وحبور حتى أنهم كانوا في فوضى عارمة، وكأن الواحد منهم كان على استعداد للتضحية بنفسه بدلاً من الأضاحي.

دخلنا برفقة الأصحاب في مضافة معالي (الله ويرديخان)، ونسينا تعب الطريق، وبعد أن أخذت قسطاً من الراحة، نهضت بقصد الذهاب إلى الحمام؛ فذهبت إلى الحمام برفقة فضيلة الآغا السيد أحمد الزعفراني وبعض الأصحاب، وكان معنا عدد من الرجال المقربين من معالي (الله ويرديخان)؛ فدخلنا الحمام وبعد أن أكملنا غسل أجسامنا، قام كبير خدم معاليه بإلقاء عدد من المناديل النظيفة على أكتافنا بيديه، ووقف أمامي باحترام بالغ، وقال لي:

إنه لمن دواعي الشرف أن ألبسك الثياب بنفسي.

(١) (الحرمل): نبات عُشبي معمر كان يصنّف ضمن الفصيلة القديسية قبل أن ينقل عام ١٩٩٦م إلى الفصيلة الغردقية. (المعرب).

كان هذا الصديق الصادق يعرض الخدمة بشغف عارم؛ والحقيقة قد أذهلني إخلاص هؤلاء الناس وصدقهم في التعبير عن حبهم ومودتهم لنا.. خرجنا من الحمام وذهبنا إلى المسجد مباشرة لكي نصلي هناك جماعة بإمامة أخي المُقدّس.. وبعد تناول الغداء واحتساء الشاي.. قمنا لمواصلة الرحلة، واعتلى كل واحد منا ظهر حصان، وتبعنا سائر الرفاق سيراً على الأقدام حتى وصلنا إلى مدخل القرية، وخرج الجميع لتوديعنا؛ فنزلنا هناك من على ظهور الخيل، وودعنا عميد القرية (سركار خان) وسائر الأصدقاء، ثم عاد جميع المودعين إلى القرية بعيون باكية.. تقدّم شخص ممسك بزمام حصان أدهم أصيل، وقال لي: أرجو أن تشرفني باعتلاء ظهر هذا الحصان حتى (كلواني)، وسوف يعيده خادمي عند رجوعه من هناك؛ فوضعت قدمي في ركاب الأدهم الأصيل، وأخذت موضعي فوق سرجه المريح، واتخذ سماحة الآغا [أحمد] الزعفراني مكانه في راحلتي.. كانت الحقول والمزارع والأراضي الخضراء تمتدّ في مسيرنا على مدّ البصر.

لاحت لنا من على البُعد مجموعة من الخيالة، وما إن صاروا على مقربة منا حتى ترحّلوا من على ظهور الخيل، ثم أحاطوا بنا من الجانبين وأخذنا نتبادل التحيات والترحيبات، وبعد التوسّم فيهم، تعرّفت على واحد منهم، وهو معالي فضيلة سيف الله سلطان، وهو من الرؤساء الكبار في (مامقان)؛ فشكرته على خروجه للترحيب بنا، وبعد الترحيبات المعتادة قام معاليه بالتعريف بالسادة الذين خرجوا معه، وهم كل من: سماحة المستطاب العالم الفاضل الآغا سيد يحيى آغا رئيس وكبير أغلب مناطق (كوكان)، والعالم الفاضل الآغا ميرزا علي دستجردي، وسماحة الملا حبيب دستجردي، وكان هناك شخص من قرية (كلواني) آخر لم أعد أتذكر اسمه، وكانوا كلهم وكلاء لسماحة المفدّي الوالد الماجد - رُوحِي فداء - وكان سائر المرافقين من وجهاء وأعيان دستجرد وكوكان.. لم يبق على انقضاء

اليوم سوى ساعة ونصف حتى وصل الميرزا صالح خان وجموع المستقبلين من قرية (كلواني)، وتمّت التضحية بعدد من الأضاحي في عدّة أماكن.

أمضينا تلك الليلة بسعادة كبيرة أيضاً.. وعند منبج الصباح جاء رفاقنا في القافلة من الذين التحقوا بنا في كرمانشاه للوداع وأخذ الإذن من سماحة أخي المقدّس، ولم يُجدِ إصرارنا عليهم بالبقاء معنا ومرافقتنا إلى (أسكو)؛ إذ تذرّعوا بالشوق إلى أهلهم وأسرههم، وتعذروا بذلك عن تلبية دعوتنا، فلم يبق أمامنا في نهاية المطاف سوى توديعهم واحداً واحداً، ثم انطلقوا يغدّون السير إلى غايتهم.. وقد نفحت الحاج علي أكبر بخشيشاً، وأوصيته أن لا يحمل على ناقتنا شيئاً، ولا يسمح لأحد بأن يركب على ظهرها، وأن يتركوها حرّة مُرسلة حتى تدخل إلى تبريز؛ إذ تحمّلت الكثير من العناء والتعب بسببنا؛ فهي وإن كانت بهيمة، ولكن الفرق بكل حيوان واجب علينا.. ثم قاموا بإحضار خيولنا أيضاً، واتخذ كل واحد منا موضعه على واحد من تلك الجياد، وتوجهنا نحو (دستجرد)^(١) برفقة السادة الذين خرجوا إلى استقبالنا من (دستجرد) و(كوكان) و(مامقان)..

تقدمت نحو أخي المقدّس حتى حاذيت ركاب راحلته بركاب راحلتي لكي أقول له شيئاً، ولكنني ودون إرادة مني وخزت ظهر جواده بطرف سوطي؛ فلم يكن من ذلك الحصان الأصيل إلّا أن استجاب لنداء الوخزة فشبّ حرنأً واندفع بأقصى سرعته ميّماً شطر الصحراء مثل العاصفة، وكان عدوه يشتدّ وسرعته تزداد في كل لحظة؛ الأمر الذي أثار خوفي وفزعني؛ إذ لم يسبق لأخي المقدّس أن ركب جواداً قبل هذا اليوم، بل كانت هذه هي المرّة الأولى التي يعتلي فيها على ظهر جواد، كما انتاب سائر من كان في صحبتنا نفس الشعور، وأخذوا يتضرّعون بالدعاء إلى الله، وبقيت بدوري

(١) (دستجرد): قرية في محافظة (أذربيجان الشرقية) تقع في قضاء (ورزقان). (المعرب).

حائراً، وأخذت مني الأوهام كل مأخذ.. يا إلهي، ما هذا البلاء الذي حلّ بنا، ارفق بحال هؤلاء المحبين يا الله.. ولحسن الحظ كانت الطريق التي سلكها الحصان تأخذ بالصعود على طولها، الأمر الذي شكّل كابحاً طبيعياً يحدّ من اندفاعه الجواد؛ وهكذا أخذ يُبطئ من سرعته شيئاً فشيئاً حتى توقف عند أعلى المرتفع، فالتحقنا به هناك ونحن نشكر الله ونحمده (رسيدته بود بلائي ولي بخير گذشت)^(١).



(١) هذا شطر بيت وتمامه: (نريخت درد مي و محتسب ز دير گذشت.. رسيدته بود بلائي ولي بخير گذشت)، والمعنى: (لم أبل من سكرة الخمر، حتى جاوز الغفير الدير.. كان البلاء وشيكاً ولكنني نجوت منه). وقد اكتسب الشطر الثاني من هذا البيت شهرة بالغة في الأدب الفارسي حتى أصبح مثلاً يُضرب. وقائل هذا البيت هو آصف بن نعيم الدين نعمة الله علي الفهستاني المعروف بـ (الآصفي الهروي) (٨٥٣ - ٩٢٣هـ)، من شعراء الفرس من الأفغان في العصر التيموري. (المعرب).

[تأثير علماء الدين في المجتمع]

لاحت لنا مدينة (دهخوارقان)^(١) من بعيد، وكانت على مسافة نائية من الطريق العام.. وكان الفرسان وجموع المستقبلين تأتي تباعاً.. تجاوزنا (دره إژدها)^(٢)، وأخذ المستقبلون المشاة والراجلون بدورهم يظهرن شيئاً فشيئاً.. كان المنشدون ينشدون، والأصدقاء يرفعون الصلوات، حتى دخلنا مضافة الآغا ميرزا علي، وقد ذبحوا الأضاحي بمناسبة قدومنا في عدة أمكنة.. وبعد تناول الغداء وأداء الصلاة، أخذنا قسطاً من الراحة.. ثم اعتلى كل واحد منا ظهر جواده لمواصلة السير نحو مدينة (كوكان)^(٣).. تقدّر

(١) (دهخوارقان) هو الاسم القديم لمدينة (آذرشهر) الحالية، (ومن أسمائها الأخرى: (توفارقان)) وتعرف في المصادر العربية باسم (داخرقان)، أو (ده نخيرجان) على ما ذكره ياقوت الحموي، وهي من المدن الغربية في محافظة أذربيجان الشرقية، وتقع إلى الجنوب الغربي من مدينة تبريز على مسافة ٥٤ كيلومتراً، حيث تقع على محور (تبريز / بناب) ويقوم جبل (سهند) إلى الشرق منها، كما تقع (بحيرة أرومية) إلى الغرب منها، وتحدها من الشمال مدينة (أسكو). (المعرب).

(٢) (وادي التنين): لا يوجد واد بهذا الاسم في محافظة (أذربيجان)، وإنما يوجد واد بهذا الاسم في محافظة (كرمانشاه). أما الموجود في محافظ أذربيجان الشرقية فهو قلعة باسم (دژ اردها) أو (حصن التنين)؛ حيث يقوم هذا الحصن على مرتفع شاهق مطلّ على واد عميق ونهر متلاطم المياه بالقرب من قضاء (هشترود). وهو من المعالم الأثرية في هذه المحافظة، وهناك من يقول إنه من مخلفات الحقبة الأشكانية أو الحقبة الساسانية. (المعرب).

(٣) في الأصل: (كاوگان) هو الاسم القديم لمدينة (كوگان) بمعنى (الأرض الخضراء)، وهي من مدن محافظة أذربيجان الشرقية في قضاء (آذر شهر) حيث تبعد عنها بمسافة تقدّر بأربعة كيلومترات، وتقع على الساحل الشرقي من (بحيرة أرومية). (المعرب).

المسافة بين هذين الموضعين بنصف فرسخ تقريباً، وكانت جموع الركبان تأتي إلى استقبالنا من مدينة (كوكان) بغير انقطاع.. حتى امتلأ طول الشارع وعرضه بالفرسان، وقد امتلأت الأرض بوديانها وجبالها بصهيل الخيل.. كنا نسير على امتداد الحقول والمزارع الخضراء المتصلة، والحقيقة أن أذربيجان تبلغ ذروة جمالها واعتدال هوائها في هذه الأيام بالذات، حتى أنني أعجز عن بيان جمال وروعة المناخ في هذه الأصقاع.. أخذت جموع المستقبلين من المشاة بدورها تصل شيئاً فشيئاً، وكانت أصوات الصلوات وأناشيد المنشدين تضيء بهاء على بهاء الأزهار والأقاحي وشقائق النعمان التي أتلعت برؤوسها من خلال سجادة العشب الأخضر المفروشة على مدّ البصر، وتم ذبح الأضاحي في العديد من الأماكن.. وكان الناس من شدة شوقهم وكأنهم على استعداد لتقديم رؤوسهم.. والحق أن حبّ وإخلاص المقلد لمرجه ليس له صلة بأيّ عالم؛ فعند مجيء السلطان أو الحاكم أو أيّ شخص محترم إلى مدينة ما؛ فإن الناس لا يخرجون إلّا للفرجة، ويكون خروجهم إما كرهاً أو طمعاً، وإذا كانت هناك من مراسم استقبال وتشريفات فلا يكون ذلك إلّا بدافع الخوف، أو لأن الذي يفتعلها إنما يطلب الحظوة والشهرة.

وأما هذا النوع الذي نراه فلا يصدر إلّا من منطلق التضحية والتفاني الصادق في حبّ الناس لعلمائهم، وهذا النوع من التعبير عن المودة لا نجده في أيّ نوع من أنواع الترحيب والاستقبال الأخرى.. ومن هنا كانت أوامر وإرشادات علماء الدين عند جميع الشعوب مُطاعة، وإن تأثير العلماء أكثر من تأثير سائر الأمراء، بل إن الناس يُسارعون إلى تلبية وامثال أوامر العلماء طوعاً ورغبة.

وعلى هذا الأساس يجب على كل عالم أن يبذل كل ما بوسعه وأن يجهد نفسه من أجل تقدّم وارتقاء أبناء الشعب والدين أكثر من سائر الحكّام؛

وذلك لأن ثمار ونتائج جهوده وقراراته أكثر من غيرهم.. لا أن يأخذهم الغرور بهذه الرئاسة الظاهرية والصورية، ويتعدون كل البعد عن الخوض في سياسة التنمية والعمل على تطوير وتقدم وازدهار واقع إخوانهم في الإسلام، بل علينا أن نبذل جهدنا من أجل الوفاء بكل هذه المحبة الصادقة التي يحملها هؤلاء المخلصون تجاهنا، بل علينا أن نقدم لهم أضعاف الخدمة التي يقدمونها لنا، وإن بيان بعض المسائل الشرعية - التي قد يحملنا العجب على القول بأنها توجب تقدّم وارتقاء هؤلاء البسطاء - لا تفي بواجب أداء حقوقهم الشرعية علينا.. والحق أنه في قبال هؤلاء المخلصين الذي يفدوننا بأنفسهم صادقين، وهم يعلّقون أبصارهم على ما يصدر من أفواهنا؛ ينتظرون منا إيماءة أو إشارة ليسارعوا إلى تلبيةها؛ وعليه فإن الوجدان يقتضي بنا أن نقوم لهم بما يجب علينا؛ فنكون قد أرضينا الله سبحانه وتعالى، ونكون في الوقت نفسه قد عملنا بما يمليه الواجب علينا من أداء حقوقهم الشرعية الملقاة على عواتقنا..

إن عالم الدين يجب أن يكون أميناً على حقوق كافة أبناء الشعب، وأن يكون حافظاً لنواميس الشريعة، بصيراً فطناً هسّاً بشّاً عطوفاً، طيّب الكلام، مربّياً، عادلاً، عارفاً، ومرشداً، وعاملاً، كثير العطاء والثمر، وأن يكون همّه وشغله الشاغل هو العمل على تطوّر وتقدم إخوانه في الدين، ونظرائه في الخلق.

بل يجب عليه في الظاهر والباطن أن يكون عند حسن ظن عوام الناس والبسطاء منهم، حيث يُحسنون الظن بهم، وإلا فإنه - بالإضافة إلى الشقاء والخذلان في الآخرة - سوف يُعدّ خائناً ودينياً وسارقاً ولصاً وقاطع طريق، بل هو أول شخص في انعدام الشرف، ويُعدّ أسوأ مخلوق طبقاً لما يحكم به الوجدان بداهة.

وسوف يكون ولوغه في الشعب والتدين سمّ قاتل.. ووجوده [أكثر ضرراً]^(١).. ونشاطاته تعدل آلاف المقاتلين، كما ورد في المأثور: (إن هؤلاء أضّرّ علينا من جيش يزيد بن معاوية وابن زياد)^(٢).. وبطبيعة الحال فإن اختلال المركز يستوجب اضمحلال الدائرة، وفناء الروح يكون هو السبب في فساد الأجساد.. (إذا فسد العالم؛ فسد العالم)^(٣).
[وقد ورد في الأمثال الفارسية شعراً]^(٤):

آنچه بگندد نمکش میزنند وای بوقتی که بگندد نمک^(٥)

إن العالم العامل هو قطب المجتمع الذي يتمحور حوله المتفرقون من أبناء الشعب؛ فيعمل على جمعهم وتوحيد صفوفهم، دون أن يتكلف الإعداد لتشكيل لجنة تعمل على توحيدهم؛ فيحفظ بذلك شرفهم ونواميسهم، ويعمل على تعزيز ركائز شوكتهم ومنعتهم وعظمتهم.

(١) في النسخة (أ) (پر آستبر از)، وفي النسخة (ب) (پر آسب تر از)، وما في النسخة (ب) هو الصحيح. (المعرب).

(٢) ورد هذا الحديث في (تفسير الإمام العسكري عليه السلام): (ومنهم قوم نصاب لا يقدرّون على القدح فينا؛ فيتعلمون بعض علومنا الصحيحة فيتوجهون به عند شيعتنا، وينتقصون بنا عند نصابنا، ثم يضيفون إليه أضعافه وأضعاف أضعافه من الأكاذيب علينا التي نحن برآء منها؛ فيقبله المستسلمون من شيعتنا على أنه من علومنا؛ فضلّوا وأضلّوا، وهم أضّرّ على ضعفاء شيعتنا من جيش يزيد على الحسين بن علي - عليهما السلام - وأصحابه). (المعرب).

(٣) وهذا يُشبه قول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: (العلماء إذا فسدوا)، في جواب من سأله عن شرّ الناس. (المعرب).

(٤) ما بين المعقوفين إضافة من عندنا. (المعرب).

(٥) لقد ورد هذه المثل على شكل: (هر چه بگندد نمکش میزنند.. وای بروزی که بگندد نمک). وهو يستعمل حيث يحتاج المصلح إلى إصلاح. ومثله في اللغة العربية ما يُنقل عن سفيان الثوري (٩٧ - ١٦١هـ): (يا رجال العلم يا ملح البلد، ما يُصلح الملح إذا الملح فسد). (المعرب).

إن أنشطة وجهود العالم العامل أكثر نفعاً وثمرًا من نشاط آلاف المجاهدين الغيارى: (مداد العلماء، أفضل من دماء الشهداء)^(١).

كما ورد [في المأثور عن النبي الأكرم أيضاً]^(٢): (علماء أمتي كأنباء بني إسرائيل)^(٣). فعليهم أن يكونوا مثلهم في القناعة والاكتفاء من القوت بما يسدّ الرمق، وأن يعيشوا في حياتهم عيش الكفاف.. وأن يعملوا على تبليغ الدين بجدّ، وأن ينشروا العلم، وأن يجهدوا في اتحاد أبناء جلدتهم، وأن يقوموا بالترويج لشريعتهم، وأن يبلغوا بهذا الشعب الكريم إلى أعلى مدارج الإنسانية، والمراتب السامية من الحضارة والمدنية.. إن التجلّ والترف والتزيّن لا يتناسب مع شأن علماء الدين، ولا يليق بمن يمثل الشريعة.. بل إن كل متظاهر بزيّ العلماء لا يمتلك الصفات المذكورة أعلاه، أو كان مبتلياً بالتجلّ واتخاذ الزينة؛ فهو ذئب في جلد شاة، ولا يستحق أن يطلق عليه عنوان عالم الدين، بل ولا يليق به عنوان العالم في الشريعة الإسلامية. ليس من اللازم أن يقوم فلان - كثر الله أمثاله - بجمع سبعين معممًا، لتجمد النفس البالية على تعليم بضع دروس متداولة، بل عليه أن يعلم جماعة منهم من العلوم المتنوّعة الحديثة، واللغات الأجنبية؛ للردّ على الأديان الأخرى التي يدين بها الأجانب أو الذين يهاجمون الدين الإسلامي بلغاتهم ولهجاتهم..

(١) في (السرائر) لابن إدريس الحلي، عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، أنه قال: (إذا كان يوم القيامة جمع الله - عز وجل - الناس في صعيد واحد، ووضعت الموازين، فتوزن دماء الشهداء مع مداد العلماء، فيرجح مداد العلماء على دماء الشهداء)، وفي (كنز العمال) عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، أنه قال: (إذا كان يوم القيامة يوزن دم الشهداء بمداد العلماء فيرجح مداد العلماء على دم الشهداء).. (المعرب).

(٢) ما بين المعقوفتين إضافة من عندنا. (المعرب).

(٣) الأحسائي، ابن أبي جمهور، عوالي اللآلي، ج ٤، ص ٦٧، وص ٧٧.

لا فائدة ترجى لعالم الإسلام أبداً من وجود عشرة آلاف أو عشرين ألفاً من طلاب العلوم الدينية أو المجتهدين الذين سوف يقنعون في قابل الأيام بالإقامة في قريتهم النائية.. ولكن لو تعلم بعضهم لغة (الجار الجنوبي)، فسوف يمكن الدعوة إلى الدين الإسلامي في أمريكا، وبذلك سوف تزيد شوكة الشعب وعظمة علماء الدين في وقت واحد..

وبدلاً من الديانة البروتستانتية والكاثوليكية والأرثوذكسية وغيرها، وكذلك الإلحاد والبابية والبهائية وما إلى ذلك من المذاهب التي لا تقوم بأجمعها على أساس، سوف يتم الترويج إلى الدين الإسلامي الحنيف.. فإن الشارع المقدس لم يوجب علينا تعلم الفقه والأصول والأحكام الشرعية فقط، وإنما الشارع بشكل عام إنما جعل هذه العلوم لمعرفة الأحكام والتكاليف الشرعية؛ كما أن البعد الزمني عن صاحب الشريعة يزيد استنباط الأحكام مع مرور الوقت صعوبة، وتمس الحاجة في أغلب الأوقات إلى الاجتهاد؛ فلماذا يجب إنفاق العمر الثمين في هذا المورد فقط، حتى نبقي عاجزين أمام إشكالات الأجانب!

ناشدتكم الله ما هي الثمرة المترتبة على إهدار الوقت في بحث (مقدمة الواجب) أو (اجتماع الأمر والنهي) أو التعريف أو البحث في موضوع علم الأصول الذي يستغرق منا شهراً وسنوات في قبال مواجهة اعتراضات الأجانب أو تطوير ذواتنا؟!..

لو أننا أنفقنا نصف هذه المدة الزمنية في تعلّم الردّ على وساوس الماديين أو مواجهة دسائس المسيحيين، ولجم وإفحام المعترضين، كم سنكون قد خدمنا عالم الإنسانية، وأرضينا الشارع المقدس منا؟!.. أيها السادة، لو كان التدين والعلم بمعرفة أحكام الشرع فقط؛ فإن بالإمكان إطلاق صفة العالم حتى على الهندوس أيضاً؛ وذلك لعلمهم بأصول ديانتهم

وأحكام ال(براهما)^(١)، و(شيفا)^(٢)، و(فيشو)^(٣)! أرجو منكم أن تبيّنوا لنا ما هو الفرق بين علمنا وعلمهم، سوى أننا نعتقد أننا على حق وأنهم على باطل؟

اسمحوا لي بالتناول أكثر فأقول: لو كانت العظمة والإنسانية والشرف في التقليد الشكلي وكثرة الأتباع؛ لكانت عظمة (الدالاي لاما) - كبير علماء البوذيين قاطبة، والذي يعيش في مدينة (لاساى) في الصين - أكبر من مركزيتنا معاذ الله؛ إذ لو كان عدد مقلدنا وأتباعنا نصف مليون أو عشرة ملايين أو عشرين مليون نسمة، فإن عدد أتباع الدالاي لاما^(٤) يناهز الأربعمئة مليون نسمة! فهل يمكن لكم أن تجدوا فرقاً واختلافاً بيننا وبينهم في الشرف الظاهري؟ كلا، سوى الشرف الباطني الذي هو توأم ولازم الحقيقة التي نمتلكها دونهم.

(١) (براهما) أو (براهمان): إله الخلق في الهندوسية وموجد الكون وروحه العليا وجوهره. يُعرف ب (الخالق) وهو المعبود الأعلى في الثالوث أو التريمورتى (Trimurti) الهندوسي، الذي يتألف من: (براهما) (الخالق)، و(فيشنو) (الحافظ)، و(شيفا) (المُغني). ويرى صاحب المعجم الفلسفي أن النطق الصحيح لـ (برهمان) هو (برامون) (Bramun). (المعرب).

(٢) (شيفا): يعرف في عقيدة التريمورتى أو الثالوث في الميثولوجيا الهندوسية الذي يضم (براهما) و(فيشنو) - انظر الهامش السابق - ويمثل الكيان الأعلى في الطريقة الشيفاوية التي تعدّ إحدى الطرائق الأساسية في الهندوسية المعاصرة. (المعرب).

(٣) هكذا ورد في الأصل، ويبدو أن المراد منه هو (فيشنو): الإله الأعلى أو الحقيقة العليا في الهندوسية الفيشنوية، وهو تجسيد (براهمان) - أنظر الهامشين أعلاه - في فرع (سمارتا) أو (أدفايتا) في الميثولوجيا الهندوسية. ويتم تصويره بلون السحاب الأزرق الغامق وله أربعة أذرع يمسك بها (زهرة اللوتس)، و(مشكاة)، و(قوقعة)، و(حلقة). (المعرب).

(٤) في النسخة (أ) (دالامالا)، والضبط الصحيح كما في النسخة (ب): (دالاي لاما): وهو القائد والزعيم الديني الأعلى للبوذيين، وكان حتى عام ١٩٥٩ للميلاد يمثل القيادة الروحية والدنيوية في إقليم التبت كخليفة لبوذا عند أتباعه. و(الدالاي) تعني (المحيط) في اللغة المغولية، وأما (لاما) فتعني (السيد الروحاني). (المعرب).

أيها السادة إن غاية ونتيجة المقدمات أنه لا ينبغي أن نقنع بهذا الشرف الباطني، وأن نلهو في ركن أو أن نؤثر الراحة اتكالا على هذا الشرف؛ إنما شرفنا وعظمتنا في أن نعمل أولاً على تأسيس مؤتمر لعلماء الدين أو مجلساً للشورى العلمية، ثم نعلن لكافة الشعوب والمذاهب في جميع أقطار العالم أن علماء الإسلام سوف يجتمعون في هذا المكان كي يثبتوا أحقية الدين الإسلامي على سائر الأديان، والعمل على ردّ إشكالات الأجانب، وإبطال سائر المذاهب الأخرى؛ عندها سوف يمكن لنا أن نعتبر أنفسنا أعلم من غيرنا، ويحق لنا أن نفتخر عندها على الآخرين.

إن الشرف على قسمين: ذاتي وخارجي. وإن الشرف الذي يتحلّى به العلماء حالياً هو شرف ذاتي؛ وذلك لأنهم يحملون أحكام وقوانين الشريعة الإسلامية الحنيفية؛ ومن هذه الناحية يكون لهم الشرف على سائر أصناف الشعب والملة، بل إن علماء الدين في كل قوم أشرف من سائر أصنافهم ومراتبهم، ولا يختص هذا الأمر بعلماء الإسلام فقط، ولكننا لا نقنع بهذا ونريد تحصيل الشرف الخارجي أيضاً، بمعنى أن نبذل من السعي والجهد بحيث يقرّ لنا علماء سائر الأديان بالشرف والعظمة أيضاً، وإن هذه العظمة وهذا الشرف لا يحصل إلا بعدة مقدمات، وهي كالآتي:

أولاً: اتحاد كلمة كافة علماء الدين.

وثانياً: تأسيس مجلس ولجنة علمية؛ للاضطلاع بمهمّتين، وهما أولاً: الردّ على اعتراضات وإشكالات الأجانب، والإعداد لبعض الأمور الأساسية في إطار رُقّي الإسلام وازدهاره. وثانياً: إصدار الأحكام والفتاوى في وجوب وحرمة الأمور العامة بالنسبة إلى جميع المسلمين. على أن يتمّ العمل على الأمرين بعد المشورة وإجماع العلماء كافة على رأي واحد.

وثالثاً: إنشاء صندوق (خزانة) لحفظ جميع الحقوق والإيرادات الشرعية، يشرف على إدارته العلماء وينفقونه في مصالح المسلمين، على ما يراه الشارع المقدّس.

ورابعاً: تأسيس دار العلوم الأجنبية.. حيث تكون مدرسة لتدريس العلوم والأديان وقوانين الأمم والمذاهب الأجنبية، كي نعمل ببصيرة كاملة على الرد عليهم وإبطال عقائدهم بلغاتهم.

وخامساً: الاتفاق على تحرير إخواننا القرويين - الذين يشاركوننا في الإسلام والوطن - من براثن الظلم والجور، والظلمة من الجهال المتلبسين بزي العلماء، والذين يتهبون قسماً من ثروتهم بأنواع الحيل ويعرضونهم بذلك إلى أضرار فادحة، وإن سلوكيات هؤلاء المتظاهرين بالعلم هي من الوحشية والقسوة بحيث شوّعت سمعة الإسلام، حتى أصبحنا بسبب نار فتنتهم نعرف في ثقافة الأوساط بشبه الوحشية.

وإن التعرّف على هؤلاء المتعولمين وتأديبهم وإصلاحهم - وهم ما بين مستقل، ومن لديه وكالة من العلماء - إنما يشبه حالة الجواسيس؛ فعلى كل وكيل في موضعه ما إن يكتشف وجود ظالم متشبه بالعلماء، واجب القيام بتأديبه؛ إذ سوف يكون تأديبه في مثل هذه الحالة بالنسبة له سهل ومستسهل.

وسادساً: وسابعاً: وعاشراً: ومئة: وألفاً: حتى تبلغ السلسلة إلى ما لا نهاية، بيد أنها بأجمعها تتفرّع عن تلك المقدمات الخمسة الأولى.

فلو كان عندنا شعور بالشرف والعنفوان والعظمة، وجب علينا السعي إلى تحقيق هذه الأمور، وإلا فإنه لن تمضي فترة حتى.... [الماديين]^(١) والمسيحيين.. ويقع إكمال الجواب على عاتق العلماء، إلّا اللهم أن يظهر صاحب الأول وولي العصر عجل الله فرجه الشريف - أرواحنا وأرواح العالمين له الفداء - فينجي الضالّين والتائهين في أودية الضياع والضلال من هضبة الطبيعة والمادة..

(١) في الأصل (الطبيين).

اللهم عجل فرجه وسهل مخرجه، واجعلنا من أنصاره وأودائه^(١) واللائذين تحت لوائه بحق محمد وآله الطاهرين، صلواتك عليهم أجمعين.

بيد أن الإمام الحجة عجل الله فرجه الشريف لم يقل بأن نعمل على التخلي عن ديننا وأرضنا وثروتنا وأنفسنا لصالح الأجنبي برضانا، بل نحن مأمورون - بشكل مؤكد - بحفظ ثغور بلادنا الإسلامية وديننا المقدس، ويجب علينا أن لا نغفل عن هذه النقطة.. وهنا أعيد القول بأن قوتنا الظاهرية ليست اليوم أكبر من قوة علماء وقساوسة النصارى كما هو واضح بالوجدان؛ فعلينا أن نقرأ تاريخهم ونعتبر به.

لقد كانت أحكامهم في أوروبا أكثر نفوذاً من أوامرنا؛ فقد كانوا يعزلون من يرون ضرورة إلى عزله من الحكام، كما أنهم يكفرون من يحلو لهم تكفيره.. أما اليوم فهم أذلة أمام الحكام، وليس لأحكامهم أدنى سلطة على أبسط أفراد الرعية.. فأتمنى أن لا نقع بعد مدّة في نفس المصير فنغدو مثلهم مسلوبي الروح والإرادة، وعلينا أن نستعدّ للكارثة قبل وقوعها [وكما يقول المثل؛ فإن درهم وقاية خير من قنطار علاج]^(٢).. أما اليوم فإن الحكومة والشعب كلاهما - بحمد الله - من الذين يدينون بالإسلام، ويحبّون العلماء ويطيعون أوامرهم، ويطالبون بتحقيق الازدهار للإسلام؛ فإذا شمرنا عن سواعدنا وحافظنا على وحدة الكلمة بين علماء الدين، وعملنا على تحقيق الأهداف المتقدّمة؛ فسوف نصل إلى أعلى درجات الشرف والسيادة.. وأما إذا أهملنا وتقاعسنا عن تحقيق ذلك، وسرنا على ذات النهج والوتيرة، وأهدرنا أوقاتنا الثمينة بالغفلة والكسل، فإننا - بالإضافة إلى التعرّض إلى سخط الله، والخزي عند مواجهة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عليهم السلام - سوف نفقد ديننا ودولتنا، ويغدو نظامنا وشعبنا

(١) في النسخة (أ) (وأودائه)، وفي النسخة (ب) (وأعوانه).

(٢) ما بين المعقوفتين إضافة توضيحية من عندنا. (المعرّب).

ضعيفاً وخاملاً، وتشتدّ سلطة وهيمنة الأجانب علينا حتى تكتمل وطأة قبضتهم على بلادنا الحبيبة بالتدريج، وسوف يبذلون كل ما بوسعهم من أجل القضاء على السلطة الوطنية والشريعة المحمدية، كما أنهم في اللحظة الراهنة - على العجالة - لا يبدون غفلة أو تهاوناً في هذا الشأن.

وعليه فيا أيها العالم الغيور والمحترم، ويا أيها الوطني المخلص، ويا أيها المسلم الأبيّ، اعلّموا أن أعداءكم سوف يعملون على تشتيت جمعكم، حتى أنهم لن يسمحوا باجتماع خمسة مسلمين في مكان واحد؛ وعندها لن تشاهدوا صورة الصلاة جماعة حتى في منامكم، وبسبب الخوف والرعب لن تخطر مجالس العزاء والمآتم على أبي عبدالله الحسين عليه السلام حتى تصوّراً في أذهانكم، وسوف يتم القضاء على المجالس والمحافل العلمية بل وحتى المدارس الحديثة والقديمة.. وإذا تفضلوا عليكم وسمحوا باجتماع عشرة منكم، سوف يرصدون عشرين شخصاً لمراقبتكم، وسوف يرسلون الطلائع في هذا الشأن.. وكل حكم كنا نجره عليهم في بداية الإسلام وقوة المسلمين، فإنهم في المستقبل - معاذ الله - سوف يجرون أضعافه وربما أضعاف أضعافه علينا وعلى أولادنا وأحفادنا؛ وأنا لا أبالغ في ذلك، ولا تحسبوا ذلك مني على سبيل رواية الأساطير^(١).

يمكن لك أن تفتي في جزئيات أحكام الشريعة برأيك المحترم أو أن تدلو بوجهة نظرك الكريمة مهما كان هذا الرأي أو تلك الرؤية.. وأما فيما يتعلق بالشؤون العامة للإسلام ومن ناحية السياسة الشاملة لجميع الأفراد؛ فلا

(١) بل شهدنا ذلك في عصرنا، وحدث ما هو أشنع وأكثر فضاعة؛ إذ وصل الأمر بنا في العراق على عهد النظام البعثي أن تمنع التجمّعات حتى داخل البيوت، ومما يروى في هذا الشأن أن التقارير كانت ترفع إلى السلطات القمعية حتى بأقلام صغار الكسبة وأصحاب الحوانيت، ومنها ما يرصد: أن البيت الفلاني مؤلف من أربعة أشخاص، ولكنهم منذ فترة يشتركون سبعة عبوات من عصير الكوكا يومياً؛ وعليه لا شك في أنهم يستضيفون ثلاثة من المخربين من أعداء الحزب والثورة! (المعرب).

يمكنك الانفراد في الحكم، بل يتعين عليك أن تعمل على تقييم آراء كافة العلماء الأعلام، وأن تستشير عموم المفكرين، كي لا تكون - في بعض الأمور - موضعاً لسخرية الأجانب.

يشهد الله أنني لا أقول ما أقول إلا بسبب حرصي على نصرة علماء الدين وخدمتي للإسلام، وحيث أن هذه النقطة مركوزة في أذهان أغلب العوام من الناس؛ فإني لم أشأ أن أذكر بها غير صنف علماء الدين، وإن كل ما ذكرته إنما هو [امثالاً لقول الله تعالى]: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١)، وإلا فإن ما يزيد على ذلك يُعد جرأة على ساحة علماء الدين.. (والعذر عند كرام الناس مقبول)^(٢)..

ولكن للأسف الشديد فإن هذه الكلمات الآنفة لها على قلب البعض مثل وقع المطرقة على السندان.. فما هو الحل إذن؟! هل نطبق الشفاء على الشفاء ونموت من الغصة والكمْد؟! كلا، وألف كلا، بل إن المسلمين الغيارى والشرفاء والوطنيين سوف يضحّون بكل ما عندهم، ويعملون على استرجاع الشرف المستلب، وهذه هي أمنية المسلمين قاطبة، أو أن لا يبقى أمامهم سوى التأسي بسيد الشهداء عليه السلام، وأن يقدّموا بكل فخر واعتزاز أرواحهم في سبيل الإسلام وصاحب الشريعة الإسلامية، وبذلك يكون لهم الفوز بسعادة الدارين..

حذاري من أن تهملوا أو تتجاهلوا كلامي المشفق والناصح؛ (انظر إلى ما قال، ولا تنظر إلى من قال)^(٣).

(١) الذاريات (٥١): ٥٥.

(٢) سيأتي الحديث عن هذا المصراع من الشعر في هامش ذكره في نهاية هذه الرحلة إن شاء الله. (المعرب).

(٣) روي عن أمير المؤمنين عليه السلام، في (كنز العمال) للمتقي الهندي، أنه قال: (لا تنظر إلى من قال، وانظر إلى ما قال). (المعرب).

فاقبلوا كلامي الناصح، واعملوا جهدكم من أجل إعلاء شوكة الإسلام.
وما دمت لم تلبسوا لامة [...] ^(١) أرى قول المزيد وقاحة.



(١) نقاط الفراغ من الأصل.

[فريج دسرور]

دخلنا إلى مدينة (كوكان)، وملأنا الفرج والحبور، ودلفنا إلى مضافة في مكان رفيع، وأخذ الناس يتوافدون علينا أفواجا للترحيب والتعبير عن غبطتهم بوصولنا.. جلسنا قليلاً وما هي غير لحظات حتى دخل العالم الفاضل سماحة الحاج الملا علي خسرو شاهي (وهو الملقب من قبل المفدى سماحة الوالد الماجد - روهي فداه - بـ(فخر الإسلام) - ووكيله في مدينة خسرو شاه^(١).. غمرتنا في هذه الليلة سعادة بالغة أيضاً، لشدة اهتمام وحفاوة سماحة السيد يحيى آغا.. وعند الصباح خرجنا برفقته ورفقة سائر الإخوة من مدينة (أسكو) و(خسرو شاه).. وركب كل واحد منا على ظهر جواد ويممنا شطر غايتنا، وكان كل واحد منا قد اعتلى حصاناً، باستثناء سماحة الحاج (فخر الإسلام)^(٢) حيث اعتلى ظهر حمار، ولكن حمارة كان يمتاز من سائر خيولنا وله الفضل عليها؛ لأن نسبه ينتهي إلى يعفور^(٣) النبي..

-
- (١) (خسرو شاه): واحدة من أفضية محافظة أذربيجان الشرقية، يبلغ عدد سكانها حالياً أكثر من ٢٢ ألف نسمة. وهي من المدن التاريخية القديمة. وتعدّ حالياً واحدة من المدن السياحية، وتضمّ مرقد الشيخ سالار، والقطب الراوندي. (المعرب).
- (٢) يعني بذلك (الحاج الملا علي خسرو شاهي). (المعرب).
- (٣) اليعفور في العربية من أصناف الطهي، وهو يطلق في التراث الإسلامي على حمار أهدها حاكم الروم في مصر إلى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وقيل إنه هدية من المقوقس، =

لاح لنا سواد مدينة (مامقان)^(١) من الجانب الأيمن، بيد أن الأهالي لم يكونوا على علم بمجيئنا.. وكان سماحة الملا محمد حسين الأسكوئي يحمل على كتفه بيرقاً أحمر وهو يشدو في كل لحظة لحناً مختلفاً.. كنا نقطع المسافات المزدانة بأنواع الأقاحي وشتى الألوان والأراضي الخضراء المطعمة بالمينا بسعادة غامرة، حتى بانت لنا أرض (ترامين)^(٢) وهي من أملاك الأسرة الجلييلة، وتبعد هذه المنطقة عن مدينة (أسكو) بمقدار فرسخين.. وشيئاً فشيئاً بدأ بعض الخيالة يظهرون لنا بشكل متفرق ثم يعودون أدراجهم مسرعين.. وكانوا يبدون كما لو أنهم من أفواج الاستطلاع!.. ولم يمض وقت طويل حتى جاء النبلاء من أبناء الأسرة الجلييلة والشباب وسائر أعيان المنطقة.. وتم تبادل الترحيبات المعهودة بين الطرفين على أحسن وجه.. وها نحن الآن نجتاز قرية (خسير)^(٣) التي هي في الغالب ملحقة بممتلكات الأسرة الجلييلة.. وحيث كان أهالي مدينة (خسرو شاه) على أتم الاستعداد لاستقبالنا حتى لم يعد من الممكن لنا تجاوز المنطقة؛ عمد سماحة الحاج فخر الإسلام إلى إمالة عنان راحلته نحوهم لكي يشعرهم

-
- = وكان النبي يركبه في الغالب دون برذعة، ويُسمى (عُفَيَّراً) أيضاً، ويقال: إنه من نسل حمار النبي عيسى بن مريم عليه السلام، وكان اسم حمار عيسى (يعفور) أيضاً. (المعرب)
- (١) مامقان أو ممقان: مدينة تابعة إلى قضاء (آذر شهر) في محافظة أذربيجان الشرقية. يزيد عدد سكانها حالياً على الاثني عشر ألف نسمة. وهناك الكثير من الروايات في بيان معنى اسم هذه المدينة، ومن بينها أنها كانت في الأصل (مامكان)، وإنها عربت بعد الفتح الإسلامي إلى (مامقان). (المعرب).
- (٢) في النسخة (أ) (ترامين)، وفي النسخة (ب) (تيرامين). وهي قرية في مقاطعة (آذر شهر). (المعرب).
- (٣) لم نعثر على قرية بهذا الاسم في محافظة (أذربيجان الشرقية) في حدود ما توفر لدينا من المصادر، ولا يبعد أن يكون المراد منها قرية (خاصة) وهي من أعمال قضاء (أسكو). (المعرب).

بالاطمئنان، فكانت أفواج الخيالة والرجالة تصل تباعاً، وكانت الحدائق والمزارع البهيجة والمثمرة تحيط بنا من كل جانب، و إلى يسارنا حيث جهة الشمال كانت جميع القرى عامرة وبالغة أقصى درجات الكمال، وكانت كل فرقة من فرق المنشدين في ناحية، وهي تشدو ألحان الترحيب بحماسة بالغة.. وقد طغت أصوات الفرح وأصداء الصلوات والمدائح على سقسقة الطيور وصفاء الحدائق.. تجاوزنا قرية (ديزه)^(١) التي لا يفصلها عن مدينة (أسكو) سوى فرسخ واحد.. وهنا لم يعد بإمكاننا مشاهدة بداية الناس كما لم نعد نستطيع تبيين نهايتهم، وكانت أبصار الناظرين تبدو قليلة من كثرة الازدحام، وكأننا في (معرض موسمي)^(٢) أو في (سوق عكاظ)^(٣).

وقد اصطف الناس رجالاً ونساء على شتى الجهات، وهم يرحّبون بحماسة بالغة، ولكأنك في اليوم الموعود أو هو يوم (النوروز الجمشيدي)^(٤).. ومن شدة ازدحام الناس وكثرة أعداد الخيالة والحشود

(١) هكذا في الأصل، ويبدو أنها قرية (ديزج)، أو (ديزج أمير مدار) في مقاطعة (أسكو)، من محافظة (أذربيجان الشرقية). (المعرب).

(٢) في الأصل (بازار مكاره): وهو معرض تجاري ترفيهي موسمي يقام بشكل مرتجل يجتمع فيه التجار والباعة من كل حدب وصوب، يعرضون بضاعتهم في أيام محدّدة، وتتخلله عروض ترفيهية؛ وهذا النوع من المعارض يشهد في العادة ازدحامات خانقة، ومن هنا يأتي تشبيه صاحب الرحلة جموع الناس التي ازدحمت لاستقبالهم بهذه الظاهرة. (المعرب).

(٣) سوق عكاظ وهو أحد الأسواق الثلاثة الكبرى في الجاهلية بالإضافة إلى (سوق مجنة)، و(سوق ذي المجاز)، حيث كان العرب في الجاهلية يأتونه لمدة عشرين يوماً من بداية ذي القعدة يبيعون فيه بضائعهم ويلقون قصائدهم، ثم ينتقلون بعد ذلك لقضاء العشر الأواخر من ذي القعدة في (سوق مجنة)، وفي بداية شهر ذي الحجة ينتقلون إلى (سوق ذي المجاز) يقضون فيه ثمانية أيام، ثم يسبّرون إلى حجّهم. (المعرب).

(٤) يعود يوم النوروز في الأدب الفارسي إلى الملك الفارسي جمشيد من السلالة البيشدادية - (ولم يكن هناك ملك باسم بيشداد تنسب إليه هذه السلالة، وإنما البيشداد يعني المتقدم، ويبدو أن هذا الاسم قد أطلق على هذه السلالة لاحقاً؛ لكونها هي المتقدمة على جميع =

الراجلة ارتفعت غبرة حتى سدت الفضاء واحتجبت الرؤية، وكان سهيل الخيول التي ترتفع من حين لآخر بسبب احتكاكها ببعضها يطغى على سائر الأصوات الأخرى.. كانت غالبية المستقبلين من (خسرو شاه)، و(بابل)، و(ميلان)^(١) حيث تجمهروا ناحية اليسار طالبين اللقاء، بيد أن ازدحام الناس حال دون اللقاء بالمستقبلين، وعلى الجانب الآخر كانت هناك مجموعة من الصبيان وقفوا في صفوف منتظمة وهم يحملون بيرقاً عليه شعار (الأسد والشمس)^(٢) واستقبلونا بالسلام وإلقاء التحية الرسمية؛ ثم اتضح لنا أنهم من براعم المدرسة الابتدائية في (ميلان)؛ فخصّ سماحة أخي المقدّس كل واحد منهم بكلمات روحانية حانية.

ثم دخلنا قرية (خسراق)^(٣)؛ وهناك رأينا سماحة المستطاب حجة الإسلام زادة، وابن عمه الوحيد والموقّر الحاج السيد رضا آغا، وسماحة

=السلالات الملكية الفارسية) - على ما جاء في تاريخ الطبري والمسعودي وتاريخ مسكويه حتى شاع مصطلح (نوروز جمشيدي) في الأدب الفارسي. وهو يعود إلى الأسطورة الواردة في (الشاهنامه) أو (ملحمة الملوك) لأبي القاسم الفردوسي. تقول الأسطورة: إن الملك جمشيد شاه بعد تسطيره الملاحم الكبيرة وتأسيسه للعالم المثالي أراد في أواخر حياته تخليد منجزاته؛ فأمر بصنع عرش من الذهب والفضة مطعماً بالمجوهرات والأحجار الكريمة؛ فكان كلما أراد الاحتفال تربّع على ذلك العرش، ويتم رفع العرش في تلك الحالة على الأكتاف نحو السماء حتى يبدو الملك جمشيد فوق العرش ساطعاً فوق الجموع والحشود المزدحمة، مثل الشمس في كبد السماء. (المعرب).

(١) (ميلان): تقع في قضاء (أسكو) من محافظة (أذربيجان الشرقية). وكانت هذه القرية سابقاً مستقلة، ولكن بعد اتساع رقعة قضاء أسكو صارت جزءاً من هذا القضاء. (المعرب).

(٢) (الأسد والشمس): كان شعاراً للحكومات الإيرانية المتعاقبة منذ عام ١٥٧٩ وحتى عام ١٩٧٩ للميلاد. وهناك اعتقاد يقول بأنه يعود إلى علم التنجيم في الحضارة البابلية حيث يرمز الشعار إلى برج الأسد. وهناك من يعود به إلى الديانة الزرادشتية التي تعتبر النار والشمس من العناصر المقدّسة. (المعرب).

(٣) قرية صغيرة تقع غرب أسكو وتبعد عنها قرابة الميّلين.

المستطاب الحاج الميرزا محمد علي آغا، وسائر العلماء والسادة من مدينة (أسكو) و(ميلان) وغيرهما.. ثم ترّجل الجميع عن رواحلهم، وبعد الترحيب والعناق الحار، استرحنا قليلاً من وعشاء الطريق في عمارة وحديقة (خسراق) وهي الأخرى من ممتلكات الأسرة الجليلة، وبعد احتساء الشاي وتناول ألوان الفاكهة، اعتلى كل واحد منا على ظهر جواده ويمّنا شطر (أسكو).





[المعطة الثامنة: (أُسْرًا)]

[المعطة الثامنة: (أسكو)]

كان هناك تقديم للأصاحي على جميع المداخل ومفترقات الطرق بشكل متواصل.. وكان الحاج أسد الله الدرويش يسير راجلاً في طليعة القافلة وقد أسند (الطبرزين)^(١) إلى كتفه [كعادة الدراويش] وهو ينشد الأشعار في مدح المولى [أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام]^(٢).. عبرنا على جسر مستحكم هو الآخر من المنشآت الخيرية للأسرة الجليلة، وتجاوزنا الحدائق والمزارع ذات الأشجار الباسقة، ومع حلول الظهر في اليوم [الحادي والعشرين]^(٣) من شهر محرم، دخلنا القسبة المباركة المحترمة.. وقد ازدحمت النساء فوق أسطح المنازل، يرحبن بحبور ويلهجن بالدعاء لنا، وكانت هناك جماعة تذرف الدموع من شدة الفرح..

ترجلنا من على رواحلنا أمام دار الضيافة، حيث دخلناها برفقة السادة العلماء وكبار القوم، واتخذ كل واحد منا مجلسه في ناحية من الغرفات

(١) (الطبرزين): معرّب (تبرزين)، نوع من الفؤوس كان يستعمل في الأزمنة القديمة كسلاح في الحروب، وكانت لهذه الفؤوس حمائل وحلقات تربط إلى جانب الخيل، أو إلى أحذية الخيالة الطويلة. وفي المراحل المتأخرة أخذ الدراويش يحملون على أكتافهم فؤوساً صغيرة تحاكي (الطبرزين) وقد عُرفت بهذا الاسم أيضاً. (المعرب).

(٢) ما بين المعقوفتين إضافة توضيحية من عندنا. (المعرب).

(٣) في النسخة (أ) (١٢)، وقد ورد تصحيحه في جدول الخطأ والصواب من هذه النسخة بـ (٢١)، وفي النسخة (ب) (٢٢). وقد أثبتنا اليوم الحادي والعشرين من شهر محرم، اعتماداً على ما ورد في جدول التصويب من النسخة (أ). (المعرب).

الفارهة، وظلت الوفود الحاشدة تأتي إلى الترحيب وإلقاء التحية والسلام حتى جنحت الشمس نحو الغروب، وبعد ذلك أخذ تردّد واختلاف الحشود الداخلة والخارجة علينا يزداد على ذات الوتيرة، وبتأثير من عناء السفر تفرّق القادمون سريعاً، فأرحنا رؤوسنا على الوسائد، ونسينا تعب الطريق تماماً.. وفي اليوم التالي، تم تجديد اللقاء ثانية؛ فكان السادة العلماء والأعيان والأغنياء والفقراء والشيوخ والشباب يترددون علينا وهم في غاية الانشراح والفرح.. وقد وقف أولياء الأمور وبراعم من تلاميذ مدرسة مباركة صفّاً واحداً في الغرفة الأخرى، وتقدّم واحد من بين الجموع، وبعد السلام ألقى خطبة وشعراً في الترحيب والاحتفاء بنا بالنيابة عن أهالي مدينة (أسكو). وفيما يلي نذكر الأبيات التي ألقاها طلاب المدرسة الحكومية رقم (١) بعد تلك الخطبة^(١):

ای ز جان برتروی پرورش جان از تو
رونق ملت و شرعت و همه ایمان از تو^(٢)
ای ظهور همه تفسیر به قرآن از تو
ای به احکام مروج همه تبیان از تو^(٣)
این تلامیذ به اتحاف ثنا آمده اند
بلبل آسا برکل نغمه سرا آمده اند^(٤)

-
- (١) تأتي هذه القصيدة للترحيب والاحتفاء بقدوم موكب هذه القافلة، وعلى رأسها (الميرزا علي الحائري الأسكوئي) على وجه الخصوص، وشقيقه الأصغر كاتب هذه الرحلة (الميرزا حسن الإحقافي الأسكوئي). (المعرب).
- (٢) المعنى: (أنت أسمى من الروح، بل الروح تزدهر بك.. فأنت رونق الشعب والشرعة، وأنت الإيمان مجتمعاً).
- (٣) المعنى: (أنت تفسير القرآن الكريم كاملاً مُجسّداً.. وأنت تبیان لجميع أحكام الشريعة).
- (٤) المعنى: (لقد جاء هؤلاء التلاميذ للثناء عليك.. كما تسقش البلابل عندما ترى الروض الخميل).

- از قدومت همه را روح و روان باز آمد
 جوهر هستی و جاوید به جان باز آمد^(۱)
 موقع کسب سعادت چه عجب ساز آمد
 روح قدس از پی اخذ شرف انباز آمد^(۲)
 بر ما چونکه دو نور و دو ضیا آمده اند
 چون علی روی حسن خوی فرا آمده اند^(۳)
 دین به عالم شده ترویج ز اقدام علی
 رونق دین حنیف است ز اسلام علی^(۴)
 این که اندر توصفات حق و همنام علی
 مرکز علم خداوندی و همنام علی^(۵)
 [نام و همنام خدا با چه به جا آمده اند
 همه را ملجأ و مرجو و رجا آمده اند]^(۶)

وهي من إنشاد سماحة الأجل الآغا غلام حسين (القائمي) الأسكوئي، وهو واحد من الكادر التعليمي في مدرسة (مباركة)، وهو - للحق والإنصاف

- (١) المعنى: (لقد استعاد الجميع أرواحهم بمقدمك.. وعاد جوهر الوجود الخالد إلى كيانه).
- (٢) المعنى: (لقد راق لنا أن نسعد بقدمكم.. فبذلك عاد روح القدس لاستعادة الشرف المستلب).
- (٣) المعنى: (حيث حلّ في ربوعنا نوران وضياءان.. تمثلا في وجه علي وفي أخلاق الحسن). وفي هذا البيت إشارة صريحة إلى مؤلف هذه الرحلة الميرزا حسن الإحقاقي الأسكوئي، وشقيقه الأكبر الميرزا علي. (المعرب).
- (٤) المعنى: (لقد تم نشر الدين في العالم بنهج علي.. واكتسب الدين الحنيف رونقه بإسلام علي).
- (٥) المعنى: (أنت في صفات الحق مثل علي كما أنت سميّه.. أنت مركز علم الله وسميّي علي).
- (٦) المعنى: (أسماء ومسمّيات الإله حيثما حلّو.. كانوا ملاذ الملتجي ورجاء المرتجي). ولم يرد هذا البيت في النسخة (ب).

- شاب كامل وأديب أريب ومحبوب.. وقد خصّ أخى المقدّس كل واحد منهم بكلمات وعبارات أنعشت أرواحهم، ثم قمت بدوري وأعربت عن كبير امتناني بأوليائهم المحترمين وعبرت لهم عن عظيم شكري، وسألت الله النجاح والتوفيق للبراعم الأعزاء، وأن يبلغوا المدارج العالية والمراتب السامية ببركة الإمام صاحب العصر عجل الله فرجه الشريف، والاهتمام الخاص من الأسرة الجليلة، والرعاية الخالصة من المدير المحترم وسائر المعلمين.. ونرجو في المستقبل أن يصبح كل واحد منهم خادماً ومجاهداً مخلصاً لإيران والإسلام إن شاء الله، وأن يعملوا بكل جهدهم من أجل التقدّم وتحصيل المعارف واكتساب الشرف، وأن تبلغ هذه الطيور الياقة بالوطن العزيز إلى أعلى درجات العظمة، آمين يا ربّ العالمين.

ثم تقدّم ممثل مدرسة (ميلان) وألقى خطبة حماسية نالت إعجاباً كبيراً، واستمرّ الوضع على هذه الوتيرة لثلاثة أيام وليال متواصلة، حيث كانت الحشود والجموع تأتي من الضواحي والأكناف على التوالي.. وكان الخوان العام مفروشا للجميع.



[جدول اللقاءات اليومية]

وفي اليوم الرابع ركب كل واحد منا على ظهر جواده برفقة أغلب أفراد الأسرة الجليلة والعلماء والأعيان، لتفقد مدينة (خسرو شاه).. هرع الركبان والمشاة إلى استقبالنا من كل الجهات.. كانت المسافة تقدر بحوالي فرسخ واحد، وكان سماحة الحاج فخر الإسلام وسماحة الآغا رئيس السادات في (خسرو شاه) قد جاء بالأمس إلى مدينة (أسكو)، وكانا اليوم برفقتنا، وكان الحاج أسد الله منشغلاً بعمله، وكان المنشدون في شذوهم وإنشادهم.. وقد اختلط تصاعد الغبار بضجيج الرجال وصهيل الخيول وغمر الجبال والوديان.. كان سماحة الملا ميرزا يتلو سورة (هل أتى)^(١) بلحن داوودي على مقام الحجاز.. ثم دخلنا المدينة واستقرّ بنا المقام في عمارة فارهة، وأخذ كل واحد من العلماء والأعيان مكانه من المجلس.

وبعد صلاتي الظهر والعصر، نصب خوان لإطعام الجميع.. ثم استمرت الجموع تزدهم وتحتشد في كل لحظة، واستمر الحال على هذه الوتيرة إلى ما بعد حلول الليل بأربع ساعات.. وكانت الفاكهة متوفرة بمختلف ألوانها، كما كانت سوق الشاي والدخان عامرة أيضاً.. وفي اليوم الثاني كان المجلس قائماً على ذات الوتيرة.. وعاد الاحتشاد والازدحام هذا اليوم إلى سابق عهده.. كما جاء في هذا اليوم بعض العلماء وأبناء الوجهاء والأعيان

(١) أي: سورة الإنسان، أو سورة الدهر، إذ تُستهلّ بقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾. (المعرب).

من مدينة تبريز إلى لقائنا.. وبعد صلاتي المغرب والعشاء في هذه الليلة صعد أخي المقدّس أعواد المنبر وألقى محاضرة في شرح قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(١)، وكان الجميع من شتى أصناف الناس حاضراً تحت المنبر للاستفادة والاستفاضة كباراً وصغاراً، وشيوخاً وشباباً، ورجالاً ونساء ما بين عالم وجاهل.

وكان كل واحد من المستمعين يغمره في كل لحظة نشاط خاص لدى سماع كلامه الزاخر بالحكمة والموعظة؛ فكان بذلك مثل عيسى عليه السلام ينفخ الروح في القلوب الميّتة؛ وكأن قلوب الناس حيث ماتت بسبب جهلها بمعبودها؛ أرسل لها المسيح ليبعث الحياة فيها.. كانت حالة الفرح والانشراح تلوح على جبين المحبّين.. ولو أردت تدوين كلماته الغراء لخرجت عن موضوع الرحلة.

وفي اليوم الثالث ذهبنا للقاء أحد علماء المنطقة برفقة أغلب العلماء.. وحيث كانت الغرفة لرجل عالم فقد أخذ كل واحد منا كتاباً وبدأ يطلعه.. فصاح السيد صاحب الدار: يا فلان، هات الرسالة التي صنفتها مؤخراً.. فجاء بالرسالة ووضعها بين أيدينا، وقال في الأثناء: أيها السادة، لقد اجترحت ملحمة!.. فنظرت جيداً؛ فوجدت أن سماحته قد ألف منظومة في الفقه.. ولكن كيف؟! وعلى أيّ شاكلة؟! فهي مفككة الفقرات، والقوافي متخالفة، والأشطر متهافّة ما بين قصيرة وطويلة.. حتى أن بعضها يعلو على بعض كما تعلو قمّة دماوند على سفوحها؛ فغلب عليّ الابتسام لهذا التفاخر؛ ولم يغب ذلك عن نظر الآغا مجد الإسلام، فسألني: سيدي، أيّ شيء يضحكك؟!.. فأجبته: لا شيء، ولكن يبدو أن السيد المصنّف قد رفع القيود عن الأشعار، والحق أنه عمل جميل! فحتى متى تبقى الكلمات

مغلولة بسلاسل البحر الطويل والمجث والرجز والخفيف والرمل والمتقارب والمضارع وما إلى ذلك؟!.. فالتحرر يعمّ العالم؛ إلى متى تبقى سفينة الأشعار تحت رحمة رياح الأبحر، وعرضة لعروض الغرق.. وهنا تبادرت لي طرفة تقول: سئل (الباب)^(١) كيف تدعي هذا المقام العالي في حين أن كلامك وإنشاؤك مشتبك ببعضه، ولم تتمكن بعد من إتقان قواعد اللغة العربية؟! فقال في الجواب: أجل، حيث كانت الكلمات في عالم الذر تشكو من قيود العوامل؛ فكما رفعنا القيود عن الخلق، كذلك حررنا الكلمات من قيودها أيضاً؛ فحتى متى يبقى الفاعل مغلولاً بسلاسل الرفع، والمفعول راسفاً في قيود النصب، والكلمات مشدودة بأغلال الجزم والجر.. والآن قام سماحة الآغا برفع القيود عن الأشعار وحرر الأدب من بين أشداق حيطان البحور! فانفجر الحضور بالضحك، وعلى الرغم من أن السيد المصنف غضب من ذلك، بيد أن هذا النوع من الطرائف لا يضر بالموءدة والعلاقة الوثيقة بين العلماء.

قبل الغروب بثلاث ساعات، خرجنا اليوم برفقة الأسرة الجلييلة وسائر السادة من أهالي مدينة (أسكو)، حيث اعتلى كل واحد منا على ظهر جواده، وتوجهنا نحو المركز الأصلي، كما تفقدنا لفترة من الزمن بعض القرى والضواحي، وتوجهنا في كل يوم إلى ناحية، حتى نسينا وعشاء الطريق وعناء السفر بشكل كامل، وكانت أمزجتنا تعتدل في كل لحظة.. حيث كان الطقس جميلاً، وكانت الأسرة الجلييلة تحرص أبداً على توفير أسباب الراحة والاستجمام لنا، وتعدّ لنا كل ما تمسّ الحاجة له، وكانت تدخل السعادة علينا دائماً بأفضالها وكلمات ذواتها العالية، وعلى الرغم من أن صلة النسب والقربى بيننا وبين الأسرة الجلييلة كانت بحيث لا تبقى مجالاً لملاحظة الضيف والمضيف، كانت العلاقات الخاصة ومركز الجمع قائماً

(١) المقصود هو الميرزا محمد علي الباب لعنه الله.

من جميع الجهات بشكل وثيق، ولكن كل واحد منهم كان مقيداً وملتزمًا بتقاليد وشروط الضيافة وإكرام الضيف، وكان كل واحد منهم يخصّ كل واحد منا باهتمام بالغ.

وبعد ذلك بفترة توجه سماحة المستطاب الآغا محمد علي - الذي كان يؤنسني ويسعدني بحضوره وصحبته واهتمامه البليغ والفضائل السامية الخاصة بذاته الكريمة - برفقة السادة المحترمين من أبناء سماحة الآغا ميرزا محسن والآغا ميرزا مرتضى، إلى مدينة تبريز.. ثم التحق بهم بعد ذلك من أعضاء الأسرة الجليلة؛ سماحة الآغا السيد حسن، وسماحة السيد موسى أيضاً.

لقد أقمنا شهرين كاملين بسعادة بالغة وانشرح تامّ في ظلّ عطف الأسرة الجليلة.

وقد انشغلنا لأيام بأبحاث علمية مع سماحة السيد أبو الحسن - وهو الابن الوحيد لسماحة المستطاب الحاج السيد رضا، وقد كان يؤنسني على الدوام - وأسأل الله أن يفكر جيداً في الحصول على مرتبة منيعة في العلم، حتى يحتل المركز السامي لجده الكبير - أعلى الله مقامه - وكنا في تلك المدة نعتلي كل يوم ظهر جواد وننطلق إلى ناحية، حيث نختر قرية أو قصبة، وفي بعض الأحيان نتجه إلى الحدائق والمزارع، وكان الذي يقوم بأعباء هذه المهام هو سماحة السيد أبو القاسم المبجل - وهو الشقيق الوحيد لسماحة المستطاب الحاج السيد رضا حجة الإسلام زادة - حيث كان يتكفل بالمشقة الأكبر في هذا الشأن.. وكنا على الدوام نشعر بسعادة غامرة في المزرعة الخاصة بسماحة السيد غلام آغا، وكان نجله الوحيد هو الميرزا محمود - وهو شاب كامل ومشتغل ويتحلى بأخلاق حسنة - وأرجو أن يفكر لاحقاً في تحصيل العلوم الدينية وبلوغ مرتبة عالية بين علماء الدين إن شاء الله تعالى.

طوال هذه المدة كان سماحة أخي المقدّس - باستثناء صلاة الصبح - يقضي وقته في المسجد، ولا سيّما لإمامة الجماعة، وكان يعتلي المنبر في ليالي الجمعة، حيث يجتمع الناس رجالاً ونساءً من جميع القرى المجاورة أيضاً؛ لغرض الاستفادة من مواعظه وكلماته البليغة.. حتى حل يوم رحيل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله؛ حيث غصّ المسجد بالناس، واضطر نصف الجموع إلى البقاء خارج المسجد؛ فبقينا في حيرة من أمرنا، ثم وبعد إصرار منهم أشار سماحة أخي المقدّس إلى هذا العبد الفقير، فلم أجد بُدّاً من امتثال أمر ذلك الوجود الربّاني، فاضطرت إلى إقامة الصلاة وصعود المنبر في المسجد الثاني، واستمر الازدحام لفترة، وكان المسجد والمنبر قائماً على الجانبين، حتى اعتذرت أخيراً من الجميع إذ لم أجد من نفسي القدرة على مواصلة الجرأة أمام جبل العلم والعمل الشامخ؛ فالتحقت بمسجد سماحة أخي المقدّس، ولكن أخذوا على العبد الفقير عهداً بصعود المنبر في يوم الجمعة بعد صلاة الظهر والعصر، فوافقت على هذا الشرط، وإن كنت لا أجد نفسي أهلاً لذلك، ولكنني كنت مضطراً إلى تلبية دعوة إخوتي من علماء الدين.

اليوم هو يوم الاثنين الموافق للسادس عشر من ربيع الآخر؛ حيث مضى على إقامتنا في هذا المكان أربعة وخمسون يوماً.. تذاكرنا مع سماحة المستطاب الحاج السيد رضا في أمر السفر والرحيل إلى مقصدنا.. وقد اعترض سماحته على ذلك بشدة، وكان يصرّ على بقائنا هناك طوال فصل الشتاء.. فقال أخي المقدّس: يجب علينا التشرّف بلثم العتبة الرضوية المباركة قبل اشتداد البرد، وكما يقولون فإن سلسلة جبال (قافلانكوه)^(١) إذا

(١) (قافلان كوّه): سلسلة جبلية تقع إلى الشرق من قضاء (ميانه)، ويبلغ ارتفاعها ١٨٥٣ متراً، وهي تابعة لسلسلة جبال ألبرز الغربية. ويطلق على هذه السلسلة الجبلية في اللهجة المحلية (قافلانتي)، والاسم الأقدم لها (قبلانتو) وكلمة (قافلان) في اللغة التركية تعني (النمر)، وقد ذكرت الراحالة الفرنسية (جين ديولافوا) هذا الجبل باسم (جبل النمر). (المعرب).

تكللت بالثلوج فإن هذه الظاهرة سوف تشكّل عقبة كأداء تحول دون حركة المسافرين؛ في حين يتعيّن علينا أن ندرك الأشهر المباركة (رجب وشعبان ورمضان) ونحن في رحاب تلك الحضرة المقدسة.. ولا شك - بطبيعة الحال - في أن فراق هؤلاء الأصدقاء وتلك الذوات الطيبة أمر بالغ الصعوبة والمشقة، ولكن كما تعلمون لا بد من مواصلة المسير.. ثم وبعد إصرار كلا الجانبين على موقفه، رأينا أن نحتكم إلى القرآن الكريم؛ فاستخرنا الله وكانت نتيجة الاستخارة تقول إن السفر جيد جداً.. فاضطرّ سماحة المستطاب والمعظم إلى الرضا والنزول عند رغبتنا، فأنهاي الخبر في تبريز إلى سماحة المستطاب الحاج الميرزا محمد علي آغا؛ فجاء الجواب من قبله يقول: سوف ننتظر وصولكم يوم الخميس الموافق للحادي والعشرين من الشهر الجاري.. ولذلك فقد أخذنا نستعدّ بدورنا إلى استئناف السفر.

في الليلة التاسعة عشرة كنت أحاور سماحة العالم الفاضل الآغا مير عبد المحمّد آغا مجد الإسلام - وله دراية كاملة بالعلوم القديمة والحديثة - وانتهى بنا المطاف إلى الحديث عن الطبيعيات حتى وصل بنا الكلام إلى ذكر ظاهرة المدّ والجزر في البحار، أو ظاهرة انخفاض وارتفاع سطح البحر.. وحيث أنه لم يكن قد شاهد هذه الظاهرة الغريبة بنفسه، فقد سألتني عن سببها متعجباً.. وعلى الرغم من انشغال هذا العبد الفقير بالكثير من الأمور ومن بينها الإعداد لمقدمات السفر، والإجابة عن بعض المسائل الأخرى، ولكن حيث أن تلبية دعوة الأخ العالم من بين الواجبات المؤكدة؛ فقد اضطررت - عندما كان الجميع غارقاً في نوم عميق - إلى الأخذ بمفاد قاعدة (لا يسقط الميسور بالمعسور)^(١)، وشرحت له تفصيل هذه الظاهرة

(١) قاعدة (لا يسقط الميسور بالمعسور): قاعدة فقهية، تعني: أن التكليف الشرعي إذا لم=

باللغة العربية بشكل مختصر.. ولكن حيث أن بعض الإخوة قد لا يفهم اللغة العربية؛ فسوف أكتب مضمون هذا الشرح هنا باللغة الفارسية المحببة.



=يمكن الإتيان به بأكمله وإنما أمكن فعل بعضه مما يمكن تجزئته، وجب الاقتصار على المقدور منه وعدم تركه من رأس. ولهذه القاعدة تطبيقات كثيرة في الفقه الإسلامي. ومن بين تعبيرات هذه القاعدة: (ما لا يُدرك كله لا يترك قُلّه) أو (لا يترك كُلّه) أو (لا يترك جُلّه). (المعرب).

ظاهرة المدّ والجزر

لا يمكن لشخص أن يقف على ساحل البحر مدّة من الزمن إلاّ ويشاهد ظاهرة المدّ والجزر، بمعنى الارتفاع والانخفاض الطبيعي للماء حتى وإن كان جزئياً.. فإن كان في السواحل الجبلية، بمعنى أن يكون الساحل مرتفعاً عن ماء البحر بمستوى واحد، فسوف يرى في اليوم واللييلة مرتين ظاهرة ارتفاع ماء البحر بمقدار مترين أو عشرة أمتار أو عشرين متراً، ثم ينحسر بعد ذلك ويعود إلى حالته الطبيعية.. وإذا كان على الساحل الرملي والمسطّح، فإنه كذلك سوف يرى في اليوم واللييلة مرتين ظاهرة انتشار الماء على مساحة واسعة تدخل ضمن أجزاء البحر ثم ينحسر الماء وتظهر اليابسة مرّة ثانية..

وقد كنت ذات يوم في السواحل الشمالية الغربية للخليج؛ فلم أرَ للبحر أثراً أثناء الجزر، ولكن عندما يأتي المدّ يرتفع الماء ليغمر مساحات كبيرة من اليابسة قد تمتدّ لعدّة فراسخ.. ولو قدّر لشخص أن يقيم شهراً كاملاً في الساحل، فسوف يدرك أن المدّ والجزر في أوقات المحاق يكون قوياً جداً، ويكون أثناء التربيع ضعيفاً وفي أيام البدر لا يكون بقوة المحاق ولا بضعف التربيع، وفي كل يوم يتخلّف المدّ والجزر قرابة اثنتين وخمسين دقيقة.

ومن الطبيعي أن تثير هذه الظاهرة الغريبة استفهام الناظرين، وتحثّهم إلى البحث عن أسبابها.. إن هذه الظاهرة الغريبة ليس لها من سبب أو مؤثر سوى الشمس والقمر؛ إذ عند اقترابهما ومحاذاتهما لقاع البحر يعملان على

اجتذاب الماء نحوهما.. أو بواسطة محاذاة الأبخرة التي تحدث في قعر البحر فتوجد حالة من الفوران والارتفاع - كما قال بعض (العلماء)^(١) - ونتيجة ومآل الأمرين إلى شيء واحد.. إلا أن نشاط القمر وقوة جاذبيته في هذه الظاهرة أقوى من جاذبية الشمس.. بل هناك من ينسب التأثير في هذه الظاهرة إلى القمر فقط، إلا أن هذا القول على خلاف القواعد، ولا ينسجم مع اختلاف حالات المدّ والجزر..

وكما ذكر العلماء المعاصرون فإن قوة جاذبية الشمس في حالة المدّ تقدّر بخمس جاذبية القمر، بمعنى أن قوة جاذبية الشمس إذا كانت بمقدار واحد، فإن قوة جاذبية القمر سوف تقدّر باثنين وخمسة.. وحيث يكون تأثير الشمس والقمر في هذه الظاهرة بديهيًا، فإنه في أيام المحاق؛ حيث تجتمع جاذبية الشمس والقمر في وقت واحد، تكون حالي المد والجزر قوية، وسوف يكون ماء البحر أكثر منه في الأوقات الأخرى، ولكن في أثناء فترة التربيع حيث يكون نشاط كل واحد من الشمس والقمر على الضدّ من بعضهما، بمعنى أن يعمل كل من الشمس والقمر على اجتذاب البحر إلى نفسه؛ فمن الطبيعي أن تضعف حالة المدّ والجزر..

وأما في أوقات البدر فيمكن القول إن المدّ والجزر الذي نشاهده إنما هو بتأثير من القمر منفردًا، وإن كانت الشمس أثناء المدّ الثاني ترفع من مستوى تأثير القمر إلى حدّ ما.

وبذلك يتضح السبب في حدوث ظاهرة المدّ والجزر، وكذلك يتضح سبب شدّتهما وضعفهما أيضًا.. فما هو السبب في حدوث هذه الظاهرة مرتين في اليوم واللييلة؟

على نحو الإمكان يمكن تقسيم السبب إلى قسمين.

(١) في الأصل (حكماء)، والمراد ما أثبتناه. (المعرب).

القسم الأول: إن الشمس والقمر وإن كانا يشرقان على البحار دائماً، ولكن تحدث المحاذاة التامة مع البحر المحيط مرتين في اليوم والليلة؛ حيث تحدث المحاذاة مرّة في المحيط الكبير ما بين آسيا وأمريكا^(١)، وتحدث المحاذاة في المحيط الأطلسي ما بين القارتين الأمريكيتين وأوروبا وأفريقيا، وهذان المحيطان يقعان في نقطتين متقابلتين.. وعند محاذاة الشمس والقمر، يحدث كل واحد منهما مدّاً وجزراً؛ وبذلك تحدث هذه الظاهرة في اليوم والليلة - حيث تكتمل الحركة الوضعية للأرض [حول نفسها] أو (بعبارة أخرى: الحركة الانتقالية للقمر والشمس) - مرتين، بيد أن هذا الدليل يخالف أقوال العلماء.

القسم الثاني: عند محاذاة الشمس والقمر لكل بحر؛ فإنهما يحدثان في هذه الحالة ارتفاعاً عظيماً.. وما إن ينحسر الارتفاع حتى يحدث ارتفاع وانخفاض.. وحيث أن الحركة الوضعية للأرض تكون من المغرب إلى المشرق؛ فإن المدّ والجزر يتجه بسرعة ناحية المغرب.. وفي بعض المواضع تبلغ سرعة حركة الماء الطبيعية للبحر في تلك الحال خمس مائة ميل في الساعة.. ثم تتراجع هذه السرعة بالتدريج، ولا سيّما في البحار والخلجان الشمالية حيث يضعف نشاط المدّ بسبب المضائق، إلّا أن أقصى درجات قوته تكون في أواسط البحار الجنوبية.

ولا يلزم من هذا الكلام تكذيب الأخبار المأثورة عن الأئمة الأطهار (عليهم السلام)، في تفسير ظاهرة المدّ والجزر، بملك موكل بالبحار، وإنه كلما وضع رجله في الماء حدث المدّ، وكلما سحب قدمه حدث الجزر^(٢)؛

(١) أي: (المحيط الهادي). (المعرب).

(٢) حدثنا أبو الحسن محمد بن عمر بن علي بن عبدالله البصري، قال: حدثنا أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أحمد بن خالد بن جبلة الواعظ قال: حدثنا أبو القاسم عبدالله بن أحمد بن عامر الطائي قال: حدثنا أبي قال: حدثنا علي بن موسى الرضا عن أبيه عن آبائه=

وذلك لإمكان أن يكون القمر هو المراد بذلك الملك، وهو المؤثر الأصلي في هذه الظاهرة.. وإن كل مخلوق من مخلوقات الكون والإمكان^(١) والأرض والسماء ملائكة لله سبحانه وتعالى، وقد ورد في الأخبار تصريح بأن الشمس والقمر ملكين، وإن المراد من (رجل الملك) في الرواية أعلاه هي قوة الجاذبية، وإن إدخالها في البحر عبارة عن محاذاتها، وإخراجها هو ابتعاد هذه المحاذاة عن البحر.. ولا منافاة في التأويل؛ وذلك لأن أئمتنا [الأطهار عليهم السلام] كما كانوا علماء في الأديان، كانوا كذلك علماء في الأبدان والعقول أيضاً؛ وإنهم كانوا في كلامهم بحيث يراعون مراتب إدراك الناس ومستوى فهمهم في كل زمان، وفي تلك الحقبة الزمنية لم يكن الناس قد بلغوا هذا المستوى من الوعي والإدراك بحيث يمكن للأئمة عليهم السلام أن يحدثوهم عن الطاقة الكهرومغناطيسية أو قانون الجاذبية، وإنما كانوا يجيبون بما يتناسب ومستوى إدراك السائل.

وقد كتبت شرحاً تفصيلياً بظاهرة المدّ والجزر وفائدة هذه الظاهرة وخصائصها مع الجمع بين كلمات أئمتنا عليهم السلام في كتابي (الدرر الغاليات في توضيح المشكلات)، ولا يمكن لهذه العجالة أن تتسع لهذا الشرح التفصيلي.



=عن علي بن أبي طالب عليه السلام إنما سئل عن المد والجزر ماهما، فقال: (ملك موكل بالبحار يقال له رومان، فإذا وضع قدمه في البحر فاض وإذا أخرجها غاض) علل الشرائع،

ج ٢، ص ٢٤٤.

(١) في النسخة (أ) (إمكان)، وفي النسخة (ب) (مكان).

[ألم الفراق]

اليوم هو يوم الخميس الموافق للحادي والعشرين من شهر ربيع الأول.. حضر أهالي مدينة (أسكو) المحترمون والمناطق المجاورة والعلماء والأعيان جميعاً؛ وكان كل واحد منهم يعبر عن حزنه على مغادرتنا وفراقنا.. تناولنا طعام الغداء، ثم تم إعداد العربة وصفّ الخيول، وكان الرجال والنساء يبكون أسفاً.. خرجنا من مضافتهم، وقمنا بتوديع السادة والعلماء، وأخذنا مقاعدنا من العربة.. وكان برفقتنا كل من سماحة المستطاب الحاج السيد رضا آغا، حيث كان معنا في العربة، وسماحة مجد الإسلام، وسماحة الحاج الآخوند الميرزا محمد حسين - وهو وكيل سماحة المفدى الوالد الماجد (روحي فداه) - في (كوج آباد) - وسائر أفراد الأسرة الجليلة، حيث اعتلى كل واحد منهم على ظهر جواد، وانطلقنا جميعاً من الميدان الكبير، وكان الأغنياء والفقراء والشباب والشيوخ يبكون من ألم الفراق.. ونحن بدورنا وإن كنا نعيش وضعاً مماثلاً من الشعور بعمق مرارة فراق الوطن الحبيب والأصدقاء المحترمين، ولكن لم يكن أمامنا من خيار سوى توديع الجميع، والتوجه إلى غايتنا.

قصة أسكو المباركة

تقع [قصة أسكو] إلى الجنوب الغربي من مدينة تبريز، وإذا ما استثنينا الناحية الغربية، سوف تجدها محاطة بأنواع الجبال من كل الجهات.

وقبل تفشي المجاعة والمرض كانت نفوسها تقدّر بخمسة عشر ألف نسمة، ولكنهم لا يتجاوزون العشرة آلاف نسمة حالياً.. وإن قصة خسرو شاه^(١)، وميلان^(٢)، وباول^(٣)، وخسراق^(٤)، وديزج^(٥)، وكله جاه، وبايرام، وبيسندوز^(٦)، وإسكندان، وإسفنجان، وكندوان^(٧)،

(١) أو (خسرو شهر).

(٢) تقدّم التعريف بهذه القرية، وهي حالياً تعدّ جزءاً من قضاء (أسكو). (المعرب).

(٣) هكذا في الأصل، وفي بعض المصادر الأخرى (باويل) كما ورد في كتاب (قرنان من الاجتهاد والمرجعية في أسرة الإحقاقي) لنجل صاحب الرحلة. وهي تنقسم إلى (باويل العليا)، و(باويل السفلى). (المعرب).

(٤) أو (خُسْرُق).

(٥) تقدم أنها (ديزج أمير مدار). (المعرب).

(٦) ربما كان المراد منها (فسقنديس)، على ما ورد في كتاب (قرنان من الاجتهاد والمرجعية). (المعرب).

(٧) (كندوان) أو (كندجان) أو (كون دوقان): قرية أثرية تاريخية سياحية يعود تاريخها إلى سبعة آلاف سنة خلت، تبعد عن قضا (أسكو) مسافة تقدّر بحوالي ١٨ كيلومتراً. وقد ورد الحديث عنها في كتاب (قرنان من الاجتهاد والمرجعية) بوصفها من أغرب القرى الجبلية في إيران؛ إذ لم تبَن من الطين والإسمنت والآجر وغير ذلك مثل بيوت المناطق الأخرى، بل نحتت داخل الجبال، وبذلك كانت تحفة فنية رائعة تجسّد فيها قوله تعالى: ﴿وَنَنْحِتُونَ الْجِبَالَ

وكهنمي^(١)، والكثير من القصبات الأخرى^(٢)، وإن كانت من توابع [أسكو]؛ حيث تعرف كلها بـ(أسكوجائي)؛ بيد أنها مسقلة حالياً بجهود بعض الأمراء والحكومات المحلية للحصول على بعض المزايا.. كما تحتوي (أسكو) على آثار تاريخية، وأشجار معمرة يبلغ قطر بعضها خمسة أذرع إلى عشرة أذرع، وعلى مسافة نصف فرسخ منها هناك عين باسم (شيلانديز) وهو مأخوذ من (شفا اندوز)^(٣)، ويحتوي ماؤها على خصائص علاجية للشفاء من بعض أمراض المفاصل وأوجاع الركبة.. إلا أن كل اعتبارها واشتهارها وغاية كمالها تعود إلى وجود الذوات المحترمة للأسرة الجليلة فيها؛ حيث كانت هذه الأسرة ولا تزال زينة لما حولها وملاذاً لجميع المحيطين بها من السكان والأهالي.. وإن افتخارها بدوره يعود إلى الوجود المقدس لسماحة المستطاب حجة الإسلام والمسلمين التلميذ الرشيد (للجد الكبير أعلى الله مقامه) الحاج السيد مصطفى آغا - قدس الله تعالى سرّه^(٤) - وعلى الرغم من أنني لم أقل

يُؤْتَا^ط. وتأتي تسميتها بـ (كون دوقان) بمعنى (مطلع الشمس)؛ لكونها قد نحتت في سفح الجبل المواجه لشروق الشمس. (المعرب).

(١) أو (كهنمو) على ما ورد في كتاب (قرنان من الاجتهاد والمرجعية). (المعرب).
 (٢) ويمكن العثور على تفصيل هذه القرى في الصفحة رقم ٣٥، من كتاب (قرنان من الاجتهاد والمرجعية في أسرة الإحقاقي) لنجل صاحب الرحلة، الميرزا عبد الرسول الإحقاقي. (المعرب).

(٣) (مستودع الشفاء).

(٤) آية الله السيد مصطفى الحائري الأسكوئي لم أجد له ترجمة مفصلة، ذكره الميرزا عبد الرسول ضمن أفضل تلامذة الميرزا محمد باقر الحائري الأسكوئي، وقال عنه: (العالم الرباني، والحكيم الصمداني) وكذلك وصفه بقوله: (آية الله في العالمين)، وذكر أيضاً في مقدمته على كتاب صحيفة الأبرار أن له مسجد فخم في تبريز وأتباع كثيرون ونفوذ كبير، وكان من المشاركين في إقامة الدروس الدينية والحوزوية في تبريز. راجع: قرنان من الاجتهاد والمرجعية ص ٣٩ و ص ٥٦. صحيفة الأبرار، ج ١ ص ٢.

شعراً أو مدحاً في حق أحد غير الأئمة الأطهار عليهم السلام، ولكن حيث أن سماحته كان أهلاً وموضعاً للمدح والثناء، وإنه لا يُعدّ من الغرباء، فقد ارتجلت ثلاثة أبيات في تأريخ وفاته قائلاً:

[(س)]^(١)

داد و فریاد از سپهر کج مدار پر جفا

که آل أحمد را نموده تار و مار آن بی وفا^(٢)

شمس علم و معرفت را منکسف کرد از ستم

ماه فضل و منقبت را منخسف کرد از جفا^(٣)

چون مکدر شد (سلیمی) گفت در تاریخ وی:

سوی فردوس برین شد او آنیس مصطفی^(٤)

لم یکن جمال الطريق بحاجة إلى وصف، تجاوزنا (خسرو شاه)^(٥) وقرية (لاهيجان)^(٦)، وأقمنا صلاة الظهر والعصر في (اسبهان)^(٧)، ثم دخلنا الآن حدائق (سردود)^(٨).. كان كل من الحاج حسين جاوش وأخوه الموقر

(١) ما بين المعقوفتين إضافة توضيحية من عندنا؛ للدلالة على أن الأبيات من نظم المؤلف، على ما أفاده في ديباجة الرحلة. (المعرب).

(٢) المعنى: (وا غوثاه من الطالع والحظ الجائر.. إذ شئت هذا الظالم شمل آل أحمد).

(٣) المعنى: (لقد كسف شمس العلم والمعرفة بظلمه.. وخسف قمر الفضل والمنقبة بجوره).

(٤) المعنى: (وإذ حزن (سلیمی) لموته، قال في تأريخ وفاته:.. صار إلى الفردوس الأعلى؛ ليأنس بصحبة المصطفى).

(٥) (خسرو شهر).

(٦) (لاهيجان): من قرى قضاء (خسرو شهر)، في محافظة (أذربيجان الشرقية). (المعرب).

(٧) (إسبهان) أو (إسفهان): مقاطعة تعد جزءاً من قضاء (خسرو شهر) و(تبريز)، في محافظة (أذربيجان الشرقية). (المعرب).

(٨) (سردود): من مدن محافظة (أذربيجان الشرقية) في الجزء المركزي من (تبريز). ويعود تاريخها إلى ثلاثة آلاف سنة، وتسمى في اللهجة المحلية (سردري). (المعرب).

يحمل على كتفه بيرقاً أحمر، وهما ينشدان المدائح والأشعار على التوالي.. بدأت الجموع تظهر من بعيد.. وكان سماحة الكربلائي نائب حسن الذي جاء في أمس من (كوج آباد) يتقدم الجموع راكضاً، وكان السادة المستقبلون من أهالي (سردود)، و(كوج آباد)، يتقدمهم رئيس (كوج آباد) فضيلة ياور خان راكباً على صهوة جواده.. وقد ذبحوا في طريقنا شاة، وكانت الجموع تطوف حول عربتنا بشوق وفرح عارم، ولكن لضيق الوقت لم يكن بمقدورنا التوقف.





[المحطة التاسعة: تبريز]

[المحطة التاسعة: تبريز]

مزار الشهيد ثقة الإسلام

خرجنا من (سردرود) وأذن أخي المقدّس للمشاة بالانصراف.. وكان بعض السادة والأعيان من أهالي تبريز قد وقفوا لساعات ينتظرون استقبالنا.. تقدّر المسافة من (سردرود) إلى المدينة بفرسخين، وكنا نقطع الطريق عبر مناطق ذات مناخ بديع بصحبة السادة من أسكو وكوج آباد وتبريز.. كان الركبان والعربات تأتي تباعاً وتلتحق بموكبنا، حيث الخيالة في الطليعة، والعربات على الجوانب، والمنشدون يشدون بحناجرهم، وسائر الناس يرفعون الصلوات، حتى ظهرت جماعة الأسرة الجليلة لثقة الإسلام؛ فترجل الجميع واستقبل بعضنا بعضاً بشوق عارم.

كان سماحة أخي المقدّس مع سماحة المستطاب ملاذ الأنام الميرزا محمود آغا ثقة الإسلام في عربة، وكنت أنا الفقير إلى الله وسماحة ثقة الإسلام زادة الميرزا فتح الله آغا في عربة أخرى نواصل مسارنا بسكينة تامّة.. ولكثرة الازدحام وتقارب العربات لم نر أثراً للمنشدين والخيالة.. وكانت قيادة وتوجيه حركة العربات والخيالة على عاتق سماحة المشهدي محمد آغا، وهو رجل فطن ومدرّك.. تمّت التضحية ببعض المواشي في أكثر من مكان.. حتى دخلنا المدينة قبل ساعة من غروب الشمس، وجاء هذه المرّة دور المشاة؛ حيث أخذوا يزدحمون من جميع الجهات، ويعبرون عن مشاعرهم.. وكنا في طريقنا نجتاز شوارع وسيعة وعمارات عالية.. توقفت

جميع العربات والخيول؛ ونزل سماحة أخي المقدّس والتحق به السادة والأعيان وتوجهنا جميعاً نحو المقبرة، فاستفسرنا بتعجب، واتضح لنا أننا في طريقنا إلى مقام السيد حمزة^(١)، ويبدو أن رأي سماحة أخي المقدّس قد استقر قبل كل شيء على زيارة المرقد الطاهر لسماحة حجة الإسلام والمسلمين الآغا ثقة الإسلام والمسلمين الشهيد (أعلى الله مقامه)^(٢).. حيث

(١) مرقد السيد حمزة في مدينة تبريز يقع في حارة سرخاب والضلع الجنوبي الشرقي من تقاطع شارع (ثقة الإسلام) وشارع (عارف)، ويعود تاريخه إلى عام ٧١٤ للهجرة، سنة وفاة السيد حمزة، وكنيته واسمه الشريف: أبو الحسن حمزة بن الحسن بن محمد حتى يصل نسبه إلى الإمام موسى الكاظم عليه السلام بست عشرة واسطة، وفي هذه المقبرة وفي الجناح المخصص للشعراء قبر الشهيد ثقة الإسلام الذي يأتي التعريف به في الهامش التالي. (المعرب).

(٢) هو الشهيد الميرزا علي بن موسى بن محمد شفيع الخراساني التبريزي الملقّب بـ(ثقة الإسلام) (١٢٧٧ - ١٣٣٠هـ): عالم دين. له من المؤلفات: (مرآة الكتب) في تراجم رجال الشيعة، و(رسالة لالان وملحقاتها) قال عنها الشيخ الطهراني في الذريعة: (رسالة فارسية كتبت عن لسان طلاب الدستور إلى الروحانيين وحفاظ الثغور)، و(إيضاح الأنباء في تعيين مولد خاتم الأنبياء وسيد الشهداء)، وترجمة فارسية لكتاب (العتبي). وكان الشهيد مجتهداً من علماء تبريز وفي طليعة المطالبين بالمشروطة (الملكية الدستورية)، وبعد ضرب البرلمان في طهران بالمدفعية بأمر من محمد علي شاه القاجاري واستشهاد بعض الممثلين فيه، خرج المطالبون بالمشروطة وفي مقدمتهم الشيخ ثقة الإسلام والمناضلان الوطنيان الشهيران (ستار خان، وباقر خان)، وتم فرض الحصار على تبريز لما يقرب من سنة كاملة، حتى اضطرت السلطات في نهاية المطاف - بعد يأسها من استسلام المناضلين - إلى الاستعانة بالروس. وبعد اقتحام الروس للمدينة لجأ أربعون مناضلاً إلى الدولة العثمانية، ولكن الشيخ ثقة الإسلام فضّل الصمود على الهروب، واستمرّت الاعتقالات والإعدامات العلنية على مدى شهر كامل حتى بلغت ذروتها في اليوم العاشر من المحرم من سنة ١٣٣٠هـ، حيث صُلب الشيخ ثقة الإسلام في ظهر مثل هذا اليوم. وقبل يوم من ذلك طلبت منه القوّات الروسية أن يفتدي حياته بالتوقيع والختم على وثيقة تفيد أن تواجد الروس في تبريز كان بطلب من أهلها، ولكنه رفض ذلك، بل وسارع إلى خاتمه فكسره خشية أن يستخدموه في التوقيع على الوثيقة رغماً عنه. وفيما يتعلق بدفنه، قيل: على الرغم من أن مدينة تبريز قد احتلت المرتبة=

أن هذا الشخص الورع والعالم الفذ قد قدّم خدمات عظيمة ومنجزات ظاهرة لإيران وجميع الإيرانيين، فكان له حق كبير على العالم الإسلامي، ولذلك فقد ارتأينا تقديم زيارته وأداء حقوقه الظاهرة على استراحتنا.. وفي إحدى أركان المقبرة دخلنا حديقة، ومنها دلفنا إلى قاعة واسعة، واتخذ كل واحد من السادة والأعيان مجلساً له، وفجأة خيّم على الجميع سحابة من الحزن على ذلك المظلوم.. ثم اعتلى سماحة الميرزا آغا الأهرابي أعواد المنبر بأمر من سماحة أخي المقدّس، وشرع يذكر مصيبة سيد الشهداء عليه السلام..

إن اللسان لعاجز حقاً عن بيان كمالات ذلك الرجل الفذ، وإن البيان لقاصر عن أداء عُشر معشار حقوقه.

ويجدر بجميع رجال السياسة قاطبة أن يجعلوا من التاريخ السياسي لهذا العالم الكبير زينة لمواقفهم وذخراً لازدهار ورقّي مستقبل الإسلام.. وكفى بأهالي أذربيجان - بل وجميع الإيرانيين - فخراً أن خرج من بينهم مثل هذا الرجل الذي نذر حياته من أجل عزّة الإسلام وبقاء الوطن، وخلّد بذلك اسمه ليبقى ساطعاً ومشرقاً في سماء التاريخ.. حيث كانت مواقفه الصلبة وحدها التي وقفت بوجه سياسة الروس القمعية؛ وقد حفظ بذلك اسم وعرض الإيرانيين، بل وجميع المسلمين؛ إذ وقف سنداً منيعاً يضاهي سدّ

=الأولى في تقديم الشهداء على طريق الثورة الدستورية، كان الناس يدفنون موتاهم وديعة ريشما يتمكنون لاحقاً من نقل الأجسادهم ودفنها في العتبات المقدسة، إلّا أن قبر الشهيد ثقة الإسلام كان من القبور القلائل التي بقيت في مكانها في حارة سرخاب (بقعة الشعراء) في مرقد السيد حمزة. وعلى ما هو موجود على شاهدة قبره؛ فقد أرخ لاستشاده الشاعر علي رضا الرضائي - عضو لجنة الأدب الأذربيجاني - بأبيات، تقول: (إن الفؤاد لهذا الرزء ملهوب.. والدمع في ذلك المفجوع مسكوب / كيف السلوّ عن الخطب الفضيع وقد.. أشجى القلوب ومنها الصبر مسلوب / إن (الرضائي) إذن بالحزن حرّر.. في تاريخه: ثقة الإسلام مصلوب). (المعرب).

الإسكندر^(١) في مواجهة طغيان يأجوج ومأجوج^(٢)؛ وإلا لكانت أذربيجان الآن جزءاً من ممتلكات الأعداء.. بيد أن [هذا الشهيد] قدّم روحه وماله وفكره وسياسته في رئاسة الأتراك جميعاً في سبيل الإسلام وإيران، ولم تكن غايته سوى مرضاة الله سبحانه وتعالى، وأن يرى تقدّم المسلمين وازدهارهم؛ وبذلك فقد تأسّى بسيد الشهداء عليه السلام، فاعتلى حبل المشنقة في يوم عاشوراء؛ لیساهم بذلك في اعتلاء أمر المسلمين، الأمر الذي أذهل العامة والخاصة..

يُروى على ما جاء في كتاب (الحبل المتين) أنه في اللحظات الأخيرة وقد وضعوا حبل المشنقة في رقبته - التي وجدها تطوّق عنقه كما لو كانت جديلة الحبيبة - التفت بوجهه ناحية المدينة المنورة؛ حيث شهد الله بالوحدانية، وللنبي الأكرم صلى الله عليه وآله بالنبوة، وللأئمة الأطهار عليهم السلام بالولاية، ثم قال: اشهد عليّ يا رسول الله بأنّي أقدم نفسي - وهي كل ما أملك - شهيداً في مرضاتك، ولم أكتب بيميني خطأً يساعد على إعلاء كلمة الكفر على كلمة الإسلام.

[ومما قلته شعراً في بيان]^(٣) تاريخ شهادة ثقة الإسلام الشهيد:

(١) الإسكندر المقدوني (حوالي ٣٥٦ - ٣٢٣ ق.م): ويعرف أيضاً بالإسكندر الأكبر، والإسكندر ذو القرنين. أحد ملوك مقدونيا الإغريق، ومن أشهر القادة العسكريين والفاتحين عبر التاريخ. تتلمذ على يد أرسطوطاليس حتى بلغ ربيعته السادس عشر. وبحلول عامه الثلاثين أسس إحدى أعظم الإمبراطوريات التي عرفها العالم القديم، وقد امتدّت من سواحل البحر الأيوني في البحر الأبيض المتوسط غرباً، وصولاً إلى سلسلة جبال الهيمالايا شرقاً، ويعد أحد أنجح القادة العسكريين على الإطلاق؛ إذ لم يُهزم في جميع المعارك التي خاضها. ويبدو من صاحب هذه الرحلة على ما تقدّم أنه يراه هو ذو القرنين الوارد ذكره في القرآن الكريم. (المعرب)

(٢) تقدم الحديث عنهما في هامش سابق. (المعرب).

(٣) ما بين المعقوفتين عبارة متصيّدة، أضفتها إلى النص من عندي. (المعرب).

(س)

- ای سپهر کج مدار ای آفت جان های ما
 از چه هر دم افکنی آتش تو بر دل های ما^(۱)
 بهر عاشر بس نبودن محنت شاه شهید
 زین شهید افزودی از نو شور عاشورای ما^(۲)
 ثقه الاسلام بود ان یکه در اسلام و بس
 زان پس ای صد وای بر اسلام و بر مبنای ما^(۳)
 شد بدار موسوی عیسی که دم زد از اله
 شد بدار عیسوی از کین علی مولای ما^(۴)
 ای (سلیمی) خیز و در تاریخ وی فریاد زن:
 بهر رشد دین بدار عیسوی عیسای ما^(۵)

بعد ذلك قمنا جميعاً، وانتقلنا إلى مضافة سماحة المستطاب ملاذ الأنام
 الآغا ثقة الإسلام، حيث استمرّ تردد الناس علينا والزحام الشديد لروح من
 الليل.. وفي اليوم الثاني تواصل الاختلاف والتردد علينا دون انقطاع، وسار
 الوضع على هذه الوتيرة لثلاثة أيام بلياليها حيث كان أصحاب السماحة من
 العلماء والأدباء والأمراء والأعيان والأشراف يتوافدون علينا تباعاً، وفي

-
- (۱) المعنى: (أفّ لك من دهر تنكّد عيشنا.. لأيّ ذنب تسلط نار الجور على قلوبنا؟!).
- (۲) المعنى: (ألم تكتف من اليوم العاشر بمحنة سيد الشهداء.. حتى جدّدت لنا عاشوراء أخرى بهذا الشهيد).
- (۳) المعنى: (لقد كان هذا الأوحّد ثقة الإسلام وكفى.. وبعده ألف واهٍ على إسلامنا وأصولنا).
- (۴) المعنى: (صلب نجل موسى إذ نفخ مثل عيسى بإذن الله.. صلب عيسى نكاية بعليّ مولانا وسيّدنا).
- (۵) المعنى: (انهض يا (سلیمی) واهتف بملء صوتك في تأريخ [وفاته]:.. من أجل حفظ الدين صلب عيسى المنسوب لنا).

عصر اليوم الثالث جاء الوالي العام لمدينة أذربيجان معالي الأشرف إسماعيل خان.. وفي اليوم الرابع كان علينا نحن أن نردّ الزيارة إلى من جاء إلى الترحيب بنا من السادة الموقرين، وهكذا بقينا لاثني عشر يوماً نردّ الزيارات بمعدل خمسة أو عشرة أو خمس عشرة زيارة في كل يوم، ومع ذلك لم نتمكن إلا من ردّ الزيارة إلى نصف العدد المطلوب من أصحاب السماحة، ولكن حيث كان وقتنا ضيقاً، رجونا أن يعذرنا سائر السادة من الذين لم نتمكن برّد الزيارة إليهم، وأن يشملنا عفوهم وصفحهم.

كان رأي سماحة أخيه المقدّس في أوّل الأمر قد قرّر على التوجّه نحو المقصد من طريق القوقاز، بيد أن الاضطرابات التي تسببت بها روسيا هناك، حالت دون ذلك.. وحيث خشينا أن تحول الثلوج التي ستغطي جبال (قافلان كوه) دون مواصلة الرحلة، فقد عقدنا العزم على الانطلاق في اليوم السابع من شهر ربيع الآخر.

وحيث حان اليوم الموعد، تم إعداد العربات، وقد اجتمع أغلب أفراد الأسرة العالية، والأسرة الجليلة والأسرة السامية، وسماحة المستطاب ملاذ الأنام الآغا معين الإسلام، وهو من كبار علماء تبريز، وسائر الأشراف والأعيان لتوديعنا.. ركبنا في العربات ثم ودعنا الجميع، وانطلقنا نحو حارة الشارع، وكان سماحة أخيه المقدّس مع ثقة الإسلام في عربة، وكان هذا العبد الفقير إلى الله مع الآغا ميرزا محمود ثقة الإسلام في عربة أخرى..

وهناك التفت إلى ناحيتي وقال لي: سماحة الآغا حسن؛ حيث أجد أن خطواتكم ومشاريعكم مناسبة؛ أريد أن أعرض عليكم آرائي حول تقدّم الإسلام، وما هي الأسباب التي تبلغ بهذه الفرقة إلى المدارج العالية، وما الذي يجب فعله من أجل طرد الأعداء من هذه الساحة..

لا شك في أن عقد نظام هذه الفرقة منفرط بشدّة، وإن قطع يد الأجانب والأعداء الآثمين أمسى في غاية الصعوبة والتعقيد.. بالإضافة إلى أن الآفات

الداخلية تزيد على مخاطر الأجنب، وإن نفاق أعداء الداخل هو الذي يمهد الأرضية لتآمر أعداء الخارج.. كنت ولا أزال أريد [...] ^(١) أن أجعل... أن أنظم وأرتب الأمور... وأن أجمع... ما يُسمى... باسم الاتحاد وبذلك... إلى تعزيز الدعائم، وبذلك على نبذ الفرقة... ويمكن العمل بشكل جيد على كافة الأمور المتفرقة... يمكن العمل على جمع، ولكن للأسف... في المنام وأحلام اليقظة... إن الأمر على هذه الشاكلة في غاية السوء... لا يكون ذلك وإن الاتحاد... لا يتحقق قطعاً، وقد قيل من قبل: إن اليد الواحدة لا تصفق.. ولكن لا يذهبن بك الظن إلى أنني قد تخلّيت عمّا عقدت عليه النية، وسوف أنجز ما نويته لاحقاً كما يجب إن شاء الله تعالى.. والقصد هو أن عليكم أن لا تغفلوا أو تتهاونوا، وإن عليكم بذل الجهد ما أمكنكم.. لا شك في أنكم قادرون على القيام بما تمليه هذه المسألة بشكل أفضل، وذلك لأن مدن... و... وغيرها إنما تخصّصكم، ولا دخل للأيدي الأجنبية فيها، وإن بإمكانكم العمل كما تشتهون، وبذلك فإني لا أشك في بلوغ النتيجة.. وتوجد في البين نقطة لا يلتفت إليها الجهّال من أبناء الفرقة، في حين أنها وحدها التي تمثل المفتاح إلى الرقي والازدهار.. ولذلك يجب على الدوام... أن نكون سعداء للغاية وأن ندعو الله ببقائها ودوامها بتضرّع كامل ومن صميم القلب، فهو سبب ومركز اجتماع شمل كل متفرّق.

وفي هذه الأثناء خرج أخوه المحترم سماحة الآغا ميرزا أبو الحسن خان من حديقة، ليقول لنا: أيها السادة، هل لكم أن تستريحوا هنا قليلاً.. والحقيقة أن هذه الاستراحة قد عكّرت صفو مزاجي بالكامل؛ إذ على الرغم من سعادتي البالغة عند سماعي للكلمات الناصحة لهذا العالم الفذ.. بل أرى أن كلامه الصادق والطافح بالحكمة يمثل كنزاً بالنسبة إلى نظريات

(١) نقاط الفراغ من المصدر؛ الأمر الذي يتعذّر معه فهم النص؛ وكأن الكاتب يريد أن يقول بلسان الحال: (في فمي ماء، وهل ينطق من في فيه ماء). (المعرب).

القادمة.. فالحق إنه يتمتع بهمة عالية وقراءة فلسفية للمستقبل.. إلا أنه كان يبدي في تضاعيف كلماته حسرة، وكنت بدوري في إثر كل حسرة، أنفث من جهتي آلاف الحسرات، وأقول: واحسرتاه! واحسرتاه! واحسرتاه! حتى ينقطع النفس.

لب بر سر لب نهاده خون بايد خورد^(١)

لا شك في أن القارئ المحترم سوف يعبر عن امتعاضه من الإلغاز في العبارات الأنفة، وقد يبدي استياءه من ذلك، ولكنني سوف أكشف الستار عن جميع ألغاز وشيفرات هذه الرحلة في أجزاء أخرى^(٢) عندما يحين الوقت المناسب إن شاء الله: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ﴾^(٣).

وصل سائر السادة والأعيان وجلس كل واحد منا في ناحية.. وبعد احتساء الشاي برغبة بالغة لساعة من الزمن قمنا بتوديع أصحاب السماحة من السادة وسائر القادمين المحترمين، واستوينا على مجموعة عرباتنا ذات الأحصنة الأربعة، لنواصل رحلتنا.. وفي جانب كان هذا الفقير إلى الله وسماحة أخيه المقدس في عربته.. وكان سماحة الحاج فخر الإسلام خسرو شاهي وعلي خان - الذي هو في طهران من أعيان دائرة الذات الملكية - في جانب آخر.. وكنا على الدوام نقطع الطريق عبر أراض جميلة وممرعة.



(١) المعنى: (يجب إطباق الشفتين.. وإيثار الموت بغصة).

(٢) يبدو من هذه العبارة للمؤلف أنه كان بصدد أن يردف هذه الرحلة بأجزاء أخرى تتجاوز مجرد الجزء الثاني المتمثل برحلة (حياة جاويد) (الحياة الخالدة)، إلا أنها لم تظهر إلى الوجود للأسف الشديد، وبقي حلّ هذه الألغاز التي وعد بحلها في تلك الأجزاء طيّ الكتمان للأسف الشديد. (المعرب).

(٣) الأنفال (٨): ٤٢.

[تركمانشاي!] قصة أمير أرسلان الرومي وقصصنا المملكية]

وبتنا الليلة الأولى في قرية (يوسف آباد)^(١).. والليلة الثانية في قرية (الناصرية)^(٢).. والليلة الثالثة في (قرّة تشمن)^(٣).. والليلة الرابعة في (تركمان شاي)^(٤).. إيه يا تركمان شاي، إنك لتستحضر عند ذكرها كل ما يهيج الأحزان، ويفتح الجراح القديمة.. إنها تختصر تاريخ بؤس إيران.. أي تركمان شاي؟!

من الخير لي أن أعرض عن ذكرها صفحاً.. بعد مضيّ ساعتين من الليل، دخلت لحاجة منزل حوذيّنا المشهدي إسماعيل - وهو للحق مؤمن متديّن -

(١) (يوسف آباد) أو (بستان آباد): واحدة من قرى أذربيجان الشرقية، في مركز قضاء (بستان آباد). (المعرب).

(٢) لم نتعرف على هذه القرية. (المعرب).

(٣) (قره تشمن): قرية من قرى محافظة أذربيجان الشرقية في قضاء (بستان آباد). (المعرب).

(٤) (تركمان شاي): قرية سكنية في قضاء (ميانه) من محافظة (أذربيجان الشرقية). وفيها تم إبرام معاهدة تركمن تشاي، وهي معاهدة مذلة تم إبرامها بتاريخ: ٢١ / فبراير / ١٨٢٨ م، الموافق لـ (٥ / شعبان / ١٢٤٣هـ)، وقد تم التوقيع عليها في العصر القاجاري بين إيران وروسيا إثر خسارة إيران جولة الحرب في القوقاز الجنوبي وأذربيجان، فتنازلت إيران بموجب ذلك عن أجزاء أخرى من أراضيها لصالح روسيا، ومن بينها خانات أيروان ونخجوان وطالش، كما سلب حق إيران في الملاحة في بحر قزوين، وتعهدت روسيا في المقابل بحماية السلطة القاجارية ودعم ولي العهد عباس ميرزا في حينها؛ ومن هنا تأتي حسرة صاحب الرحلة لدى ذكر هذه القرية. (المعرب).

كان إبريق الشاي الكبير (السماور) قائماً في ناحية، وصاحب المنزل وآخرون قد تحلقوا في جلستهم، وكان علي خان يقرأ لهم رواية (أمير أرسلان)^(١)، ويروي لهم قصة مجيء ملكة الآفاق سعيدة الطالع إلى مقهى الخواجة كاووس، وحوار إلياس الإفرنجي معها.. وكان الآخرون كلهم آذان يستمعون إلى هذه المختلقات والترّهات بسعادة بالغة..

للأسف الشديد لا يزال الإيرانيون - بل والمسلمون - المساكين لا يكفون عن الاستمتاع بسماع الأكاذيب والأساطير التي تهدر الوقت وتحول دون تقدّمهم وازدهارهم، وبذلك فاقمت من بؤسهم وتخلفهم، في حين أن (علي خان) هذا، كان شاباً كاملاً وعلى شيء من العلم، وقد مارس التدريس في المدارس المتوسطة في طهران وتبريز..

فقلت له: يا علي خان، ما هذا الذي تقرأ؟ فقال لي: سيدي، إنه كتاب

(١) قصة (أمير أرسلان) واحدة من أشهر القصص المحكية باللغة الفارسية، وهناك غموض حول مؤلف هذه الرواية، وقد رواها (نقيب الممالك) لناصر الدين شاه القاجاري، وكانت (فخر الدولة) بنت ناصر الدين شاه، تستمع إلى رواية القصة من خلف خصائص الباب، وتعمل في الوقت نفسه على تدوينها وتدعمها بالرسوم التوضيحية، وهكذا تمّ تخليد قصة أمير أرسلان. وخلاصتها كالآتي: (مقتل ملك شاه الرومي في حربه ضد السلاطين المعتدين، وهروب زوجته الحبلى وزواجها بعد ذلك من تاجر مصري اسمه الخواجة نعمان، لتلد بعد ذلك ولدها من صلب ملك شاه الرومي، وتسميه (أمير أرسلان)؛ فينشأ حتى يغدو شاباً وسيماً وشجاعاً، وبعد أن علم بأن أباه هو (ملك شاه) سارع إلى تجهيز جيش ليغزو به الروم ويستعيد تاج وعرش والده، وفي الأثناء رأى صورة (فرّخ لقاء) ابنة بطرس خان الإفرنجي، فوقع في حبها؛ فتخلّى عمّا كان بصده من استعادة العرش والتاج، وانطلق بحثاً عن (فرّخ لقاء). وكان لدى ملك الفرنجة وزيران منجّمان وهما: الوزير شمس، والوزير قمر، وكان شمس موافقاً لأرسلان، وقمر مخالفاً له. وبفعل شرور الوزير قمر، وقعت (فرّخ لقاء) أسيرة في قبضة الوحوش والعفاريت، فانطلق أمير أرسلان إلى إنقاذها من الأرض المسحورة، حيث قاتل الكثير من الشخصيات الخبيثة والشريرة، من أمثال: (ريحانة)، و(مرجانة)، و(سهيل) وغيرهم). (المعرب).

(أمير أرسلان)، ولكن هؤلاء هم الذين أجبروني على ذلك، وإلا فإن أمثال هذه الحكايات التي لا طائل من ورائها لا ينتج منها غير ضياع الوقت..

فقلت له: الآن، بدلاً من قصة عشق (فرّخ لقاء) و(أمير أرسلان) وخبث (الوزير قمر)، سوف أروي لكم تاريخ ملكة الآفاق ولعبة الساسان وحالات العاشقين الموتى وسياسات دواوين دول الجوار والأجانب؛ حيث ستجدون حلاوتها أعذب من لقاء (إلياس الإفرنجي) بـ(فرّخ لقاء) في مقهى الخواجة كاووس وقتل أمير أرسلان للشيخ الساحر زال في أرض ملك جان..

ومأساتها أشدّ وقعاً من الصفعة التي تلقاها أمير أرسلان عند نزعه الطوق من رقبة (فرّخ لقاء)، وقطع رأسه، وقتل التين على يد (الوزير شمس)، وسقوط الملكة في الأغلال الفولاذية لدرع المارد، وتشرد سلطان الروم.. وبذلك فقد وجدت نفسي مجبراً على التقدّم والجلوس في حلقتهم.. ترك علي خان قراءة الكتاب، ووضع المشهدي إسماعيل أمامي فنجاناً من الشاي.. فأخذت أولاً أشرح لهم صفة لعبة الساسان، ثم رويت لهم القصة مع ذكر تاريخها.



ملكة الآفاق/ لعبة الساسان^(١)

هي سيّدة وفيّة.. إنها روضة غناء، وإن قامتها الفارعة أنشأت آلاف أشجار الصفصاف والصنوبر، وعينها الخمرية تسبي صاحب كلّ نظرة، وجسمها البلوري قطعة من ذهب، ووجنتها المشرقة تزري بضياء الشمس، وخنجر حاجبيها يصيب الأكباد في صميمها.. وانحناءة جدائلها تطيح بالشجعان وفحول الرجال.. وإن ساعديها العسجديتين كغصنين بلوريين.. ووجهها الموشوم كأنه بحر من النور.. وظفائرها العنبرية ريحان وياسمين.. إنها جنة عدن من الرأس إلى أخمص القدمين.. إن اللسان ليعجز عن بيان أوصافها، والقلم يكبو في تعداد مآثرها.. مهما بالغت في وصفها لن أكون سوى مقصّر.. ومهما كتبت عنها لن أفي حقها.. إن الخيال يتيه عند تصوّرها، ويضلّ في تعجبه وانبهاره.. ويرزح العقل عند تفكيره بها في بئر بابل ويغدو هناك قريناً لـ (هاروت وماروت)^(٢).. إنها حبيبة أنشأت عشاقها

(١) تحت هذا العنوان يعتزم مؤلف الرحلة أن يصف واقع إيران، ويتغلز بها شارحاً حقيقة ما كانت عليه في الماضي، وما آلت إليه في الحاضر، كبديل عن الاستماع إلى قصص وأساطير لا أساس لها من الصحة، ولا تمثل سوى مخدر لذاكرة الشعوب وملهة لهم عن الواقع البائس. (المعرّب).

(٢) قال الصادق عليه السلام: (وكان بعد نوح عليه السلام قد كثر السحرة والمموهون، فبعث الله تعالى ملكين إلى نبي ذلك الزمان بذكر ما يسحر به السحرة، وذكر ما يبطل به سحرهم، ويرد به كيدهم، فتلقاها النبي عن الملكين، وأداه إلى عباد الله بأمر الله، وأمرهم أن يقفوا به على السحر وأن يبطلوه، ونهاهم أن يسحروا به الناس، وهذا كما يدل على السم ما هو، =

في حجرها.. وغذتهم بلبن أئدائها الرمانيتين.. إنها معشوقة ترعرع في أحضانها الآلاف من أمثال (رستم بن زال)^(١).. وأجلست مئات من أمثال بلال لغرض الجمع بين الواليتين.

هر لحظه زند بانك: ألا حيّ على الحُسن آن خال سیه فام که مانند بلال است^(٢)

=وعلى ما يدفع به غائلة السم، ثم يقال لمتعلم ذلك: هذا السم فمن رأيت سم فادفع غائلته بكذا، وإياك أن تقتل بالسم أحداً، ثم قال: (وما يُعَلِّمانِ مِنْ أَحَدٍ) وهو أن ذلك النبي أمر الملكين أن يظهرها للناس بصورة بشرين، ويعلماهم ما علمهما الله تعالى من ذلك ويعظاهم فقال الله تعالى: (وما يُعَلِّمانِ مِنْ أَحَدٍ) ذلك السحر وإبطاله (حَتَّى يَقُولَا) للمتعليم (إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ) امتحان للعباد ليطيعوا الله تعالى فيما يتعلمون من هذا، ويبطلوا به كيد السحرة، فلا يسحرونهم. قوله تعالى: (فَلَا تَكْفُرْ) باستعمال هذا السحر وطلب الإضرار به ودعاء الناس إلى أن يعتقدوا به أنك تحيي وتميت، وتفعل ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، فإن ذلك كفر. قال الله تعالى: (فَيَتَعَلَّمُونَ) يعني طالبي السحر (مِنْهُمَا) يعني مما كتبت الشياطين على ملك سليمان من النيرنجات، وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت، فيتعلمون من هذين الصنفين (ما يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ) هذا يتعلم للإضرار بالناس، يتعلمون التفريق بضروب من الحيل والنمائم، والإيهام أنه قد دفن كذا وعمل كذا، ليغضب قلب المرأة على الرجل، وقلب الرجل على المرأة، ويؤدي إلى الفراق بينهما. ثم قال الله عز وجل: (وما هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) أي ما المتعلمون لذلك بضارين به من أحد إلا بإذن الله، بتخليه الله وعلمه، فإنه لو شاء لمنعهم بالجبر والقهر. ثم قال: (وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ) لأنهم إذا تعلموا ذلك السحر ليسحروا به ويضروا، فقد تعلموا ما يضرهم في دينهم ولا ينفعهم فيه، بل ينسلخون عن دين الله بذلك (وَلَقَدْ عَلِمُوا) هؤلاء المتعلمون (لَمَنِ اشْتَرَاهُ) بدينه الذي ينسلخ عنه بتعلمه (ما لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ) نصيب في ثواب الجنة البرهان في تفسير القرآن، ج ١ ص ٣٥٣.

(١) (رستم) أو (رستم دستان) أو (رستم زال): بطل ومغامر أسطوري فارسي. تغنى به الفردوسي في ملحمة (الشاهنامه). أبوه زال، وأمه رودابه، وهو حفيد كرجاسب. وكان مقتل رستم على يد أخيه غير الشقيق (شغاد). (المعرب).

(٢) لم نعثر على قائل هذا البيت، ومعناه: (في كل لحظة يهتف قائلاً: ألا حيّ على خير الحُسن.. ذلك الخال الأسود الذي يشبه في اللون بلالاً).

إن الآلاف من أمثال (برويز) هاموا في أودية هواها.. وقد عمّرت لأكثر من ستة آلاف سنة، حتى رأت تعاقب القرون والدهور.. وترعرع في كنفها الكثير من أمثال (خسرو).. ولها أكثر من ألف سنة حيث بلغت حدّ الاعتدال.. ولها ستة قرون وهي متربّعة على عرش الكمال.

لقد حملت تيجان الملوك لأحقاب متعاقبة من الزمن.. وتمنّعت على الأفلاك والنجوم.. وأخذت قصب السبق في القيادة من القياصرة والخواقين.. وابتلت في بعض الأحيان بـ (أفراسياب)^(١) و(فغفور)^(٢).. ووقعت عاجزة في مخالب (جنكيز)^(٣) و(تيمور)^(٤).. ولكنها مع ذلك كانت في أغلب الأوقات سعيدة ضاحكة ومسرورة فرحة.

(س)

به سر افسر و همدمش وقت و بخت بكف خنجر و مالك تاج و تخت^(٥)

(١) (أفراسياب) ملك أسطوري طوراني معادٍ لإيران والإيرانيين، وهو نجل (بشنك) على ما ورد في ملحمة أبي القاسم الفردوسي (الشاهنامه). وكان مقتل أفراسياب على يد (كيخسرو). (المعرب).

(٢) (فغفور): لقب يطلق على ملك الصين أياً كان هذا الملك، وهي كلمة فارسية مركبة من كلمتين: (فغ) بمعنى: الإله أو الصنم، و(بور) أو (فور) بمعنى: (الابن)، والمجموع يعني: (ابن الآلهة). (المعرب).

(٣) (جنكيز خان): مؤسس الإمبراطورية المغولية، حيث عمل على توسيع رقعة إمبراطوريته - التي تعدّ من أضخم الإمبراطوريات في التاريخ - بعد أن ألف جيشاً كاسراً من القبائل المترحلة في شمال شرق آسيا، وكان في فتوحه يعتمد سياسة الأرض المحروقة. (المعرب).

(٤) (تيمور) ويعرف أيضاً بـ (تيمور لنك) (١٣٣٦ - ١٤٠٥ م): قائد عسكري أوزبكي. مؤسس السلالة التيمورية في أواسط آسيا. وتعني كلمة (لنك): الأعرج. و(تيمور) بالأوزبكية تعني: الحديد. وكان في حروبه مثل (جنكيز خان) في اعتماد سياسة الأرض المحروقة. (المعرب).

(٥) المعنى: (على رأس قائد، ونديمها الوقت والحظ.. وفي يدها خنجر، وهي مالكة للتاج والعرش).

ببزم اندرش صد چو بوزرجمهر بسقف اخترش زهره و ماه و مهر^(١)
به درگاه وی جمله گردنکشان بصف گاه وی فوج شاهنشاهان^(٢)

أذلت بأناملها الناعمة المخالب الفولاذية للغادرين.. وأسقطت بساعديها الجميلين آلاف الأبطال من المشاهير.. واعتلت على ظهر الأسد الهصور وفي كفها المئات من أمثال اسفنديار واقتحمت صفوف الأعداء.. من المغرب إلى المشرق.. ومن يثرب إلى الغرب، حيث أخضعت الجميع لسلطانها وعنفوانها.. ما أكثر أشجار السرو التي نمت في مهد وجودها الذهبي.. وما أكثر الأزهار والأقاحي التي نثرتها في مجالس أفراحها؟! وسبت برمشة واحدة من عينها الصائدة آلاف القلوب، وسجد لعينها الناعسة - التي تحاكي عيون الطي - مئات الصيادين. هنيئاً لمن دخل في خيمتها المطعمة بالذهب، وتجوّل في ظلّ ربوعها.. ظلّ الغرباء والأعداء حيارى واجمين، يعصّون على أصابعهم في ضيق وقلق، لا يستطيعون مواجهتها، ولا يقدرّون على مجادلتها؛ فخضعوا ساكتين، وانزوا في جانب مطأطئين رؤوسهم، إن تقدموا تعرّضوا لطعنة خنجرها، وإن ولّوا الأدبار تعثروا بغدائرها.. سهام ألحاضها معدّة للانطلاق من تحت حواجبها.. عينها الساطعة ترصد الأعداء.. وهي بهذه العظمة والجلال تميز كل لحظة في ناحية، وتجلس عشاقها على عرش الإجلال والكرامة..

لكن ويا للأسف، أسفاً ليس له حد؛ فهي الآن بقوامها العسجدي قد افترشت تراب المذلة، ووجهها الجميل ساقط على صخرة الهوان، وجنحت شمس إقبالها نحو الأفول، وانتكس بريق سلطانها واقتدارها، وانحنت

(١) المعنى: (في حفل عرسها مئات من أمثال بزرجمهر.. وفي سقف نجمها الزهرة والشمس والقمر).

(٢) المعنى: (على أعتابها يسقط جميع الطغاة.. وتقف لها احتراماً أفواج ملوك الملوك).

قامتها الفارعة، وشحب لونها بعد النظرة والازدهار، وذبلت شفاهها الضاحكة، وأمست نظرتها الفاتنة عديمة الروح.. واضطرب شعرها، وأصبحت جدائلها تحاكي جدائل الدراويش!

يار پريشان وزلف يار پريشان شهر پريشان و شهر يار پريشان^(١)

إنها والهة حيرى تنظر إلى شتى الاتجاهات، وفي كل لحظة تلقي نظرة حسرى على صغارها، وهي تقول متأوّهة: (وا ناصراه، وا معيناه)!.. لا تملك قدرة على فعل، ولا طاقة على قول، وقد أمسكت برائن وحوش الشمال بجدائلها، وسحبت ثعالب الجنوب بقدميها وقيدتها في شباك الألاعيب السياسية، والأصدقاء الجاهلون في الداخل قد عشنشوا في جسمها مثل الديدان يقطعون أوصالها قطعة قطعة، حتى أصبح الأب الحنون والأم المضحية كلاهما في حالة من الاحتضار ونزع الروح، ليس لهم معين ولا ناصر ولا يد حانية ولا قلب مشفق.. (اللهم أطل عمر والديّ وارحمهما كما ربياني صغيراً).

هذه جملة من صفات ملكة لعبة الساسان.. وأرجو أن أتمكن في الليالي القادمة من أن أروي لكم بقية حكايتها، وإن كانت حكايتها لا تنتهي.



(١) البيت للشاعر الفارسي أبو نصر فتح الله خان الشيباني الكاشاني (١٢٠٤ - ١٢٦٩ هـ ش): كاتب وشاعر، وناقد للسلطة القاجارية. ومعنى البيت: (الحبيب مضطرب وشعره مضطرب.. والمدينة مضطربة والسلطان مضطرب). (المعرب).



[المحطة العاشرة: ميانج/زنجان]

[المحطة العاشرة: ميانج/زنجان]

وقد بدأت منذ الليلة التالية - التي هي الليلة الثانية عشرة، حيث منزلنا في (ميانج)^(١) - أروي لهم تاريخ إيران وأخبار الأئمة المعصومين عليهم السلام بما يساعد على تطوير أفكارهم ويرفع من مستوى غيرتهم، ويعمل على رفع شعار الإسلام. وهكذا واصلت الأمر إلى حين الوصول إلى طهران مكرهاً؛ كي أتمكن إخوتي في الإسلام من الخوض في هذه اللطائفات والترهات [الواردة في أمثال قصة (أمير أرسلان)]^(٢).

في اليوم الثاني عشر عبرنا سلسلة جبال (قافلان كوه).. وفي الليلة الثالثة عشرة نزلنا في (سرجم)^(٣).. وفي [الليلة] الرابعة عشرة نزلنا في (نيكجه)^(٤)..

(١) (ميانج): اسم قرية في مقاطعة (ماهنشان) من محافظة (زنجان)؛ ويبدو أن هناك قرية أخرى بهذا الاسم في ذات المحافظة، ولكنها تقع في مقاطعة (أنجوران)، وعلى كل حال يجب عدم الخلط بين (ميانج) وبين قضاء (ميانة) الواقع إلى أقصى الجنوب الشرقي من محافظة (أذربيجان الشرقية). كما يبدو ذلك في غلاف النسخة (ب) من هذه الرحلة؛ حيث تشير خارطة الطريق إلى (ميانة) سهواً بوصفها محطة عاشرة في هذه الرحلة! (المعرب).

(٢) ما بين المعقوفتين إضافة توضيحية من عندنا. (المعرب).

(٣) (سرجم) وهي إما (سرجم السفلى) أو (سرجم العليا): وكلتاها من قرى قضاء (زنجانرود) في محافظة (زنجان). وقد بلغ عدد سكان (سرجم السفلى) طبقاً لإحصاء عام ٢٠٠٦ م ١٠٣ شخصاً (٢٦ أسرة)، كما بلغ عدد سكان (سرجم السفلى) طبقاً لإحصاء عام ٢٠١٦ م ١٥٥ نسمة (٤٥ أسرة). (المعرب).

(٤) هكذا ورد في النسخة (أ)، وفي النسخة (ب) (ينگجه) وهو الصحيح، كما ورد ضبطها بـ (ينگيجه) أيضاً، وهي قرية من أعمال قضاء (زنجان) من محافظة (زنجان). (المعرب).

وفي صبيحة اليوم الرابع عشر توجهنا نحو مدينة (زنجان).. كانت (محال خمسة)^(١) مقاطعة مزدهرة جداً؛ فهي زاخرة بالقرى الخضراء والجميلة ذات المناخ الرائع.. وبعد خمس ساعات من ارتفاع النهار، لاح لنا على البُعد رجل كبير في السن يعدو نحونا؛ فأمرنا المشهدي إسماعيل بالتوقف؛ وصل الرجل إلينا ودعانا إلى تناول الغداء في داره.. فقبلنا دعوته ظناً منا أنه قد أراد أن يصيب منا هدية مجزية.. انحرفنا عن الطريق العام مسافة تقدر بخمسمئة قدم، حتى وصلنا إلى قرية متواضعة، ودخلنا هناك كوخاً من الطين، يغلب السواد على بابه وجدرانه، وكان هناك عدد من الرجال منشغلين بطحن الرز، وكانت مجموعة من النساء قد انهمكن في ناحية بتنقية القمح، جلسنا في حجرة شديدة الفقر والتواضع، كان هناك موقد (كرسي) للتدفئة قليل الارتفاع في الوسط، مغطى بملاءة قذرة..

أشار صاحب الدار؛ فهبّ جميع أفراد الأسرة إلى إعداد وجبة الغداء والسعادة تغمرهم، وهم ينتقلون مسرعين إلى شتى الاتجاهات، وكان الرجل الكبير يعرب عن امتنانه بشتى العبارات، ويشكرنا على قبول الدعوة.. وقام في الأثناء بإعداد السماور^(٢)، وهو يرطب قلوبنا من حين لآخر بمختلف أنواع كلمات الترحيب..

(١) (محال خمسة): هو الاسم الآخر لمحافظة (زنجان)، وزنجان لفظ معرّب عن (زنگان). وهناك رأيان في بيان الوجه في تسمية (زنجان) بـ(خمسة)؛ الرأي الأول، يعيد هذه التسمية إلى استيطان خمسة قبائل في هذه المنطقة. والرأي الثاني على ما هو مذكور في (لغت نامه دهخدا) أن قضاء (زنجان) كان مؤلفاً من خمس مقاطعات باسم: حرمة، وأبهرود، وقيدار، وماهنشان، وسردان. (المعرّب).

(٢) في الأصل: (سماور هشترخاني)؛ بمعنى: السماور المنسوب إلى مدينة (هاشتر خان)، وتعود بجذورها إلى (حاج طرخان): ميناء يقع إلى الجنوب الشرقي من روسيا، وهو من الموانئ الهامة في بحر قزوين حيث يقع إلى جوار مصبّ نهر الفولغا. ويبدو أنه كان مركزاً لاستيراد وتصدير البضائع التي تتصف بالجودة العالية، وربما كان السماور المذكور أعلاه من بين البضائع التي يتم تصديرها من ذلك الميناء إلى إيران آنذاك. (المعرّب).

ثم قام سماحة أخي المقدّس لإقامة صلاة الظهر؛ فاقتدينا به جميعاً؛ وركض صاحب الدار إلى الخارج موفور النشاط لا يعرف رأسه من قدميه من فرط السعادة والفرح، وهو ينادي على أصحابه بلهجة تركية: (آي أوشاق^(١)).. آي أوشاق.. هلمّوا إلى الصلاة؛ إن هذا الرجل مجتهد ولم نعرفه!.. يا له من حظ سعيد حلّ في ربوعنا)..

فترك الجميع أعمالهم من شيوخ وشباب، وسارعوا إلى إسباغ الوضوء، والتحقوا بصلاة الجماعة.. وبعد إقامة الصلاة حضر طعام الغداء، وكان عبارة عن مرق الدجاج، واللبن، والخبز الطازج، بالإضافة إلى البطيخ الأحمر الذي كان في غاية الحلاوة؛ لقد بذل المساكين ما يفوق قدرتهم في حسن الضيافة..

تناولنا الغداء واحتسينا الشاي بشهية كبيرة؛ ثم نهضنا وخرجنا من الدار استعداداً لمواصلة المسير، وهنالك أخرج الحاج فخر الإسلام هدية ليتحف بها صاحب الدار، ولكنه امتنع من أخذها، وقال: أنا لم أفعل شيئاً أستحق عليه أخذ الهدية، وكل ما قدّمته إنما هو ملك لكم، ويكفيني منكم دعاء واحد يغنيني في الدنيا والآخرة.. فأخذ كل واحد منا يتحفه بأنواع الشكر والامتنان، ثم ركبنا جميعاً وانطلقنا نحو مدينة زنجان.

للحق والإنصاف فإن كرم هذا الرجل وأخلاقه الفاضلة قد طوّقت أعناقنا بحق، في حين لم يكن أيّ واحد منا يعرف الآخر.



(١) (أوشاق): كلمة تركية: تعني: الولد أو الشاب اليافع. (المعرب).

[حوار بين طالبين أحدهما متسرع، والآخر سفيه]

وبعد ساعة دخلنا مدينة زنجان، وبتنا ليلتنا هناك بهدوء وسكينة بالغة.. وفي اليوم الثاني حيث كان يوم إقامة لنا خرجنا لتفقد معالم المدينة، ومن المعروف أن مدينة زنجان تشتهر بمدارسها العلمية الكثيرة والأعداد الكبيرة من الطلاب، وكان من الأفضل أولاً أن أزور أبناء طبقتي، وأن أستعيد ذكرى: (ضرب زيد) و(أكل عمرو)، وأرى ما عليه وضعهم وترتيب أمرهم.. ظهر لي باب كبير له مصراعان، وبعد السؤال اتضح أنه هو المقصود.

بسم الله الرحمن الرحيم
﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِينَ﴾^(١)..

دخلتها بشوق عارم.. كان ضجيج بحث الطلاب قد بلغ عنان السماء.. كانت هناك من جهة مطاردة [بين الفاعل والمفعول وقد وضعت عصا بيد]^(٢) زيد [لتأديب] عمرو، وفي ناحية أخرى كانت دماء خالد مطلولة، وبكر قد توارى عن الأنظار.. يا لها من ساحة حرب ضروس تحاكي ساحة المحشر، لقد انقلب مزاجي من هذا الدرس والتدريس.. توجهت إلى شخص لعلّي أجد لديه ما يساعدني على بثّ حزني واعتصار قلبي، وأردعه عن هذا

(١) الحجر (١٥): ٤٦.

(٢) ما بين المعقوفتين غير موجود في النسخة (أ)، وإنما وجدناه في النسخة (ب).

السلوك المجنون؛ ولكن ما إن اقتربت منه [حتى صدرت عنه ضحكة هستيرية]^(١) حملتني على الانسحاب بهدوء ورجعت القهقري..

وهناك رأيت طالبين تركيين قد أمسك كل واحد منهما بتلابيب الآخر، واحتدم بينهما نزاع عنيف وحمل بينهما الوطيس.. كان مشهداً غريباً يتطير فيه السباب والجدل باللغة التركية.. كانا لا يفتآن ينهضان ثم يعودان إلى الجلوس، وفي بعض الأحيان يلوح كل منهما بكتابه ناحية الآخر يهمل بضربه به.. كان أحدهما معمماً والآخر يضع على رأسه قبعة ويعاني من اللكنة والتأتأة.. كانت عروق رقبة المعمم بارزة، وعلى حاجبيه مئات العُقَد..

[أوغلان]^(٢)، للأسف لم أعرف من اليوم الأول أنك شيخي، وإلا لما رضيت بالتباحث معك!..

كان صاحب القبعة غاضباً وكأنه صالية الجمر؛ فردّ عليه قائلاً:

كه، كه، كده قمش قوما.. أنا بدوري لم أكن أعرف أنك ناصبي، وإلا لما سمحت لنفسني بأخذ العلم عنك..

كان النزاع بينهما قد بلغ حدّاً بحيث كان كل واحد منهما على استعداد لكي يشرب من دم غريمه.

فقلت في نفسي: من الخير أن أقيم الصلح والوثام بين هذين المسلمين الأبلهين الجاهلين، وبدا أنهما بدلاً من البحث العلمي قد دخلا في شجار مذهبي وهمي..

حملت نفسي بصعوبة على الدخول بينهما، وألقيت التحية والسلام

(١) ما بين المعقوفتين إضافة توضيحية من عندنا للدلالة على ما ورد في النص غامضاً، وقد اعتمدنا فيه على غلبة الظن. (المعرب)

(٢) ما بين المعقوفتين، كلمة تركية تعني: (الصبي) أو (الغلام)، وهي في النص أعلاه، تفيد الاستخفاف والاحتقار بالخصم، وتعني أنه مجرد شخص غر لا يفقه شيئاً. (المعرب).

عليهما.. فردّ كلاهما على تحيتي، وعادا إلى مواصلة ما كانا فيه من النزاع الذي لم يكتمل بينهما..

فتوجّهت بخطابي أولاً إلى الشخص المعمّم وسألته باللغة التركية: ما هي المسألة يا أخي، ألا تستطيعان النقاش بهدوء، أم أن الجدل والسباب من شروط التدريس ونحن لا ندري؟!

فقال الرجل المعمّم: كلا، أنت مخطئ؛ فإن نزاعنا لا يدور حول الدرس - وإن كنت لا أعلم أنك معي أم ضدي - ومع ذلك أقول: أنا منذ عدّة أشهر أدرّس هذا الشاب (شرح اللمعة)^(١)، ظناً مني أنه على مذهبي وديني، حتى تبين أنني (متشرّي)^(٢) وهو (شيخي)، وقد تمكن حتى الآن من كتمان حقيقة دينه..

فقفز الشاب الأثغ من مكانه وأمسك بتلابيب المعمّم وصرخ في وجهه: قه، قه، قلب ايلمه وه، وه، وهل أنا خائف منك ومن أمثالك، أو أن هناك نقص في ديني حتى أسعى إلى إخفائه عند، بل عليك أنت أن تخفي دينك حيث تنكره.

فقلت له: يا أخي [هوّن عليك، وتذكر قول الله تعالى]^(٣): ﴿وَالْكَاظِمِينَ

(١) (اللمعة دمشقية في فقه الإمامية)، تأليف الشهيد الأول الشيخ شمس الدين محمد بن جمال الدين مكي العاملي الجزيني المستشهد سنة ٧٨٦ للهجرة. قيل إنه ألفه في سبعة أيام في محبسه بقلعة دمشق، بطلب من شمس الدين محمد الآوي أحد أنصار السلطان على بن المؤيد آخر سلاطين دولة السربداران (المصلوبون)؛ ليكون مرجعاً لدولتهم في خراسان؛ ولم يكن بحوزته من مصادر الفقه الشيعي في حينه سوى المختصر النافع للمحقق الأول. (المعرب)

(٢) هكذا في الأصل (متشرّي) والصحيح (متشرّع)، وقد أصّر كاتب الرحلة على كتابتها بهذا الشكل أكثر من مرّة على لسان هذين الشخصين، لكي يكشف - على ما سيبدو - عن جهل هذين المتخاصمين حتى في النطق الصحيح بهذه الكلمة. (المعرب).

(٣) ما بين المعقوفتين إضافة توضيحية من عندنا. (المعرب).

أَلْفَيْظٌ^(١). قل لي أولاً ما اسمك؟.. فقال الأئثم: إس، إس، إس، إسمي سي، سي، سيف علي.

فقلت له: يا سيد سيف علي، وهل هناك في دينكم أصولاً أو فروعاً تختلف عن بعضها حتى تنتفضان هكذا وتتنازبان بالألقاب؟!

فقال سيف علي: كل كل كلا، أنا لم أختار لنفسي اسماً؛ فأنا جعفري اثني عشري، وهؤلاء يسموننا بـ(الشيخية)، ويسمون أنفسهم (مشرية)^(٢)، وليس بيننا وبينهم اختلاف في الفروع أيضاً، وإلا لما قرأت عنده شرح اللمة!

فقال المعمم: كلا، إنه يكذب.. هناك اختلاف من السماء إلى الأرض في الفروع بين هاتين الفرقتين.. فقلت: تمهل يا أخي، كي أستمع إلى ما يقول.

قال سيف علي: بل، بل، بلى.. إن الاختلاف الموجود بيننا يكمن في أن هؤلاء ينكرون فضائل أهل البيت [عليهم السلام]، بيد أن الذي نفهمه ولا يكون من الشرك ولا ينقض توحيد الله، فسوف نقبله ونرتضيه.. وأما إذا لم نفهمه فسوف نذره؛ فقد روي عنهم: (إذا ورد عليكم خبرنا وفهمتموه فاشكروا الله - عز وجل - وإن لم تفهموا فذروه في سنبله)^(٣).. لا نرفضه وننكره فنكون من الكافرين؛ كما ورد عنهم في موضع آخر: (ولا تردوا فتكفروا)^(٤).

(١) آل عمران (٣): ١٣٤.

(٢) أي: (مشرية).

(٣) ورد مضمون هذه الرواية في موسوعة (بحار الأنوار) للعلامة المجلسي، عن الإمام الباقر عليه السلام، بلفظ: (بنا أنقذكم الله عز وجل وبنا هداكم الله، ونحن والله دللناكم على ربكم؛ فقفوا على أمرنا ونهينا ولا تردوا كل ما ورد عليكم منا فإننا أكبر وأجل وأعظم وأرفع من جميع ما يرد عليكم، ما فهمتموه فاحمدوا الله عليه، وما جهلتموه فكلوا أمره إلينا وقولوا: أئمتنا أعلم بما قالوا). (المعرب).

(٤) وردت عدة روايات بهذا المعنى، منها ما ورد عن أبي جعفر عليه السلام: (فما ورد عليكم =

فقلت له: حسناً، كل الذي ذكرته صحيح.. إلّا ما نسبته إلى محبّي أهل البيت من الإنكار؛ إذ أخطأت في هذه النقطة، لأنهم بريئون من هذه النسبة ومنزهون من هذه التهمة.. فما هي نسبة الحب إلى الإنكار! وما هي علاقة المودة بالعداوة!.. فكيف تنسب نفسك إلى آل الرسول وتعزل عن تعاليمهم؟! وهل الأخبار والفضائل في غير الكتب الأربعة المقبولة والمتفق عليها من قبل كافة علماء الإثنى عشرية؟! ألم يصدّق الجميع بـ (بحار)^(١) مولانا المجلسي (عليه الرحمة)؟!.. فما هذه النسبة التي لا تقوم على أساس وتخالف الوجدان التي تعزف على وترها؛ إذ تلصق بالشيعة نسبة الإنكار والنصب؟! ألم يقل إمامك: (ليس الناصب من نصب العداوة لنا، إنما الناصب من نصب العداوة لشيعتنا)^(٢)!.. على هذا يمكن وصفك بالناصري؛ إذ تنصب العداء لشيعة أهل بيت العصمة عليهم السلام! وهنا بان الانسراح والانبساط على وجه المعمّم وتفتحت أساريه، وأخذ ينظر إلّي نظرة ودّ حانية.

فقال سيف علي: حَس، حَس، حسناً، سَي، سَي، سيّدي، أوليست فرقنا محبة لأهل البيت عليهم السلام، وهذا أيضاً يعاديننا..

=من حديث آل محمد فلانت له قلوبكم وعرفتموه فاقبلوه، وما اشمأزت منه قلوبكم وأنكرتموه فردوه إلى الله وإلى الرسول وإلى العالم من آل محمد، إنما الهالك أن يحدث أحدكم بشيء لا يحتمله فيقول: والله ما كان هذا، والله ما كان هذا، والانكار هو الكفر) تفسير البرهان، ج ٥ ص ٨٥٨.

(١) المراد هو كتاب (بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار) للعلامة محمد باقر المجلسي.

(٢) ورد ما يُشبه هذا المضمون في موسوعة (بحار الأنوار) للعلامة المجلسي، وفي (وسائل الشيعة) للحرّ العاملي، عن الإمام الصادق عليه السلام، بصيغة: (ليس الناصب من نصب لنا أهل البيت؛ لأنك لا تجد رجلاً يقول: أنا أبغض محمداً وآل محمد، ولكن الناصب من نصب لكم، وهو يعلم أنكم تتولونا وتبرؤون من عدونا وأنكم من شيعتنا). (المعرب).

فقلت له: لا تعجل، لدي كلمتان أقولهما له، فأنا أعرف مكمّن الخطأ عنده أيضاً.

ثم توجهت إلى الرجل المعّمّ وسألته: ما اسمك؟ فقال: (عبدالله).. فقلت له: يا ملا عبدالله، لقد عرّفت عن نفسك أولاً بقولك: (إني متشرّي)، وإنه (شيخي)، وبذلك فقد جانب الصواب إلى حدّ كبير؛ فأنت (متشرّع) قبل كل شيء، ولست (متشرّي)! وهذا الرجل هو الآخر متشرّع إن شاء الله. ثمّ إنك قلت: (إن هناك اختلافاً في الفروع من الأرض إلى السماء بين هاتين الفرقتين)، وهذا ما لم أفهمه، فما هو الفرق والاختلاف بينهما ولم يبلغني؟!..

فقال عبدالله: إذا التزمتما الصمت ولم تقطعا كلامي، أمكن لي بيان الفرق والاختلاف بشكل جيد، وإن كان هناك اختلاف كبير حتى في الأصول أيضاً، ولكني لا أستطيع إثبات ذلك! قلت له: إنما جئت للتوفيق بينكما، ولا شك في أنني أستمع إلى ما تقول وسوف أحكم بينكما بالإنصاف، وسوف أضمن صمت الآغا سيف علي حتى تنتهي ممّا تريد قوله.

فقال الملا عبدالله: أقول في المقدمة أولاً: إني كنت كلما سمعت الأقوال الباطلة والعقائد العاطلة لهذه الطائفة - سواء في الأصول أو الفروع - كان الغضب يبلغ مني مبلغاً حتى كنت أهمّ بشتهم وسبهم، ولكن حيث ورد في المأثور عن مولى المتقين وأمير المؤمنين علي عليه السلام، أنه قال: (ما بين الحق والباطل أربعة أصابع)؛ فصّدّق ما ترى، وكذب ما تسمع^(١)؛ وعليه لا ينبغي بالمسلم أن يعتمد على ما يطرق سمعه من

(١) وقد روي هذا المضمون في موسوعة (بحار الأنوار) للعلامة المجلسي، عن أمير المؤمنين، بصيغة: (أما إنه ليس بين الحق والباطل إلّا أربع أصابع)؛ فسئل عن معنى قوله هذا، فجمع أصابعه ووضعها بين أذنه وعينه، ثم قال: (الباطل أن تقول: سمعت، والحق أن تقول: رأيت). وقد روي مثله عن الإمام الحسن المجتبي عليه السلام، أيضاً. (المعرب).

الأقوال؛ [إذ قال الله تبارك وتعالى] ^(١): ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ ^(٢).. ومن هنا فقد بحثت في كتبهم ومصنفاتهم، حتى حصلت بعد جهد جهيد على (شرح الزيارة [الجامعة الكبيرة]) للشيخ أحمد الأحسائي ^(٣)، وكتاب (الجامع) للحاج محمد كريم خان ^(٤)، و(الرسالة الفارسية) لنجدة الأكبر الحاج محمد خان ^(٥) - عليهم

(١) ما بين المعقوفين إضافة من عندنا. (المعرب).

(٢) الإسراء (١٧): ٣٦.

(٣) هو الشيخ أحمد بن الشيخ زين الدين الأحسائي، ولد في الأحساء في قرية (المطيرفي) في شهر رجب سنة (١١٦٦هـ). من مشائخ إجازته: الشيخ أحمد الدمستاني البحراني، السيد ميرزا محمد مهدي الشهرستاني، الشيخ جعفر بن الشيخ خضر النجفي، السيد مهدي الطباطبائي بحر العلوم، الشيخ حسين آل عصفور البحراني، السيد علي الطباطبائي. تتلمذ عليه العديد من العلماء وأجاز الكثير من مراجع الطائفة، ومنهم: السيد كاظم الرشتي، الشيخ محمد حسن النجفي صاحب كتاب الجواهر، الميرزا حسن الشهير بكوهر، الشيخ أسد الله التستري الكاظمي، الشيخ محمد إبراهيم الكلباسي صاحب كتاب الإشارات، السيد عبدالله شبر، ابنائه الشيخ محمد تقي والشيخ علي نقي والشيخ عبدالله. له مؤلفات كثيرة في مختلف العلوم والمعارف، أهمها: شرح الزيارة الجامعة الكبيرة، وشرح الفوائد، وشرح العرشية وشرح المشاعر للملا صدرا، شرح تبصرة العلامة الحلي، وقد ذكر في أعلام هجر للسيد هاشم الشخص (١٧٣) كتاباً ورسالة. توفي أعلى الله مقامه يوم الأحد (٢٢) من ذي القعدة سنة (١٢٤١هـ) في منطقة يقال لها (هدية) ما بين المدينة ومكة، ونقل جثمانه إلى المدينة المنورة، ودفن في البقيع خلف الحائط الذي فيه أئمة البقيع عليهم الصلاة والسلام. [راجع سيرة الشيخ الأوحى بخطه، سيرة الشيخ بقلم ابنه الشيخ عبدالله، دليل المتحيرين للسيد الرشتي، أعلام هجر، ج ١].

(٤) هو الحاج الشيخ كريم بن إبراهيم خان والي كرمان، ولد في ليلة الخميس الثامن عشر من شهر محرم سنة ١٢٢٥هـ في كرمان ونشأ بها. تتلمذ أولاً في كرمان، ثم هاجر إلى كربلاء المقدسة وحضر درس السيد كاظم الرشتي أعلى الله مقامه، عاد بعدها إلى كرمان واشتغل بالتدريس والتصنيف. ألف العديد من الكتب والرسائل في مواضيع شتى، ومنها: الفطرة السليمة، إرشاد العوام، فصل الخطاب، شرح النتائج في أصول الفقه، الفصول وغيرها الكثير، طبعت مؤخراً في موسوعة (مكارم الأبرار). توفي يوم الاثنين الثاني والعشرين من شعبان سنة ١٢٨٨هـ.

(٥) الشيخ محمد بن كريم خان، ولد في التاسع عشر من شهر محرم سنة ١٢٦٣ في كرمان، =

الرحمة - والحق أقول: إن (شرح الزيارة)؛ حيث تقوم على قواعد حكمية، فلم أتمكن من فهم شيء منها بأي شكل من الأشكال، وقد اعترفت بعجزني عن فهمها.

وأما في الفروع فسوف أذكر هنا ما رأيته بأمّ عيني في رسالتيهما؛ وقد وجدت أكثرها يخالف إجماع الجعفرية، بل إن بعضها مخالف لعامة المسلمين أيضاً.

فقد ذكر المرحوم الحاج محمد كريم خان في الرسالة العربية (الجامع)، والمرحوم الحاج محمد خان في رسالته الفارسية: لو سقطت أوقية من الدم في قدر يغلي، فسوف تطهر؛ لأن النار تأكله^(١).. وإذا كان على يدك أو ثوبك شيء من الدم، وأزلته بريقك فإنه يطهر، لأن اللعاب من المطهرات^(٢).. ويقولان أيضاً: إن الخمر حرام طاهر^(٣)، ويريان أن الماء

=ودرس على يد والده، وله الإجازة منه أيضاً ومن الشيخ علي البحراني، له العديد من المؤلفات منها الكتاب المبين، والاسحاقية، ومصباح السالكين، وغيرها، توفي في العشرين من محرم ١٣٢٤هـ.

(١) الجامع، ص ٩٦: (العجين الذي يعجن بالماء النجس لا يؤكل، ويدفن أو يباع ممن يستحل أكل الميتة وإن قطر فيه خمر أو نبيذ أو دم أو فقاخ يباع من اليهود والنصارى فإنهم يستحلون شربه وروي في القدر فيه لحم كثير وورق يقطر فيه الدم أن النار تأكله).

(٢) الجامع، ص ٢٩: (رويت رخصة بغسل الدم خاصة بالبصاق).

(٣) في الجامع نص على نجاسة كل مسكر مائع، وفي الوجيزة نص على نجاسة الخمر، إلا أن الحاج كريم خان في فصل الخطاب كتب هذه التعليقة على الروايات الواردة حول الخمر، فقال: (اعلم أن كل موضع أمر بغسل ما أصابه الخمر من الأواني فيحتمل أنه للحذر من شربها مع ما في الاناء واختلاطه بالحرام، فلا يدل على النجاسة وكذلك إذا أمر بغسلها عن الثوب فلا يدل على النجاسة فإننا نرى أنه نهى عن الصلاة في بيت فيه خمر لأن الملائكة لا يدخله فإذا كانت على الثوب لا تحف الملائكة بلباسه فنهى عن الصلاة فيه لأجل اجتناب الملائكة والبال على الرخصة لأجل الطهارة وإذا جاء الاحتمال بطل الاستدلال) [فصل الخطاب، ج ٢ ص ٥٧١] وقال في تعليقه الأخرى: (الأخبار كما ترى مختلفة وكثرة أخبار جانب ليست من أسباب الترجيح كما ظنوا، وليس الترجيح بها منصوفاً، والمنصوص=

القليل لا ينفعل بملاقاة النجس^(١).. ويقولان بأن الكلب والخنزير يقبلان التذكية؛ وأنه يمكن للمسلم أن يتخذ من جلد الخنزير والكلب [المذكى] دلواً، ومن وبرهما وشعرهما حبلاً ولا بأس بالاستسقاء بذلك والتوضوء والمضمضة والاستنشاق^(٢).. وأنه يمكن رفع الحدث والخبث بالماء المضاف مثل عصير الكمثرى اختياراً واضطراراً^(٣).. وفي مثل هذه الحالة إذا ضمنا القاعدة الأولى القائلة بأن الخمر طاهر يمكن للمسلم أن يتوضأ ويغتسل بالخمر!

=المجمع عليه و ترجمه على النادر وليس أخبار الطهارة بنادرة ولا كتاب مجمع على تأويله في المقام ولا سنة جامعة وليس أخبار الطهارة أولى بالتقية من أخبار النجاسة... وليس في المقام ترجيح انصافاً إلا كون أخبار النجاسة احوط والقول بوجوب الاحتياط مع ما يعارضها يخالف الاحتياط فليس شيء احوط ولا أوسع من رد علم ذلك كله إلى العالم عليه السلام والأخذ بما وسع من الأمر فبأيهما أخذت من باب التسليم وسعك، فلو غسلت ما أصابك منها تنزهاً وتركت إن تركت رخصة وتسليماً لم تكن إثماً، ولو اجتنبت منها احتياطاً من دون إيجاب هو الاحتياط الأولى والله العالم بحقايق أحكامه) [فصل الخطاب، ج ٢ ص ٥٧٢].

(١) الجامع، ص ٢٥: (اعلم أن الله سبحانه جعل الماء طهوراً لا ينجسه شيء إلا ما غير لونه أو طعمه أو ريحه سواء كان كثيراً أم قليلاً جارياً أم راكداً نابعاً أم غير نابع)، وقال في فصل الخطاب في باب الماء القليل، ص ٥٣٠: (وأنت إذا نظرت في أخبار الباب لا تجد خبراً واحداً منها يدل على نجاسة القليل بوجه من الوجوه، وما ورد من الأمر بالاهراق لا تدل على النجاسة بوجه من الوجوه)، وقال في حاشيته الأخرى في نفس الموضع المذكور، ص ٥٣١: (اعلم أن جملة هذه المياه التي أمروا باهراقها واستدل الأصحاب به على النجاسة عندي أن الأخبار ظاهرة في الطهارة).

(٢) الجامع، ص ٢٨: ((ز) روي أنه لا بأس بجعل شعر الخنزير حبلاً يستقى به الماء ويتوضأ به ويشرب. (ح) روي أنه لا بأس بجعل جلد الخنزير دلواً يستقى به).

(٣) ما وجدته في الجامع هذه المسألة في باب الماء المضاف، ص ٣١: (يجوز أن يصب الماء من فيه و يغسل به الشيء في ثوبه). وذكر الحاج محمد خان في الوجيزة، فصل التطهير وإزالة الأقدار، ص ٤٤: (يجوز أن يصب الماء من فيه لغسل ثوبه).

وهنا كان المسكين سيف علي يتململ في جلسته ويتلو كما لو أن حيّة قد لدغته، وهو يكثر من قول: لا، لا، لا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم؛ ما صلة ذلك بعالمنا، ولكنه كان مكرهاً على عدم قطع كلامه. فاستطرد الملا عبدالله يقول: وقد كتبنا أيضاً: إن الغسل الارتماسي لا يبطل الصوم^(١).. وإن النفساء تعفى من الاغتسال في السفر^(٢).. ولو أن الصائم في شهر رمضان لفّ آتته التناسلية بخرقه من حرير وجامع زوجته بلا إنزال لا يبطل صومه ولا غسل عليه.. ولو أتى المرأة أو الغلام من الدبر بلا إنزال فلا غسل ولا يفطر^(٣).

وعند الصلاة على الميت يجب وضعه كما يتمّ وضعه في القبر (بأن يلقى على جانبه الأيمن مستقبلاً القبلة بوجهه)^(٤).. وأن المسافر في جميع المشاهد المقدسة بل وفي جميع الأماكن والمدن مخير في صلاته بين القصر والتمام، ولا يختصّ هذا الحكم بالمساجد الأربعة أو الحائر [الحسيني]^(٥) فقط.. وإن شهر رمضان لا يقل عن ثلاثين يوماً^(٦).. وهل يمكن لي حصر أمثال هذه الأمور بالكلام، وهل تريدون اختلافاً أكثر من هذا الاختلاف؟!

(١) الجامع، ص ٢١٢: (يكراه الارتماس في الماء، والاحتياط طريق النجاة).

(٢) وجيزة الأحكام، ص ٢٦: (ليس على النفساء غسل في السفر).

(٣) قال الحاج كريم خان في الجامع، ص ٢٠٩: (يجب الامساك عن الجماع في قبل المرأة، وأما في الدبر فلم أجد فيه نصاً إن لم ينزل، إلا أنه نقل الاجماع على كونه مفطراً لهما، وروي في المرأة أن الوطي في دبرها لا ينقض صومها ولا يوجب لها غسلًا، وأما إذا أنزل فإن كان في دبر المرأة فيدخل تحت الملاعبة كما يأتي وإن كان في دبر غلام أو بهيمة فكذلك عند الأصحاب من غير نقل خلاف)، وقال ابنه الحاج محمد خان في وجيزة الأحكام، ص ٢١: (لم نجد دليلاً على وجوب الغسل بالايلاج في الدبر سوى ما ادعي من الإجماع ولم نحققه).

(٤) الجامع، ص ٧٣: (ينبغي أن يوضع الميت حال الصلاة وغيره بعد الطهارة كما يوضع في قبره).

(٥) ما بين المعقوفتين إضافة من عندنا. (المعرب).

(٦) الجامع، ص ٢١٩: (شهر رمضان لا ينقص من ثلاثين يوماً أبداً).

فقلت له: إن ما ذكرته وإن لم يكن هو نصّ عبارات هذين المرحومين، ولكنه يحمل مضامين كلامهما، وإن أكثر ما ذكرته قد رأيته.. ولكنني مع ذلك أريد منك أن تبين معني (الشيخ) أيضاً؛ كي أتمكن من حلّ إشكالك وإشكال الآغا سيف علي بشكل جيّد.

فقال الملا عبدالله: طبعاً، إن الشيخ هو الذي يقلد المرحوم الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي في جميع الأصول والفروع.

انتفض سيف علي بشدة.. فقلت له: حسناً إذا كنت تريد أن تقول شيئاً فلا بأس، تفضل.. اعتدل سيف علي في جلسته متربّعاً، وقال:

سَي سَي سيدي لقد جانب الصواب؛ فأولاً: إن الأصول لا تقبل التقليد كي أتبعه فيها؛ فلا يمكن القول: (إن الله واحد)؛ لأنّ زياداً يقول ذلك، أو (إن الأنبياء والأئمة على حق) لأنّ عمراً كتب ذلك.. أو أن نكون قلدناه واتبعناه في الفروع؛ فهذا بدوره على خلاف الظاهر منا؛ أفلا ترون أنني مقبل على تعلّم ودراسة الفقه؟ فلماذا حملت نفسي على دراسة (شرح اللمعة) عند هذا الغبي!.. أم أنني أخشى أحداً إذا كنت مقلداً للشيخ؟ فنحن نعيش في زمن الحرية؛ وقد أخذت رسالته (الحيدرية)^(١) وعملت بها، وكنت في راحة من محنة وعناء مشاهدة أمثال هؤلاء.. وإن الأخباريين قد قلدوا الأموات أيضاً؛ فهل تضرّر بذلك منهم أحد؟

ثم إن علماءنا المعاصرين يدرسون عند العلماء الأصوليين، ويعودون بإجازات (مطنطنة).. كما أن الشيخ أحمد [الأحسائي] - أعلى الله مقامه - قد حصل على إجازة في الدراية من كبار العلماء من أمثال: الشيخ جعفر الكبير، والسيد علي (صاحب الرياض)، والشيخ حسين آل عصفور، والسيد بحر العلوم، وغيرهم - أنار الله برهانهم - بل إن أكثرهم ذكر في إجازته

(١) (الرسالة الحيدرية في الفروع الفقهية)، من مؤلفات الشيخ أحمد الأحسائي. (المعرب).

عبارة: (بل هو أحق بأن يجيز لا يجاز).. وقد أجازته علماء كبار آخرون، واستجازه أيضاً علماء كبار مثل: الشيخ مرتضى الأنصاري - قدس الله سره - وغيره وغيره.. بلى، إن بمقدوري بيان معنى الشيخي الذي أطلقه سماحته؛ فهو يعني الشيخ المرحوم، وهو أحد كبار علماء الاثني عشرية، وهو حامل العلوم الإسلامية الحققة، بل تمكن من حل الكثير من المسائل التي أشكل حلها على أغلب العلماء الأعلام، وكفى.. ولكنني في الختام أقول بكل جرأة وثقة: نحن نمتاز في أننا أكثر جدّاً وهمّة في السعي والارتقاء ومعرفة مقامات الأئمة الأطهار (عليهم السلام).. والسلام.

قال الملا عبدالله: إن ما ذكرته - للحق والإنصاف - ثابت بالوجدان، ولكن ماذا تقول بشأن الاختلاف في الفروع على ما ذكرت؟

فقلت له: الآن حيث القيل والقال بشأن الشيخ أحمد [الأحسائي]؛ فلماذا تستشهد بأقوال المرحوم الحاج كريم خان، أو المرحوم الحاج محمد خان؟!

فأجاب الملا عبدالله: أوليست سلسلتهما تنتهي إلى الشيخ [أحمد الأحسائي]؟ أولم يكن الحاج محمد كريم خان من تلاميذ الحاج السيد كاظم الرشتي^(١)، وكان السيد كاظم بدوره تلميذاً للشيخ المرحوم؟

(١) آية الله المقدس السيد كاظم بن السيد قاسم بن السيد أحمد الرشتي مولداً، والكربلاني مسكناً ومدفنناً، ولد في رشت، وقد اختلف في سنة ولادته بين عامي (١٢٠٥هـ) وعام (١٢١٢هـ)، ومن مشائخه في الرواية: الشيخ الأوحّد أحمد بن الشيخ زين الدين الأحسائي قدس سره، والعلامة السيد عبدالله شبر، والملا علي الرشتي، والشيخ موسى بن الشيخ جعفر كاشف الغطاء. له مصنفات عجيبة في الحكمة والفقه والأصول والعلوم الغريبة منها: شرح الخطبة الطنجنجية طبع مؤخراً في ثلاث مجلدات، واللوامع الحسينية في الحكمة الإلهية، وشرح آية الكرسي صنفه وهو ابن عشرين سنة طبع في ثلاث مجلدات وهو لم يتم، جمعت أغلب رسائله في مجلدين ضخمين بعنوان (مجموعة الرسائل) طبع في إيران طبعة حجرية، توفي مسموماً من قبل نجيب باشا والي بغداد وهو راجع من زيارة العسكريين=

وهنا انتفض سيف علي مثل سيف [الإمام] علي عليه السلام، وأخذ يهزّ بيديه [في وجه الملا عبدالله] قائلاً: أح، أح، أححق، ما شأن التلميذ بالأستاذ؟! أل، أل، ألم يكن أبو حنيفة تلميذاً لإمامك ورئيس مذهبك جعفر الصادق عليه السلام، ومع ذلك خالف الإمام في أغلب الفروع.. إذن يمكن على قاعدتك العامة - التي هي أوهن من خيط العنكبوت - أن نعتبر جميع الأحناف من الجعفرية!.. خذ الرسالة الحيدرية للشيخ المرحوم [أحمد الأحسائي]، وإذا قرأتها لن تجد فيها شيئاً من هذه العقائد الفاسدة.

فقام الملا عبدالله عند سماعه لكلام الأثنى [سيف علي] من تلقائه واحتضنه، وأخذ يقبله من فمه الأيمن، وهو يقول له: فديتك اصفح عني؛ لقد أسأت الظن بك، وقد اتضح لي أنني كنت على خطأ، وبدلاً من حق التعليم يجب عليك أن تغض الطرف عن ذنبي.. واستمر هكذا يكثر من الاعتذار، ويفتديه بنفسه ويقبله!

وقال سيف علي: أس، أس، أستغفر الله.. فلا تزال معلمي وأستاذي، وأنا ذلك المتعلم الذي تجاوز حدوده في حضرتك.. وما أكثر سوء الأدب الذي صدر مني بسبب سرعة الانفعال والغضب، وسبب لي الندم الأبدي؛ فأسألك أن تعفو وتصفح عني.

وبقيت هكذا أنظر إلى تصرف هذين الرجلين الطيبين الساذجين متعجباً، وفي الوقت نفسه يساورني القلق من أفعالهما؛ فبعد كل ذلك الغضب والشتائم المتبادلة بينهما، تحولوا هكذا فجأة إلى صديقين حميمين متسامحين ومسالمين!

=عليهما السلام إلى الكاظمية، وكان ذلك في (١١) ذي الحجة عام (١٢٥٩هـ)، وقد جهزه وصلى عليه تلميذه الميرزا حسن كوهر بوصية منه، ودفن في الحرم المطهر تحت أرجل الأنصار في الحضرة الحسينية بكربلاء المقدسة. راجع دليل المتحيرين بقلم السيد، مقدمة تفسير آية الكرسي بتحقيق الشيخ عبد المنعم العمران.

ثم قلت لهما: اجلسا، فلا زلت لم أكمل كلامي.. فعادا إلى الجلوس مغتبطين ضاحكين.

فبدأت كلامي متجهاً إلى سيف علي قائلاً: حسناً يا سيف علي.. إن الإسلام حالياً هو أضعف ما يكون مقارنة إلى الكفر؛ وها أنت الآن بدلاً من أن تنحت إنساناً من الخشب والحجر، وتضع عليه اسم الإسلام، تعمل على إخراج آلاف المسلمين من ربقة الإسلام!.. إن بيننا وبينهم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام؛ فهم الجهة الجامعة، أما الكفار أو المشركون فليس هناك من جامع يجمعنا بهم أبداً.. فعلينا أن نتحد لصدّهم ودفعهم عن المساس بحياض الإسلام.. وأما هذه الفروع فإنها لا تخرج المسلم عن دائرة الإسلام؛ فهل الاختلاف بيننا وبين أهل السنة والجماعة قليل؟! هب أن هؤلاء منهم.

فالآن حيث لم يبق من رسم الإسلام سوى القليل، فلا أقل عليك من أن تجهد ما أمكنك في الحفاظ على اسمه.. يا أخي عليك عموماً أن تلاحظ مجموع الإسلام، وبدلاً من السعي إلى هلاك هؤلاء، عليك الدعاء لنا ولهم بالهداية، ولا تنسى كلام الله تعالى إذ يقول: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(١)، واعتبرهم شركاءك في هذه المرحلة، لا أن تدعو عليهم جميعاً بالويل والثبور وعظائم الأمور.

تبسم سيف علي ضاحكاً: هاء، هاء، هاء، هاء، بَ، بَ، بلى لا شك في أن كلامكم ينطلق من الصدق والحرص على الإسلام. ولكن الاختلاف بيننا وبينهم لا يقتصر على الفروع فقط؛ ألم تنظر في كتاب (الفطرة السليمة) أو (إرشاد العوام) أو المؤلفات الأخرى لهذين المرحومين؟!.. فهل الاعتقاد بالمعراج الروحاني^(٢)، أو المعاد

(١) الفاتحة (١): ٦.

(٢) راجع إحقاق الحق لوالد مصنف هذه الرحلة، ج ١ ص ٢٧٠ فقد أشبع المسألة تحقيقاً.

الروحاني^(١)، أو بلاء أجساد الأئمة^(٢) من الفروع؟!.. إني لأجد في التصريح بذلك جرأة ووقاحة.. ألا يقولون بأن النبي وجميع الأئمة والمعصومين - الذين كان الناس يشاهدونهم مراراً في كل يوم - قوالب مثالية؟ ثم إنهم ألا يرون أمثالنا وأمثالكم خارجين عن الدين الإسلامي الحنيف، ويعتقدون بأن ميتتنا سوف تكون ميتة جاهلية؟!.. لا شك في أنكم ستطلبون مني الدليل على كلامي هذا؛ فأقول لذلك: إن كلا هذين المرحومين قد كتبنا في (إرشاد العوام) وغيره: (إذا مات شخص ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية، وكان منافقاً، ولن تنفعه أعماله ولا سائر حسناته أبداً)^(٣)!

فقلت له: إن هذا الدليل لا يثبت ما أنت بصده إطلافاً؛ إذ قد يريدون بذلك الإمام صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه الشريف، فلا يكون تأويلك عندها مناسباً.

(١) المصدر السابق، ج ١ ص ١٤١.

(٢) قال جناب الحاج محمد كريم خان رحمه الله في رسالته الموضوعة لأجوبة مسائل الأجل الأمجد ميرزا محمد جعفر ابن المرحوم ميرزا رضي القرجه داغي، في جواب المسألة الثالثة بعد ذكر الرواية المروية في الفقيه عن الصادق عليه السلام: (أن الله أوحى إلى موسى بن عمران أن أخرج عظام يوسف من مصر، فاستخرجه من شاطئ النيل، وكان في صندوق مرمر، فحمله إلى الشام) قال رحمه الله: (فلو كان جسده باقياً على حاله لم يقل عظام يوسف، وتأويل العظام بالجسد على خلاف الظاهر) ثم قال: (ويؤيد ذلك ما روي أن أمير المؤمنين عليه السلام دفن في قبر نوح، فلو كان جسده العنصري باقياً ما كان ينبش، ويؤيد ذلك ما روي أن الإمام يبقى في قبره ثلاثة أيام ثم يرفع إلى العرش، فلو كان جسده العنصري الذي كان يرى في حياته باقياً لكان في قبره.. إلخ) [مكارم الأبرار، ج ٥ ص ٥٠٧].

(٣) راجع هذه الفكرة في كل من: مكارم الأبرار، ج ٤ ص ١٥٢. إرشاد العوام، ج ٤ ص ٢١. رسالة في جواب الشيخ حسين المزيدي، ص ٦٩. وقد عقد الحاج محمد خان في الكتاب المبين باباً بعنوان: (باب أنه لا تقوم الحجة إلا بإمام حي ظاهر)، وبعد إيراد عدة من الروايات قال: (نفس التوصيف بالظهور شاهد أن المراد بالإمام غير الأئمة الإثني عشر) الكتاب المبين، ج ٣ ص ١٩٢.

فقال سيف علي متهكماً: بَ، بَ، بَ، بَ، بَ، بَ، بَ، بَ، بَ، بَ، بلي سيدي؛ إذا كان هذا هو مرادهما، لما كتبنا في موضع آخر: إن الإمام أو الحاكم الغائب هو بحكم الميّت، وإن الإمام الحي والحاضر ضروري، في حين أن إمام العصر عجل الله فرجه الشريف حاكم غائب، ولكن الإمام نفسه قال: (غائبنا لم يغب، وميّتنا لم يمت). يضاف إلى ذلك أنهما يسميان إمامهما الحاضر المختلق باسم مستقل؛ فتارة يطلقون عليه لفظ: (الشيعة)، أو (النجيب)، أو (النجيب)، وتارة أخرى يسمونه: (القطب)، و(الركن الناطق)؛ ومن هنا فإنهم يُعرفون في المناطق العربية بـ(الركنية) و(الناطقية)^(١).. وفي بعض الأحيان يطلقون اسماً آخر على هذا الإمام، وبذلك لا يكون لهذا الإمام أي صلة بإمامنا الغائب عجل الله فرجه الشريف.. إنهم لم يؤلفوا كتاباً إلاّ وزيتوا جميع صفحاته باسم هذا الواحد الناطق المحدث؛ حتى أنك لا تمرّ على سطر من سطورهِ إلاّ وتستوقفك كاف الركن^(٢)، وطاء الناطق^(٣)، وباء

(١) فكرة وحدة الناطق مما تفردت به مدرسة كرمان، وقد كتب العديد من تلاميذ ومنتسبي مدرسة الشيخ الأوحد عدة رسائل في ردها، منها كتاب رجوم الشياطين للميرزا إبراهيم الشيرازي، والبوارق للميرزا موسى الحائري والد مصنف هذه الرحلة، كما أفرد مقالة كاملة في إحقاق الحق نقل فيها أقوالهم ونزه ساحة الشيخ الأوحد والسيد الأمجد عن القول بها، والبرهان الرائق للقول بوحدة الناطق للشيخ محمد العيثان، والرد على دعوى وحدة الناطق للشيخ حبيب بن قرين، وغيرهم.

(٢) راجع الفطرة السليمة للحاج كريم خان، ج ٣ ص ١٧٥. إلزام النواصب للحاج كريم خان، طبعت ضمن موسوعة مكارم الأبرار، ج ٨ ص ٢٥٥. الكتاب المبين للحاج محمد خان، ج ٣ معنون بـ(الركن الرابع). مقالة حول اصطلاح الركن الرابع من الإيمان على ما بينه علماء الشيعة للسيد عبد العلي الموسوي.

(٣) راجع رسالة في جواب الآقا عبدالله البهبهاني (ضمن مجموعة الرسائل ٧٧) للحاج محمد خان، ص ٢٠٨ - ٢١١. رسالة في جواب الشيخ حسين المزيدي للحاج محمد خان، ص ٦. ترجمة فهرست كتب المشايخ العظام للحاج أبو القاسم خان، ج ١ ص ٨٠. ترجمة الجواب لكتاب أجراء الاستعمار للحاج عبد الرضا خان، ص ٢٨. مجموعة رسائل وأجوبة مسائل للسيد علي الموسوي، ج ٢ ص ٧٥. دفع الاشتباه والريب للسيد علي الموسوي، ص ٧٤.

القطب^(١)؛ حيث تراها ماثلة أمامك! ولا تلقي نظرة على كل صفحة من صفحاته إلا وترى أنهم يعتبرون الجاهل به كافراً ويرون ميتته ميتة جاهلية!.. فيا سيدي، أيّ هذه الأمور يقبل التأويل؟! والأنكى من ذلك أنهم ينسبون هذه الترهات واللاطائلات إلى الحاج السيد كاظم الرشتي رحمه الله! في حين أن (شرح الخطبة) و(الحجة البالغة) وسائر مؤلفاته وكتبه الأخرى زاخرة بخطّه الجلي وهي تنطق بالنداء المعنوي قائلة:

إن لكعبة الإيمان أربعة أركان، هي: التوحيد، والنبوة، والإمامة، والشيعة، ثم يفسّر مفهوم (الشيعة) مباشرة، ويقول: إنه يعني الموالاة والمعاداة (أوالي من والوا، وأعادي من عادوا)، فليس المراد من (الشيعة) شخص معيّن أو فرد مبين.. حاشا الشيخ أحمد الأحسائي رحمه الله أن يكون قد أجاز لتلامذته الواصلين في عصره بدعوة الناس إلى تقليده، أو أن يسمح للمجازين بالاستقلال في الأمر.. ولو افترضنا أيضاً أن هذين المرحومين قد اجترحا هذا الإمام المختلق.. فمن أين لنا أن نعلم ما إذا كان هذا الشخص هو ركن الكرمانيين أو قطب العرفانيين؟!..

كما أعيد القول هنا ثانية: توجد في البين مسألة لم يلتفت إليها أغلب التابعين لهذين المرحومين أو أنهم يغضون الطرف عنها، وهي أن بناء الحاج محمد كريم خان رحمه الله يقوم على جعل ماضي المستقبل نصّاً، والإشارة إلى الناس بتبعية النائب والخليفة؛ في حين أن الحاج المرحوم على الرغم من اعتبار نفسه تلميذاً للحاج المرحوم السيد كاظم الرشتي، إلا أنه لم يحصل على إجازة منه أبداً.. لا شأن لنا بأقوال التابعين والإجازات الزائفة التي لا نعلم مصدرها جيداً، بيد أن الحاج نفسه قد كتب في الصفحة

(١) راجع رسالة في جواب الآقا عبدالله البهبهاني (ضمن مجموعة الرسائل ٧٧) للحاج محمد خان، ص ٢٢٧. وترجمة فهرست كتب المشايخ العظام للحاج أبو القاسم خان، ج ١ ص ٨٠.

التاسعة من (فصل الخطاب): لم أحصل على إجازة إلا من الملا حسين الكنجوي^(١) والملا محمد شريف الكرمانى^(٢)، في حين لا يخفى على أي جاهل - فضلاً عن عاقل فاهم - أن الشخص إذا كان مجازاً من مرشد - على سبيل المثال - لا يقول: إني قد حصلت على مجرد إجازة من تلميذ المرشد فقط^(٣).

رأيت أنه لا مجال للمقارنة.. وإني أعجز من أن أستطيع بيان حسنات الاتحاد الإسلامي لهذا الشخص الأثغ.. فقلت له:

لقد صدقت، بيد أن هذين المرحومين قد مضيا إلى دار حقهما؛ فلا تفتح

(١) الشيخ حسين بن قلي الكنجوي: عالم جليل من تلاميذ السيد الرشتي، ذكره الشيخ محمد بو خمسين في مقدمة كتابه مفاتيح الأنوار من أساتذته، وقد أجاز الشيخ محمد إجازة يروي فيها عن أستاذه السيد الرشتي. قال عنه الشيخ محمد بو خمسين: (الشيخ الأعظم، والعماد الأقوم، قدوة الأنام، وعلم الإسلام، وصفوة الكرام، وعلامة علماء الإسلام، العالم العامل، والفاضل الفاضل، العالم بالعقل والنقل، والعارف بمعارف الأصل والفرع) راجع: في محراب الشيخ محمد. مقدمة كتاب مفاتيح الأنوار: ٧٣/١.

(٢) الشيخ محمد شريف الأناري الكرمانى: من الفضلاء الأعلام... وكان من تلاميذ السيد كاظم الرشتي المتوفى سنة ١٢٥٩ وقد كتب السيد كاظم في جواب مسائله رسالة في تهذيب الأخلاق. وصفه السيد الرشتي بـ(أعز الإخوان، وخالص الخلان، وهو العالم العامل، والفاضل الكامل، والواصل الفاضل، اللودعي الالمعي، جناب الآقا محمد شريف الكرمانى)، وقال في إجازته له: (الأخ المؤتمن، والعالم المتقن، الفاضل الكامل، والفاضل العادل، الحائز درجة الكمال، والبالغ رتبة الاعتدال، ذو الفهم العالي والادراك المتعالي...) راجع: طبقات أعلام الشيعة: ١١ / ٦١٨. رسالة في جواب الشيخ محمد شريف (مخطوط): ١. إجازة السيد كاظم الرشتي لمحمد شريف (مخطوط): ٣.

(٣) قال الحاج كريم خان: (فقد أجازني في رواية جميع تلك الكتب التي نقلت منها كتابي هذا العالم العامل والفاضل الكامل الولي بلا مين جناب الملا حسين الكنجوي، والعالم الثقة الأمين الآقا محمد شريف الكرمانى عنه بحق روايتهما إجازة من السيد القمقام والحبر العلامة علم الأعلام البحر الزاخر ذي الشرف الفاخر... السيد كاظم بن السيد قاسم الرشتي) [فصل الخطاب، ج ١ ص ٢٣]. وقد ناقش مسألة الإجازة مؤلف هذه الرحلة في كتابه الآخر (منظرة الدقائق) فراجع.

أوراق الماضي، وحالياً نجد سماحة الحاج زين العابدين خان^(١) قد تصدّى لإنكار هذه المعتقدات، وقد رأيت بعض مؤلفاته، فلم أجد فيها هذه المقولات، ولو أنه لم يقل شيئاً؛ لكان بمقدورك قياسه على أسلافه، ولكنه الآن ينكر كلماتهم، وحيث أن قول المسلم حجة على نفسه، يجب علينا تصديقه.

فقال سيف علي: ب، ب، بلى سيدي؛ ولكن هذا إنما يتم إذا لم يصادق على كلمات الأسلاف؛ بمعنى أنه حيث يبين معتقداته، لا يكتب بعد ذلك: إن هذا ما يقوله الوالد والأخ - أعلى الله مقامهما - وذلك لأننا نشاهد خلاف ذلك عياناً.. والآن حيث أنه قد صادق على كلامهم، واعتبر نفسه تابعاً لهم (حذو النعل بالنعل)؛ لا تعود كلماته الأخرى حجة لا في حقه ولا في شأنه؛ إلا إذا قال صراحة: إني لا أعتقد بمقالاتهم؛ وإنهم يقولون كذا، وأنا أقول كذا.. وأرجو منك أن لا تصرّ عليّ أكثر من ذلك؛ فقد أيقنت منذ اللحظة الأولى بصفاء سريرتك وحسن نيّتك، ولكن لا ينبغي بالمؤمن الفطن أن يكون ساذجاً إلى هذا المستوى في حمل الآخرين على الصحة! انظر إلى المسألة أدناه:

قال الآغا الحاج محمد خان رحمه الله في العمود الأيسر قبل نهاية الصفحة التاسعة بسطرين من كتابه (مصباح السالكين) ما نصّه:

(المطلب الأول: في الشريعة.. وقد رتبنا هذا المطلب ضمن حدّين وشرائع، وفي كل شريعة مسائل. واعلم أن شريعة النبي الأكرم - صلى الله عليه وآله - هي سنته، وأنه صلوات الله عليه كان حكيماً عالماً بإجماع أهل العالم قاطبة، وأنه كان مطلعاً على جميع الأمم والمذاهب والقواعد

(١) الشيخ زين العابدين بن كريم خان الإبراهيمي، ولد في شهر رجب سنة ١٢٧٦هـ، وتتلّمذ على يد أخيه الحاج محمد خان، له العديد من المؤلفات منها تفسير سورة الجمعة، شرح دعاء الحجب، وغيرها، توفي في جمادى الأولى سنة ١٣٦٠هـ.

والرياضات، وأن شريعته - صلى الله عليه وآله - مجموعة من جميع قوانين العالم؛ فاختار من جميع المواضع ما رآه عين الحكمة بالإضافة إلى ما جاء به من الأحكام من الخارج؛ فأخذ شيئاً من شريعة آدم عليه السلام، وشيئاً من شريعة نوح عليه السلام، وشيئاً كثيراً من شريعة وأصول النبي إبراهيم عليه السلام، وشيئاً من شريعة موسى والخضر، وشيئاً من شريعة عيسى عليه السلام، وشيئاً من قوانين العرب، ومن علم (السيمياء)^(١)، و(الليمياء)^(٢)، و(الهيمياء)^(٣)، (الريمياء)^(٤)..^(٥) وقد رُكِّب بين هذه الأمور جميعاً.. وحيث كان الشارحون مأمورين بإصلاح جهة من الجهات الأناسية

(١) علم (السيمياء): مشتق من السمة، بمعنى (العلامة) التي تنصب للدلالة على ما تعطيه الانفعالات من جمع حروف وتركيب أسماء وكلمات، كما عرّف علم السيمياء بأنه: العلم الباحث عن تمزيج القوى الإرادية مع القوى الخاصة المادية للحصول على غرائب التصرف في الأمور الطبيعية. (المعرب)

(٢) علم (الليمياء): هو العلم الباحث عن كيفية التأثيرات الإرادية باتصالها بالأرواح القوية العالية كالأرواح الموكلة بالكواكب والحوادث وغير ذلك بتسخيرها أو اتصالها واستمدادها من الجن بتسخيرهم، وهو (فن التسخيرات). (المعرب).

(٣) علم (الهيمياء): هو العلم الباحث عن تركيب قوى العالم العلوي مع العناصر السفلية للحصول على عجائب التأثيرات وهو (علم الطلسمات) فإن للكواكب العلوية والأوضاع السماوية ارتباطات مع الحوادث المادية. (المعرب).

(٤) علم (الريمياء): هو العلم الباحث عن استخدام القوى المادية للحصول على أثرها؛ بحيث يظهر للحس أنها آثار خارقة بنحو من الأنحاء وهو (فن الشعوذة). (المعرب).

(٥) وهذه العلوم الأربعة بالإضافة إلى علم (الكيمياء) تشكل العلوم السرية والخفية الخمسة عند الأقدمين. وعلم (الليمياء) يعرف كذلك بـ (علم الميمياء)؛ أي: بحرف الميم بعد أل التعريف؛ لأن هناك سرّاً يجمع بين تسمية العلوم الأربعة: (الهيمياء، والريمياء، والميمياء، والسيمياء)، وهو السرّ الكامن في الحروف الأربعة (ه ر م س) التي يتدئ بها اسم كل علم من هذه العلوم؛ وهي التي تؤلف كلمة (هرمس) وهو أبو كل الأسرار لدى الأقدمين، والكلمة التي تجمع كل هاته العلوم هي (المهرمسية). (المعرب).

وتكميل شيء خاص؛ فحيث يكون قد جمع الكل فإنه تتم له بذلك جميع الجهات^(۱).

والحاصل هو ما الذي ترى يقوله الشخص المنصف - ناهيك عن المعاند - لو نظر في هذه الكلمات؟! لا شك في أنه سوف يحكم دون تريث بجهل القائل وعدم إسلامه.. فهو أولاً قد حكم بوجود شريعة للسيد الخضر عليه السلام، في حين أن إجماع المسلمين قاطبة قائم على عدم وجود ما يزيد على ستة شرائع سماوية مشهورة لبني البشر.. هذا بالإضافة إلى عدم ثبوت نبوة السيد الخضر؛ إذ وقع الخلاف فيها، ناهيك عن أن تكون له شريعة.. ولو سلمنا أن المرحوم قد أراد أن يبين بذلك جامعية الإسلام؛ فلماذا لا يبينها على جناح موزون وبألفاظ بسيطة ومفهومة.. فأين الشريعة الإلهية من علم السيمياء والريمياء والسحر والشعوذة؟! وما الذي يعنيه من وراء الجمع بين أحكام الله وقوانين العرب والاستنباط من الرياضات؟!.. إذن ما هو فرقنا نحن المسلمون في اعتقادنا بالشريعة

(۱) هذه الترجمة العربية لنص الحاج محمد خان الفارسي، وبنفس مؤداه ما ترجمه الميرزا علي الحائري في كتابه عقيدة الشيعة، وما ترجمه مصنف هذه الرحلة في كتابه منظره الدقائق، والنص بالفارسي هكذا: (مطلب اول: در شريعت است و اين مطلب را مرتب كرديم به دو حد و شريعتها و در هر شريعتي مسأله ها است و بدانكه شريعت سنت پيغمبر است صلى الله عليه و آله و آن بزرگوار حكيم و عالم بود باجماع جميع اهل عالم و مطلع بود بر جميع ملتها و مذهبها و قاعده ها و رياضتها و شريعت او صلى الله عليه و آله جمع شده است از همه قانونهاي عالم از هر جائي هر چه را از عين حكمت بوده انتخاب فرموده بزياده آنچه حكم فرموده است از خارج پس پاره از شريعت آدم گرفت و قدري از شريعت نوح و بسياري از اصول شريعت ابراهيم و قدري از شرع موسى و خضر و قدري از شرع عيسى و قدري از قوانين عرب و از علم سيميا و ليميا و ريميا اتخاذ فرمود و همه آنها را با هم تركيب نمود و شريعتي تركيب فرمود و چون شارعين مأمور بودند باصلاح جهتي از جهات اناسي و تكميل چيز خاصي چون همه را جمع فرمود تكميل همه جهات ميشود) مصباح السالكين، ص ۱۰.

المقدسة التي جاء بها محمد بن عبدالله - صلى الله عليه وآله - والمدعو [السير]^(١) جون مالكولم الإنجليزي^(٢)؟! فهذا الشخص بدوره قد عرّف شريعة الإسلام في كتابه (تاريخ إيران) بذات هذا التعريف أيضاً.. أليست الأحكام والقوانين الموجود في الدين الإسلامي الحنيف قد نزلت على النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وحياً أو إلهاماً من قبل الله سبحانه وتعالى، على ما هو عليه اعتقاد المسلمين قاطبة؟

وعليه فإنه إما أن يكون مؤمناً بما كتبه من الأمور التي هي بحسب ظاهرها عين الباطل، أو أنه عجز عن اختيار الألفاظ بغير علم، وترك للقارئ الكريم حرية اختيار ما هو أقرب إلى الإسلام!

والحق أن هذا العبد الفقير، وإن كنت أعلم بما تقدّم ذكره قبل أن يتفوّه به سيف علي، ولكن كان كلّ همّي هو الحفاظ على الاتحاد بين المسلمين، وحسم النزاع والحيلولة دون خروجه من القوّة إلى الفعل، وإنني سوف أواصل هذا المسعى سواء تكلل بالنجاح أو لم يتكلل.. والآن حيث لم يعد بمقدوري إقناع وإسكات هذا الألثغ قلت في نفسي: ﴿إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾^(٣).. ومع ذلك كله أخذت أبين له الحسنات والثمار الكبيرة التي يمكن أن نجنّيها من إقامة الاتحاد بين المسلمين.. ولكن هيهات، فلم يعد أحد يستمع إلى هذه الكلمات الروحانية؛ ثم إنهم قد تصالحو وحلّ بينهم الوئام، وأخذوا يتسامرون ويتحدّثون عن تناول أطباق الحلوى، والرز بالكباب، وكأنّ نتائج الاتحاد والصلح السابق يمكن اختزالها بالأكل والضحك، ظناً منهم أنني أجهد نفسي وأتلوّى وأبذل كل هذا المسعى من أجل لقيمات من الرز بالكباب: ﴿وَأَفُوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ

(١) في الأصل: (صاحب).

(٢) تقدّم التعريف به في هذه الرحلة. (المعرّب).

(٣) البقرة (٢): ١٥٦.

يَالْعَبَادِ^(١). ولكنهم بطبيعة الحال رأوا أبناء جلدتهم بل الذئاب التي تلبس أصواف حملان، ولذلك فإنهم يصيرون إلى القياس في هذا الشأن!

امروز بهای هیزم و عود یکیست در چشم جهان خلیل و نمرود یکیست^(٢)
در گوش کسانی که در این بازارند آواز خر و نغمه ی داود یکیست^(٣)

قال الملا عبدالله: سيدي، أراك تجهد نفسك في الحديث عن الاتحاد؛ في حين أن الناس لا يفكرون بغير النفاق والعمل على تسقيط بعضهم! أنت تعرف سماحة [الذي يقيم في أذربيجان]^(٤)... فقد صَنَّفَ كتاباً في الردّ على أكثر العلماء المعروفين من الشيعة الإثني عشرية، وقد ضمَّ إليهم الفرقة الشيعية أيضاً.. هاء هاء هاء.. والملفت والمضحك أنه ردّ حتى على بعض علماء وأساتذة النجف الأشرف أيضاً.. (تعالوا على الإسلام نبكي ونلطم)^(٥).

فضحك سيف علي متهمكماً، وقال له بالتركية: (قاه قاه قاه، تو، تو، توبدن صوكرا نقاره خو، خو، خوش گلدن بايرام آغا)^(٦).. الآن بعد أن تفتحت أعين وآذان الناس على أفعال هذا الصنف من الأشخاص الذين يعملون على تقويض الإسلام، ويختلقون لأنفسهم ما يستوجب السخرية

(١) غافر (٤٠): ٤٤.

(٢) المعنى: (في مضاربنا تساوى اليوم سعر الحطب وسعر العود.. وأضحى في أعين الناس سواء الخليل والنمرود).

(٣) المعنى: (وفي آذان الذين يقطنون هذا الحي.. يتساوى نهيق الحمار ومزمار داود).

(٤) ما بين المعقوفين غير موجود في النسخة (أ)، ونقلناه اعتماداً على النسخة (ب). (المعرب).

(٥) شطر من بيتين من الشعر يقول فيهما قائلهما: (ومن عجب الدنيا حكيم مصفر.. وأعمش كحّال وأعمى منجم / وقارئنا تركي وهندي خطيبنا.. تعالوا على الإسلام نبكي ونلطم). (المعرب)

(٦) المعنى: (إذا كنت قد جئت لضرب الطبل والبوق؛ فمرحّباً بك يا سيد بهرام).

والضحك، لا سيما عند أرباب العلم والمعرفة في أذربيجان الذي يتعلمون دروس الحوارة مثل المشعوذين!

فقلت له: ألا تكفّ عن هذا الغمز واللمز يا سيف علي؟!.. إنه من نعم الله ولطفه علينا أن ابتلاك باللكنة، وإلا والعياذ بالله؛ وإني لأقسم بالله يميناً إذا لم تكفّ عن اغتيال علماء الدين، فسوف أتعامل معك وكأنك واحد من الغرباء.. ولكن على العجالة حيث تحوّل الجدل بينكما إلى عناق، وتحول الشقاق إلى اتفاق، أودّ أن أستأذنكما وانصرف عنكما.. والحق أنني في البداية قد شعرت بسعادة غامرة إذ رأيت أفعالكم الحسنة الصادقة، ولكن بعض كلماتكم الاعتبارية الأخيرة قد كدّرت خاطري!

فقال الملا عبدالله معذراً: سيدي، ما مضى قد مضى.. ولكن إلى أين أنتم ذاهبون.. فأولاً: يجب أن نقوم تجاهكم بواجب الضيافة، وأن ندعوكم إلى وجبة الغداء، وإن كان سيتحتم عليكم التحلّي بالقناعة والصبر على طعمانا المتواضع.

وثانياً: لا بد من التعرّف على مكان إقامتكم، كي نردّ لكم شرف الزيارة. وثالثاً: نرجو منك أن تعرّفنا باسمك وشخصك الكريم، حتى نذكرك ونؤدّي لك حقك العظيم الذي تركته في أعناقنا من النصيحة التي تستوجب الثناء والتعظيم، ونعبّر بذلك عن عمق امتناننا واعتزازنا بكم، ولا شك في أن الأغا سيف علي بدوره لا يرضى بهذا التجاهل.

فقلت لهما: إني ممتنّ لجميل عطفكما وحفاوة وحسن كرمكما وضيافتكما، وأودّ التعبير عن بالغ شكري لكما، بيد أن المكث لتناول الغداء متعذّر بالنظر إلى انتظار الرفاق لعودتي، كما أنني لا أرضى بأن أزعجكم وأكلفكم عناء المجيء وردّ الزيارة؛ لأن المسافر قد يكون في المنزل أو لا يكون. وثالثاً: سوف تتعرّفون على اسمي وشخصي لاحقاً إن

شاء الله، والإصرار على ذلك من الطرفين لن يكون مجدياً.. وبعد إصرار كثير ودعتهما، وسلكت طريقي نحو المقصود^(١).

(١) أود أن أنقل هنا ما كتبه مؤلف هذه الرحلة في كتابه الآخر (منظرة الدقائق) تعقيباً على هذه الحادثة بعد طباعة الكتاب وانتشاره، حيث قام بالرد على هذا الفصل الحاج زين العابدين الكرمانى، يقول الميرزا حسن: (هذا ولا ينقضى تعجبي من صاحب التبيان في كلامه السابق كيف يتجاسر بما لا يليق بمثله في قوله: وباليتمهم اكتفوا بنقل عين عباراتهم التي ذكروها في كتبهم، بل غيروها وحرفوها وأولوها على حسب ما يريدون ثم بثوها ونشروها في الناس... الخ ليت شعري أي عبارة غيرناها، أو أي كلمة حرفناها، إن كان عنى بذلك كتاب الإحقاق أو كتاب التنزيه لحضرة الوالد الماجد العلامة روجي فداه، فلم يذكر فيهما والحمد لله إلا عين عبائر الوالد والولد بطولها ولم يكتف فيهما بنقل المعنى أو بمجرد النسبة. بل نقل عين الألفاظ والعبارات من مظانها. دونك الكتابين المذكورين فإنهما مطبوعان مشهوران قلبهما ظهراً لبطن، وقابل العبائر المنقولة فيهما مع كتب القوم حرفاً بحرف حتى يظهر لك أن تلك المقالة من الفاضل الكرمانى بهتان مبين، ما دحرجها إلا عن ضيق الخناق وسعة الخرق عليه. وليس التحريف من حرفتنا ولو شئنا لأخبرنا من المحرّف، وما غابت عنا الكتب المسروقة برمتها بتحريف أسماء مؤلفيها فقط، وتبديلها باسم المحرّف ليتباهى بتكثير الكتب والتصنيف عند أشباه الناس، وهي بعد موجودة بتاريخ أسبق من ميلاد من حرّف بسنين كثيرة والقياس ليس من مذهبنا. وأما مكاتبة والده مع السيد الأجدد قدس سرّه الطويلة التي أنكرها الفاضل الكرمانى ونقل إنكارها أيضاً عن أبيه رحمه الله، المنقول بعض عبائرها في الكتابين الشريفين المذكورين، فهي مشهورة موفورة النسخة، منسوبة إلى والده رحمه الله، وفي بعض النسخ أنها مستنسخة عن نسخة الأصل، وحالها بالنسبة إلينا حال سائر كتبهم المنسوبة إليهم، والكتب المنسوبة إلى أربابها قبل الاطلاع على إنكار النسبة والتبري عنها، ليس علينا في ذلك حرج ولا بأس، ولا يتوجه علينا لوم ولا مذمة. وإنما إثمها على واضعها ونشكر منهم كثيراً هذا الإنكار لتلك الكتابة، فياليتمهم أنكروا بعض رسائلهم أيضاً، التي فيها ما هو أفظع وأشنع من تلك الكتابة، وأضر على الإسلام والعباد. هذا ولم ينقل في الكتابين من ألفاظها إلا على سبيل الاستشهاد على وحدة الناطق، لا على نحو الدليل والمدرك، بل العمدة في إثبات تلك العقيدة عليهم سائر تصانيفهم وتأليفاتهم، كانت تلك الكتابة أم لم تكن، وإن كان الفاضل الكرمانى عنى بالتغيير والتحريف المذكور، وأشار إلى ما جرى من قلم الحقيير استطراداً على نحو الاختصار، في الرحلة الفارسية المسماة بسرمايه سعادت في قصة زنجان حيث ذكرنا فيها مخاصمة ملا عبدالله مع سيف=

=علي في العقائد في صفحة ١٢٤ المشتتة على بعض فروعهم. فتلك حكاية حكيته وقصة نقلتها ليس على الناقل والحاكي في ذلك من سبيل وعتاب. حتى أن ناقل الكفر ليس بكافر لا شرعاً ولا عرفاً. والمسائل المذكورة فيها إنما هي فروع مسرودة من ملا عبدالله إلى سيف علي، توبيخاً وطعناً منه على صاحبه في مسلكه وهو في مقام الردّ على ملا عبدالله، بأن ما نقلت من المسائل من جناب الحاج كريم خان رحمه الله لا تمس شيئاً جماعة الشيخية، ولا تمس بوجه كتب الشيخ الأوحاد الأحسائي قدّس سرّه، ومسلك الحاج المذكور غير مسلك الشيخ الأوحاد. وملا عبدالله كان وقتئذ في مقام المخاصمة والجدال، وكان ينقل الفتاوى المذكورة من كتاب الجامع للحاج المذكور نقلاً بالمعنى لا بالألفاظ فإن كان هناك تغيير أو تحريف فإثم عليه لا علينا. ولا بدّ في النقل بالمعنى من تغيير في التعبير فكيف يسوغ للفاضل الكرمانى أن ينسب ذلك إلينا ويوجّه اللوم والعتاب علينا، وهذا من جنابه سلمه الله تعالى بعيداً جداً، وخارج عن حدود الكتاب والسنة) ثم نقل قضية الحوار بين الطالبين ثم قال: (وهذا ترجمة ما أردناه من الرحلة على الاختصار، فتلك المسائل التي سمعتها المنقولة بالمعنى لا بالألفاظ كما هو اعتراف ملا عبدالله وإن كانت جُلّها بل كلّها صحيحة، ومذكورة في كتاب الجامع. لكن النقل كما ترى ليس مني بل من ملا عبدالله المذكور، ونحن ما رسمنا في الرحلة إلا صورة الواقعة، بلا تغيير ولا تصرف، وبعض مسائلهم الفرعية وإن كان في غاية الشناعة والشذوذ، لكن نجلّ أنفسنا عن التعرض بالفروع، ولو رمنا ذلك لأدى إلى تطويل لا تكفيه هذه الكرايس، وإلا فما ذكره الملا عبدالله لا يكون عشر عشر معشار ما نعلم، مما هو أشدّ بشاعة وشناعة، فكيف يناسب لصاحب التبيان هذا التعدي العظيم) منظره الدقائق، ص ١٠٥ - ١١٢.



[المعطرة الأخيرة: طهران]

[المعطة الأخيرة: طهران]

اليوم حيث هو اليوم السادس عشر من شهر ربيع الآخر، خرجنا من مدينة زنجان، واتجهنا نحو غايتنا.

إن الأبنية في مدينة زنجان وإن كانت طينية، ولا تحتوي على عمارات عالية، ولكن أسواقها عامرة وقائمة.. وأغلب الناس فيها يتصفون بحسن الأخلاق والسيرة، وارتكاب الفواحش والمحرمات فيها أقل بالقياس إلى المدن الأخرى، وعامة الناس من سكانها أقرب إلى الصدق والتدين.

وفي ليلة السابع عشر نزلنا في (أمير آباد)^(١)، وفي ليلة الثامن عشر نزلنا في (قيروة)^(٢)، وفي ليلة التاسع عشر مكثنا في مدينة (قزوين)^(٣) حيث دخلناها قبل الغروب بنصف ساعة، ولذلك لم يتسع الوقت لكي نرى الكثير من معالمها، سوى أنها كانت تحتوي على الكثير من الحدائق والمزارع التي تزدهم فيها الغربان التي لا يمكن إحصاء أعدادها لكثرتها، وكنا بدلاً من

(١) (أمير آباد): قرية من أعمال قضاء (سلطانية)، في محافظة (زنجان). (المعرب)

(٢) (قيروة) أو (قروة): من قرى محافظة (زنجان)، وهي من القرى الأثرية؛ إذ يعود تاريخها إلى ثلاثة آلاف سنة. وكانت تُقرأ في السابق (قروبة). وتقع هذه القرية في قضاء (أبهر) على مسافة خمسة عشر كيلومتراً منها. (المعرب).

(٣) (قزوين): من المدن الإيرانية القديمة والعريقة، إذ يعود تاريخها إلى العهد الساساني. تقع على طريق الحرير الرابط بين الشرق والغرب. وكانت عاصمة لإيران في العصر الصفوي لسبعة وخمسين عاماً، ومن هنا تكثر فيها المتاحف والمواقع الأثرية؛ حيث تحتوي على المرتبة الأولى إيرانياً والثالثة عالمياً من حيث احتوائها على المعالم الأثرية. (المعرب).

سماع سجع البلابل وصدح الطيور، نسمع نقيب الغربان حيث تصك سمع الفلك وتذيب قلب المريخ..

وفي ليلة العشرين بتنا في منزل (ينگه مام)^(١).. وفي ليلة الحادي والعشرين نزلنا في (كرج)^(٢)، وبعد إقامة صلاة الصبح فيها توجهنا مباشرة إلى دار السلطنة [العاصمة] طهران، وكانت زاخرة بالحدائق والمزارع والعيون الدافقة، فكنا نسلک طريقنا عبر سفح جبل في غاية الجمال.. وبعد طلوع الشمس تنكبنا السفح وبان لنا سواد العاصمة؛ فواصلنا السير ببطء شديد.. كان تردد وسائط النقل قد أحدث زحاماً في الطرقات، فكنت ترى الحافلات والعربات والخيول والجمال وسائر الأنعام الأخرى وجميع أنواع الوسائط الثقيلة متشابكة في ترددها عبر الطرق ذهاباً وإياباً.



(١) (ينگه امام) وفي اللهجة المحكية (ينگه مام): من القرى القديمة في قضاء (ساوجبلاغ). وكلمة (ينگي) في اللهجة التركية لأهالي (ساوجبلاغ) تعني (الجديد). قال الميرزا حسين الفراهاني في رحلته: (هناك في (ينگي امام) بقعة أقيمت عليها قبة منذ القدم، ويقال إن اثنين من أولاد الإمام الكاظم عليه السلام مدفونان فيها، وحيث لم يكن هذا الأمر مسبوقاً في حينها، فقد أطلق على هذا المقام اسم (ينگي امام)، ثم اتسعت التسمية لتشمل منزل القوافل والتلال المحيطة به، واتسعت بعد ذلك لتشمل القرية بأكملها. وحالياً صارت هذه القرية جزءاً من مدينة (هشتگرد) حيث تقع في مدخل المدينة على الطريق القديم الرابط بين (كرج) و(قزوین). (المعرب).

(٢) (كرج): مدينة محاذية للعاصمة طهران، تقع على سفح سلسلة جبال ألبرز. تعد ثاني أكبر محافظة بعد طهران من حيث استقبال الوافدين، ومن هنا يُطلق عليها لقب (إيران المصغرة). وهي في الوقت ذاته من أصغر المحافظات الإيرانية. (المعرب).

[وصف الطابع التغريبي^(١) والسفور في طهران]

عند الظهيرة تجاوزنا الخندق وبوابة المدينة ودخلنا إلى العاصمة التي يفاخر بها جميع أبناء الوطن الكرام لما تمثله من رمز للمملكة العليّة..

يا ويلتاه! ما هذا الوضع الذي أراه؟!.. أين نحن يا ترى؟!.. وإلى أيّ نقطة من العالم دخلنا؟!.. هل هذه المدينة جزء من البلاد الإسلامية أم هي بلدة من البلدان الغربية؟!..

يا مشهدي إسماعيل، ربما ضللت الطريق، وبدلاً من طهران قد ذهبت بنا إلى باريس!..

كلا، كلا، فلو كانت هذه هي باريس أو مدينة أوروبية أخرى؛ إذن أين سكك الحديد؟ ولماذا لا نرى ازدحام القطارات وضجيجها؟ وأين شوارعها التي لا تنتهي؟ وأين عماراتها وأبنيتها الشاهقة؟ وأين أسواقها الزاخرة بالأضواء؟!.. ولماذا لا نسمع هدير مصانعها؟ ولماذا لا نشاهد العربات التي تعمل على الطاقة الكهربائية^(٢)؟ وأين الازدحامات السكانية؟!.. ولماذا تمّ القضاء على عمرانها وجمالها؟!.. ربما قامت مدافع الألمان ومناطق زبلين^(٣)

(١) نسبة إلى الغرب. (المعرب).

(٢) في النسخة (أ) (گاري هاي كهريا)، وفي النسخة (ب) (گاري هاي گهربار).

(٣) (منطاد زبلين): منطاد ألماني من تصميم الكونت (فرديناند فون زبلين) الذي صنع أول منطاد عملاق في بداية القرن العشرين. ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى، تم ضمّ المنطاد إلى الخدمة العسكرية وقام بأول غارة له بالقنابل على مدينة لندن عام ١٩١٥ م. ومن حينها أخذ=

بتدميرها؟ أم أن سياسات جارتها الغربية هي التي تسببت لها بهذا الحالة المزرية؟!

كلا، كلا، إنها مدينة في إيران، بل هي العاصمة ودار السلطنة طهران.. ولكن أين الغيرة الإسلامية؟!.. وأين التدين؟!.. لماذا تم التخلي عن القوانين والأحكام الإسلامية؟!.. لأي سبب اكتسب المسلمون أخلاق وطباع الغرباء؟!.. ما معنى أن يتم استبدال أحكام العقل الكل صلى الله عليه وآله بقوانين (لينين)^(١) و(بسمارك)^(٢)؟!.. ولماذا يستضيئون بسراج النفط بدلاً من (الشمع الكافوري)^(٣)؟!.. لماذا تم إسقاط الحجاب عن المخدرات؟ ولماذا تم سحب بساط العقّة والغيرة.

اين كه مي بينم به بيدار يست يا رب يا بخواب^(٤)

=الجيش الألماني يستخدم مناطق زبلين على نطاق واسع في مجال الاستطلاع وقذف القنابل. (المعرب).

(١) (فلاديمير لينين) (١٨٧٠ - ١٩٢١): ثوري روسي وزعيم الحزب البلشفي وحزب العمال الاشتراكي الاجتماعي، ومؤسس المذهب اللينيني السياسي. رافع شعار: (الأرض والخبز والسلام). أول رئيس للاتحاد السوفيتي بعد انتصار الثورة البلشفية التي قادها سنة ١٩١٧ م. (المعرب).

(٢) (أوتو فون بسمارك) (١٨١٥ - ١٨٩٨ م): رجل دولة وسياسي بروسي. شغل منصب رئيس وزراء مملكة بروسيا، وأشرف على توحيد الولايات الألمانية، وتأسيس الإمبراطورية الألمانية أو ما يُسمى بـ (الرايخ الألماني الثاني)، وأصبح أول مستشار لهذه الإمبراطورية بعد تأسيسها في عام ١٨٧١ م. حتى عزله (فيلهلم الثاني) عام ١٨٩٠ م. ولدوره الهام خلال مستشاريته للرايخ الألماني أثرت أفكاره على السياسة الداخلية والخارجية لألمانيا في نهاية القرن التاسع عشر للميلاد. ولذلك عرف بلقب: (المستشار الحديدي). (المعرب).

(٣) (الشمع الكافوري): شمع كان يمزج بطيب الكافور ويتخذ للزينة والجمال، وهو نوع خاص يقتنيه أصحاب الشأن والوجاهة. وقد ورد في الأمثال الفارسية، كما ورد في النص أعلاه: (بجاي شمع كافوري چراغ نفت مي سوزند). ويقابله في العربية قوله تعالى في الآية الحادية والستين من سورة البقرة: ﴿أَسْتَبِيلُوكَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾. (المعرب).

(٤) شطر بيت من مطلع قصيدة للشاعر الأنوري الأبيوردي، في مدح صاحب مجد الدين أبي=

يا لعبة كيان، ويا مخدرة الساسان!.. لماذا حلق طائر سعدك؟! ولماذا
نفر عنك جواد سطوتك؟.. أين حجاب عفتك؟.. وأين خيمة شموخك؟..
ولماذا نشرت شعرك المنفوش؟.. ولماذا ذبلت غدائك؟..!
أين القائد الكياني؟.. وأين النجم الساساني؟.. ألم تكوني أنتِ سيّدة
العالم؟ فلماذا أراكِ تقلدين القروء؟..!

حتى الآن لم يكن يظهر خيالك الجميل لقيصر وفغفور.. ولم يطرق
صوت غنائك العذب مسامع جنكيز وتيمور! فما الذي جرى حتى أخذت
تبدلين إعجاباً بالفرنجة؟..! وأصبحت مغرمة بالمجردين من الغيرة؟..
ما هذا الذي أراه من هتك العِصم وانعدام الغيرة..
ألم تعلمي أن حجابك كان محط غبطة نساء العالمين؟.. وأن نقابك كان
شوكة في أعين الأرجاس من الأجانب والأعداء؟..
هل أصبحت عجوزاً معجبة، أو حيزبونا متهاكة؟..

هل طار عُقاب عقلك؟ أم أن رياح السموم قد عصفت بروضك؟..!
حاشا وكلا، بل هي روضة منيعة لا يمكن لرياح الخريف أن تعصف في
ربوعها.. فلماذا تسفرين عن وجهك المنير لكل ضاعن ومقيم من الشيوخ
والشباب؟.. أو تسفرين وجهك المشرق للأغيار والأجانب؟.. ألا تعلمين
أنهم مفترسون، وأنهم يغيرون غارات بربرية ويتحولون إلى نار تحرق
الأخضر واليابس؟..

إلى من أعطيت حجاب الإسلام الذي كان يزيّن مرابعك؟
يا أمي الحنونة، لا أظن أنك قد أثرت السفور بمحض رغبتك.. ربما هي
إثارة من الصبيان الذين تجردوا من غيرتهم، أو من الصبيّات اللاتي خلعن

=الحسن العمراني. ومعناه: (هل ما أراه ماثلاً أمامي، أراه في يقظتي يا رب أم في
منامي؟) (المعرب).

العدار؛ ظناً منهم أن السفر وهتك الحجاب هو الوسيلة إلى تحقيق الرقي والازدهار، والحصول على المعرفة؟ أجل، ..

حذاري من أن تصغي إلى كلمات العاقين من أولادك؛ فإنهم لم يخرجوا من رحمك الطاهر؛ طبقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾^(١).. فمن قال إن السفر واحد من شرائط تحصيل المعارف والعلوم؟ أم أن السفر سبب في الازدهار والرقي وبناء الدولة؟!.. إذا كان الأمر كذلك؛ إذن كيف أصبحت في أيام ملوك الصفوية - رحمة الله على أرواحهم الطاهرة - سيدة العالم وأميرة العالمين؟..

ولماذا افترشت دولة الألمان تراب المذلة رغم قوة شوكتها وسفور نسائها؟!..

وعليه لا صلة للازدهار والتقدم بعدم الحجاب وخلع النقاب؛ فلم ينه الحجاب يوماً عن طلب العلم والارتقاء؛ إذن ما معنى (اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد)، و(طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة)^(٢)؛ فاطلبوا العلم والمعرفة والرقي والازدهار وتسبب ذرى المجد والمدارج العالية.. وكل من يقول غير ذلك فهو عدوك مثل الكثيرين من الذين نزع منهم الشرف، وتجردوا من الغيرة.

أيتها المُرُضعة الحنون! ويا مخدرة الساسان!

إن النساء المحتجبات في حياضك خلف ستار العصمة والعفاف، يخشين وقد مُلئت أكبادهن دماً مخافة أن يعمد المغيرون الظلمة إلى هتك حجاب زينتك، وتمزيق خمار عفافك.. أيتها السيدة المحترمة؛ استمعي لساعة إلى

(١) هود (١١): ٤٦.

(٢) ورام بن أبي فراس الحلبي، تنبيه الخواطر وتنزيه النواظر (مجموعة ورام)، ج ٢، ص ١٧٦.

كلمات داعي الإسلام - التي هي زينة لجندك وحياضك - إذ يهتف على الدوام بصوته الجمهوري:

دوست دارم كه پبوشي رخ همچون قمرت
تا كه بيگانه نبيند سر هر بام و درت^(١)
رويت اي لعبت ساسان بود او فتنه عام
[س]^(٢) ترسم از فتنه اين فتنه رود تاج سرت^(٣)
فتنه آن به كه پس پرده عصمت مستور
ورنه خود فتنه برانگيز و گيرد كمرت^(٤)

وكلّي أمل في أن تتقبّلي كلام الناصحين من أولادك، وتحتضني توأمك
المتمثل بالأحكام والتعاليم الإسلامية، ولا تستمعي إلى وساوس شياطين
الداخل والخارج التي تقوّض وتطيح بالعرش والتاج والصولجان.
أسدلي حجاب العصمة والعفة على وجهك الوضاء، واسملي عيون
الماديين في هذه المملكة إلى الأبد، وكوني على ثقة من أن الغرباء
والأوباش لن يكون لهم بعد ذلك قيمة ومقدار، ولن يجدوا من أنفسهم

(١) هذا البيت مطلع قصيدة للشاعر الفارسي الشهير الشيخ الأجل سعدي الشيرازي، ونصّه كالآتي: (دوست دارم كه پبوشي رخ همچون قمرت.. تا چو خورشيد نبيند سر هر بام و درت)، ومعناه: (أودّ أن تخفي وجنتيك اللتين تحكيان وجنة القمر.. كي لا تشاهدي كالشمس من كل سطح وباب). وقد ضمّنته صاحب الرحلة واستبدل عبارة (تا چو خورشيد) بـ (تا كه بيگانه)؛ فكان بذلك من نوع التضمين غير التام. (المعرب).

(٢) ما بين المعقوفتين للدلالة على أن البيتين الأخيرين من نظم صاحب الرحلة، وهو مثبت في النسخة (أ)، وساقط من النسخة (ب). (المعرب).

(٣) المعنى: (لقد كان وجهك يا لعبة الساسان فتنه عامة.. أخشى أن يطاح بتاج رأسك من فتنه هذه الفتنة).

(٤) المعنى: (خير للفتنة أن تبقى محجوبة خلف ستار العصمة.. وإلا فسوف تثور الفتنة وتقصم ظهرك).

الجرأة على التدخّل في شؤون الحكم والسلطة.. وما دام هناك عرق ينبض في جسد أبنائك المسلمين والغياري، فلن يبقوا رمقاً في أجسام هؤلاء الأوغاد، ولن يبقوا لأجسادهم موضعاً على فردوس هذا الوطن الحبيب.. وما دامت قوّة الأسلاف الأطهار جارية وسارية في سواعد وقبضات اليافعين الصابرين من أبنائك، فإنهم سيهشّمون عظامهم الخاوية الجوفاء بقوّتهم الجماهيرية، وسوف يطردونهم شرّ طردة من جنة إيران بنداء فصيح يقول: ﴿أَخْرِجْ مِنْهَا مَذءُومًا مَدْحُورًا﴾^(١). وكذلك سوف يطيحون بهم في سجين؛ بحكم قوله تعالى: ﴿فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾^(٢). و(لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم).

والخلاصة هي أن تتّمّة هذه القصة، طويلة وعريضة.. نواصل السير في شوارع نظيفة، وعمارات منيفة، ولكن:

ديده برهم تانينم حال پژمان وطن

ورنه زين سير و تماشا ديده گانم كور باد^(٣)

في واجهة (ميدان مشق)^(٤) المبارك، دخل موكبنا في باحة، وتركنا أمتعتنا عند المشهدي إسماعيل، وخرجت برفقة أخي المقدّس لبعض شأننا، حتى التقينا أخيراً بسماحة المستطاب ملاذ الأنام الآغا الشيخ (بهاء الدين

(١) الأعراف (٧): ١٨.

(٢) الحاقة (٦٩): ٣٢.

(٣) لم نعثر على قائل هذا البيت، ومعناه: (أغمض جفني كي لا أرى بؤس الوطن.. وإلا فعسى لعيني العمى من هذا المسار وما ترى).

(٤) (ميدان مشق): موقع تاريخي في العاصمة طهران، يعود تاريخه إلى العهد القاجاري، وكان يُتخذ في بداية الأمر ساحة للاستعراضات والتدريبات العسكرية، حيث أقامه فتح علي شاه القاجاري لهذا الغرض، ومن هنا جاءت تسميته. وهو ذات الموضع الذي شهد إعدام الميرزا رضا الكرمانی، قاتل ناصر الدين شاه القاجاري. (المعرب).

النوري) النجل الأكبر لسماحة حجة الإسلام والمسلمين الآغا الشيخ (عبد النبي النوري)^(١) - دام ظلّه العالي - وأعرب كل واحد منا عن سعادته، ودعانا إلى داره والنزول على ضيافته.

فاعتذر أخي المقدّس قائلاً: سوف يسوء ذلك فلاناً وفلاناً وسائر الأقرباء والأصدقاء. بيد أن الشيخ المُشار إليه أصرّ على موقفه، ولم يقبل باعتذارنا، وقد حملنا احتفائوه بنا على قضاء الليل والمبيت عنده بهدوء تامّ.



(١) الشيخ عبد النبي النوري (١٢٥٤ - ١٣٤٣هـ): من كبار العلماء في طهران. ولد في قرية (سراسب) في قضاء (نور)، ونشأ يتيم الأبوين؛ إذ توفي والده المولى مهدي قبل ولادته، وبعد بلوغه ربيعه الخامس فقد والدته أيضاً. درس المقدمات على يد الحاج الميرزا محمد التنكابني، ثم هاجر إلى قرية (بالرود) ليلتحق بحوزة الميرزا هادي (نجل العلامة النوري)، وبعد خمس سنوات انتقل إلى قضاء (آمل) وبعدها إلى (بابل)؛ ليحضر درس سعيد العلماء المازندراني، وبعد وفاة المازندراني انتقل إلى طهران ودرس عند الميرزا أبو القاسم كلانتر. ثم انتقل إلى النجف الأشرف ودرس الفقه والأصول عند الميرزا حبيب الله الرشتي. ثم انتقل إلى سامراء وحضر درس الميرزا محمد حسن الشيرازي، وحصل منه على درجة الاجتهاد. وبعد ذلك عاد إلى طهران بطلب من أهلها، وأخذ يمارس التدريس والوعظ والإرشاد. اتخذ في أحداث المشروطة والثورة الدستورية (في أواخر العهد القاجاري) موقفاً مناصراً للشيخ الشهيد فضل الله النوري، كما اتخذ موقفاً مناصراً للسيد الشهيد حسن المدرس (في عصر رضا خان). ترك الشيخ النوري ولدان، وهما: الشيخ مهدي، والشيخ بهاء الدين النبوي النوري (المذكور في النص أعلاه)، وهو من تلامذة الأخوند الخراساني، وقد حل محلّ أبيه بعد وفاته، وكان يُعدّ بدوره من مشاهير العلماء في طهران، وهو صهر آية الله السيد محمد البهبهاني. (المعرب).

[حوار مع مجموعة من السّباب]

في اليوم التالي - حيث هو اليوم الثاني والعشرين من الشهر - خرجنا من مضافته لغرض شراء بعض الكتب العلمية، أخذت أجوب شارعاً فارهاً بالقرب من المحال التجارية، مهتدياً بالسؤال عن (سوق حاجب الدولة)^(١)، فسمعت من ورائي كلاماً يقول:

أمثال هؤلاء لا يعلمون سوى (زربا زوربا)^(٢).

فالتفت إلى الخلف حيث مصدر الصوت دون إرادة مني؛ فرأيت مجموعة من الأشخاص جالسين في دكان، وأحدهم يشير إلى ناحيتي بطرفه وحاجبيه؛ ولدى سماعي لتلك المقالة ومشاهدتي لهذا السلوك، شعرت وكأن جبل (دماوند)^(٣) ينهار فوق رأسي؛ وتكسّرت آهة بين جوانحي،

(١) في الأصل: (تيمجة حاجب الدولة)، يطلق لفظ (تيمجة) عادة على السوق الصغير المسقوف الذي يضم عدداً قليلاً من المحال التجارية. ويُعد (سوق حاجب الدولة) من أشهر وأجمل هذه الأسواق في طهران؛ وهو يقع بالقرب من (سبزه ميدان)، وتشير اللوحة المنصوبة فيه من قبل بلدية العاصمة إلى أن تاريخ بنائه يعود إلى عصر ناصر الدين شاه، حيث بناه (الحاج علي خان حاجب الدولة). (المعرب).

(٢) من الأساليب التعليمية الشائعة في دراسة النحو والصرف، التمثيل بعبارات من قبيل: (ضرب ضرباً)، وفي الأعجمية تنطق الضاد زايًا، وقد أثبتها مؤلف الرحلة كما نطق بها المشاغبون للغمز به، للدلالة على أنهم يجهلون حتى النطق الصحيح بهذه العبارة. (المعرب).

(٣) (جبل دماوند) واحد من سلسلة جبال ألبرز، يقع في شمال إيران، ويمثل أعلى جبل فيها حيث يبلغ ارتفاعه ٥٦٠٩ متراً. (المعرب).

وجرت زفرات الحسرة من آماقي، وتسارع نبض الفؤاد في صدري، وأخذت فجأة أغلي مثل المرجل وكأن كير الحداد ينفخ الجمر بين أضلعي.

يا إلهي! ما هذا البؤس الذي حلّ بنا؟! ومنذ متى أصبحنا خلواً من الشعور والإدراك؟ وإلى متى سنبقى مفتقرين إلى الغيرة؟! وحتى مَ سنبقى سادرين في السكر والغفلة؟! ألا يكفي النفاق والاغتراب لخراب واضمحلال الوطن العزيز، حتى يُزاد عليه الإلحاد وانعدام الغيرة والشرف؟!..

لقد رأوني على هيئة علماء الدين، فاقترفوا بحقي هذا السلوك الهمجي، وهو سلوك لا يمتّ قطعاً إلى الشعب المسلم بصلة أبداً.

نحن لا نمتلك اتحاد وعصبة اليابانيين كي نواجه الأجانب، ولا نمتلك الصناعات الألمانية، ولا الثروات الفرنسية، ولا السياسات الإنجليزية كي ندفع الغرباء عنا.

بل وعلاوة على ذلك نعمل بجهلنا - للأسف الشديد - على بذل كل ما بوسعنا من أجل تحطيم نقطة قوتنا الوحيدة وعنصر اجتماعنا واتحادنا المتمثل بالدين الإسلامي.

لقد بلغ البؤس والغفلة بالبلد الحبيب حدّاً، بحيث يبكي الفلك دماً على وضع الوطن.

لم أتمكن من السيطرة على نفسي، فوجدتني أفتح باب الدكان دون إرادة مني ودلفت إلى الداخل، فتبيّن لي أنه متجر لبيع الأصباغ.

كان المحل عبارة عن دكان نظيف، وقد اجتمع فيه جمع من الشباب يتراوح عددهم ما بين عشرة واثني عشر شخصاً وكانوا أتراباً وسيمين تبلغ أعمارهم العشرين ربيعاً تقريباً، وقد جلسوا متجاورين على المصاطب، وكان هناك عدد من الكهول تتراوح أعمارهم ما بين الأربعين والخمسين سنة، وقد اتخذ كل واحد منهم مجلسه في مصطبة بشكل متفرق..

فألقيت التحية عليهم قائلاً: أيها السادة، السلام عليكم.

فردّ عليّ بعضهم: عليكم السلام..

سألت عن صاحب الدكان؛ فقام شاب من ناحية وقال لي:

هل تطلب شيئاً؟

فابتعت منه مجموعة من أقلام الحديد والأصباغ المختلفة، ثم أخذت لي مجلساً على مصطبة، وتوجهت إلى الجمع بالخطاب قائلاً:

أستميحكم عذراً أيها السادة؛ هل لي أن أسألكم عن جنسياتكم والشعوب والبلدان التي تنتمون إليها وتنحدرون منها؟ كي أتمكن من القيام بواجب الاحتراف بكم طبقاً لتقاليدكم وعاداتكم، وبطبيعة الحال سوف تصفحون عني إذا أخطأت في تطبيقها..

فانفجر الجميع بالضحك، وقالوا: [هل تبدو لك مثل الأجانب والغرباء]^(١)؛ ألا ترى ثيابنا وأشكالنا؟!

فقلت لهم: وهل الثياب والأشكال هي التي تمثل ما به الامتياز بين أصناف البشر أو العرق الإيراني؟ هناك مئات الآلاف من الماديين والأرمن الذين يلبسون ذات هذه الثياب التي تلبسونها، كما أن الأجسام والأشكال ليست هي التي تميّز بين الناس، وإنما يمتاز كل قوم بالآداب والطباع والسجايا فقط؛ فلربما تجلى حتى إبليس على شاكلة البشر، ولقد تصورتكم للوهلة الأولى منحدرين من وحوش الشمال الإفريقي، أو من البيض الذين يسكنون في شبه القارة الأسترالية، أو من التافهين الأوروبيين!

فانبرى واحد من الرجال وكان قد حلق لحيته من أصولها - وفي هذا الكلام لا أبيت السبب؛ إذ هي علامة تحضر أغلب الإيرانيين، بيد أنه لم يُبق من الشاربين ما يزيد على الإصبع، ولم يُبق تحت ذقنه سوى شعرتين أو

(١) ما بين المعقوفين إضافة توضيحية من عندنا. (المعرب).

ثلاثة، وعلى رأسه قبعة مائلة، وكأنه تمثال بلجيكي أو هيكل نمساوي (اي دو صد لعنت بر اين تقليد باد)^(١) - وقد اضطرب كأنه خنزير مكلوم؛ ليقول: لأيّ سبب تنسبنا إلى الوحوش أو التافهين؟! ألم تستدلّ بكلامنا ولغتنا على إيرانيتنا؟

فقلت له: حتى اللغة لا يمكن لها أن تكون هي الفصل المميّز بين الناس؛ فهناك الكثير من الأجانب الذين يتكلمون باللغة الفارسية الجميلة وينطقونها بشكل أفضل منك، وإنما الفصل المميّز يكون في الانتماء إلى الأمة الإسلامية، ولهذا علامات خاصّة، ولا يمكن نسبة شخص إلى الأمة الإسلامية لمجرد الادعاء والهوى؛ ويمكن تلخيص صفات الشخص المسلم في مفاهيم من قبيل:

التدين، وحبّ الوطن، ومودة علماء الدين، وإكرام الضيف، وحسن الأخلاق والأدب، وبذلك كانت الشخصية الإسلامية - ولا تزال - مضرباً للمثل بين جميع الأمم، وهي معروفة بهذه الأوصاف في جميع الآفاق، وإن أخذت هذه الصفات في الآونة الأخيرة يطالها شيء من التشويه بسبب تصرفات أمثالكم.

وكل من لا يتصف بهذه الأوصاف، لن يكون سوى ذئب في جلد حمل، ولا يكون جديراً بأن يُسمّى مسلماً، بل نسبته إلى المجاهيل الأفريقية والأجنبية هي الأقرب، وعلى مثل هذا الشخص أن لا يطمع بحمل عنوان الإسلامية.

ثم توجهت إلى الشباب الآخرين، قائلاً: أيها السادة، أيّكم صاحب مقالة (زرباً زورباً)؟ فسكت الجميع وغضوا الطرف كأن على رؤوسهم الطير.

(١) شطربيت من قصيدة طويلة لجلال الدين الرومي (١٢٠٧ - ١٢٧٣ م) في ذمّ التقليد الأعمى. وقد تقدم أن ذكرنا حكايته. (المعرب).

فقال صاحب المتجر: سيدي إن صاحب هذه المقالة هو المتكلم نفسه!..

فقلت: وما هي مهنة السادة ومهنة المتكلم؟

فقال: إن السيد المتكلم أستاذ مادة الجغرافيا، حيث يدرّس في المتوسطة الفلانية، وسائر السادة هم طلاب في الصف السادس من المدرسة المتوسطة..

فقلت له: يا معالي الأستاذ، لو كنت مسلماً لما سمحت لنفسك بهتك عرضي والسخرية مني، وأنا مظهري يدلّ على أنني أمثل الإسلام.

وكما هو ثابت بالوجدان - بطبيعة الحال - ليس هناك أيّ عاقل يرغب في هتك وإهانة نظيره في الخلق وأخيه في الدين، ثم لو كان لديك حظ من الأخلاق والأدب لما قلت (زرباً زروبا) بدلاً من (ضربَ ضرباً)، وعلى هذا كيف لي أن أعتبركم من أبناء وطني، وأنظر لكم بوصفكم إخوتي في الدين، بل سوف أعتبركم من الأجانب ومن أعداء الإسلام والوطن، وعليكم أن تشكروني على ذلك إذ سميتكم بما يليق بأخلاقكم؛ فلو اعتبرتم من الإيرانيين مع ما أنتم عليه من الأخلاق، سوف أكون بذلك قد أسأت الأدب وارتكبت أبشع الظلم بحق الوطن الحبيب والشريعة الغراء.. هذا وإن هندامك وطريقة لبسك للثياب ينطق صراحة بعدم وطنيتك، ولم يبقَ سوى سابقة واحدة فقط، وهي أن تغدو تمثالاً لعجائز أوروبا.. وإني لأشفق على تلك القبعة التي اقترنت بهذا الزيِّ والهيئة، ناهيك عن الاسم الشريف للإسلام..

وفي تلك الأثناء كان سائر الشباب يستمعون إلى كلامنا، وهم على غاية الوقار والأدب.

قال الأستاذ: وهل أنت غافل عمّا يفعلُه أبناء صنفك من خيانات للشريعة، وما يرتكبونه من القبائح الشنيعة؟! فهم من بداية أعمارهم وصولاً

إلى الرmq الأخير من حياتهم، لا يفكرون بغير الترف واكتناز الأموال، وجمع ما لا يُحصى من الممتلكات والأطيان، وما لا يُعدّ من كنوز (قارون)^(١) من الفضة والذهب، وهم منهمكون في نماء أجسامهم، ولم يعرفوا من الاسم الكبير للمرجعية سوى الرئاسة، وذلك على شكلها المرائي. فهل نسيت ما كان من فلان وفلان من حمل معول العناد والخلاف على أبناء جلدتهم واستئصالهم لجذور أسر الآلاف من أبناء وطنهم الإسلامي، وعليه لا مندوحة لنا من إساءة الأدب!

فقلت له: من الطبيعي أن لا تعلم عن أي شيء تتحدّث، وأن لا تعرف مستنداً لكلامك.

إن قولك هذا لا يرفع إشكال التشكيك في انتمائك، فقد ذكرت أولاً أن أمناء الإسلام قد استولوا على حقوق المستحقين الشرعيين وقاموا بخيانتها، وبذلك قد ارتكبت خطأ فادحاً؛ إذ أن العلماء الأعلام يتكفلون - في الحد الأدنى - بمصارف نصف الطلاب المقيمين في العتبات المقدسة والبالغ عددهم عشرون ألف طالب، وإن سماحة حجة الإسلام والمسلمين الآغا...^(٢) - أعلى الله مقامه - الذي أقام مؤخراً في الحائر الحسيني - على ساكنه آلاف التحية والثناء - قد أخذ - في حدود ما أعلمه على نحو القطع واليقين - بالإضافة إلى توزيعه راتباً شهرياً كافياً على آلاف الطلبة، ينفق في كل شهر - بواسطة أحد المقرّبين منا - ما يقرب من عشرين ألف ربّية^(٣) لشراء الخبز وتوزيعه [على الطلاب] في النجف الأشرف وحدها.

(١) (قارون): أحد أثرياء بني إسرائيل في عصر النبي موسى عليه السلام، وقد وصف الله تعالى ثراه الفاحش في الآية السادسة والسبعين من سورة القصص، بقوله: ﴿وَأَيُّنَّهُ مِّنَ الْكُؤُزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ﴾. (المعرب).

(٢) الفراغ من الاصل.

(٣) عملة نقدية هندية. (المعرب).

وهل نسيتم المواقف السامية للمؤسسة العلمية والروحية المتمثلة بمولانا سماحة آية الله الميرزا حسن الشيرازي^(١) - أعلى الله مقامه - الذي طبقت شهرته الآفاق؟! ولولا تأثير ونفوذ أوامره المرضية ومساغيه الشرعية، لكان قطرنا العزيز يُعدّ منذ خمسين سنة ضمن ممتلكات (جارتنا الشمالية)^(٢).. ولولا الفتاوى الصادقة وتوضيحات سماحة آية الله الآغا...^(٣) - أعلى الله مقامه - لما تجرّأت على قول هذه الكلمات المسيئة، فإن الأوضاع [الإيجابية]^(٤) الراهنة في المملكة، إنما يعود الفضل فيها إلى هذا العالم الأوحده.. ألم يضحّ سماحة آية الله [الشهيد]^(٥) الميرزا علي ثقة الإسلام التبريزي^(٦) من أجل الإسلام بروحه - وهي كل ما يملك - وفضل أن يرتفع رأسه على مشنقة المعراج من أجل أن تبقى رؤوس المسلمين مرفوعة وعالية؟

وباختصار فإن [الفضل في قيام] الدولة واستقلالها يعود منذ ما يزيد على المئة عام إلى علماء الدين وعنفوان الإسلام، حتى عادت الروح إلى الجسد

(١) الميرزا محمد حسن الحسيني الشيرازي (١٢٣٠ - ١٣١٢هـ): من أشهر مراجع الشيعة، حيث ألت إليه المرجعية بعد وفاة أستاذه الشيخ الأنصاري. وهو صاحب الفتوى الشهيرة بتحريم التنباك في مواجهة الاستعمار البريطاني، الذي عقد اتفاقية مع الحكومة الإيرانية، تقضي باحتكار بيع التنباك لشركة (ريجي) البريطانية، وبموجب تلك الفتوى امتنع الملايين من الشعب الإيراني عن شراء التنباك، ودخل مفعول الفتوى إلى داخل القصر الملكي، مما أدى إلى إفلاس الشركة المذكورة، ورضوخ الاستعمار البريطاني لمطالب الشعب المحقة وإلغاء تلك الاتفاقية، حتى عُرفت تلك الفتوى لاحقاً بـ(ثورة التنباك). (المعرب).

(٢) المقصود بذلك الاتحاد الروسي الذي كانت له في حينها أطماع استعمارية توسّعية، ولطالما وضع عينه على الشمال الإيراني. (المعرب).

(٣) الفراغ من الأصل.

(٤) ما بين المعقوفتين إضافة توضيحية من عندنا. (المعرب).

(٥) ما بين المعقوفتين إضافة توضيحية من عندنا. (المعرب).

(٦) تقدم ذكره والتعريف به في هامش سابق. (المعرب).

الهامد للوطن مؤخراً بفعل الأنفاس القدسية لهؤلاء العلماء، وبفضل مواقفهم المخلصة والصادقة تم تشكيل الدولة [القانونية]^(١).

ومع ذلك تتجراًون عليهم بوقاحة وتهوّر، وتتناسون مواقفهم البطولية السامية، وتحدثون عنهم بجفاء ينم عن عدم الوفاء لحقوقهم وجهودهم.

لنفترض أن عدداً من الفهود الضارية، بل الوحوش من أكلة لحوم البشر، قد تنكروا بزي هؤلاء الملائكة، وقاموا ببعض الأفعال الوحشية والهمجية، أو أغاروا على مال اليتامى والمساكين، على الرغم من أنهم معروفون كما يتميز الشوك من بين الأفاحي والأزهار، ولكن على أيّ دليل، واستناداً إلى أيّ قانون أو وجدان تحكم على الجميع بكلمة واحدة، ومن هنا يمكن لي أن أجيب عنكم بالنقض.

ألم يكن معالي... السلطنة، وفضيلة... الدولة، و... - من الذين ضيعوا الدولة والشعب بسبب لهوهم واستمتاعهم العابر في هذه الدنيا الفانية جهلاً منهم وغفلة، فعرضوا الوطن الحبيب إلى الكثير من المصائب والمآسي - هم من [الأفندية] الذين يرتدون القبعات مثلكم؛ إذن على طبق قاعدتك الآنفة، يجب الحكم على جميع ذوي القبعات بالخيانة والإساءة للتاج والعرش والصولجان، وتجاهل جميع تضحيات معالي... الأعظم، وسماحة... الأسعد، و... الوطني، و... من المجاهدين والمناضلين المحترمين في العصر الراهن!.. فأيّ صاحب وجدان وحسّ وضمير حيّ يسمح لنفسه بالعمل على طبق هذه القاعدة الاعتبارية، ومن هو المسلم الغيور والمحِبّ للوطن الذي يعتمد على هذا الأساس المتداعي وغير المنطقي؟ إن العقل والوجدان جوهر شريفة، فلماذا تنكرون للعقل وتطلقون الكلام على عواهنه؟!

(١) في الأصل (ثانوني) وربما كان الصحيح ما أثبتناه. (المعرب).

دعونا نتكلّم بشكل منصف، لو افترضنا أنكم بسبب بعض العملاء الأجراء، تنسبون الخيانة إلى جميع علماء الدين، وتصفونهم بالترف وحبّ الدعة وعدم المبالاة؛ وأقوم أنا بدوري بالنظر إلى شרذمة من (المترنجين)^(١)؛ لأصف جميع أصحاب القبعات بانعدام الحسّ والشرف والعمالة للغرباء!..

ألن يؤدي ذلك بالوجدان، إلى استفحال هذا الاعتقاد الواهم، وترسّخه في قلوب البسطاء والسادجين من الطرفين، ثم تتضح الأسرار الكامنة شيئاً فشيئاً، وتنفجر العداوة والمناوأة الباطنية استجابة لإشارة أو تلويح، ولا يمض طویل وقت حتى يتم نسيان التعايش، وينقضّ كلا الطرفين فجأة على بعضهما وينهشان لحم بعضهما بمخالبهما الحادة، ثم آناً فآناً تتحوّل نائرة الجدال المستعرة في عقدة الجوف إلى الاقتتال، وعندها سوف يأتي اللاعبون في الساحة أو المغيرون والناهبون في الداخل من الذين يحظون في الجملة بمركزية في الزاوية الغربية المجاورة لمغربنا، وينفخون الناي المعدّ لهذه الغاية في التنانير فتثير رياحاً مخالفة، ليطفئوا النور المزعج لخفافيش الظلام؛ وإن كنت أعلم [أن الأمر كما قال الشاعر]^(٢):

چراغي را كه ايزد بر افروزد هر آن كس پف كند ريشش بسوزد^(٣)

(١) نسبة إلى (الفرنجة) أو (الإفرنج) أو (الإفرنجة) (فرنسا)، ويعني بهم المتأثرين بالغرب، من باب إطلاق الخاص وإرادة العام، وقد تقدّم مثله. (المعرب).

(٢) ما بين المعقوفتين إضافة توضيحية من عندنا. (المعرب).

(٣) هذا البيت من مفردات الشاعر الصوفي أبو سعيد بن أبي الخير فضل الله بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الميهني، الذي يُعرف اختصاراً بـ (أبو سعيد أبو الخير) (٣٥٧ - ٤٤٠هـ). ويقال في حكايته إنه عندما كان في نيسابور كان يحكمها حاكم شديد السطوة والقسوة، وكان في الوقت نفسه يعادي الشيخ أبي سعيد وينكر عليه ويتريّص به الدوائر. وذات يوم أهدى تاجر ألف دينار ومقداراً من طيب العود إلى أبي سعيد؛ فبادر الشيخ أبو سعيد - على مألوف عادة وطريقة العرفاء في عدم اكتناز شيء من هذه الهدايا - إلى خادمه (حسن =

ولكن ما الذي يمكن فعله مع وجود هذه الفهود المتهورة والحيتان المسعورة التي ترصد على الدوام هذا الصيد؟! وعندها من هو الذي سوف يعمل بواجب الدفاع وحماية (العرق الساساني)^(١) غير صاحب القبعة أو عالم الدين؟ هل سيقوم بذلك عدد من الأشخاص الخائنين وو... أم الملائكة المسوّمين سوف ينزلون لاستلام زمام الأمور، أم أن طائفة الجن هي التي سوف تسارع إلى نصرة هذا الشعب المحتضر؟!.. كلا، كلا، فإن هذا لم يحدث إلّا في غزوة بدر حيث كان المسلمون يجاهدون مخلصين بكل وجودهم، وليس من أجلنا نحن الذين يحمل كل واحد منا في صفحة كيانه بيادر من من حبّ الأنا والأغراض الشخصية. بالنظر إلى إشارة الإمام

=المؤدّب) وأمره أن يعدّ أنواع الأطعمة للصوفية، وأن يشتري من أجود أنواع الشمع الكافوري وإشعالها وسط باحة الخانقاه، وأن يسجر التتور بطيب العود حتى تصل رائحته الزكية إلى مشام جميع من هم في الجوار.. وحيث كان الحاكم يترصد صدور زلة من أبي سعيد، فقد اغتنم هذه الفرصة واقتحم مجلس الشيخ أبي سعيد وانتهره قائلاً: ألم تعلم أن إيقاد الشموع في رابعة النهار إسراف ظاهر ومخالف للشرع؟! فتظاهر الشيخ أبو سعيد بالحياء والخجل، وقال: لم أكن أعلم ذلك، ولكن حيث تقول أنت إنه حرام، فأني أمنحك شرف إطفاء الشموع.. ولما تقدم الحاكم ونفخ في الشمعة الأولى ارتدّت النار إلى وجهه وأحرقت لحيته، ولم يتمكن من إخماد النار الناشبة في وجهه إلّا بصعوبة. وعندها إلتفت الشيخ أبو سعيد إليه وخاطبه بهذه البيت والذي يروى بصيغة: (هر آن شمعي كه ايزد بر فروزد.. كسي كش پف كند ريشش بسوزد) بمعنى: (إن الشمعة التي يوقدها الله.. سوف تحرق لحية من يسعى إلى إطفائها)، ومنذ ذلك الحين سار هذا البيت - منذ ما يقرب من تسعمئة سنة - مثلاً على ألسنة الناس، للتعبير به عن غلبة الحق على الباطل، ويبدو أنه مقتبس من قول الله تعالى في الآية الثانية والثلاثين من سورة التوبة: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾، ومثله ما ورد في الآية الثامنة من سورة الصف. (المعرب).

(١) نسبة إلى الإمبراطورية الساسانية التي حكمت إيران لأكثر من أربعة قرون ما بين (٢٢٤م - ٦٥١م)، والمراد هنا هو العرق الإيراني. (المعرب).

الرضا عليه السلام حيث قال: (أبى الله أن يجري الأمور إلّا بأسبابها)^(١)، فعلينا أن نعمل أبداً على توفير الأسباب لبؤس ومسكنة وطننا الحبيب، ونسعى إلى إيجاد الحلول لهذا المسكنة، إذ لا ينفع الدواء بعد استفحال الداء.

داروي درد دل ما اتفاق است چاره بیچارگی ما اتفاق است^(٢)

فمن الأفضل إذن أن نمّد يد الاتحاد إلى بعضنا، وأن نشدّ على أيدي بعضنا بصدق، وأن نجهد بأجمعنا من أجل رقيّ وسعادة وازدهار ديننا وبلدنا، فقد نتمكن على العجالة من وضع إدارة الأمور والشؤون - التي ألقيت على كاهل الغير - في أيدي الأكفاء من المسلمين من أبناء الوطن؛ ليعملوا على رتق آلاف الخروق التي تهدّد استقلالنا، وأن يجدّوا على الدوام في نشر الاحترام فيما بينهم، وإذا ثبتت الخيانة على كل واحد منهم، وجب القضاء على من ثبتت خيانتة، فلا شك في وجود لص وخائن في كل صنف وطائفة، ولكن:

کار پاکان را قیاس از خود مگیر گر چه باشد در نوشتن^(٣) شیر شیر
آن یکی شیر است اندر بادیه وان دیگر شیر است اندر بادیه
ای بسا ابلیس آدم روی هست پس به هر دستی نباید داد دست^(٤)

(١) يروى هذا الحديث في الصفحة تسعين من الجزء الثاني من بحار الأنوار عن الإمام الصادق عليه السلام بصيغة: (أبى الله أن يجري الأشياء إلّا بأسبابها؛ فجعل لكل سبب شرحاً، وجعل لكل شرح علماً، وجعل لكل علم باباً ناطقاً، عرفه من عرفه، وجهله من جهله). (المعرب).

(٢) لم نعر على قائل هذا البيت، ومعناه: (إن دواء وجع قلوبنا هو الاتحاد.. وإن حلّ مأساتنا يكمن في الاتفاق).

(٣) في ديوان المثنوي المعنوي (نيشتن)، بدلاً من (نوشتن)، والمعنى واحد. (المعرب)

(٤) هذه الأبيات من قصيدة لجلال الدين الرومي بعنوان (البقال والبغاء) في تفنيد القياس، =

ثم انبرى من ناحية إلى الكلام شاب يافع جميل القوام، قائلاً: سيدي،
إني أصدق بكلامكم من صميم قلبي وروحي، ولا شك - بطبيعة الحال - في
أن قوام دولتنا في الوقت الراهن إنما هو ببركة وجود العلماء الأعلام، بل
لا يزال وسوف يبقى رُقيّ وازدهار الوطن الحبيب مقروناً بنشر الدين. ولم

=وخلاصة الحكاية: أن بقالاً كان له ببغاء جميل ومنطيق، يجتذب الزبائن بنطقه، ويحرس
الدكان في غياب صاحبه. وذات يوم غاب البقال ودخل إلى الدكان هراً يبحث عن صيد؛
فأخذ الببغاء يطير إلى شتى الاتجاهات فزعاً ويخفق بجناحيه وأسقط بعض الدوارق
فتحطمت وأريق ما فيها من الزيت، ولما عاد التاجر ورأى ما فعله الببغاء؛ غضب غضباً
شديداً وأخذ يهوي على رأس الببغاء بالضرب حتى تساقط الريش من رأسه وصار أصلع،
ومنذ ذلك الحين دخل الببغاء في كآبة وأضرب عن النطق، فاغتم البقال وندم على ما فعله
بالببغاء وأخذ ينذر النذور ويتصدق على الفقراء أملاً منه في أن تحل عقدة الببغاء ويعود إلى
نطقه السابقه واجتذابه للزبائن، ولكن دون جدوى. حتى حدث ذات مرة أن مرّ حلاج
وصادف أن كان أصلع؛ وما أن وقعت عين الببغاء عليه ورأى صلعته حتى صاح من تلقائه:
هل أسقطت دوارق الزيت فحلّ بك ما حلّ بي من الصلع؟! فضحك الجميع من مقالته؛ إذ
قاس صلعة الحلاج على صلعته. وقد بيّن جلال الدين الرومي خطأ القياس بقوله: (كار
پاکان را قیاس از خود مگیر.. گر چه باشد در نبشتن شیر شیر / آن یکی شیر است اندر
بادیه.. وان دیگر شیر است اندر بادیه) بمعنى: (لا تقس أعمال الأبرار على نفسك.. فإن
كلمة (شیر) التي ترد في اللغة الفارسية بمعنى الأسد واللبن، وإن كانت تتشابه في الكتابة،
ولكن معناهما مختلف تمام الاختلاف؛ فهناك (شیر) (أسد) يسكن في البادية والصحراء،
(شیر) (لبن) يُسكب في البادية (بمعنى الآنية). وهناك في بعض نسخ المثنوي إضافة بيت
توضيحي آخر على وجود التشابه بين الأسد واللبن يتخطى مجرد الكتابة، يقول فيه: (آن
یکی شیر است که آدم می خورد.. وآن دگر شیر است که آدم می خورد)، ويكاد التشابه
والجناس بين صدر البيت وعجزه كما في البيت السابق يبلغ حدّ التطابق، ولكن المعنى
مختلف تماماً، فصدر البيت يقول: (هذا (شیر) (أسد) يأكل البشر)، بينما يقول عجز
البيت: (هذا (شیر) (لبن) يتناوله ويشربه البشر). ثم قال في البيت الثالث والأخير: (ای بسا
ابلیس آدم روی هست.. پس به هر دستی نباید داد دست) بمعنى: (ما أكثر الشياطين الذين
يبدون على شكل إنسان.. فعليك أن لا تتخدع ولا تصافح كل أحد)؛ فما كل من يبدو على
شاکلة البشر من البشر. ويقابله في العربية: (ليس كل ما يلمع ذهباً). (المعرب).

ننس التقدم الديني لسلطين الصفوية، ولا يمكن لمن يملك ذرة من الوجدان أن يُنكر هذه الحقيقة، ولا شك في أن الذي ينكر هذه الحقيقة إنما يُسيء إلى الإسلام ويعادي الازدهار..

حاشا أن نأتي بما يُسيء الأدب في محضر العلماء الأعلام وأمناء الإسلام، بل إن لحمنا وعقلنا قد نما بفضلهم.. إني أبلغ من العمر تسعة عشر عاماً، ومنذ بدأت التمييز بين الخير والشر، كانت كلمة الإسلام والازدهار لا تنفك تجري على لساني، ويشهد جميع هؤلاء الإخوة على أنني في أغلب الأحيان أضطرب تماماً لمجرّد التفكير في اختلال أوضاع المسلمين.

يمكن لي القول بكل ثقة: إن (إبراهيم بيك التبريزي)^(١) إنما هلك في ريعان الشباب بسبب حبه للوطن.

(١) (إبراهيم بيك التبريزي): بطل رحلة كتبها (زين العابدين المراغي) (١٢٥٥ - ١٣٢٨هـ) - وهو من المناضلين الأحرار في عصر المشروطة والثورة الدستورية في العهد القاجاري - وقد كتب هذه الرحلة تحت عنوان (سياحت نامه ابراهيم بيك) على لسان شخص اسمه (إبراهيم بيك). وكان لصدور هذا الكتاب تأثير كبير في الوعي الاجتماعي والسياسي على أعتاب الثورة الدستورية. ويبدأ هذا الكتاب على شكل تقرير لرحلة، ثم يتحول شيئاً فشيئاً إلى رواية تحكي قصة إبراهيم بيك بوصفه نجل تاجر إيراني ترعرع في مصر وجمع ثروة هناك، ثم عشق فتاة اسمها (محبوبة)، بيد أن حبه لإيران كان أقوى، بل كان على لسان بعض أبطال القصة يتغلّب بها، ويدعوها (الأميرة إيران)، وكان يراها في عالم الخيال منزّهة عن النقص والشوائب، حتى أنه لم يكن على استعداد لسماع أي خبر غير سارّ عن إيران. حتى حانت الفرصة لإبراهيم بيك لزيارة الإمام الرضا عليه السلام ورؤية الوطن للمرة الأولى، وفي طريقه نزل في إسطنبول ليلتقي بكاتب الرحلة (زين العابدين المراغي)، الذي عرض عليه الواقع البائس الذي تعيشه إيران، ولكن إبراهيم بيك لم يكن على استعداد لتصديق ذلك، فواصل رحلته حتى وصل إلى القفقاز، ولمس هناك آثار البؤس الذي يعاني منه الإيرانيون المهاجرون، ولكنه علل النفس بأن القفقاز دار غربة، وأن الرخاء والسعادة لا يمكن إلا أن تكون في إيران. ثم واصل طريقه حتى وصل إلى إيران، وأخذ هناك في كل خطوة يخطوها يقف على واقع مزر لا يسرّ الحبيب؛ الأمر الذي شكل صدمة له، وكان تقبّل الحقيقة =

بيد أنني بالإضافة إلى حبّ الوطن يشغلني هاجس التفكير بالأوضاع المضطربة للإسلام؛ فإلى متى تظلّ رياح السموم تعصف بنخلة حياتي؟
بيد أن الإشكال الوحيد - الذي يمكن لي أن أورده بحسب وجهة نظري القاصرة، وهو لا شك يمثل جرأة مني بحق الساحة المنيعة لأعلام وحجج الإسلام - هي أن العشرة آلاف والعشرين ألف طالب من طلاب الحوزة العلمية الذين يعيشون في رفاهية كاملة تحت ظلّ رعاية العلماء الكرام، بحيث أنهم سوف يعودون إلى أوطانهم التي يألّفونها، من أجل حماية أبناء الوطن الحبيب من صدمات الجهل وظلام المادّة.

ولكن يكفي لكل قرية من القرى الإسلامية فقيه عادل واحد، ولا تحتاج كل قرية إلى أربعة أو خمسة من المعمّمين المقيمين، حيث يشيع بينهم التحاسد والتنافس، ويدعوهم التكالب على جميع الثروات إلى نهب أموال إخوانهم في الإسلام وسلب حرياتهم، أو يصدرّون الفتاوى المبتدعة وغير المشروعة استعراضاً لكفاءتهم.

=بالنسبة إليه مرّاً، ولكن الأكثر مرارة من ذلك هو الصمت على هذا الواقع، ولأنه لا يريد الاستسلام لهذا الواقع، كان لا يفتأ يناقش الكبير والصغير والأمير والفقيه، وقد سعى إلى الإصلاح في مجتمع جاهل متخلف يتخذ من كلمة (إن الأمر لا يعني) شعاراً لإيثار السلامة، فذهبت جهوده في الإصلاح أدراج الرياح، ولم يلق أذناً صاغية، بل تعرّض لذلك في الكثير من المواطن إلى الضرب والإهانة؛ فلم يجد بداً من سحب أذيال الخيبة والعودة من حيث أتى؛ لبدأ هناك تأليف رحلته بنصيحة من والده حتى أتمّها. ولكن الأمر لم يقف عند هذا الحد؛ فإن مؤدّب (العم يوسف) الذي رافقه في هذه الرحلة قام بمواصلة رواية القصة، ويقول إن إبراهيم بيك رغم حالة الإحباط التي لازمته في الغربة، إلّا أنه لم يترك النقاش والمحااجة مع الآخرين في محاولة يائسة منه إلى الإصلاح، ولكنه ذات ليلة إثر مناقشة حادّة وجنونية أضرم النار في بيته وأصيب بحروق بليغة، وتم إخراجهم من البيت وهو في الرمق الأخير، وظلت حالته تتراوح ما بين السوء والتحسّن؛ تبعاً لما يصل من الأخبار عن إيران؛ فيتحمّس إذا كان الخبر سارّاً، وتسوء حالته إذا كانت الأخبار سيئة، وفي نهاية المطاف كانت الأخبار السيئة تترى وتدنيه من الموت خطوة خطوة؛ حتى اقترن موته كمدّاً في شرخ الشباب عندما بلغه خبر موت محبوبته (الأميرة إيران). (المعرب).

أعود وأقول - واغفر لي جرأتي - ألا يمكن لأمناء الأسلام وعلمائه أن يختاروا من بين ألفي طالب علم - أو لنقل ألف طالب علم - مئة طالب للتخصّص في العلوم الحديثة وتعلم اللغات الأجنبية، ليعمل هذا العدد من الطلاب على نشر الشريعة الإسلامية المقدسة وتبليغ أحكام الإسلام ونشر تعاليمه ومحاسنه في أقطار وبلدان الآخرين؛ فإن خمسين شخصاً مسلماً من الأمريكيين الأثرياء أو الأوروبيين الخبراء خير من آلاف البدو المتوحشين لتحقيق شوكة الإسلام.

سيدي حتى متى نقنع كما يقنع (براهمة)^(١) الهند بشرذمة من أتباعهم؟ حتى متى نسمح للمبشرين من البروتستانت والكاثوليك بالإغارة على ضعاف العقيدة من أبناء جلدتنا؟ ألم يترك النبي الأكرم صلى الله عليه وآله شريعته وأيتامه من المسلمين وديعة وأمانة في أعناقكم؟! إذا لم تفكروا في الرقي والازدهار، ولم تعملوا على حفظ ثغور الوطن؛ فإلى من يلجأ أيتام الإسلام؟ وبمن يستجير المستضعفون من آل محمد صلى الله عليه وآله؟! لو أنكم غفلتم عن أمور الدين والسياسة، فالويل لمن كان دعاة إصلاحه سادرين في غفلتهم.

آنچه بگندد نمکش میزنند وای بوقتی که بگندد نمک^(٢)

(١) البراهمة: اسم يطلق على أفراد الطبقة العليا، وهي طبقة الكهنوت أو رجال الدين عند الهندوس، ولهم مناسكهم وطرق عيشهم الخاصة بهم، وفي وسعهم وحدهم تفسير (الفيدا) (أو الكتب الهندوسية المقدسة) وتطبيقها، وهم الذين يتلون الصلوات والأناشيد وإذكاء النار المقدسة. وأما الطبقات الثلاثة الأخرى الأدنى منها: فهي عبارة عن: النبلاء، والبرجوازيون، والحرفيون. ولا يحق لأي طبقة من هذه الطبقات أن تختلط بالطبقات الأخرى. (المعرب).

(٢) لقد تقدم ذكر هذا البيت، ويقابله في اللغة العربية: (يا رجال العلم يا ملح البلد.. ما يصلح الملح إذا الملح فسد). (المعرب).

وعليه فإننا في هذا العالم سوف نشكو من أمناء الإسلام - حيث يدّعون إدارة شؤونه - إلى الناحية المقدّسة لصاحب العصر والزمان عجل الله فرجه الشريف، وفي يوم القيامة سوف نتعلق بأذياله ونستعرض ظلامتنا هناك.. وهنا بلغ الشاب حالة شديدة من الانفعال وهيجان الغيرة!

فبادرت إلى تهدئته، قائلاً: يا أخاه! إن ما ذكرته صحيح، وإنني أشكر الله آلاف المرات على وجود من يحمل مثل هذا الوعي والإدراك من أمثالك.

يقولون: إن أهالي طهران قد تنصّلوا عن الدين والغيرة بالمرّة؛ حيث يشيع بينهم هذا النوع من الأفعال المخالفة للشرع والغيرة؛ ولكنني أقول: ألف روح طبيعية ومادية تذهب فداء لشعرة واحدة من رأسك؛ إذ أراك فداً فريداً في الغيرة على الإسلام والتفاني في حبه.

يكفي طهران أن تكونوا فيها أنتم لوحدكم. إن كل ما قلته هو عين الصدق والإخلاص، بحيث لا يسعني إنكاره، بيد أن علماءنا لا يقصّرون في تقديم أيّ خدمة يقدرّون عليها، وربما لم يكونوا ملتفتين حتى الآن إلى هذه النقطة، وقد غفلوا عن هذه الخدمة الفريدة التي تشكل أساساً وركيزة لجميع أنواع التبليغ ونشر الدعوة، وأنا على يقين من أنهم إذا التفتوا إليها فسوف يسارعون إلى تطبيقها، وبذلك سوف يطيحون بلواء النصارى.

أسأل الله تعالى أن يكثر من أمثالكم من الأشخاص الواعيين، وأسأله تعالى أن ينير أبصارنا ويشرح صدورنا بإسلامكم. ولكن يجب على كل مستشكل وناقد أن يرسل آراءه وإشكالاته إلى العلماء الأعلام، ويشرح لهم رؤيته ويثبتها بالأدلة الوجدانية؛ وبطبيعة الحال فإنهم لن يحدوا عن تنفيذ الأمور النافعة والمفيدة، ولا يمكن للأصلاح أن يكون بإطلاق الكلمات البذيئة والسخرية والاستهزاء، وعلى سبيل المثال ما الذي يمكن أن يجنيه الإسلام من النبز بحمّلة تعاليمه والانتقاص منهم عندما نطلق عبارات، من قبيل: (زربا زوربا)؟!

[حوار مع أستاذ الجغرافيا]

وهنا اعتذر جميع الشباب بالنيابة عن الأستاذ..

فقلت لهم: سوف أصفح عنه وأغض الطرف عن مقالته بكل سرور، ولكنني أرغب في التحوار معه في العلم الذي هو من اختصاصه، ثم توجهت إليه قائلاً: حسناً سماحة الأستاذ، سوف نترك (زرباً زورباً) جانباً، ونتحدث عن الجغرافيا شريطة أن لا تضحك من أسألتني؛ لأنها لن تتجاوز المرحلة الابتدائية، وأرجو منك أن تجيب على قدر السؤال:

هل لك أن تجيبني ما هو شكل الأرض؟

فقال الأستاذ ضاحكاً: إنها كروية تشبه الأترجة!

وهل الأرض متحركة أم ساكنة؟

وهنا ضحك الأستاذ ثانية وقال: إنها متحركة!

حسناً، هل لك أن تذكر لي أقسام حركة الأرض؟

فقال الأستاذ: إنني أستغرب من أسألتك هذه، ومع ذلك أقول: إن للأرض حركتين: وضعية، وانتقالية، وفي حركتها الوضعية تدور حول نفسها مرة واحدة خلال اليوم والليلة [على مدى أربع وعشرين ساعة تقريباً]، وفي حركتها الانتقالية تدور مرة واحدة حول الشمس خلال مدة تقدر بخمس وستين وثلاثمائة يوم وليلة وست ساعات وبضع دقائق، وينتج عن الحركة

الأولى [الوضعية] الليل والنهار، وينتج عن الحركة الثانية [الانتقالية] الفصول الأربعة [من كل سنة]^(١).

وهل حركتها الانتقالية بيضوية أم (دائرية)^(٢)؟

فقال الأستاذ: إنها بيضوية، ولكن ما الذي تقصدونه من هذا السؤال؟!

فقلت له: سوف أكتفي بهذه الأسئلة، ولكنني أشرت عليك أن تحلّ إشكالاتي. وأقول من باب المقدمة: من الثابت بالوجدان أن كل حركة تحدث ريحاً تتجه من الأمام إلى الناحية المعاكسة لمسار الحركة، وإن شدة وضعف هذه الرياح المخالفة رهن بسرعة وسكون سير المتحرّك، ومن الطبيعي أن يحدث بسبب هذه الحركة صوت صفير شبيه بالصوت الذي يحدث عند انطلاق الحصان العربي الأصيل في جريه، ومثل الصوت الذي تحدثه العربات التي تعمل بقوة البخار، وعندما ينطلق السهم والطلقة النارية نلاحظ بوضوح عند اصطدامها بالهواء حدوث ريح ونسمع صفيراً، وربما لاحظ ركاب الحافلة أثناء انطلاقها السريع أن الشخص في بعض الأحيان لا يتمكن من الحفاظ على قبعته إذ سوف تطير بها الرياح الناتجة عن حركة الحافلة بعيداً، مع أن أقصى سرعة السيارة لا يزيد على العشرين ميلاً في الساعة^(٣)، في حين أن سرعة الحركة الوضعية للأرض وحدها تبلغ [ثلثاً]^(٤) ١٠٤١ ميلاً في الساعة، وعليه كيف يمكن لنا أن نتصور أن يكون للحافلة - التي لا تبلغ سرعتها واحداً من خمسين من السرعة الوضعية للأرض - مثل

(١) ما بين المعقوفات إضافات توضيحية من عندنا. (المعرب).

(٢) في الأصل (كروي) والصحيح ما أثبتناه. (المعرب).

(٣) هذا إنما كان - بطبيعة الحال - قبل قرن من الزمن حيث كتبت هذه الرحلة، وأما حالياً فهناك من السيارات ما تم تزويدها بمحركات نفّاثة تجعلها قادرة على قطع مسافات شاسعة بسرعة مذهلة قد تصل حتى إلى أكثر من أربعمئة ميل في الساعة. (المعرب).

(٤) هكذا ورد في الأصل ولم نتيّن معناه. (المعرب).

هذا الضجيج والهدير، في حين أن الأرض على الرغم من سرعتها لا تحدث ريحاً ولا صفيراً؟ مع أن القاعدة تقتضي أن يعم صوت حركتها كل العالم، وأن تواصل الريح السريعة للغاية - والتي تتجه من ناحية المشرق على نحو معاكس للحركة الوضعية للأرض - هبوبها بشكل متواصل ودون انقطاع؟ بالإضافة إلى أن الحركة الانتقالية تفاقم هذا الإشكال.

وأما الحركة البيضوية الانتقالية، فيرى علماء الجغرافيا أن سببها يعود إلى الجذب والدفع؛ بمعنى أن الشمس بقوة جاذبيتها تجبر الأرض على الدوران حولها، ولا تفلت عقالها في الفضاء اللامتناهي فتضيع في أجواز الفضاء، وفي المقابل فإن القوة الدافعة للهواء المتوسط تعمل على كبح وتخفيف القوة الشمسية، وبذلك تحول دون اقتراب الكرة الأرضية من الشمس؛ وعلى هذا الأساس يجب أن يبقى دوران الأرض في حركتها الانتقالية حول الشمس على وتيرة واحدة وبشكل دائري، وعليه فمن أين جاءت الحركة البيضوية للأرض؟! يضاف إلى ذلك أن علماء الجغرافيا الجدد قد قدّروا المسافة ما بين الأرض والشمس بثلاثة وتسعين مليون ميل، مع أن الحركة البيضوية تقتضي أن يكون للأرض - في بعدها عن الشمس - مسافتان؛ إحداهما حيث تبلغ منتهى الطول البيضوي، والأخرى عند الوسط. أي: في الحادي والعشرين من شهر آذار حيث أول فصل الربيع، وفي الثالث والعشرين من شهر أيلول حيث الأول من فصل الخريف، إذ تكون أشعة الشمس عمودية على خط الاستواء، ويتساوى فيها الليل والنهار، وفي كلا الزمانين تكون الأرض في وسط الخط الوهمي البيضوي، بمعنى أنها تكون في غاية القرب من الشمس؛ وفي الحادي والعشرين من شهر تموز، والثاني والعشرين من كانون الأول حيث بداية فصل الصيف والشتاء، وتنحرف فيه أشعة الشمس نحو الجنوب والشمال، وهنا تقع الأرض في منتهى بُعد ونهاية طول الخط الوهمي. فهل المسافة التي حدّدها

علماء الجغرافيا هي مسافة أيام بُعد الأرض عن الشمس، أم أنها مسافة [أيام] قربها منها؟ وعليكم الآن أن تجيبوا عن هذه الأسئلة بأدلة وجدانية.

فقال الأستاذ: يحدث أن لا تجد مثل هذه الإشكالات في الكتب المتوفرة لدينا، فإن الدروس الراهنة تقتصر على المصنّفات الحديثة، ونحن نكتفي بتدريس ما نتعلّمه منها؛ وعليه فلا ترجو من أمثالي أن تحصل على إجابات عن هذه الإشكالات؛ لأننا في هذه الأمور مجرد مقلدين لما يأتينا من الأوروبيين، وقد كنت أظن أن علماءنا ليس لهم نصيب من العلوم الجديدة، وأنهم يقولون بتحريمها؛ ولكن يبدو من كلامكم أنهم على كفاءة ودراية كبيرة في هذا المجال، ولكن يجب على الذوات العالية من علماء الإسلام أن يوفدوا بعض العلماء الذين يمثلون الإسلام تمثيلاً حقيقياً للتصدّي إلى ردّ بعض أوهام هؤلاء؛ بمعنى أن يمتلكوا في الجملة كل ما يحتاج إليه الآخرون جميعاً.

إن الناس إنما سوف يُسعدون عندما يمتلك علماء الدين علوم الأجانب، وأن يكونوا على استعداد للردّ عليهم، والآن أرجو منك أن تتلطف عليّ بالعمو وتغض الطرف عمّا بدر مني؛ فقد أخطأت في حقك.

فقلت له: الآن حيث أقررتم، أرجو منكم أن تسمحوا لي بأن أثبت همّي وما يعتلج في صدري، والذي أريد قوله هو أن المتجدّدين عندنا أو المتفرنجين^(١) منا يعتبرون أتباع [النبي] محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله - وهو رسول الله وترجمان وحيه والعالم والعقل الكل والصادق المصدّق - بأجمعهم من عبدة الأوهام، وأنهم مجرد مقلدين لا أكثر، في حين أن تكليف كل مكلف بأحكام الله هو التقليد فقط، إذ أن أحكام الشريعة ليست مثل القوانين العرفية حتى يمكن التصرف فيها، والسؤال عن كيفية دليلها

(١) نسبة إلى الفرنجة. (المعرب).

وبرهانها، ولكنهم أنفسهم يقلدون نظريات الفرنجة تقليداً أعمى، ويعتبرونها وحياً منزلاً من السماء، بل ويقلدون أفعالهم وأقوالهم غفلة، في حين لا يخفى علينا علمهم وجهلهم وصدقهم وكذبهم، وليتهم قلّدوهم في جميع ما لديهم، بما في ذلك أمانتهم، وعصبيتهم، وانحيازهم إلى شعوبهم وأممهم، ورقيتهم، وصناعتهم، وحبّهم لأوطانهم، واكتسابهم شرف الدنيا، ولكن هيهات، إذ لم يأخذوا من الغرب سوى ما كان أقرب إلى الكسل، والدعة، والتحلل، وانعدام الغيرة والشرف، والبربرية واللامبالاة، وأما الأخلاق الحسنة - التي هي مصدر الشرف في الدنيا والآخرة - فقد أودعوها في زاوية النسيان.. لن أطيل على أبناء وطني أكثر ممّا فعلت، ولن أعيق صاحب المتجر عن مزاوله الكسب والتجارة، وطلب الرزق الحلال.

فقال الأستاذ...: سيدي! أقسم بشرفي، لقد أسعدنا كلامك للغاية، ولكن نرجو منك أن تمكث بيننا وتصبر علينا لساعة أخرى؛ إذ لديّ سؤال وأحبّ أن أسمع جوابه بدليل مبسّط منكم؛ فإن سمحتم لي طرحت سؤالاً. فقلت له: على الرحب والسعة، شريطة أن لا أكون قد أثقلت عليكم.



[حوار حول الخمس]

قال الأستاذ: إن سؤالي يتعلق بأحكام الخمس؛ فما هو السبب في وجوب استخراج الخمس من منافع التجارة أو الصناعة أو أقسام المكاسب، مع أن القرآن [الكريم] صريح في قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾^(١)، فهذا النص المحكم يقصر إخراج الخمس من خصوص غنائم الجهاد والدفاع، ولا ربط له بالمنافع الأخرى؛ في حين أن جميع أتباع المذهب الجعفري متفقون - بحسب الظاهر - في وجوب الخمس، فما هو دليلهم ومستندهم في ذلك، وإلى أيّ برهان يستندون في هذا الحكم؟ فأجبت قائلاً: إن ثبوت استخراج الخمس من جميع أقسام المنافع والمكاسب في غاية الوضوح، وهناك الكثير من الأدلة على ذلك، ومن ذلك ما يلي:

أولاً: أن استناد ومرجع جميع الأحكام وقوانين الشريعة الإسلامية لا يقتصر على الأوامر الظاهرة في القرآن الكريم، بل إن العُمدة في هذا الكتاب المقدّس قد نزل لإثبات الإعجاز والتحدي، وإن كان يشتمل في الوقت نفسه على تبيان كل شيء، إلا أن هذا إنما يُلمَس عند [الذي أشار إليه الله سبحانه بقوله]^(٢): ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾^(٣)، ويبدو أن [آيات

(١) الأنفال (٨): ٤١.

(٢) ما بين المعقوفتين إضافة توضيحية من عندنا. (المعرب).

(٣) الرعد (١٣): ٤٣.

[الأحكام]^(١) لا تتجاوز الخمس مائة آية، ما بين حكم محكم ومتشابه ومبهم ومجمل، في حين أن أحكام وفروع الصلاة وحدها تصل - على ما قيل - إلى ما يقرب من اثنتي عشرة ألف مسألة، وعليه يمكن القول إن القرآن الكريم إنما يشتمل على أمّهات وأصول الأحكام الإسلامية، بيد أن استنباط واستخراج متفرعاتها وجزئياتها خارج صلاحيتنا.

بل ورد النهي الأكيد عن تفسيرها، وإن ما ورد في سياق (من فسر القرآن برأيه)^(٢) خير دليل على أنه لا يجدر بنا التصرف في مجملات ومبهمات القرآن الكريم، وعلى هذا الأساس فإن كل ما ورد في تفسير العمومات وتفصيل المجملات وبيان المبهمات عن حامل هذا الكتاب المقدس صلى الله عليه وآله وأهل بيته الأطهار عليهم السلام - وهم مظهره وحمله علمه - ووصل إلينا عنهم فهو في مقام من القبول عندنا، وكل ما ذكره الآخرون برأيهم وإدراكهم القاصر، فهو مرفوض جملة وتفصيلاً.

وقد ورد عن رئيس مذهبنا وسائر أئمة الهدى - سلام الله عليهم - تفسير الآية الكريمة أعلاه بهذا المعنى؛ إذ يجب بموجب الأوامر النافذة إخراج خمس جميع أنواع التجارات والمنافع، وإنفاقها على مواردنا من أصحاب الحقوق؛ بحيث لم يصل إلينا حتى الآن خبر مخالف في هذا الشأن عنهم، وإن جميع العلماء الإثني عشرية منذ عصر الأئمة الأطهار عليهم السلام إلى الآن، يُجمعون على اعتبار هذا الحكم القطعي من الفروع الواجبة في الشريعة الإسلامية.

(١) ما بين المعقوفتين إضافة توضيحية من عندنا. (المعرب).

(٢) ورد هذا الحديث في وسائل الشيعة عن الإمام الصادق عليه السلام بلفظ: (من فسر القرآن برأيه، إن أصاب لم يؤجر، وإن أخطأ خرّ أبعد من السماء). وفي التفسير الصافي عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، بلفظ: (من فسر القرآن برأيه فأصاب الحق، فقد أخطأ)، أو (من فسر القرآن برأيه، فليتبوأ مقعده من النار). وفي بحار الأنوار عن صحاح أهل السنة، بلفظ: (من فسر القرآن برأيه، فقد كفر). (المعرب).

ثم إنني أضيف على ذلك وأقول: ما هي طبيعة الأموال التي كان الشيعة يحملونها إلى بيت المال في عصر الأئمة الأطهار عليهم السلام، ومن أي أقسام الضرائب هي؛ حيث تواترت الأخبار في هذا الباب، كما في خبر (شُطِيطَة)^(١) وغيره، حيث كانت الأموال تجبى إلى الأئمة عليهم السلام من

(١) يروى في خبر درهم (شُطِيطَة) على ما في مكيال المكارم للميرزا محمد تقي الإصفهاني، نقلاً عن كتاب المناقب: أنه اجتمعت عصابة من الشيعة بنيسابور - وكان ذلك بعد استشهاد الإمام الصادق عليه السلام، وشكَّهم في من يكون الإمام بعده - واختاروا أبا جعفر محمد بن علي النيسابوري، فدفعوا إليه ثلاثين ألف دينار وخمسين ألف درهم، وشقة من الثياب من الحقوق الشرعية - التي كانوا يبعثون بها إلى إمام عصرهم على مألوف عاداتهم - مع بعض المسائل ليختبر بها الإمام، وأتت (شُطِيطَة) بدرهم صحيح وشقة خام من غزل يدها تساوي أربعة دراهم، فقالت: إن الله لا يستحيي من الحق. ثم جاءه بجزء فيه مسائل.. وقد حزمت كل ورقتين بثلاث حزم وختم عليها بثلاث خواتيم.. وقالوا ادفع إلى الإمام ليلة، وخذ منه في غد، فإن وجدت الجزء صحيح الخواتيم فاكسر منها خمسة وانظر هل أجاب عن المسائل، فإن لم تنكسر الخواتيم فهو الإمام المستحق للمال، وإلا فردَّ إلينا أموالنا.. فدخل على الأبطح عبدالله بن جعفر وجربه فلم يجد عنده ضالته، وخرج يقول: (ربِّي اهدني إلى سواء الصراط)، فبينما هو واقف وإذا بغيلام يقول له: أجب من تريد، وأخذ بيده إلى الإمام موسى الكاظم عليه السلام، قال: فلما رأيته قال: لَمْ تَقْنَطْ يا أبا جعفر؟ ولم تَفْزَعْ إلى اليهود والنصارى؟ إلَيَّ فأنا حُجَّةُ الله ووليُّه؛ أَلَمْ يَعْرِفَكَ أَبُو حَمْزَةَ عَلَى بَابِ مَسْجِدِ جَدِي؟ وقد أَجَبْتُكَ عما في الجزء من المسائل؛ فَجِئْتَنِي به وبدرهم (شُطِيطَة) الذي وزنه درهم ودانقان وهو في الكيس الذي فيه أربعمئة درهم للوازواري، والشقة التي في رزمة الأخوين البلخييين. قال أبو جعفر: فطار عقلي من مقاله، وأتيت بما أمرني؛ فأخذ درهم (شُطِيطَة) وإزارها، وقال: إن الله لا يستحيي من الحق يا أبا جعفر، أبلغ (شُطِيطَة) سلامي وأعطاها هذه الصرة وكانت أربعين درهماً، ثم قال: وأهديت لها شقة من أكفاني من قطن قريتنا.. وقل لها: ستعيشين تسعة عشر يوماً من وصولك ووصول الشقة والدراهم؛ فأنفقي على نفسك منها ستة عشر درهماً، واجعلي أربعة وعشرين صدقة عنك.. وأنا أتولى الصلاة عليها؛ فإذا رأيته يا أبا جعفر فاكتم عليَّ فإنه أبقى لنفسك.. ثم قال عليه السلام: وارجع الأموال إلى أصحابها.. فلما عاد أبو جعفر إلى خراسان وجد الذين ردَّ عليهم أموالهم قد ارتدَّوا إلى الفطحية، و(شُطِيطَة) على الحق، فبلغها سلامه وأعطاها صرَّته وشقته، فعاشت كما قال عليه السلام؛ فلما توفيت (شُطِيطَة) جاء الإمام على بعير له، فلما فرغ من=

خراسان وقم وغيرهما؛ فإنها لا يمكن أن تكون من أقسام الزكاة؛ إذ يجب إنفاق وصرف أموال الزكاة في محلها، وليس لدينا شيء آخر غير الخمس.

وما هو الحكم القطعي من بين جميع أحكام الصلاة الذي يُمكن أن يفهم من [قوله تعالى]: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾^(١) الذي يكلف المسلمين قاطبة؟.. وكيف لنا نحن المسلمون أن نستنبط من هذه الآية أجزاء الصلاة وأركانها من المقدمات والمقارنات والواجبات والمستحبات والمكروهات والفروع؟.. لا يكون ذلك إلا بتعليم وتفسير حامل هذا الكلام، وأعني به الشارع المقدس صلى الله عليه وآله وخلفاءه وأوصيائه عليهم السلام.

يضاف إلى ذلك فإنه قد ورد الكثير من الأخبار المؤكدة في وجوب خمس ما يتم استخراجُه من المعادن، والعتور على الكنز، والغوص لاستخراج اللؤلؤ والمرجان، وهو ما اتفقت عليه كلمة جميع علماء الجعفرية، مع أنه لم يرد من ذلك شيء في ظاهر القرآن، بل مستنده وعوده إنما هو لأوامر وأخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام.

وثانياً: أن نعيد معنى واشتقاق لفظ (الغنيمة) إلى اللغة العربية، إن الغنيمة لغة في قبال الغرامة، إذ يُطلق على كل منفعة أنها غنيمة، كما يطلق على كل ضرر وخسارة أنها غرامة، إن الغنيمة والغُرم، والغرامة والغُرم، مشتقان من مادة واحدة؛ حيث تشملان عموم المنافع والخسائر، كما في عبارات من قبيل: (فاغتنموا الفرصة)، و(من له الغُرم فعليه الغُرم)، حيث يشمل ذلك جميع أنواع وأقسام المنافع. وإن غنائم وقائع الجهاد والدفاع إنما تمثل واحدة من مصاديق مفهوم الغنيمة. وطبقاً للقاعدة العامة والكلية

=تجهيزها، ركب بعيره واشتري نحو البرية، وقال عليه السلام: (عَرَفَ أصحابك وأقرأهم مني السلام، وقل لهم إني ومن يجري مجراي من الأئمة عليهم السلام لا بد لنا من حضور جنازكم في أي بلد كنتم؛ فاتقوا الله في أنفسكم). (المعرب).

(١) الأنعام (٦): ٧٢.

التي عليها عموم علماء الأصول، فإنها لا تخصّص الحكم العام. ومن هنا فإنه بناء على كون معنى الغنيمة عامّاً وشاملاً لجميع أنواع المنافع، فإنها تحتاج في موقع معيّن إلى تخصّص ومتعلّق؛ بمعنى أنه إذا كان مراد الشارع المقدّس صلى الله عليه وآله - الذي نراه حكيماً - من هذه الآية الكريمة خصوص غنائم الحرب، لكان عليه أن يقرنه بمتعلّق، كأن يقول: (و[اعلموا])^(١) أنما غنمتم من شيء في الحرب)، ولكنه حيث أطلق الكلام على نحو العموم، فليس بمقدورنا تخصيصه، بل إذا عمدنا إلى تخصيصه نكون قد ارتكبنا مخالفة لظاهر الآية الكريمة والمعنى اللغوي.

والخلاصة أنه على الرغم من اختلاف علماء الإثنى عشرية في محل وموضع إنفاق وصرف الخمس، ولكن بالنظر إلى ظاهر الكلام، والقاعدة الأصولية، واللغة، والإجماع، وتواتر الأخبار الشريفة، لا يوجد هناك أيّ اختلاف في وجوب الخمس في عموم المنافع والمكاسب.

ونتيجة هذا المقدمات هي أن كل من يُنكر وجوب الخمس، كان بالنظر إلى القواعد الشرعية مخالفاً لحكم المذهب الجعفري؛ نعم لقد ذهب علماء أهل السنة [والجماعة] إلى قصر وجوب الخمس على خصوص غنائم الحرب فقط؛ وعليه فإن كل من كان على هذا الاعتقاد إنما يكون مقلداً لأئمة المذاهب الأربعة^(٢)؛ ومن ينكر وجوب الخمس فهو مختار وحرّ في ذلك.

بيد أن الذين ينكرون [وجوب] الخمس هم في غاية البُعد عن جادة الوجدان، وهم في أشدّ الغفلة عن منافعه وأبعاده المفيدة؛ إذ أن قوام ومعاش الفقراء والمساكين واليتامى وأبناء السبيل ومن تقطّعت بهم السبل عن أوطانهم رهن بأداء الخمس والعمل بهذا التشريع والقانون النافع.

(١) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل. (المعرب).

(٢) وهم كل من: أبو حنيفة النعمان بن ثابت (٨٠ - ١٥٠هـ)، ومالك بن أنس (٩٣ - ١٧٩هـ)، ومحمد بن إدريس الشافعي (١٥٠ - ٢٠٤هـ)، وأحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١هـ). (المعرب).

يمكن القول: إن أداء الزكاة وردّ المظالم وغير ذلك يكفي بالنسبة إلى غير ذوي القربى، ولكن ما الذي يمكن قوله في أقسام المستحقين من السادة؟ فإن الصدقة وجميع أنواع الزكاة محرمة على أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله وغير جائزة لهم في الشريعة الإسلامية.

وعلى هذا الأساس لو دققنا النظر وحكّمنا الوجدان في دراستنا للقوانين والتشريعات الإسلامية الأساسية، فسوف ندرك أنه لولا هذا القانون الشريف - أي وجوب الخمس - لكانت أحكام شريعتنا ناقصة من حيث المجموع؛ كما أن أحكام الأديان الأخرى ناقصة من هذه الناحية.

ولا يذهبنّ بكم التصدّر إلى أن [مصرف] هذا القانون الفذ خاص بطلاب العلم فقط، بل إن قانون الخمس يغني جميع أبناء الأمة؛ فإن قانون الخمس يجعل من جهّال كل قوم علماء، وإن قانون الخمس يعمل على إصلاح أمر من لا مأوى لهم.

كما أن الخمس يفي بأمر رقيّ وازدهار البلدان الإسلامية، أو دفع الأعداء عنها بكل يُسر، كما يفي الخمس بإصلاح وضع الذين تعرّضوا للحريق أو الذين نُهبت أموالهم، والعاجزين، والذين تعرّضوا لإصابات بفعل الزلازل أو الغرق ومختلف الآفات الأخرى.

إن خزانة الخمس تعمل على تربية أيتام الشعب، وإن خزانة الخمس تحول دون من يريد شراً بهذا الشعب.

وإن خزانة الخمس تتكفّل بتوفير جميع مستلزمات الأمة الإسلامية بكل يُسر، ولكن للأسف فإن الجميع في غفلة عن منافع هذا القانون الفذ! فأين من يدفع الخمس؟ وأين يمكن العثور على الناظر الأمين؟ ومن ذا يلتفت إلى هذه الأنحاء والأبعاد الهامة؟ إن الشارع المقدّس صلى الله عليه وآله قد وضع من بين العلماء لهذه الغاية ناظرين يُشرفون على إنفاق بيت المال أو

الخمس؛ حيث يعلمون بمصارفها أفضل من غيرهم، ويعرفون المستحقين خيراً منهم.

وقد بدأت أمم النصارى مؤخراً تدرك قيمة الخمس، وأخذت تؤسس لنفسها ما يُشبه نظام الخمس في سعي منها إلى تكميل وارتقاء دينهم، وأخذ المبشرون إلى النصرانية يبنون المدارس والمشافي جميعاً من بيت المال الذي استحدثوه مؤخراً.

إن اختلافنا وامتيازنا من الشعوب النصرانية يكمن في أن عموم الأفراد والأشخاص من النصارى يسعون حالياً إلى تطوير ونشر دين المسيح، بيد أن كل واحدة من القوانين والتشريعات الإسلامية - على العكس منهم - معدة ومتوفرة في ازدهار وتطوير أمتنا وبلادنا.

وعلى المسلمين الكسالى - الذين كانوا حتى الآن يؤثرون الدعة - أن يكونوا سعداء وأن يشكروا الله على أن قوانين الدين الإسلامي وتشريعاته بطبيعتها تحمل بذور الارتقاء والازدهار، بل إنها تدفع الطبيعة إلى تقبل انتشار الإسلام واشتهاره سواء شاءت ذلك أم أبت، كما نشاهد ذلك في مسار الانتشار الطبيعي لعزاء ومآتم سيد الشهداء عليه السلام بشكل لاجب، وإلا فإنه مع هذا الكسل والدعة والغفلة كان من المفترض أن يندثر وجودنا منذ أربع مئة سنة؛ ولكن للأسف الشديد فقد انقضت أيام الدعة وإيثار الكسل؛ إذ أن داعي الإسلام أخذ يهتف حالياً بصوت مرتفع: (أيها المسلمون، أفيقوا من نوم الغفلة، واتركوا الدعة وراحة الجسد؛ فمنذ الآن قد حرم عليكم النوم والطعام؛ فقد أحاطت خيل العدى بالوطن الحبيب من جميع الجهات. وإن الهجمات الوحشية لدول الجوار قد انتهكت ثغور بلادكم؛ فانبذوا الكسل والجهل عن أنفسكم، واجهدوا في تقوية الإسلام وإيران وازدهارهما، كي لا يستعبدنكم الآخرون.

خلاصة القول أيها الأستاذ: إن وجوب الخمس لا ينكره أحد من

الجعفرية، إلا إذا لم يكن مسلماً أو كان من الكسالى الذين ليس لهم من شغل سوى الدعة وراحة الجسد.

أعود وأقول: إن منافع وفوائد هذا الحكم الفريد تفوق العدّ والمقارنة.

هناك من يقول: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قد أذلّ نسله وذريّته بهذا الحكم! بيد أنني أهتف بكلّ ثقة: إن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قد أعزّ أبنائه بهذا الحكم وأحاطهم بالاحترام والتقدير؛ فلو لم يكن هذا التشريع والقانون، وكان الفقراء والمساكين والمشرّدون من السادة محرومين بسبب النهي الشرعي من الصدقات والزكاة وغيرهما؛ لكتبت عليهم الذلّة والمسكنة، فمن هو المتموّل الثري الذي سوف يترحم عليهم ويقدم لهم المعونة بكلّ تكبر؟! في حين أن احترامهم واجب على جميع الناس شرعاً وعرفاً.

ومن بين آداب هذا القانون والتشريع الشريف أنه يتعيّن على السلطات الحاكمة أن تؤدي الحقوق الواجبة إليهم بكل تواضع وتكريم؛ ليعيشوا بكل عزّة وكرامة؛ كما أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد ضمن العزّة والكرامة لجميع فقراء المسلمين، واعتبر أداء حقوق المستحقين واجبة مثل سائر الواجبات الشرعية، بل يحرم تأخير أدائها، ويُسحب على السلطة حين أداء الحقوق أن لا تضع يدها فوق يد الفقير، بل ينبغي أن تكون يد الفقير هي العليا، ويُسحب تقبيلها أثناء إعطاء الحق، على الرغم من ورود النهي عن تقبيل اليد في الكثير من الموارد.

هذه هي خلاصة حسنات الدين الإسلامي، حتى أن الشخص العاقل لو نظر إليها بأدنى تأمل؛ سوف يقف على جميع هذه الحسنات، في حين أن حقوق الفقراء في سائر الأديان ربما لا تندرج ضمن الدستور والقانون، ولكن ما الذي يمكن فعله، فاليوم أضحت الأمور معكوسة.

اسلام بذات خود ندارد عیبي هر عیب که هست در مسلماني ماست^(١)

وهناك نقطة أخرى في البين، وهي أن الأقوياء والأصحاء من السادة، لا يليق بهم القعود عن طلب المعاش والرزق الحلال، اعتماداً على ما يصلهم من الأخماس والحقوق الشرعية، بل إنهم مكلفون مثل غيرهم بالسعي إلى العمل وكسب القوت وأداء الحقوق، إلا إذا كانوا منشغلين بطلب العلم والمعارف، أو كانوا مكلفين بتقديم الخدمات الإسلامية الأخرى.

ولا يسعني الآن أن أعدد لكم ما لا يُحصى ولا يُقاس من منافع وفوائد الخمس. ولكن يمكن لي أن أختتم كلامي بالقول: لا ينكر هذا التشريع والقانون الشريف في الدائرة الشيعية الجعفرية إلا شخصان؛ أحدهما فاسق فاجر مشهور عند الخاص والعام بفسقه وفجوره، قد غسل يده بالكامل عن تحصيل حقوق الإسلام؛ فيعمل بذلك على غرس بذور القبح في أرض الإسلام المحمدي الأصيل بكل وقاحة وصلف. والآخر شخص متمول لئيم أسكرته خمرة الدناءة وانعدام الشرف، وأمسى بعيداً كل البعد عن القيام بشرف الخدمة الإسلامية.

والحاصل أننا منذ عصر الأئمة الأطهار عليهم السلام إلى يومنا هذا لم نسمع شخصاً جعفرياً ينكر هذا الحكم القطعي، وكل من يبرز ويتفوّه بمثل هذا المقال إنما يقول بخلاف الضروري من المذهب، وكان خارجاً عن دائرة جعفر بن محمد [الصادق] عليه السلام.

(١) المعنى: (لا عيب في الإسلام بذاته.. وإن كان هناك عيب فهو فينا). يروى هذا البيت على شكل رباعية، وهناك من ينسبه إلى الخيام، ولكنه لا يوجد ضمن رباعياته ولا يحمل بصمته الشعرية، وهناك من ينسبه إلى العلامة محمد إقبال اللاهوري، والأرجح أن يكون للشیخ البهائي، والله أعلم. والبيت قبله: (آبادي بتخانه [میخانه] ز ویرانی ماست.. جمعیت کفر از پریشانی ماست)، والمعنى: (عمران بيت الأوثان أو [حانة الخمار] يعود سببه إلى خراب أنفسنا.. وازدياد عدد الكفار يعود سببه إلى تفرقنا). (المعرب).

[نداء الضمير]

إننا كمسلمين نحتاج إلى قانون يضمن لذوي الاستحقاق من ذرية النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، الحياة الكريمة المقرونة بالعزة والكرامة بالنظر إلى ما يقوله البعض من أن أداء الخمس يقتصر على غنائم الحرب فقط.

الذي أقوله إنه من بداية الإسلام إلى الآن لا يمكن أن نفترض فترة زمنية خلت من الفقراء الهاشميين أو العلويين، ولكن هل هناك مؤرخ موسوعي ومحيط يمكن له أن يخبرنا بأن الجهاد والدفاع كان مستمراً ومتواصلاً منذ بداية الإسلام، وإن الانتصار والظفر كان على الدوام حليف المسلمين، أو أن خمس غنائم هذه الحروب كانت تكفي لسدّ حاجة السادة؟!

أعود وأكرر القول: ألا يجب على جميع الأفراد من أتباع شريعة ما أن يخدموا بعضهم بعضاً، وأن يساعدوا أبناء جلدتهم في العمل على ازدهار القانون؟ أجل، أجل، هذا أمر طبيعي. وعليه فإنه بالنظر إلى أقوال المنكر؛ ما هي الخدمة الظاهرة التي قدّمها الشخص التابع الذي يمتلك خمسين مليون سبيكة [...] ^(١) لقانونه؟ هل يمكن لنا أن تصوّر شريعة مقدّسة تفرض على الفلاح الذي ينزف عرقاً على طول السنة وهو يصارع الأرض ويستخرج خيراتها بعرق جبينه؛ فيجمع بعض الثروة في الجملة، وتوجب عليه إخراج عُشر أو خمسة عشر بالمئة أو عشرين بالمئة، ولكنها لا تفرض على من

(١) الفراغ من الأصل.

يملك ما يزيد على الخمسين مليوناً وكلها نقد، لكي ينفق منها شيئاً في خدمة أبناء جلدته، ويتركه حراً طليقاً مثل الوحوش والضواري السائبة في بيداء الانفلات واللاتقيّد؟!

هل يمكن لصاحب وجدان وضمير حيّ أن يتصوّر صدور هذا الأمر من الحكيم؟

كلا، كلا وحاشا، نعوذ بالله، وإلا ففي هذه الحالة يجب أن لا نعتبر الشارع حكيماً، وأن نعتبر شريعته ناقصة.

وإن سماحة المنكر حيث يعمد إلى تصوير شريعتنا المقدسة ناقصة، فإن أمره لا يخلو من إحدى حالتين؛ فإما أن يقول ذلك من منطلق العداء، أو إنه يقول ذلك من منطلق الجهل.

فقال الأستاذ: نصّدق بشرحكم وبيانكم الراقي بكل وجودنا، وكما قلتُم فإنني لم أطرح هذا السؤال على نفسي. بيد أن فلاناً - والتفت هنا إلى الشباب مضيفاً: الذي تعرفونه، حيث أنفق ثلاثة عشر عاماً من عمره ما بين بيروت وإسطنبول - قد جاء من هناك بمثل هذه البضاعة لأبناء الوطن، ويرتكب جميع أنواع الفواحش والمحرمات، ومع ذلك فإنه يُسوَّق لنفسه بوصفه عالماً، ويطمح بتمثيل الشعب [في مجلس الشورى]^(١)، وسوف يرشح نفسه عن المسلمين أو الطائفة الجعفرية.

يا سماء تحنني وألقي على حالنا بنظرة.. والآن أقدم لسماحتكم صادق شكري الجزيل بالنيابة عن نفسي وعن إخوتي، وفي الختام أقدم اعتذاري الشخصي عن سوء ما بدر مني..

سيدي! أقسم بالشرف أنني لم أرَ شخصاً بمثل شجاعتكم يوقف شخصاً على أخطائه وصفاته القبيحة.. ومن هنا فإن ما يقوله أمثالنا، حيث لا

(١) ما بين المعقوفين إضافة توضيحية من عندنا. (المعرب).

يجدون من يردعهم ويرشدهم إلى الحقيقة والصواب، يتمادون في إساءة الأدب قولاً وعملاً.

فقلت لهم: بطبيعة الحال لا يمكن لأي شخص غيور أن يسمح بالإساءة إلى أخيه في الوطن والدين أو يستمع إلى من ينتقصه ويستغيبه، وأنا لم أعمل إلا بواجبي الإسلامي وسوف أستمّر على هذا النهج، ولم أقم بسوى ما يجب عليّ القيام به من تقديم الخدمة..

والآن أستودع - على عجل ومع شديد الأسف - أبناء وطني العزيز. فعبر الجميع عن عواطفهم وأشواقهم، فودّعت إخوتي في الإسلام على أتم الانبساط والانشراح، وخرجت من دكان دار السرور ضاحكاً مسروراً، وشكرت الله على أن عثرت في طهران على شباب مدرك ومحّب للإسلام.

ومع ذلك فقد اعتراني - في الوقت ذاته - الكثير من التأثير والألم من كلماته التي تحمل الكثير من الحرقه واللوعة من الأوضاع المضطربة لكبار الدين وأمناء الإسلام، والحق أن ذلك الشاب الواعي قد استوعب الفكرة؛ فنحن سادرون في سبات الغفلة، بينما الأعداء والأجانب يواصلون عملهم بكل جدّ ونشاط ومثابرة.



[مقال في باب التبشير المسيحي في الشرق]

يقول أحد القساوسة الكاثوليك: مع وجود علماء الدين في الإسلام، لا يمكن لدين المسيح عليه السلام أن يزدهر أو ينتشر في البلدان الشرقية. وقال آخر: إن أعمالنا التبشيرية في البلدان الآسيوية إنما يكتب لها النجاح إذا لم نواجه حاجة علمية من قبل علماء الإسلام. وهناك منهم من يصرخ بأعلى صوته: يا علماء النصارى، شَمِّروا عن هممكم بكل جدّ حتى لا يفكر علماء الإسلام بنشر دينهم، وإلا لن يبقى هناك أثر للديانة البروتستانتية ولا من ينتصر للبابا.

يقول أحد الإخوة الصادقين في خبرهم: عندما كنت في العاصمة الإيطالية روما؛ جمع جلالة البابا جميع القساوسة الكاثوليك من الذين تمّ تعيينهم للتبشير في المشرق، وقال لهم - بعد الفراغ من النصائح السياسية - يا خدّام دين المسيح عليه السلام إنما سوف تسطع شمس إقبال النصارى في الممالك الشرقية بهمة تبشيركم، إذا لم يجادلنا علماء الإسلام في الدين، وإلا تعيّن علينا اليأس حتى من المسيحية الغربية أيضاً؛ فحذاري من مواجهتهم وعليكم الامتناع عن مجادلتهما ما أمكنكم، واعتبروا هذه النصيحة من أهم نصائحي لكم.

وهناك أيضاً شخص من المبشرين النصارى قد جاب أغلب المناطق في آسيا سائحاً، وقد أرسل في نهاية المطاف رسالة إلى أحد رؤسائهم رسالة قال فيها: اعلم أنني قد رأيت أغلب مستعمراتنا الشرقية؛ وكانت النتيجة التي

خلصت إليها بداهة هي أن التقدّم المسيحي في هذه الأصقاع قد تمّ بيسر وسهولة بالغة، ولا سيّما في المناطق الساحلية من الهند، حيث الكثير من الناس هناك يعانون من ضعف في الإدراك والمعلومات، وينخدعون بأبسط الكلمات، وخاصة إذا قلنا لهم إن السيد المسيح قد مدّ يد الاتحاد إلى (شيفا)^(١)؛ إذ يترك هذا الأمر تأثيراً بالغاً على البراهمة، بل إن الصليب يحظى باهتمام أكبر من الـ (براهما)^(٢) عند أتباع الـ (راما)^(٣).

وفي الختام يجب عدم إغفال أو تجاهل هذه الحقيقة الجوهرية، وهي أن تبشيرنا إنما يحقق النتيجة المرجوة، إذا لم يتصدّ علماء الدين من المسلمين إلى مواجهتنا مواجهة دينية، أو أن يتجاهلوا ولا يبدوا اهتماماً بالترويج إلى دينهم، رغم أن المسار الطبيعي لدينهم قائم على التبليغ، ولا سيّما فيما يتعلق بمراسم العزاء على الإمام أو الخليفة الثالث للجعفرية^(٤)؛ حيث لهذه

(١) تقدّم التعريف به في هامش سابق.

(٢) تقدّم التعريف به في هامش سابق.

(٣) (راما) أو (رام) ويعرف أيضاً بـ (راماشاندرا): بطل هندوسي شجاع تنسب إليه الملحمة الهندية الشهيرة (الرامايانا)، وهو الأفاتار السابع للإله فشنو في الديانة الهندوسية، بل إن راما يعتبر أهم أفاتارات فشنو. وهو أيضاً أحد أشهر الآلهات في الهندوسية، وتنتشر عبادته في النيبال والهند. وفي بعض الطوائف الهندوسية يعتبر راما وجوداً أعلى أكثر منه أفاتار. (المعرب).

(٤) هو سيد الشهداء الإمام الحسين بن علي عليه السلام ثالث أئمة الشيعة الإمامية. وقد صادف هذا اليوم - حيث بلغت هذا الموضع من تعريب الرحلة - يوم الأحد العاشر من المحرم سنة ١٤٤٢ للهجرة، ذكرى استشهاده، وقد أحببت المساهمة بهذه المناسبة بذكر ما صحّ من حديث عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بحق ولده الحسين عليه السلام؛ فقد ورد في المصادر الإسلامية أن أم سلمة رأت النبي ذات ليلة أشعث مغبر، فسألته عن ذلك؛ فقال: أسري بي هذه الليلة إلى موضع من العراق يقال له كربلاء، فأريت فيه مصرع ولدي الحسين، ثم أعطاه شيتاً من تربة الموضع فوضعت في قارورة، وسدت بابها. وعندما خرج الإمام الحسين يريد كربلاء، قالت له أم سلمة: لا تخرج، فإني سمعت جدّك يقول: إن ابني الحسين يقتل بأرض العراق، وعندي تربة من تلك الأرض، أعطانيها رسول الله. فقال لها=

المراسم تأثير عجيب في تلك الأصقاع. ومع ذلك فإنهم إذا تركوا التبليغ والترويج لدينهم، فإن سائر الأمور الأخرى سوف يمكن اجتيازها بسهولة.

فقال له رئيسه في الجواب: إن ما ذكرته من المواجهة وتأثير التبليغ والدعوة الإسلامية أمر ثابت بالوجدان، ولا يسعنا مجاراتهم في قوة شكيמתهم وعزيمتهم وحجّتهم الدينية، بيد أن علماء دينهم - كما يطرق أسماعنا - يعانون من أمراض نفسية ونزاعات داخلية، وأنهم منقسمون على أنفسهم فرقاً وطرائق قديداً، وهم منشغلون بتكفير بعضهم بعضاً، وقد أعطوا الأهمية لصراعاتهم الداخلية؛ ولذلك فإنهم لا يجدون الوقت والتمسّع الكافي لمجادلة أمثالنا؛ فامض في مهمّتك التبشيرية هادئ البال مطمئن النفس، وإنني لأرى شمس هممكم العالية مشرقة في جميع أصقاع مشرق الأرض.

بعد هذا البيان من القساوسة، لا أجد نفسي بحاجة إلى ذكر المزيد من التفصيل، وكل مسلم سوف يعرف تكليفه.

وربما قلت في الختام متضرّعا: لا تقسو على كل مسيحي أو رئيس مذهب يدّعي مقاماً أو ينشط في مجال الدعوة والتبليغ والتبشير، وتصفوه

=الحسين عليه السلام: إذا فاضت القارورة دماً فاعلمي أنني قتلت. وقد ذكرت مصادر أهل السنة مضمون هذا الحديث حيث تقول: إن جبرائيل نزل على النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وقال: إن أمتك تقتل ابنك الحسين من بعدك، وأعطاه تربة، فناولها النبي لأم سلمة، وقال لها: إذا تحوّلت التربة دماً فاعلمي أن ابني قد قتل؛ فيجعلتها أم سلمة في قارورة. وعندما خرج الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء، كانت أم سلمة تخرج تلك القارورة يومياً وتنظر فيها، وفي يوم عاشوراء أخرجتها فإذا هي قد تحوّلت إلى دم عبيط. (انظر: الإرشاد للمفيد، وبحار الأنوار للمجلسي، وإمتاع الأسماع للمقريزي، والطبقات الكبرى لابن سعد، وغيرها من المصادر والصحاح الأخرى)، وبذلك فقد روت دماء الحسين شجرة الإسلام؛ لتبقى خالدة على مدى الأيام، وصدق من قال: إذا كان الإسلام محمدي الوجود فهو حسيني البقاء، جعلنا الله من الآخذين بثأره، ورزقنا شفاعته يوم الورود. (المعرب).

بالكفر؛ وذلك لأن هذا الأمر لا يساعد في إطفاء نائرتة، وكذلك لا ينبغي اعتباره مهماً ولا يُعنى به؛ وذلك لأنه يرتقي بطبعه، وعليه فما الذي ينبغي فعله إذن؟

أجل، بمجرد أن يعتمد هذا الشخص إلى ادعاء الباطل ويبدأ بنشره وتبليغه، بادروا أولاً إلى إنذاره وتحذيره، وثانياً أعلنوا على الملأ بأن ناصر الإسلام سوف يقوم في هذا اليوم، وفي هذا المكان بمناظرة دينية مع هذا الشخص، فإن لم يحضر هذا الشخص في وقت المناظرة يكون قد فضح نفسه أمام الخاصة والعامة، وسوف يساعد ذلك على التقليل من تأثير تبليغه وتبشيريه.

وإن هو أعلن عن استعدادة إلى الحضور والمشاركة في المناظرة، لا بد من العمل بعد استجابته للدعوة على نشر إخفاقه في جميع الأقطار، وعندها سيكون هذا نعم المطلوب.

هذه هي نتيجة كلماتي لدحض نتائج النشاط التبشيري للمسيحيين.

[(س)]^(١)

گوش إدراك کجا تا شنود پند حکیم ای (سليمي) تو بيا موعظه را كوته كن^(٢)



(١) ما بين المعقوفتين لم يرد في الأصل، وقد أضفناه اعتماداً على وجود كلمة (سليمي) في البيت أعلاه، إذ تدل على أن البيت من نظم مؤلف الرحلة، وعلى ما تقدّم في الديباجة أن الرمز بالحرف (س) يأتي للإشارة إلى أن الشعر من نظم المؤلف. (المعرب).

(٢) المعنى: (هل من أذن سامعة لتفهم موعظة الحكيم.. هل أنت يا (سليمي) واقتصد في موعظتك). وقد تقدم ذكر هذا البيت في موضع سابق من هذه الرحلة. (المعرب).

[معرض البضائع الوطنية في طهران]

خرجت من متجر الإنصاف، ميمماً شطر غاييتي، وعرضت على صاحب مكتبة جميع عناوين الكتب التي كنت أريدها، فأخذ ورقة وسوّد فيها عناوين الكتب التي طلبتها، ثم دفعها لي قائلاً: إن هذه الكتب غير متوفرة عندي حالياً، بيد أن بمقدورك أن تجدّها عند أخي في معرض البضائع الوطنية، وقد كتبت لك أسعار جميع الكتب في هذه المسوّدة، فإذا ذهبت إلى هناك ستجد ضالتك عنده إن شاء الله، ولكن الآن هي الفترة المخصصة للنساء، فإذا ذهبت في الفترة ما بين الساعة الرابعة قبل الغروب إلى ما بعد حلول الليل بأربع ساعات أمكن لكم ذلك.. فأخذت المسوّدة وعدت أدراجي إلى المضافة.

ولما حان وقت العصر ركبنا (الترام)^(١) قاصداً المعرض المبارك، جلس

(١) في الأصل (قونقة)، والصحيح (قونقا): كلمة روسية الأصل كانت تطلق على واسطة نقل على شكل مقطورة أو عربة ذات عجلات حديدية تجرّها الخيل على سكة حديد تسير في خط مستقيم، وأول استحداث لها في إيران كان في مدينة تبريز من قبل شركة روسية، وذلك في عام ١٩١٦ م، وكانت تربط بين تبريز وجلفا. وفي طهران كانت هناك محاولة من قبل شركة بلجيكية لاستحداث مثل هذا المشروع للربط ما بين ميدان توبخانه نحو البازار وبامناز، ولكن هذه المحاولة لم تكتمل، ويبدو أن كاتب الرحلة قد استعمل هذه المفردة للتعريف بعربة تجرها الخيل في طهران من باب التوسّع. وفي بعض بلدان المغرب العربي كانت هذه الوسيلة تعرف بـ(الترام) أو (الطرام) أو (الطرامواي)، وقد حاول بعض الأكاديميين في مجمع اللغة العربية أن يعرّبوه؛ فاستحدثوا له كلمة (الجَمَاز) وهو السريع=

إلى جواري شخص وقور؛ فبادرني قائلاً: تبدو غريباً؛ فمن أي البلاد أنت؟ أجبته: من العتبات [المقدسة].

سألني: كيف وجدت دار الخلافة^(١) بالمقارنة إلى العتبات؟ قلت له: من الأفضل أن لا نتكلم في هذه المسألة، وبشكل عام يمكن القول: حيثما ذهبت في أرجاء المعمورة سوف تجد السماء على ذات الزُرقة^(٢)، وحيثما وضعت أقدامك في جميع الأقطار الإسلامية سوف تجد أسباب البؤس متشابهة، وكلها تدعوك إلى الحزن وتحملك على تجرّع المرارة والغصص، هل ترى أننا قد اقتربنا من معرض البضائع الوطنية أم لا؟ كلا، ولكنني قاصد ذلك المعرض لشراء بعض الكتب.

يا لحسن الصدف! يحدث أن أكون أنا المشرف على ذلك المعرض، ولا شك في أنك غريب وتحتاج إلى دليل خبير ومرشد حاذق.. توقفت العربة، وقال جناب المرشد: سيدي، تفضل هذا هو معرض البضائع الوطنية.. وقف على بوابة المعرض جنديان على يمين المدخل ويساره، وفي ناحية كانت هناك قمرة خشبية لبيع التذاكر، دفع المشرف قراناً^(٣) واحداً وابتاع لي تذكرة عرضها على الجندي الواقف إلى يمين البوابة، فسمح لنا بالدخول فدلّفت إلى المعرض برفقة المشرف.

بخ بخ، يا له من معرض منيف ورائع! بدأ المشرف بالتعريف بجميع البضائع، بادئاً بالقسم الخارجي للمعرض، وهو عبارة عن فضاء مكشوف

=من الإبل، من باب القياس والتعويض، ولكن يبدو أن هذه المحاولة لم يكتب لها النجاح. (المعرب).

(١) يعني بذلك: طهران. (المعرب).

(٢) تعريب حرفي للمثل الفارسي: (به هر طرف گذر کنی آسمان یک رنگ است)، ويقابله في العربية (لا جديد تحت الشمس). (المعرب).

(٣) القرآن عُشر التومان، وقد مر تفصيل الكلام عنه في هامش سابق. (المعرب).

وغير مستقوف وفيه من البضائع مصابيح كهربائية، ومعدّات للفلاحة والزراعة، وأصناف من النباتات الوطنية المثمرة مشتولة ضمن صناديق خضر تسر الناظرين، وأنواع من مجسّمات الطيور والمجترّات والزواحف، ومختلف أشكال الأواني المعدنية والفخارية، ودارة الموسيقى التي كانت تعزف الأنغام والألحان بشكل متواصل.

أما القسم الداخلي من المعرض فكان يحتوي على الكثير من البضائع الثمينة، وجميعها - إذا ما استثنينا المصابيح الكهربائية وأوراق الكتب وبعض الخيوط الأجنبية - من المنتجات الوطنية.

وقد تمّ إفراذ جناح خاص لعرض منتجات وبضائع كل محافظة ومدينة على حدة، فكنا نرى أنواع المنسوجات والصناعات الخاصة بمحافظة أذربيجان، والعباءات واللفاعات الحريرية والصوفية والجوخية، وأصناف الكبريت وأنواع التبغ والسكائر بلفافاتها المختلفة الخاصة بمحافظة خراسان، والمخمل الكاشاني، واللفاع الكرمانى، والعباءة النائية [و^(١) اليزدية، و[كوباه^(٢) بوشهر، والمنسوجات والمصنوعات الإصفهانية، وأنواع السجاد والبُسُط البلوتشية والتركمانية والكرمانية، والصوّر الراقية، والتمائيل النفيسة والغالية، والقطع الذهبية التي تعود إلى الأحقاب الملكية الإيرانية، ومنها ما يرقى إلى ثلاثة آلاف سنة خلت، وتماميل لكبار قادة جيوشهم؛ مما أجد نفسي عاجزاً عن وصفها بأجمعها، وكما يقول المثل: (ما راء كمن قد سمعا)^(٣).

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من النسخة (أ)، ونقلناه اعتماداً على النسخة (ب).

(٢) هكذا ورد في النص، وهي كلمة غير مفهومة. وقد يكون المراد (كوپال) وتعني قضبان الحديد، والله أعلم. (المعرّب).

(٣) في الأصل: (شنيدين كي بؤد مانند ديدين)، وهو مثل فارسي معروف يفيد أن الرؤية بالعين أقوى من السماع بالأذن، ومثله في العربية ما ورد في بعض الشواهد النحوية شعراً غير=

والحق أني قد فرحت غاية الفرح وانشرح صدري جداً عند مشاهدة هذا المعرض وأساس السعادة الذي أرجو - إن شاء الله تعالى - أن يكون مصدر رخاء وازدهار للشعب الأصيل.. كان العلماء والوزراء والأعيان والتجار وصغار الكسبة واليافعين والأشبال من طلاب المدارس يتوافدون على هذا المعرض دون انقطاع.. وعلى الرغم من أن الافتتاح الكامل للمعرض ومشاهدة بعض المنتجات الغربية والأعمال اليدوية المذهلة قد تم تأجيله إلى ما بعد مغرب الشمس، ولكن حيث كان أخي المقدس بانتظاري فقد دفعته العجلة إلى الاكتفاء بشراء بعض الكتب التي كنت أحتاجها، وخرجت من المعرض بسعادة غامرة.

في اليوم التالي تشرفنا بزيارة مرقد السيد عبد العظيم الحسيني عليه السلام^(١)، وعند الغروب عدنا أدراجنا إلى المدينة ثانية، والحق إننا

=معروف قائله، بصيغة: (يا ابن الكرام ألا تدنو فتبصر ما.. قد حدثوك فما راء كمن قد سمعا). ومثله ما ورد في المأثور عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: (ليس الخبر كالمعاينة). (المعرب).

(١) السيد عبد العظيم الحسيني (١٧٣ - ٢٥٢): هو ابن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد ابن الإمام الحسن عليه السلام. عاصر ثلاثة من أئمة أهل البيت عليهم السلام، وهم: الإمام الكاظم، والإمام الرضا، والإمام الجواد عليهم السلام. وعلى قول: إنه عاصر الإمام الهادي عليه السلام أيضاً. وكان يعد من كبار العلماء والمحدثين الشيعة. وقد عاش السيد الحسيني أقصى فترات العصر العباسي على أهل البيت والشيعة، ومنها فترة خلافة المتوكل الذي قال عنه الإصفهاني في (مقاتل الطالبين): (كان المتوكل شديد الوطأة على آل أبي طالب، غليظاً على جماعتهم، شديد الغيظ والحقد عليهم وسوء الظن والتهمة لهم، فبلغ بهم ما لم يبلغه أحد من خلفاء بني العباس قبله، وكان من ذلك أن كبر قبر الحسين عليه السلام وعقّى آثاره، ووضع على سائر الطرق مسالحي لا يجدون أحداً زاره إلا أتوه به فقتله أو أنهكه عقوبة). الأمر الذي اضطرّ معه السيد عبد العظيم الحسيني إلى الخروج نحو الري بزي مسافر، وأقام هناك في بيت لأحد الشيعة الثقات، وكان لا يخرج منه إلا متخفياً لزيارة قبر السيد حمزة بن موسى الكاظم عليه السلام - الذي رافق أخاه الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام إلى خراسان، والذي تتبعه رجال المأمون فقتلوه، وقبره في=

في غاية السعادة والحبور إذ حظينا بحفاوة ورعاية خاصة من سماحة الآغا المشار إليه^(١) حيث نقيم الآن في مضافته.

كان الوقت عصر اليوم الرابع، أحسست بضيق في صدري، وخمول في جسدي لا أعرف سببه، وكنت مضطرب الحواس، طلبت من أخي المقدس أن يأذن لي بالخروج؛ فخرجت من المضافة بمفردتي، وسلكت طريقاً كيفما اتفق وأخذت أسرّح النظر إلى جميع الأمكنة حتى بلغت نهاية المدينة، دون أن أعرف في أي اتجاه تقع تلك النهاية وما هي البوابة التي خرجت منها إلى البيداء لغرض الاستجمام وتنفس نسيم الصحراء، وهكذا ألفت نفسي خارج بوابة المدينة حيث بدأت ريح الشمال بالهبوب، واعتري القلب شيء من الانبساط، ودبت روح جديدة في جسدي.

كان إلى اليسار حدائق وجنائن على مدّ البصر، بيد أن رياح الخريف سبق لها أن عصفت بأوراقها وأذبلت ألوانها. لا أرى واحداً من أبناء جلدتي كي أحدثه وأرفع الثمالة الباقية من انقباضة صدري.



=بستان في مدينة الري - وكان السيد عبد العظيم يجد في زيارة قبر السيد حمزة بعض السلو وهو بعيد عن موطن آبائه وأجداده وأهل بيته بعد أن حُرِم منهم، ولا سيّما الأئمة الأطهار عليهم السلام الذين كان يجد فيهم الملاذ الآمن والقدوة الحسنة، ولم يكتب له أن يراهم مرة أخرى حتى مات غريباً في منفاه الاختياري في الري، ودفن بالقرب من قبر السيد حمزة. (المعرب).

(١) يعني بذلك الشيخ بهاء الدين النبوي النوري نجل الشيخ عبد النبي النوري، وقد تقدم ذكرهما. (المعرب).

[حكاية العاشق الولهان]

لا أرى مُزارعاً كي أسأله عن حكاية أزهاره وبلابله.. كان يتراءى على البُعد بعض الخيالة، وهم وقوف يترقّبون وكل واحد منهم ممسك بزمام راحلته، كما كنت أسمع من قريب صوت شلال، فخطوت بعض الخطوات على أمل الوصول إلى ينبوع ماء. إيه يا له من نشيج يقطع نياط القلب. هل ما أسمعه نواح المجنون^(١) أم هو بكاء النبي يعقوب [عليه السلام]؟! وهل هو نحيب فرهاد^(٢) أم آهة أيّوب [عليه السلام]؟! حيث كان يتناهى إلى سمعي تكرار هذين البيتين، مع فاصل رتيب يقول فيه صاحب الصوت الشجي: يا بلسم روحي، ويا محبوبتي العطوفة.. فدتك نفسي:

تا كي ز غمت چو شمع سوزان باشم در آتش عشق تو فروزان باشم
تا چند در انتظار تو آینه وار سر تا بقدم دیده گریان باشم^(٣)

(١) المراد هو قيس بن المُلَوّح المعروف بـ(مجنون ليلى) (٢٥ - ٦٨هـ): شاعر متيم من أهل نجد. وهو أحد القيسين الشاعرين المتيمين، والآخر هو قيس بن ذريح، المعروف هو الآخر بـ(مجنون بُنى)، والأول أشهر بهذا اللقب. (المعرب).

(٢) تقدم أن ذكرنا في هامش سابق حكاية (فرهاد) وحبّه لـ(شيرين)، وهي من أشهر قصص الحبّ العذري في الأدب الفارسي. (المعرب).

(٣) لم نعثر لهذين البيتين على قائل، ومعناهما: (حتى متى أذوب مثل الشمع محترقاً على فراقك.. وأبقى مشتعلًا في نار عشقك / وحتى متى أظل في انتظارك مثل المرأة.. وقد جللتني دموع العين من رأسي إلى قدمي).

لقد اهتزّت أعضاء جسمي لسماع هذا النشيج الذي يحرق الأكباد.
 فيا أيها الفلك الدوّار من هو هذا المسكين الذي أوقعت به هذه المرّة^(١)
 في حبالك، وعصفت به في إعصار عشقه وهيامه؟! لقد أذاب نحيب هذا
 العاشق الولهان فؤادي وأحرق كبدي! وقد تشقّق ثوب صبري؛ فانعطفت
 ناحية اليمين دون إرادة مني بقصد العودة إلى المدينة..
 إليه أيها القلب؛ لقد خرجت كي أجد سبيلاً إلى رفع الانقباض عنك،
 فإذا بي الآن أعود وأنت أشدّ انقباضاً ممّا كنت عليه!..
 لم أمض سوى خطوات حتى وجدت نفسي واقعاً في الفخ الذي أردت
 الفرار منه!

لقد كان صاحب النشيج هو هذا الشاب الذي وجدت وجهه كفلكة قمر،
 وكان جالساً على مجرى الماء والدمع يجري على خديه مثل سحابة مطيرة
 في فصل الربيع، وكان قد وضع قبعته على ركبته وأسند عارضية الفضيين
 إلى يديه الجميلتين، وقد انتشرت خصال شعره العنبريّة مثل عقود الياسمين
 على أطراف وجنتيه، وكان في كل لحظة ينشج ناحباً، وتجري قطرات الدمع
 على أوراق ورد عارضيه مثل البرد، وكان من حين لآخر يعض ببرد أسنانه
 على شفّتيه المتورّدين.

ثاله از نرگس فرو بارید وگل را آب داد

وز تگرگ روح پرور مالش عناب داد^(٢)

(١) في النسخة (أ) (باز)، وفي النسخة (ب) (باز باز). (المعرب).

(٢) البيت من نظم أمير خسرو الدهلوي (٦٥١ - ٧٢٥هـ)، وهو المُكَنّى بأبي الحسن، والملقب
 بيمين الدين، والمعروف بالحكيم. شاعر مسلم ولد في الهند وكان تابعاً وتلميذاً لنظام الدين
 الأولياء، ويشار في بعض الأحيان إلى الدهلوي بـ(صوت الهند)، ويُطلق عليه لقب (أبو
 الأدب الأُردي). وقد شبه في هذا البيت الدموع بالبرد، والعين بالرجس، والوجنتين بأوراق
 الشجر، والأسنان باللؤلؤ، والشفّتين بالعنّاب، فذكر المشبّه به ولم يذكر المشبه، وهذا =

يا دوحة الماء الجاري، ما لي أراك تتحب باكياً؟!

سرو مي باید ز رشك قامتت گریان شود

بلبل از عشق گل رویت بسی نالان شود^(١)

من الذي تبكيه وأنت على مثل هذا الجمال والجلال والقامة والاعتدال؟!.. كان يحمل بيده منديلاً أخضر وهو يكفكف به دموعه أو الدّرر المتساقطة من عينيه من حين لآخر؛ وكان واضحاً من هيئته أنه من أسرة كريمة المحتد، وكان الخيالة الذين لاحوا من البعد هم من خدمه، وكانوا لذلك يراقبون سيدهم من بعيد وقلوبهم واجفة، دون أن يحاولوا إزعاجه..

وما إن تعرّضت إلى هذا الشاب صاحب الوجه الملائكي حتى وجدت نفسي مسلماً عليه دون إرادة مني؛ فاستقام على عجل يحكي قامة الصفصاف؛ فردّ عليّ السلام، ثم استحلفني بمن أعبد وأقسم عليّ أن أجلس عنده ليبتني همومه.

لقد اعتصر كلام هذا العاشق الولهان فؤادي إلى أقصى الحدود، حتى لم أستطع رفض رجائه، ثم إنه بادر بنفسه وأمسك بيدي وأجلسني إلى جواره.

=النوع من الاستعارة يُسمى في علم البلاغة بـ(الاستعارة التصريحية)، ويبدو أن الدهلوي قد أخذ هذا المعنى من الشاعر العربي أبو الفرج محمد بن أحمد العناني الغساني المعروف بـ (الوَأواء الدمشقي) (من شعراء القرن الرابع للهجرة) - وهو من شعراء سيف الدولة الحمداني - إذ يقول على ما ورد في ديوانه الذي أصدره المجمع العلمي في دمشق سنة ١٩٥٠ م: (وأمرت لؤلؤاً من نرجس وسقت.. ورداً وعصّت على العنّاب بالبرّد)، ويبدو أن الحسن بن هانئ المعروف بـ (أبي نؤاس) (١٤٥ - ١٩٨ هـ) قد سبقه إلى هذا المعنى حيث قال: (تبكي فتذري الطلّ من نرجس.. وتمسح الورْد بعنّاب). (المعرب).

(١) لم نعثر على قائل هذا البيت، والمعنى: (إن السرو هو الأجدر بالبكاء حسداً على قامتك.. والبلبل هو الأحق بالنواح هياماً في ورد وجنتيك).

ثم أخذ يسألني بشكل متلاحق: من أيّ البلاد أنت يا سيدي، وإلى أين أنت ذاهب؟ وما هو اسمك الشريف؟ وكم بلغت من العمر؟ وما هو مقدار معلوماتك؟ وأي أنواع الكمال حققت؟ وهل تملك شيئاً من قريحة الشعر؟ وهل تنظم الشعر في الغزل أم لا؟ وهل سبق لك أن وقعت في الغرام أم لا؟.. أريد منك جواباً صادقاً عن هذه الأسئلة.

أيقنت أن عُقاب العشق قد نشر جناحيه إلى أبعد المدى، حتى حجب الأفق على طائر قلبه الكسير، وقد استولى صائد الحبّ عليه وأطبق قبضتيه على عقله، حتى أفلت منه عقل لسانه، وصار يُطلق الأسئلة يميناً وشمالاً.. وقد خشيت أن أكسر قلبه دون قصد مني؛ فاقترعت عليه الطريق، وسارعت إلى الإجابة عن أسئلته قائلاً:

أنا قادم من كربلاء، وأعتزم الذهاب إلى مشهد المقدسة، اسمي الميرزا حسن، ولي من العمر اثنتين وعشرين سنة، وأمتلك شيئاً من المعلومات في الصرف والنحو أو قواعد التكلّم والكتابة باللغة العربية والفارسية والتركية، والمنطق، والمعاني، والبيان، والفقه، والأصول، والحكمة الإلهية، والجغرافيا، والحساب، والهندسة، وبعض العلوم الجديدة الأخرى في الجملة.

وأعرف شيئاً من الرسم والتصوير، وأتذوّق الشعر، وأستطيع نظم الغزل، وأنا بالإضافة إلى ذلك كله أحب الإسلام، وقد امتزج حب عليّ عليه السلام بلحمي وعظمي.

فما هو اسمك؟ وإلى من يعود نسبك العالي؟ وما الذي أردته من أسئلتك المتقدّمة؟ ولماذا أنت جالس هنا بمفردك؟ وما الذي ييكيك؟!

فقال الشاب: أنا سميّك، وأبي فلان وهو من آل فلان، أبلغ من العمر ثمانية عشر عاماً، وغاييتي من السؤال أن أستيقن من غربتك، حتى أثبك ما يعانيه قلبي المنكود والمُعنى، وأرجو منك أن تُسمعني بعض أبيات الشعر

في الغزل، تسكيناً لقلب أخيك في الإسلام والوطن، وأما سائر الأمور فسوف تتعرّف عليها لاحقاً.

اتضح أنه - كما حدثت - ينتمي إلى أسرة جليلة ومن الأشخاص المشهورين جداً.

فقلت له: إن ما قدّمته لك من المعلومات عني صحيح كله، ولكنني أحاول تجنب الرسم ما أمكن، كما أنني تركت نظم الأشعار الغزلية أيضاً، إلّا ما كان منه في مدح الأئمة الأطهار عليهم السلام، فأرجو منك في البدء أن لا تطلب مني شيئاً فيما يتعلق بهذين الأمرين.

وهنا أطلق الشاب زفرة حرّى واغرورقت عيناه بالدموع، ثم قال: سيدي أقسمت عليك بحق المولى علي عليه السلام إلّا ما شفيت سُقْمِي بقراءة ما سبق لي أن طلبت منك، وقد استحلقتك بمن تحب أن لا تجرح شغاف قلبي!

والحق إن استحلافه الصادق قد اضطرّني إلى تسليم القياد له، ولكنني وجدت حرارة العشق قد أذبلت أوراق وجنتيه الورديتين؛ فهل سيطيق حرارة نار الغزل، ولكن حيث كنت مضطراً إلى الاستجابة لطلبه، لم أجد بداً من القول له: خذ مني على العجالة تقليداً للغزل الأول من ديوان الخواجة حافظ [الشيرازي]:

(س)

ألا يا قائد المحبوب تلك الناقة اعقلها

كه آن طنّاز دلبر مي برد با خويشتن دل ها^(١)

(١) معنى المصراع الثاني من هذا البيت: (إن ذلك المغناج سارق القلوب، يسلب الأرواح مع الأفتدة)، وهو تقليد لما جاء في القصيدة الأولى في ديوان الخواجة شمس الدين حافظ الشيرازي، إذ يقول: (ألا يا أيها الساقى أدر كأساً وناولها.. كه عشق آسان نمود أول ولي أفتاد مشكل ها).

فلم يكن من الشاب عند سماع هذا البيت إلا أن رفع رأسه إلى السماء وأجهش بالبكاء وأخذ ينشج نشيجاً عالياً، وهو يقول: آه آه، أجل إنها تسلبهما معاً، أقسم بالله أن الأمر كذلك تماماً، وتأخذهما بشدة وقسوة، ولا تبقي على شيء منهما أبداً، ألا أيها القائد! يا عديم المروءة، اعقل تلك الناقة ويحك اعقلها، لقد أذبت فؤادي وأحرقت كبدي!.. هنيئاً لك فأنت قائد لمن تحب، أنت قائده، وهو قائد القلوب.. آه آه، أيتها الحبيبة العطوفة!

(س)

دل عالم همه گو غمزه ابروي تو چوگان

دل نمانده است كه غمزه ي ابرو نه رُبائي^(١)

زدني أيها السيد زدني، أقسم عليك بحبّ علي [عليه السلام] إلا ما أسمعني المزيد؛ فقلت مُكرهاً:

[(س)]^(٢)

به هر تابي ز زُلف عنبرينش بسته صدها دل

به هريك دل ز تار گيسويش چندين سلاسل ها

نگارا صد گره افتاده از آن طره پر خم

گرت يك عقده بگشائي شود حل جمله مشكل ها

(١) المعنى: (كأن قلب العالم بأسره كرة، وانحناءة حاجبك مضرب للصوالجة.. لم يبق في الكون قلب إلا وقد اختطفته غمزة من حاجبك).

(٢) ما بين المعقوفتين إضافة من عندنا، للدلالة على أن الأبيات يجب أن تكون من نظم صاحب الرحلة. (المعرب).

مگر آن تار گیسوی تو خیط اصفر است آيا

که در هر لحظه بر شهر دل اندازد زلازل ها^(١)

فأسرع الشاب إلى القول: سيدي! لا شك في أنك تعني بذلك الخيط الأصفر هو ما كان من شأن الإمام محمد الباقر عليه السلام، الذي كان يكفي تحريكه لإحداث هزة أرضية في المدينة، لا شك في أنه ذلك الخيط^(٢).

آه لكان روح القدس قد نفخ في أنفاسك..

(١) المعنى: (في كل عُقدة من شعره العنبري مقيدة مئات القلوب.. وعلى كل قلب من ذوائب الشَّعر يُلقِي ما لا يُحصى من الأغلال والسلاسل / أيها المحبوب لقد بليت بمئة عُقدة تساقطت عليّ من ذلك الشَّعر المجعَّد.. فإن وسعك حلَّ عُقدة واحدة منها سوف تُحلّ المشكلات جميعها / هل هذي ظفيرتك أم هي الخيط الأصفر.. الذي يثير الزلازل في مملكة الفؤاد في كل لحظة).

(٢) ورد حديث الخيط الأصفر في بحار الأنوار على النحو الآتي: (في حديث جابر بن يزيد الجعفي: أنه لما شكت الشيعة إلى الإمام زين العابدين عليه السلام مما يلقونه من بني أمية، دعا الإمام الباقر عليه السلام، وأمره أن يأخذ الخيط الذي نزل به جبرئيل إلى النبي صلى الله عليه وآله ويحركه تحريكاً، قال: فمضى إلى المسجد فصلى فيه ركعتين، ثم وضع خده على التراب وتكلم بكلمات، ثم رفع رأسه فأخرج من كمّه خيطاً رقيقاً تفوح منه رائحة المسك وأعطاني طرفاً منه، فمشيت رويداً فقال: قف يا جابر! فحرك الخيط تحريكاً ليناً خفيفاً، ثم قال: اخرج فانظر ما حال الناس قال: فخرجت من المسجد فإذا صياح وصراخ وولولة من كل ناحية، وإذا زلزلة شديدة وهدة ورجفة، قد أخرجت عامة دور المدينة، وهلك تحتها أكثر من ثلاثين ألف إنسان، ثم صعد الباقر عليه السلام المنارة فنادى بأعلى صوته: ألا أيها الضالون المكذبون. قال: فظن الناس أنه صوت من السماء، فخرّوا لوجوههم، وطارأت أفئدتهم، وهم يقولون في سجودهم: الأمان الأمان، وإنهم يسمعون الصيحة بالحق، ولا يرون الشخص، ثم قرأ: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَنَّهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾. قال: فلما نزل منها وخرجنا من المسجد، سألته عن الخيط قال: هذا من البقية. قلت: وما البقية يا ابن رسول الله؟ قال: يا جابر بقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة، ويضعه جبرئيل لدينا). (المعرب).

هل تعلم الغيب؟ فقد طابق قولك وصف محبوبتي، وقد علمت بسفرها،
أجل أجل. لقد أصاب قلبي زلزال كذاك الزلزال الذي ضرب يثرب بخيط من
شعرها؛ ثم أجهش مرّة أخرى بالبكاء كطفل رضيع.

يا ربّاه ما هذا البلاء الذي وقعت فيه؟ ويا ربّ ما هذا المنظر؟ ومتى
صدر مني التصابي واللعب؟ وهل سبق لي قبل هذا اليوم أن رأيت عاشقاً
متيّماً؟!

أسألك اللهم أن تمنح التصبّر لهذا الشاب المسكين؛ إذ لم أعد أطيع
صبراً على مصيبيته..

ثم توجّهت إليه بالقول: أخي، لا تصرّ عليّ أكثر من هذا؛ فإنك تطلب
تسكيناً لقلبك، بإثارة الضجيج والفوضى في فؤادي!.. رفع الشاب رأسه
نحوي ونظر لي بعينه الناحلتين نظرة انكسار واستعطاف، وقال:

لقد كشفت لي في بداية كلامك عن حبّك للإمام علي عليه السلام، وقد
أقسمت عليك بدوري بحبّ هذا الإمام الهمام أن تتمّ قراءة الغزل، ولكنني
في هذه اللحظة لأعجب من حبّك؛ فأسمعني أقسمت عليك بحبّك لعلي
عليه السلام أسمعني.

فقلت له: لا بأس يا أخي، ولكن بشرط أن تكفّ عن البكاء والنحيب؛
فلم تعد بي طاقة على سماع بكائك!

[(س)]^(١)

تو با این سَر و رفتاری که داری رو به ره آر
به تعظیم اوفتندت^(٢) سَر وها در طي منزله

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من النسخة (ب).

(٢) في النسخة (أ) (اوفتندت)، وفي النسخة (ب) (افتندت).

گرت مجلس خرامي جامي از زهر بلا بر کف
زهر سو بشنوي اي شوخ شیرين کام ناولها^(١)

وهنا قال الشاب: طبعاً، طبعاً، لن أعطيها لأحد، وسوف أشربها عباً
وبجرعة واحدة، أقسم بذؤابة شعرها سوف أشربها جرعة واحدة!

[(س)]^(٢)

دلم شهر تو و شاهش توئي عمالش أعضايت
شها بنگر که در شهرت چه پر جورند عاملها^(٣)

فقال الشاب: آه آه، فدیت لسانك، صدقت والله! يا ويلي أيها الملك
من جور عمالك!

(س)

مژه گانش همه تیر است و دو ابرو دو کمان
از دو سو نقطه دل را بنمودند نشانه

چو مرغ نیم بسمل من بزیر تیغ خونریزت
تو از نخوت همی زن بر سر نعشم هلاهلها

(١) المعنى: (إنك وما أنت عليه من قامة تحاكي قامة السرو لن تخرج إلى قارعة الطريق.. حتى
تنحني تعظيماً لك جميع أشجار السرو في جميع المنازل / وإن حدث أن كنت في محفل
للطرب ووضعوا بكفك جام خمر البلاء مسموماً.. سوف يأتيك النداء من كل مكان: يا أيها
المغناج، ناولها).

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من النسخة (ب).

(٣) المعنى: (فؤادي بلاد أنت مليكها والعمال فيها أعضاؤك.. فيا أيها الملك انظر إلى مملكتك
وخلصها من جور عمالك).

از آن لب بوسه ده و انگه ستان جان (سليمي) را

تقدّم واقعدن في جانبي حتى أقبلها^(١)

فقال الشاب: إي والله وبالله، تكفيني قبلة واحدة! ولكن أين ومتى؟..
هيهات! إنها لم تعد لي مجرد قبلة، بل هي ماء الحياة، إيه إيه.. يا محبوبتي
المُدَّة!

تا چند باشد در غمت از دیده اشکم متصل

آخر نگاهي سوي ما اي رشك خوبان چكل^(٢)

ألقي الشاب نظرة عجلى إلى ما حوله، وكان طوال الوقت ممسكاً بيدي
ويضغط عليها بقوة، ثم قال:

أريد منك حاجة إن أنت لم تقضها لي فإني سأقضي نحبي حتماً في هذه
الليلة؛ فأستحلفك سيدي أن لا ترفض طلبي. ولا تردني خائباً، وقد تشبّثت
بأذياك.. وأخذ يجهّش بالبكاء مرّة أخرى!

فقلت له: ما الذي يبكيك يا أخي إلى هذا الحدّ؟ وما الذي يدعوك إلى
هذا المستوى من الاضطراب وعدم الصبر؟ إن على الرجل أن يتشبّث بزمّام
عقله؛ فقد أذبت قلبي وأدميت كبدي، وقد قذفت عينك الناحلتان الشرر في

(١) المعنى: (ألاحظها سهام جميعها وما الحاجبان غير قوسين.. يسدان رمي النبال على قلبي
من جهتين / وحيث أنني لست بطائر فلا تبسمل عند ذبحي بنصلك الدامي.. وعند تشيع
نعشي كن نبياً وارفع الصوت بالزغاريد والهلاهل / أعطني قبلة من لُماك واقتل (سليمي)
بعدها.. تقدّم واقعدن في جانبي حتى أقبلها).

(٢) ورد في النسخة (أ) وفي النسخة (ب) (چكل)، ويبدو أن اللفظ الصحيح (چگل)، بمعنى
صاحب الوجه الجميل والحسن، أو أنه اسم موضع تشتهر فيه الفتيات بالحسن والجمال،
وبذلك يستقيم معنى هذا البيت على النحو الآتي: (حتى متى تبقى الدموع تسيل من آماقي
دون انقطاع.. تفضّل عليّ بنظرة يا من تحسده الحسنات على حسنه). (المعرب).

روحي؛ فأرجوك أن تبوح بما يعتلج في صدرك، وسوف أضع ما تقوله نصب عيني؛ أسفاً على هذا الجمال والكمال.

أقسم لك بأني سوف أصغي إلى كل ما تقول، وسوف أجعل هذه الساعة من وقتي وقفاً عليك، شريطة أن تكفّ عن البكاء، إذ لم تبق عندي طاقة للصبر على بكائك.

فبادر فجأة إلى أخذ وجنتي بيديه وأخذ يقبلهما ويقول: سيدي سلّم الله عينيك؛ ما الذي يمكن لي فعله، أما سمعت [قول الشاعر]:

هر كجا عقل وعشق پنجه زدند

عقل مغلوب و عشق غالب شد^(١)

این عشق است که مجنون کند افلاطون را

آتشکده سازد جگر جیحون را^(٢)

فإذا كان هذا هو حال [الفيلسوف العظيم أفلاطون، والنهر الهدّار جیحون مع العشق]^(٣)، فما هو خطري أنا ولست سوى قشة ضعيفة أمام الهوى؟ ومن أين لي القوّة على محاربة الجوى؟ يا سيدي، لا يجدر بمقامك الجلوس في هذا المكان.

آه لو شرفتنني بالمجيء إلى كوشي الصوفي، فتكون بذلك قد جبرت قلبي الكسير، ليس هناك في البيت سوى خادمك، لا تتعب نفسك بالتفكير يا سيدي؛ إذ يستحيل التوقّف..

لم يُعطني فرصة الرفض، حتى أشار إلى خدمه؛ تعال يا سلطان! اختطف

(١) المعنى: (عندما يتصارع العقل والغرام.. يكون العقل هو المغلوب، والعشق هو الغالب).

(٢) المعنى: (هذا هو العشق الذي يصيب حتى أفلاطون بالجنون.. ويضرم نار الهوى في نهر جیحون).

(٣) ما بين المعقوفتين إضافة توضيحية من عندنا. (المعرّب).

يدي وأخذ يسحبني بأقصى سرعته إلى ناحية، وكان يغذ السير واسع الخطى، وكان من شدة الشوق لا يعرف رأسه من رجليه؛ فتارة يقفز في الهواء، وتارة أخرى يضرب الأرض بقدميه، وكأنه يوم الوصال؛ وهو بين هذا وذاك يضحك تارة ويبكي تارة أخرى، وكانت وجنتاه الورديتان من شدة الوجد كبحر النور الهادر، وهو يظن أنني سأبقى جليسه إلى يوم القيامة ونفخ الصور.

كانت حركات هذا الشاب الساذج الذي يحاكي وجهه فلقة القمر تذيب كبدي! ما هي الحيلة التي يمكن لي أن ألوذ بها كي أنقذ هذا الشاب المسلم من البلاء الذي يعصف به؟ ولكن هيهات؛ وهل يمكن للنصيحة أن تؤثر في عاشق ولهان؟! كان يشبه الغزال الشارد، وهو ينظر تارة إلى الخلف مضطرباً، وتارة ينظر لي متأوهاً ومتحسراً:

رفتن به چه ماند به خرامیدن طاووس برگشتن و دیدن به چه آهوي رمیده^(١)

أدار النظر نحوي بمنتهى الوداعة والأدب وقال: هذا هو (الكوخ الصوفي)^(٢)، تفضل بالدخول.. كان على الباب شاب واضعاً يده على صدره وانحنى احتراماً بمنتهى التواضع.

قال له العاشق الولهان: يا (گل نایب)، لا تسمحنّ لأحد بالدخول علينا. دلفنا إلى الداخل، فوجدته ويا للعجب كأنه قصر ملكي حيث هناك باحة

(١) يروى هذا البيت عن الشاعر الفارسي الشهير الشيخ الأجل سعدي الشيرازي، بصيغة: (ميلت به چه ماند؟ به خرامیدن طاووس!.. غمزت به نگه كردن آهوي رمیده!). والمعنى واحد تقريباً، والمعنى: (من تحاكي في مشيك؟ تحاكي مشية الطاووس تيهماً.. ونظرتك تحاكي نظرة الطيبة النافرة!). (المعرب).

(٢) يعبر الإيرانيون عن بيوتهم ومنازلهم وقصورهم عموماً مهما علا شأنها بـ(كُلبه) أو (كُلبه درویشي) بمعنى (الكوخ) أو (الصفة) توضعاً. (المعرب).

واسعة تشتمل على الكثير من الحقائق وأشجار الصفصاف والصنوبر، والأزهار المتنوعة وسط بحيرة صافية.

فخفّ العاشق الولهان كأن طائر غرد، وأخذ يشدو ويضحك راكضاً وهو يقول:

هذا هو بيت أحزان خادمك، كلا، أسأل الله أن يغدو بعد قدومك المبارك داراً للسرور. ارتقينا درجات السلم صعوداً ودخلنا هناك صالة، ويا لها من صالة ملكية مؤثثة بأنواع السجاد والأرائك والكراسي والبسط وأنواع الصور لملوك إيران ورجالات الدولة والأسلاف، والشبابيك مزدانة بأنواع الستائر المخملية المطرّزة، ولا يمكن وصف جمال أيّ واحدة منها.

إيه يا أيها الفلك، كل من ألقاه في كنفك يشكو همّه! ليت شعري هذه الدنيا لمن؟! (١) ..

فعلى الرغم من كل هذا المُلْك والمال والجلال والكمال والجمال والعزّة والشوكة والرفعة والنعمة والجاه، بيد أن ساكن هذا القصر المحاط بكل هذه النعمة لم يُترك حتى بُلي بداء العشق!.. أسفي على هذه القامة التي تحاكي الصفصافة في طولها، تجتثها فأس الغرام هكذا من جذورها.. جلست هناك على أريكة، وكان العاشق الولهان لا يفتأ يدور حولي مثل الفراشة.. ثم نادى على أحدهم:

يا (كبير الخدم) (٢) أحضر الشاي.. سيدي، إن ما تراه من الأثاث كله من المنتجات الوطنية؛ فنحن لا نقنتي شيئاً من البضائع الأجنبية.

(١) في الأصل: (اي چرخ هيچكس در زیر خيمه ات آسوده نيست)؛ وقد استعضنا عنه بما يقرب منه من القول المنسوب إلى أبي العلاء المعري: (كل من لاقيت يشكو دهره.. ليت شعري هذه الدنيا لمن). (المعرّب).

(٢) في الأصل (يوزباشي)، وهي كلمة تركية مركبة من (يوز) بمعنى (مئة)، و(باش) بمعنى (رئيس)، والمعنى الحرفي الكامل لهذا المصطلح هو (رئيس على مئة شخص). وفي عصر=

يا مهجة قلبي إن روحي تحترق مثل صالية اللظى؛ هلاً أذنت لي أن أنزع القبعة من رأسي؟.. فقلت له: بالطبع، لك كامل الحرية.. ثم جلس على أريكة ليكون أمامي وجهاً لوجه، وقال: لا شك في أنك تنتظر سماع قصتي، وعليه أقول لك بالمختصر:

أنا وحيد والدي، وعندما بلغت السنة السادسة من عمري أرسلوني إلى المدرسة، فأمضيت خمس سنوات حتى نلت درجة الاحتياط وستة أعوام في المدرسة الابتدائية، ثم قضيت ثلاث سنوات في المتوسطة، وبعدها طلبت العلم لسنتين خارج المدرسة.. وحيث بلغت السادس عشرة سنة من عمري كنت بالإضافة إلى العلوم الحديثة المعروفة في اللغة العربية والفرنسية والروسية بالقياس إلى أترابي على مستوى والدي المُفدّي من الكمال، فكلفني وأنا في هذا العمر بتولي وإدارة جميع مهامه وأموره، وقد مضى على ذلك عامان وأنا أتولى مهامه.

وخلال هذه المدة أعددت لنفسي - إلى جوار ذلك الشلال الذي وجدته في - جُنية أو محرقة ومحنة، وأخذت أتردد عليها أبدأً للفرجة والانتجاع وحدي في بعض الأحيان، أو برفقة بعض الأصحاب في أحيان أخرى، فنقيم في بيت الأحزان ذاك، الأفراح والمسرات في غفلة عما يُخبئه القدر..

وحدث ذات يوم ما لم يكن بالحُسبان؛ إذ قصدت تلك الجُنية بمفردي، وكنت أسير مطمئناً جذلاً في شارع تلك الروضة، ويا ليتني لم أبصر تلك

=الشاه عباس الصفوي كان يتم إخفاء مئة من الغلمان البيض ويجعلون من هو أكفأهم رئيساً عليهم، كما يتم إخفاء مئة من الغلمان السود ويجعلون أكفأهم رئيساً عليهم. وحتى عصر الشاه سلطان حسين كان يطلق على اليوزباشي الأبيض اسم (إبراهيم آغا)، وعلى اليوزباشي الأسود اسم (إلياس). وعليه فإن استعمال لفظ اليوزباشي أعلاه يأتي للدلالة على فخامة القصر بحيث يحتاج إلى الكثير من الخدم وأن يكون هناك رئيس عليهم، وقد اصطَلَحنا عليه في التعريب بـ(كبير الخدم). (المعرب).

الساعة المشؤومة؛ إذ تجلى البلاء فجأة ليكتب خاتمة أيام السعادة والسرور!.. فحيث كنت أمشي جذلاً مرحاً حتى بلغت بادية البستان، وكانت إلى جوارنا الشرقي مزرعة لفلان، وكان في وسطها جنة عنبرية، وفجأة وقع بصري على جنة خسفت وجه الشمس بنورها الساطع، وطلعت من لُجّة تلك الجنة كوكبة من الشمس الصغيرة، والأقمار الزاهرة، التي تحاكي جمال الزهرة، وهن يتمايلن في مشيتهنّ واحدة إثر أخرى فرحات جذلات ضاحكات يصفقن بأيديهن ويضربن الأرض بأقدامهن صاخبات، وكأن نسيم الدهر لم يداعب مشامهن، أو أن ضجيج المحن لم يطرق سمعهن.

زهر کرانه پري پیکران گروہ گروہ زهر کناره قمر منظران^(١) قطار قطار^(٢)

وفي وسطهن وقعت عيني على قامة ممشوقة ومعتدلة لشمس، احتجبت شمس السماء خلف السحاب حياءً منها، كما احتجبت السنابل خجلاً من غداثرها الملتوية، ثم كانت تلك الشمس ويا للعجب في جمال القمر، ولها

(١) في نسخة الديوان (طلعتان) بدلاً من (منظران). (المعرب).

(٢) البيت من قصيدة للشاعر الفارسي الميرزا حبيب الله القائي الشيرازي (١٢٢٣ - ١٢٧٠هـ): وهو من شعراء البلاط القاجاري، في عهد فتح علي شاه، ومحمد شاه، وبداية عهد ناصر الدين شاه. لُقّب بـ(مجتهد الشعراء)، و(حسن العجم). وهو عم آية الله الميرزا محمد تقي الشيرازي المعروف بـ(الشيرازي الثاني). تضلّع القائي الشيرازي في الأدب العربي والفارسي، وأتقن اللغة الفرنسية فكان بذلك أول شاعر فارسي يتكلم الفرنسية، وكان بالإضافة إلى ذلك ضليعاً في الفلسفة، ولكن طغت شاعريته على فلسفته، ومن هنا فقد خلع عليه فتح علي شاه لقب (مجتهد الشعراء). وبالإضافة إلى ديوان الشعر الذي يحتوي على سبعة عشر ألف بيت، فإن له كذلك كتاباً منشوراً بعنوان (پريشان) على نمط الـ (گلستان) أو (روضة الورد) للشيخ الأجل سعدي الشيرازي. توفي عن عمر ناهز الخمسة وأربعين عاماً متأثراً بداء الكابة، ودفن في الري إلى جوار مرقد السيد عبد العظيم الحسيني. ومعنى البيت أعلاه: (طلعت الحور من كل الجهات جماعات جماعات.. ومن كل الجوانب ترى الأقمار طالعة على شكل قاطرات). (المعرب).

جسد كاللجين، ذات قوام بضّ ولدين، وكانت تخلب القلوب، وتأسر الأرواح، لها رحيق مثل الشهد والسكر، وحاجبان مثل القوسين، يفوح العنبر من جدائلها، ولها قامة ممشوقة مثل السرو، وألحاظ تحاكي ألحاظ الظبي، ولها من الحُسن والجمال ما يتيه الخيال والتصور عن إدراكه، ويقصر طائر العقل عن تعقّل وفهم تلك الباقية من الأزهار؛ فيسقط طوعاً في بئر بابل^(١).

بهشت است آن كه من ديدم نه رخسار كمند است آن كه او دارد نه گيسو
لبان لعل چون خون كبوتر سواد زلف چون پر پرستو^(٢)

أستغفر الله، لقد أخطأت في وصفها؛ فإن جدائلها ذهبية مثل أشعة الشمس، ولو سبق لي أن سمعت أشعارك، لقرأتها في وصف خصال شعرها؛ إذ تقول:

مگر آن تار گيسوي تو خيط اصفر است آيا

که در هر لحظه بر شهر دل اندازد زلازل ها^(٣)

وفي المقابل وقع بصر نور العالم تلك متمثلاً بها قامتي الفاقدة للروح، فبقي كل واحد منا جامداً ينظر إلى الآخر من مكانه لساعة من الزمن بحيرة وانبهار، ولسان كل واحد منا معقود، وأرجلنا ثابتة في الأرض كأنها مشدودة بأمراس حديدية!.. كنت ميتاً على قيد الحياة، وفجأة ألهمت وجودي

(١) في الأصل: (چاه بابل)، وهو البئر الذي يقال بأن هاروت وماروت محبوسان فيه. (المعرب).

(٢) البيتان من قصيدة للشاعر الفارسي الشهير الشيخ الأجل سعدي الشيرازي، ومعناها: (جنة تلك التي رأيته وليست وجنة.. وَهَقُّ ذلك الذي تمتلكه وليس جديلة / واللّمي الحمر مثل دماء الطائر.. وسواد الغدائر كجناح الأسحم).

(٣) تقدم شرح هذا البيت.

حرارة عشق تلك الشمس، وأحرقت بنارها جناح وريش طائر عقلي
بالكامل.

[س] (١)

به جنت هيچ كس آتش نديده زبُستان ارم حنظل نچيده (٢)

بيد أني - ويا للأسف - كنت في قلب ذلك الفردوس كأنني في قعر
سجين، وفي قلبي تضطرم نار مثل كورة الحداد.

ثم انتبهت فجأة، وقلت في نفسي: أيتها النفس المتهورة، وأيتها
المنتسبة إلى (الضحاك) (٣)، بأيّ حكم من الأحكام الإسلامية أبحت لنفسك
النظر إلى هذه الفتاة الأجنبية، وبأيّ غيرة أجزت لنفسك خيانة عرض بنت
من بنات الوطن.

لو أن شخصاً طمع في قبعتك سوف تضر له شديد العداوة.

أيتها العين الخائنة أطبق جفنيك، واستحي من الخالق الحنان؛ فهؤلاء
النسوة هنّ أخواتك في الدين والوطن.

(١) ما بين المعقوفين ساقط من النسخة (ب).

(٢) المعنى: (لم يرَ أحد النار في الجنة.. ولا أحد يحصد الحنظل من جنة عدن).

(٣) في الأصل (ده آك)، وقد ورد في معناه: اسم الضحاك الذي هو من أهم شخصيات
الشاهنامة والأفستا، وقد ذكر اسمه في الأساطير الآذرية والإيرانية والكردية الدينية
والتاريخية بوصفه روحاً شريرة، أو أن الضحاك تعريب (ده آك)، وال(آك) هو (العيب
والعار)، وبذلك يكون معنى (ده آك): (العيوب العشرة)، ويقال إن الضحاك كان جامعاً
لكل هذه القبايح، وهي: قبح القوام، وقصر القامة، وكثرة الغرور، وعدم الحياء، والبطنة،
وبذاءة اللسان، والظلم، والتسرّع، والكذب، وسوء الظن. وهناك من أرباب اللغة في فارس
من يرى أن (ده آك) هو القلب الذي خلعه الإيرانيون على الضحاك؛ إذ كان من العرب،
وأنه قد سُمّي بهذا الاسم لإفراطه في الضحك، وحيث لا ينطق الفرس بحرف الضاد
والحاء؛ فقد تلفظوه على شكل (دهاك)، وأثبتوا له عشرة عيوب على ما تقدّم. (المعرب).

وفي أثناء ذلك حيث كنت منشغلاً بحديث النفس، بدا من شمس الجمال تلك أنها أدركت أيضاً أن ما تفعله مخالف للشرعية؛ فأسرعت تستر رأسها بكمّها، وتجرّج أذيالها كأنها ظبية نافرة؛ فخرجت حشجة من صدري؛ وكنت في تلك الحالة مثل الصياد الذي أفلت الصيد من يده، أو كنت مثل الصيد الذي وقع في شبكة الصياد، وأسدلت غشاوة على عيني، وبدأت ركبتاي تصطكان ببعضهما، ولم يعد فيهما قوّة على حملي؛ فجلست مكاني وشرعت في البكاء.

ما الذي يمكن لي فعله، وما هي الحيلة التي يمكن لي أن أتمسّها؟ ما هذا البلاء الذي نزل عليّ؟ أي رب لقد تعرّفت على صاحبة هذا الوجه الملائكي، ولكنها مخطوبة لابن عمّها. إيه فقد مضت أيام الفرح والسرور.

ثم نهضت متحاملاً على نفسي بمشقة بالغة، وألقيت بنفسي في أتون هذه المحنة، أجلس تارة، وأتغنى بالأشعار تارة أخرى، وأنا بين هذا وذاك أبكي تارة وأجزع تارة أخرى، أمضيت تلك الليلة مثل السليم أقلب على الفراش كمن لدغته الأفعى.

آه يا محبوبتي العطوفة، أنت تعلمين:

[س] (١)

بي تو مرا آتش است جنت عقیبی با تو مرا جنت است آتش آزر
نطع مرا به از این فراش شبانه قبر مرا به از این شبانه محشر^(٢)

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من النسخة (ب). وذكر هذين البيتين - وهما من نظم صاحب الرحلة - على لسان العاشق الولهان، يثبت أنه كتب ما سمعه منه، وأضاف إليه هذين البيتين بوصفهما من لسان الحال. (المعرب).

(٢) المعنى: (إن جنة العقیبی لولأك هي الجحيم.. وإن الجحيم معك هو الفردوس / وإن النطع لي من دونك خير من فراش النوم.. والقبر خير لي من ليل المحشر هذا).

سواء أكان الوقت يوماً، أو ليلاً، وفي أيّ ساعة من الزمن؟! فالمحنة في كل حين، فساعة بعد ساعة تزداد نار العشق اشتعالاً، ويوماً بعد يوم تقل قدرتي على التصبّر، وشيئاً فشيئاً بان السرّ المكنون، وأخذ حبّ تلك الغادة يتجذّر في فؤادي.

وفي نهاية المطاف اطلعت مرضعتي الطاعنة في السنّ على مكنون سرّي.. كنت ذات يوم جالساً في بيت الأحزان هذا منتحباً باكياً، وإذا بالمرضعة تظهر أمامي فجأة، فأسرعت أعدو لاستقبالها، قائلاً: يا مرضعتي الحبيبة! ما الذي جاء بك إلى مخدعي؟!

فقالت: يا بني، فدتك نفسي، أرى أوراق شبابك قد عصفت بها رياح الذبول! فهل تسللت سموم العشق إلى روضة أزهارك؟ أيّ مغير أوقعك في هذه الحالة الحزينة؟ ولماذا احدودبت قامتك المديدة؟ وما الذي خطف اللون الزهري من شفتيك؟ أين ذاك العارض المشرق؟ وأين ذاك الشجر الباسم؟ فديتك، من هي معشوقتك؟ فإن كانت هي شيرين بعينها، فسوف أحتال واختطفها لك من بين أحضان خسرو^(١)، وسوف أقبض على جدائلها الأفعوانية بألف حيلة وحيلة؛ فلا تحزن ولا تجزع؛ فإنني أعدك بأنني سوف أوقع بها بأنواع السحر والمكائد.

فقلت لها: يا مرضعتي الحنون، أتركي عنك حديث السحر والمكائد، وتخلي عن الحيلة والتدبير؛ فهيهات هيهات، لا يمكن لأيّ براهيم أن يروّض هذا الصنم^(٢)، ولن يكون بمقدور أي ساحر أن يروّض هذه الأفعى العنيدة ذات الرأسين.

(١) تقدمت الإشارة إلى قصة الحب المعروفة في الأدب الفارسي بين خسرو وشيرين، وهي قصة حبّ من طرف واحد. (المعرب).

(٢) في الأصل (سومنات): اسم صنم كان يتم الاحتفاظ به في معبد للهندوس في مدينة بهذا الاسم في الهند، وهي المدينة التي وقعت فيها معركة سومنات سنة ٤١٦ للهجرة عندما =

افسون مَدَم و بر سر زلفش مَبَر انگشت

كه آن مار سيّه صد چون تو افسون زده را كُشت^(١)

فإن كانت حلوة الشمائل هي التي ترغب بالوصال، فتلك هي السعادة التي ما بعدها سعادة، وإلا فلا يبقى أمامي سوى الاحتراق في جحيم العشق.

فقلت المرضعة: فديتك بروحي، سوف أفعل كل ما تأمرني به، وأرضى بما تشير به عليّ، فطوبى لك إذ لم يذهب اللبن الذي أرضعتك به هدرًا. فقلت لها: يا مرضعتي الحنون، من الأفضل لي أن أكتفي بإرسال مكتوب إلى تلك الظبية بواسطتك، وأختبر مقدار الحب الذي تضمه لي، عسى أن يلين قلبها الحديدي بنار كلماتي، وإن كنت أعلم أن:

دل آهن صفتش نرم نمي گردد اگر آتشين ناله من كوره حدّاد شود^(٢)
بيد أني رغم ذلك أفتح رسالتي باسم الله الرحمن الرحيم. على أمل أن أفلح في الظفر بغايتي.

سحبت ورقة من تلك الأوراق الذهبية، وأخذت أسكب فيها الكلمات - التي تحمل كمية كبيرة من جذوة الحب - إليها بكل شغف. ثم قامت مرضعتي الحنون بحملها وانصرفت بها إلى تلك الحبيبة، بعد أن طمأننتني وطيبت خاطري.

=زحف السلطان محمود الغزنوي بقواته إلى هذه المدينة التي يقع فيها المعبد الشهير للإله شيفا، وانتهت المعركة بانتصار المسلمين، وأمر السلطان محمود حينها بهدم صنم سومنات. (المعرب).

(١) لم نعر على قائل هذا البيت، والمعنى: (لا تنفخي في العُقد، ولا تلمسي خصلة من شعرها بإصبعك.. فإن هذه الحيّة السوداء قد قتلت عشرات الساحرات من أمثالك).

(٢) لم نعر على قائل هذا البيت، والمعنى: (لا يلين قلبه الصلد مثل الحديد.. حتى لو خرجت أهتي من كورة الحداد).

والآن سوف أريك تلك الرسالة، والجواب الذي كتب بأنامل تلك الغادة الحسنة.. ونادى على أحد الخدم: يا ضرغام هات صندوقي من الداخل.. والتفت لي قائلاً: سيدي لن أصدّع رأسك طويلاً.

فقلت له: أستغفر الله، ولكن لدي شيء آخر، فيا أيها السيد... أنا لا أتحدث عن عشقك، وأسأل الله أن تنال الوصال على وفق ما يقتضيه الشرع، و(لكن هناك ألف نقطة أدق من الشعرة هنا)^(١).

هل تعلم مقدار ما فاتك بسبب هذا الغرام من خدمات كان بمقدورك أن تقدّمها إلى الإسلام والوطن؟

كلا بطبيعة الحال، فإن سماحتك لن تستطيع الإحاطة علماً بذلك؛ وذلك لأن عُقاب العشق الذي وقعت الآن بين مخالفه بكامل إرادتك، قد سدّ عليك جميع المنافذ، ولم يُبق أمامك غير طريق الشغف بذلك الطاووس ذي الريش الجميل!.. ألم ينهك الشارع المقدّس صلى الله عليه وآله عن النظر إلى ما يحرم عليك النظر إليه، وأن تغض الطرف عن أعراض الآخرين؟! لن تستطيع السافرات - اللاتي يسعين أبداً إلى خلع الحجاب - أن يعلمن بعد أسرار وحسنات النقاب والحجاب.

لقد وقعت في هذا البلاء بسبب مشاهدتك لمخدّرة، وهي حرّة مختارة في إلقاء حجابها في ملكها، فكيف سيكون الظن بكشف الحجاب العام الذي يقوّض أساس شريعة الإسلام؟! عندها يجب علينا القول: وا حسرتاه على أوضاع بلدنا وأهلنا.. لنفترض إن إدارة ال[...] ^(٢) هي وحدها التي أصيبت حالياً بالخلل بسبب العشق الاعتباري والمُستتر لسماحتكم؛ فعندها

(١) في الأصل: (هزار نکته باریکتر ز مو این جاست) وهو شطر بيت للشاعر الفارسي الشهير حافظ الشيرازي، وتتمه البيت: (نه هر که سر بتراشد قلندري داند). وقد تقدم شرحه في هامش سابق. (المعرب).

(٢) الفراغ من المصدر.

كيف سيكون الأمر إذا فتح الباب على مصراعيه؟! إلا اللهم إذا هجرتم - والعياذ بالله - العصمة والغيرة أو الشرع المقدس - مثل الفرنجة - بالمرّة؛ بمعنى أن حبيبتك أو عشيقتك التي ستغدو ضجيعتك لاحقاً، يمكن لها بحسب رغبتها وميلها (الشريف)! أن تضاجع بعدك خمسين شخصاً من منزوعي الغيرة والشرف، دون مانع أو رادع.

فإن تحرّر الأعالى، سوف يكون الأسافل بطريق أولى أكثر تحرراً، فإن أنت شاهدت البدر مكتملاً لن تبالي بالهلال.

كلا كلا، لو أضحى الهلال محط اهتمام الخلق وإشارة بنانهم؛ لن يكون هناك للبدر موضع في البين، لا سيما عند أولئك الجالسين أحلاس بيوتهم، أو القابعين في زوايا مدارسهم وهم يصومون الليل والنهار، متعرّضين لشهر رمضان المعنوي، وهم يهتمّون بالهلال غير المحجّب - والعياذ بالله - أكثر من اهتمامهم بهلال شوّال؛ فيتخذونه آخر الأمر بديلاً عن القمر ويخسفونه خسوفاً كلياً.. أيها السيد... لقد مضى زمن (فرهاد وشيرين)^(١)، ويتعين علينا الآن بدلاً من معول (فرهاد) أن نرفع التراب الطاهر لهذا الوطن العزيز - الذي هو أحبّ إلى قلوبنا من ألف (شيرين) - فوق عالم الأفلاك برموش أجفاننا.

بمعنى أن نسعى بكلّ ما أوتينا من قوة في سبيل إشاعة ونشر الشريعة الإسلامية المقدّسة وتطبيق قوانينها وأحكامها؛ إذ أن رقي الوطن الحبيب والمحافظة عليه رهن بتقوية وتعزيز إسلامنا الحنيف.

إن قطرنا الحبيب أو مركز الإسلام هو الآن في صلب دائرة الأجانب، بمنزلة زورق وسط محيط بحر زاخر لا يعرف ساحله، وهو بالإضافة إلى

(١) تقدّم الحديث عن حكاية (فرهاد وشيرين) في هامش سابق، ضمن الحديث عن حكاية الشاب الكردي في المحطة السادسة من هذه الرحلة. (المعرب).

ذلك تعصف به الأمواج الهادرة من كل جانب، وقد تمزقت صفحاته من جميع الجهات، فلا رياح مؤاتية توصله إلى ساحل النجاة، ولا ربّان حاذق محنّك وخبير ليتدبّر في توجيه دقّته وإيصاله إلى المرفأ بأمان، ولا فيه شراع قويّ، ولا سارية متينة، والحبّال والأمراس مقطّعة، وكل واحد من سكان السفينة يسير على هواه، بل ويا ليتهم يكتفون بذلك، بل إن كل واحد منهم يعتبر الآخر عدوّه اللدود؛ فهم حيارى وتائهون وضالون على شتى الجهات، ليس لهم معين ولا ناصر ولا متعاطف ولا طيب يداوي جراحهم ويسكّن آلامهم. والحيتان النشيطة تتقاذف زورقهم وتقلبه ذات اليمين والشمال، وتسحبه إلى شتى الاتجاهات، وقد أطبق الصيادون عليه بشباكهم الجاذبة من كل جانب بإحكام، لتجد موضعها المساعد لحصار ماسكتها وهاضمتها، حتى تجد السلطة التي تحمي الشريعة نفسها تسير بالتدريج نحو الانحدار، ويجد التدين - الذي هو زينة البلاد والعباد - نفسه غريباً من جميع الجهات. وذلك الشخص قد تعرّض ل[...]^(١)، وهذا الآخر قد ابتلي بالماديين والطبيعيين.

واحد هائم في بادية الغرور، وآخر قد أسكرته خمرة الغفلة، ومع هذا كله أيها السيد... كيف يمكن لنا أن نشغل تفكيرنا بالبحر والقصور؟ لا شك في أنك إذا انشغلت بسلسلة غدائر هذه الهيفاء وتلك الغادة الحسناء، سوف تفلت من يديك سلسلة قيادة العالم، وعليه فإن أساس كل هذا الاختلال والاضطراب يكمن في عدم العمل بقوانين وأحكام الإسلام.

امتقع لون وجه ذلك العاشق الهائم عند سماع هذه الكلمات، وأصبح في الصفرة بلون الزعفران. ثم قال:

سيدي، تعلم أن لهذه الكلمات على قلبي وقع الملح أو الخردل على

(١) الفراغ من المصدر.

الجرح. وبطبيعة الحال فأنت غير مُلام، وإني قد أخذت على نفسي عهداً - إن أنا نجحت في وصال تلك الغادة الهيفاء والحرورية الإنسية - أن أقدم خدمات جليلة لهذا الوطن العزيز الذي هو المعشوق الحقيقي.. ولكن ليس من الحكمة والحصافة والتدبير من مثلك أن توجه سهام نقدك إلى شخص يعاني ألم الغرام مثل خادمك، فتشير عليه بغير دواعي الغرام!..

سيدي، عليك أولاً أن تلقي نظرة على الجواب المبارك للمحبة المكرّمة؛ إذ أنه يملأ العيون بالنور، ويغمر الأفتدة بالسعادة والحبور. فقلت له: أولاً إني أعتذر عمّا تفوّهت به من كلمات كدّرت خاطرك الشريف.

وثانياً: لا يجدر بي أن أنظر إلى رسالة محبوبتك.

وثالثاً: قد حان وقت أذان العشائين، ولم يعد بوسعي أن أمكث عندك لأكثر من هذا، رغم أنني أجد صعوبة بالغة في الانفصال عن محضرك العالي، ولكنني مضطّرّ إلى مفارقتك، وأرجو منك أن تصفح عني وتغضّ الطرف عن تقصيري.

ورابعاً: إن كنت تجد من نفسك رغبة في التواصل معي وإخباري بآخر ما يستجد من أوضاعك وحالاتك، أمكن لك مكاتبتني وإرسال رسائلك إلى عنواني في مشهد المقدسة عن طريق السيد (أنطيقه جي)، أو إلى عنواني في كربلاء المقدسة، بوابة الحرّ، حجّة الإسلام زاده الأسكوئي، وسوف تصل إلى هذا العبد الفقير إن شاء الله..

قلت ذلك ثم نهضت قائماً. وما إن رأى ذلك العاشق الصادق أنني أعترم تركه حتى نشر شعره الفاحم، وتمسّك بأذيال ثوبي بكلتا يديه مثل اليأس.

لم تعد لديه قوّة على البكاء والنحيب، فاكتفى بوضع رأسه على حاشية الصندوق، وأخذ يجيل طرفه الخمري نحوي عاجزاً، وقال بصوت واهن: (يا سيدي، يا سيدي! فديتك).. ولم يتمكن من الإفصاح عن مراده، وكان

مثل الجسد الفاقد للروح، يكتفي بتقليب عينيه الواهنتين، ولسان حاله يقول: كيف تتركني وحدي على هذه الحالة؟!

يا ربّ ما هذه البلوى التي أوقعني فيها؟ فما حيلتي لو أغشي على هذا الشاب، أو اضطربت حالته؟ يا ليتني لم أشاهد وجه طهران، إذ كل شبر منها عبارة عن قطعة من الحزن والكمد. يا ليتني لم أرفض رجاءه، إذ كلفني هذا الرفض بيادر من البلاء!

يا إلهي أسألك أنت أن تخرجني ممّا أنا فيه؛ إذ لا أستطيع المقام، ولا أستطيع الرحيل!.. ويا رب تفضل عليّ بدواء اليأس بلطفك وكرمك.



وحيث الحكاية طويلة، والوقت ضيق، والمطبعة في انتظاري، أجد نفسي مضطراً إلى ترك سرد الوقائع مبتورة، وأستميح القارئ عذراً على ذلك.. وأرجو من القارئ الكريم أن يترقب تنمة الوقائع في الأجزاء القادمة إن شاء الله^(١).

وفي الختام أعيد الرجاء متضرعاً من أرباب الأدب أن ينظروا إلى رحلتي هذه بكرم لطفهم، وأن يصفحوا ويغضوا الطرف عما يصادفوه فيها من الأخطاء والنسيان المساوق لطبع الإنسان، ولا شك في أن ما يكتب أثناء السفر والترحال يختلف كثيراً عما يكتب في حالة الحضر والاستقرار والطمأنينة.

والعذر عند كرام الناس مقبول^(٢).

(١) يبدو من هذا الكلام - كما سبق أن ذكرنا - أن سماحة الميرزا حسن الحائري كان عازماً على كتابة أجزاء أخرى لهذه الرحلة بالإضافة إلى (الحياة الخالدة) (حياة جاويد)، ولكن حتى هذا الكتاب لم يُبصر النور ناهيك عن الأجزاء الأخرى التي لم تصلنا حتى عناوينها، وبذلك فقد توقفت أحداث هذه الرحلة الفريدة عند محطة طهران للأسف الشديد. (المعرب).

(٢) شطر من بيت، وترد صيغته الكاملة على ألسنة الأدباء على شكل: (العذر عند كرام الناس مقبول.. والعفو من شيم السادات مأمول)، ويعود أصله إلى الشاعر المخضرم كعب بن زهير المزني في قصيدته الاعتذارية إلى رسول الله صلى الله عليه وآله والتي تعرف ب(البردة)، والتي يقول في مطلعها: (بانت سعاد فقلبي اليوم متبول.. متيم إثرها لم يُفد مكبول)، وصورة البيت في هذه القصيدة الاعتذارية: (أتيت رسول الله معتذراً.. والعذر عند رسول الله مقبول). (المعرب).

تصانيف جهة الإسلام والمسلمين ههنا الأعلى
[الميرزا محمد باقر الهائري الأسكوي]
أعلى الله مقامه

- ١ - المصباح المنير.
- ٢ - حق اليقين.
- في شرح ورد كتاب الفصول لجناب المرحوم الحاج محمد كريم خان وبيان اشتباهاته (عربي):
- ٣ - كشف المراد: بالفارسية في بيان الاشتباهات للحاج المذكور.
- ٤ - معين التجارة: في بيان أحكام المعاملات (مطبوع).
- ٥ - كتاب الصوم: استدلال.
- ٦ - كتاب الأغسال: استدلال.
- ٧ - كتاب الوكالة: استدلال.
- ٨ - كتاب المواريث: استدلال.
- ٩ - كتاب الرضاع: استدلال ومختصره.
- ١٠ - كتاب النكاح: استدلال ومختصره.
- ١١ - كتاب الطلاق: استدلال ومختصره.
- ١٢ - كتاب الوقف: استدلال ومختصره.
- ١٣ - كتاب سؤال وجواب حكمية وفقهية.
- ١٤ - رسالة عملية: عربية وفارسية تشتمل على مسائل الطهارة والصلاة والصوم والخمس والزكاة والحج.

- ١٥ - الرسالة التطهيرية: رسالة مفصلة حول مدفوعات الأئمة الأطهار عليهم السلام.
- ١٦ - رسالة في توضيح معنى (العبودية جوهره كنهها الربوبية).
- ١٧ - الرسالة البدائية: في توضيح معنى (يا من بدا الله في شأنه).
- ١٨ - رسالة في جواب السؤالات الحكمية.
- ١٩ - رسالة في تغطية الرأس.
- ٢٠ - رسالة في تكليف الكفار.
- ٢١ - رسالة في نجاسة الخمر.
- ٢٢ - رسالة في تحقيق الأصل في الاشتقاق هل هو المصدر أو الفعل.
- ٢٣ - رسالة في تحقيق أن الجسم مركب من الهولى والصورة.
- ٢٤ - رسالة في تقسيم الأشياء إلى خمسة أقسام (الواجب بذاته ولغيره، والممتنع لذاته ولغيره، والممكن لذاته) وإبطاله.
- ٢٥ - رسالة في تحقيق الوجود.
- ٢٦ - رسالة في رد أن ذات الواجب مادة الوجوب.
- ٢٧ - رسالة في جواب شبهة بن كمونة.
- ٢٨ - رسالة في جواب (وبمقاماتك التي لا تعطيل لها في كل مكان).
- ٢٩ - رسالة في بيان جف القلم.
- ٣٠ - رسالة في تحقيق مسألة الحنك وتحقيق مورد الاستحباب.
- ٣١ - رسالة في وقت ما بين الطلوعين.
- ٣٢ - رسالة في رد قول الرازي بجواز تكليف ما لا يطاق.
- الرسائل المختلفة للجد أعلى الله مقامه في أجوبة المسائل المختلفة:
- ١ - الرسالة الكاظمية.
- ٢ - الرسالة الحلية.
- ٣ - الرسالة القرينية.
- ٤ - رسالة في جواب مسائل علماء البحرين.
- ٥ - الرسالة السوقية.

- ٦ - رسالة في الجمع بين بعض الآيات المختلفة.
 - ٧ - الرسالة القره باغية.
 - ٨ - الرسالة القطيفية للشيخ محمد بن يوشع البحراني.
 - ٩ - الرسالة القطيفية أيضاً للحاج صالح.
 - ١٠ - الرسالة السوقية أيضاً.
 - ١١ - الرسالة البحرانية أيضاً.
 - ١٢ - الرسالة البحرانية أيضاً في جواب الشيخ أحمد بن الشيخ صالح البحراني.
- وغيرها من أجوبة المسائل والرسائل.



تصانيف حجة الإسلام والمسلمين
حضرة الوالد الماهر
[الميرزا موسى الهائري] روهي فراه

- ١ - كتاب البوارق في إبطال وحدة الناطق.
- ٢ - إحقاق الحق عربي.
- ٣ - تنزيه الحق فارسي - تحت الطبع -.
- ٤ - كتاب الفصول الغرية في رد الصوفية.
- ٥ - الرسالة البهبائية.
- ٦ - الرسالة البحرينية.
- ٧ - الرسالة الحلية.
- ٨ - الرسالة القطيفية.
- ٩ - الرسالة التاروتية.
- ١٠ - الرسالة السمرقندية.
- ١١ - رسالة عملية متعددة مفصلة ومختصرة عربية وفارسية (مطبوع).
- ١٢ - رسالة في أن فرض المحال محال عكس المشهور.
- ١٣ - رسالة مفصلة في الرضاع.
- ١٤ - رسالة في العلم المكتوم.
- ١٥ - الرسالة الكويتية.
- ١٦ - الرسالة الكويتية أيضاً.
- ١٧ - الرسالة الصحافية.

- ١٨ - الرسالة البوشهرية.
- ١٩ - الرسالة القره باغية.
- ٢٠ - الرسالة الكاظمية.
- ٢١ - الرسالة الكردلانية.
- ٢٢ - الرسالة الهمدانية.
- ٢٣ - رسائل في أجوبة المسائل المتعددة الحكيمة والفقهية، مما يطول بذكرها المقام.



تصانيف حضرة الأيخ الأعظم مجة الإسلام والمسلمين الأغا ميرزا علي روهي فراه

- ١ - شرح الزيارة السابعة لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام (عربي).
- ٢ - شرح دعاء رجب (عربي).
- ٣ - شرح الزيارة الرجبية (عربي).
- ٤ - شرح دعاء الصباح (عربي).
- ٥ - تقارير آية الله الآخوند الملا محمد كاظم الخراساني قدس سره في الأصول.
- ٦ - تقارير آية الله الآخوند الملا محمد كاظم الخراساني قدس سره في الفقه.
- ٧ - تقارير آية الله الميرزا فتح الله الأصفهاني المعروف بشيخ الشريعة في الأصول والفقه.
- ٨ - غيرها من الرسائل المتفرقة.



مؤلفات المصنف

- ١ - الدرر الغاليات في توضيح المشكلات، في تطبيق الأخبار المتشابهة والوجدانيات (عربي).
- ٢ - (الجغرافيا الطبيعية)، مفصل.
- ٣ - و(الجغرافيا السياسية)، مفصل.
- ٤ - المعارف (معراج رفرع الشريعة)، سلسلة من المفاهيم حول تقدم علماء الإسلام بأسلوب مبسط للغاية.
- ٥ - (سد إسكندر) في الرد على قساوسة النصارى في بقاع العالم.
- ٦ - (الحياة الخالدة) (حياة جاويد) وهو الجزء الثاني من هذه الرحلة (من طهران إلى مشهد المقدسة)، ولا زلت مشتغلاً به ولم أفرغ من تهذيبه وتنقيحه.



المحتويات

٥	مقدمة الناشر
٧	مقدمة التعريب
٢١	مقدمة الطبعة الثانية
٦٩	أساس السعادة
٧١	ديباجة الرحلة
٧١	[السبب الداعي إلى كتابة هذه الرحلة]
٧٧	[محطة الانطلاق]
٨١	[المحطة الأولى : بغداد]
٨٤	[الرياضة والصلاة]
٩٥	[المحطة الثانية : خانقين]
٩٩	[الدخول إلى الأراضي الإيرانية]
١٠٣	[المحطة الثالثة : قصر شيرين]
١٠٧	[حوار ديني مع شخص أرمني]
١١٦	[على ضفاف النهر]

- ١٢٣ [المحطة الرابعة: كرمانشاه]
- ١٢٩ [الوصول إلى كرمانشاه]
- ١٣١ [في فضيلة الوفاء وقبح الخيانة]
- ١٣٧ [المحطة الخامسة: سنقر]
- ١٣٨ [العزاء على الإمام الحسين عليه السلام وأهميته]
- ١٤٢ [مواصلة المسير]
- ١٤٦ [غل تبه]
- ١٤٨ [نقد التقليد الأعمى للغرب]
- ١٥٤ [مخاطر الغزو الثقافي]
- ١٦٠ [غردكانة]
- ١٦٧ [المحطة السادسة: خسرو آباد]
- ١٧٢ [حوار مع أحد القضاة حول الوحدة الإسلامية]
- ١٨٣ [مواصلة السفر]
- ١٨٨ [حكاية الشاب الكردي]
- ١٩١ [بداية الحكاية]
- ١٩٦ [مضمون رسالة بريدزاد]
- ١٩٩ [مضمون رسالة سنجاب]
- ٢٠٦ [تمرد عبيد الله الخائن]
- ٢٢١ [مواصلة الرحلة والإقامة في قرّه بلاغ]
- ٢٢٤ [المارد الكردي]

٢٢٨	[(تيكان تبه) والنزاع حول تحديد قبلة المسجد]
٢٤١	[المحطة السابعة: بناب]
٢٤٣	[نهب مدينة صائين قلعة على يد إسماعيل آغا]
٢٤٦	[أهالي بناب يخرجون لاستقبالنا]
٢٥٢	[شيرامين]
٢٥٧	[تأثير علماء الدين في المجتمع]
٢٧٠	[فرح وسرور]
٢٧٧	[المحطة الثامنة: (أسكو)]
٢٨١	[جدول اللقاءات اليومية]
٢٨٨	ظاهرة المدّ والجزر
٢٩٢	[ألم الفراق]
٢٩٣	قصة أسكو المباركة
٢٩٩	[المحطة التاسعة: تبريز]
٣٠٧	[تركمانتشاي! قصة أمير أرسلان الرومي وقصصنا المحكية]
٣١٠	ملكة الآفاق/ لعبة الساسان
٣١٧	[المحطة العاشرة: ميانج/ زنجان]
٣٢٠	[حوار بين طالبين أحدهما متشرعي، والآخر شيعي]
٣٤٩	[المحطة الأخيرة: طهران]
٣٥١	[وصف الطابع التغريبي والسفور في طهران]
٣٥٨	[حوار مع مجموعة من الشباب]

- ٣٧٤ [حوار مع أستاذ الجغرافيا]
- ٣٧٩ [حوار حول الخمس]
- ٣٨٨ [نداء الضمير]
- ٣٩١ [مقال في باب التبشير المسيحي في الشرق]
- ٣٩٥ [معرض البضائع الوطنية في طهران]
- ٤٠٠ [حكاية العاشق الولهان]
- تصانيف حجة الإسلام والمسلمين جدنا الأعلى [الميرزا محمد باقر الحائري
الأسكوئي] أعلى الله مقامه ٤٢٧
- تصانيف حجة الإسلام والمسلمين حضرة الوالد الماجد [الميرزا موسى
الحائري] روي فداه ٤٣٠
- تصانيف حضرة الأخ الأعظم حجة الإسلام والمسلمين الأغا ميرزا علي
روي فداه ٤٣٢
- مؤلفات المصنف ٤٣٣

أساس السعادة



الرويس - مغرق محلات محفوظ ستورج - بقاية رمال

مطبوع: ١٤/٢٠١٧ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١

تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨١٧ - E-mail: skanda@stora.net.tr

E-mail & FB: info@daralmahaja.com

www.daralmahaja.com



ISBN 978-614-480-182-6



9 786144 801826